المعهد الوطني العالي لأصول الدين
الجزائر

# محمد بن يوسف أطفيش

## ومنهجيته في تفسير التيسير

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

إعداد
محمد عكي علواني

إشراف
الدكتور: الهاشمي التيجاني

1411هـ / 1990-1991

بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم .

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . الآية 1/الكهف والصلاة والسلام على نبيه الأمين الذي كان خير مطبق لتعاليمه ، وخير مبلغ لتشريعاته ، وعلى آله وأصحابه الذين اقتدوا آثاره في الاستنارة بهديه ، حتى أصبحوا به سادة العالم ، وأئمة الهدى .

ولكن ما ان انحرف المسلمون ، وأعرضوا عن الالتزام بتعاليم كتاب الله حتى أصبح داء الجهل والتخلف ، والأخلاق السيئة تتفشى بينهم ، فجعلوا منه كتابا يتلى تلاوة لا تتجاوز حناجرهم ، ومصدر معارف يحشون بها أدمغتهم ، فامتلأت مكتباتهم بكتب التفاسير التي أخطأت معظمها مقاصد القرآن ، وحادت عن المنهجية الفعالة القادرة على تحقيق هذه المقاصد في واقع الانسان ، والاكتفاء بتفسير ضعف آثارها في الفرد المسلم والمجتمع الاسلامي ؟

وهذا ما دعاني الى هذه الدراسة التي أعتبرها مدخلا للتفكير في وضع منهجية فعالة ، وناجحة ، وعلى الأقل ، لفت نظر الباحثين الى بعض نقاط الضعف والقوة في التفاسير السابقة ، وقد يتساءل القارئ لم وقع اختياري - في هذه الحالة - على تفسير يمثل مدرسة اسلامية معينة ، وينتمي الى منهجية التفسير بالرأي السلفية ؟

وسرعان ما يزول هذا التساؤل ، اذا عرف القارئ أسباب اختياري لهذا التفسير بالذات ، وتتمثل فيما يلي :-

1) النتيجة التي حققها المفسر في تكوين نخبة من المفكرين والمصلحين ، وأثره في النهضة الاصلاحية .

2) دراسة المنهجية السابقة لمعرفة مساوئها ومحاسنها للاستفادة منها ، والتفسير المختار وان كان يمثل مدرسة التفسير بالرأي السلفية فيرأننا نجد فيه بعض بصمات المدرسة الاصلاحية ومدرسة التفسير بالمأثور .

3) عرضه لأهم آراء المدارس الاسلامية في أهم المسائل .

4) اخترت تفسيره " التيسير " بالذات لاعتباره :-

أ . التفسير الأخير الذي بلغ فيه المفسر درجة النضج العلمي فقد يكون بذلك عصارة فكرة وتجربته .

.../...

ب. لم يتعرض أي باحث لدراسته بطريقة مفصّلة وذلك حتى نهاية بحثي .

جـ. ألفه من أجل التدريس، وهذا الخبر يسمح لي بالاطلاع على منهجية تدريس هذه المادة في عصره للوصول الى وضع منهجية حديثة لتدريس هذه المادة، لما لهذا الموضوع من علاقة بآختصاصي في ميدان التعليم .

5) قلّة دراسات تفاسير الاباضيّة، رغم أهميتها جعلتها لا تحتلّ مكانتها في مكتبات العلوم الاسلاميّة، ولا يقبل عليها الدّارسون، وبما أنني ابن بيئة المفسّر، كنت وطالب علم التفسير عند أحد تلاميذه، أرى أن ذلك عامل مساعد لي على هذه الدراسة .

وهذه الأسباب هي التي دعتني الى اختيار عنوان البحث على النّحو التالي :

" محمّد بن يوسف أطفيّش ومنهجيّته في تفسيره التّيسير " للتعرّف أولا لدراسة جوانب من شخصيّة المفسّر، ثم تناول منهجيّته في تفسيره بالبحث، والتي أعني بها الطّريقة التي سلكها لتدريس هذه المادة وتوضيحها، ولم أركّز كثيرا كغيري من الباحثين في هذه الموضوعات على ناحية المضمون، بل حاولت الجمع بينه وبين الشكل أي طريقة تقديم المادّة، واخترت بذلك كلمة " المنهجية " على " المذهب " .

ولعلّ تصميم البحث يعطي صورة أكثر وضوحا لتبنّاي ما ذهبت اليه .

فقبل التعرض لصميم الموضوع، رأيت من المفيد أن أقدّم أمام القارئ صورة ولو موجزة عن نشأة المذهب الاباضيّ، ولمحة عن أسسه في التّفكير، وعن تفسيره ومفسّريه واتجاهاتهم، حتّى أبني بحثي على قاعدة واضحة، وأضع القارئ في جو الموضوع مستفيدا عن موضوع علوم القرآن التي اعتاد الباحثون في هذه الدراسات التّمهيد بها باعتبارها قد لا كتها أقلام كثيرة، وهذا يتنافى مع رغبتي في محاولة تقديم الجديد في المضمون والمنهجيّة بقدر المستطاع، والابتعاد عن الاجترار .

ثم سلّطت بعض الأضواء على عصر المفسّر في جوانبه الثلاثة : السّياسيّة والاجتماعية والفكرية، لأنه لا يعقل تقديم دراسة موضوع أو شخصية مجرّدة عن بيئتها ومحيطها، وإلّا لا تكون الأحكام مبنيّة على قواعد سليمة، ورأيت من الضروري تحليل شخصيّة المفسّر مكتفيا في ذلك بدراسة شبه سيكولوجية واجتماعيّة معرضا عن بعض الجزئيات التي لا تخدم الهدف من الدراسة، مع تخصيص فصل كامل لابراز آثار هذه الشخصيّة وجهادها .

.../...

واثر هذه الدراسة لشخصية المفسّر ارتأيت التعريف بتفاسيره الثلاثة ، والدوافع لتأليفها ، عاقدا مقارنة بسيطة بينها ، مبيّنا فيها المميّزات الخاصة والمشتركة بينها ، متوصلا الى بيان أسباب عدم انتشارها .

وقبل الدخول في صميم الموضوع ، رأيت أنّ المنهجية السليمة تقتضي مني تقديم عرض موجز لآراء الباحثين في تفاسيره والمصادر المعتمدة لتأليفها .

وبعد هذا التّصور الشامل للمدرسة الاسلاميّة التي ينتمي اليها المفسّر ، والبيئة التي عاش فيها ، وعوامل تكوين شخصيته ، ومساهماته ، وبعض مواصفات تفاسيره ، ووجهات نظر الدارسين لها ، والمصادر المعتمدة ، شرعت — في الباب الثالث — في دراسة طريقته في التّفسير منتصرا على كتابه " التّيسير " من حيث أسلوب تناول هذه المادة ، والمصادر التي استعان بها في الشرح والتوضيح ، مع ضرب أمثلة عن كيفية استغلال هذه المصادر ، ثم انتقلت الى استعراض مواقفه من بعض المسائل والمدارس الاسلاميّة والفرق .

ولابراز مكانة تفسيره ، عقدت مقارنة بسيطة بينه وبين تفسير تأثر به واتبع نفس المنهجيّة ، وتفسير أقدم منه ولكن موقفه جزائري ، وتفسير يمثّل وجهة نظر عصره ، وفي الختام استخلصت بعض النتائج ، ولخّصت بعض القضايا التي استنتجتها في مصطلح بحثي .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة المتواضعة المنهج الاستقرائي ، باستقراء النصوص ومحاولة استنتاج المعلومات منها ، مستعملا — أحيانا — أساليب : التحليل والمقارنة والنقد حسبما يقتضيه الموضوع ، وان كنت لم أستغن عن المنهج التاريخي في عرض بعض الآراء ، مع نقدها اذا لزم الأمر ذلك ومقارنتها بغيرها للوصول الى حكم ، ومن هنا تبدو صعوبة الدراسة ، لا سيّما لمن يسعى الى تحقيق عمل جاد ، ويلتزم قدر المستطاع بالموضوعية ، ويقصد اكتشاف جوانب جديدة ، ومن أجل هذا الهدف الأخير تحاشيت الاكثار من عرض آراء الغير واقتباسها ، وبذل الاطلاع على بعض الدراسات الشبيهة خوفا من التّأثّر ، وهو الذي نرى علي انتهاج منهج الاستقراء ، واعتماد النّص من مستخدما فكري قصد الوصول الى نتائج دقيقة تلقي أضواء على أهداف

.../...

بحثي ، وقد أصل بذلك الى نتائج تتفق مع غيري أو تختلف معه .

والعائق الذّاتي هو قلة المصادر والمراجع المعينة على ذلك ، بالاضافة الى جدة الموضوع الذي لم يطرقه باحث من قبل بهذه الطّريقة ، ولم تقدم دراسات مفصّلة فيه باستثناء بعض الدّراسات التي أشرنا اليها في البحث أو تلك التّي قدّمها زميلي في القاهرة ، لكنها جاءت بعد انتهائي من البحث ، مع العلم بأنني قد سبقته في اختيار الموضوع والشروع في تحريره فكان من غريب الصدف أن وقع اختيارنا على موضوع واحد دون اتفاق مسبق ، وكان أوّل اتصالي به بعد أن وضعت تصميم موضوعي وشرعت في جمع المادة ، وقد استفسرته — يومئذ — عن التّفسير الذي اختاره ففهمت من اجابته أنّ اختياره وقع على " همیان الزّاد " وفي هذه الحالة استمررت في دراسة تفسير " التّيسير " مبيّنا له أسباب اختياري له ، ولكن قد فوجئت عند سماعي لمناقشة رسالته أنّه درس كتاب " التّيسير " وكنت — حينئذ — قد أنهيت بحثي الذّي كلّفني وقتا طويلا ، وجهودا مضنية وأسوالا طائلة .

وهذه الصّعوبات وغيرها كادت تنال من عزيمتي لولا تشجيع فضيلة أستاذي المشرف وتوجيهاته القيمة وبعث الثقة في نفسي ، فقد كان ذلك لي بمثابة الشحنة التّي زادتني اصرارا على اتمام بحثي ، بالاضافة الى انتظار أساتذتي واخواني لهذه الدراسة بفارغ الصبر ، وما قدّمه لي بعضهم من يد مساعدة .

فرغم صعوبة الحصول على المراجع والمصادر ، فان المنهج المختار تطلّب مني في الحقيقة الاقتصار على موءلّفات المفسّر والتركيز عليها ، أمّا ما عداها من مراجع فكانت مساعدة لي على اتمام ما أجده ناقصا ، أو في بلورة بعض الأفكار ، أو في الاستدلال بما جاء فيها لاثبات رأي ومساعدة لي على التحقيق الاخير .

فهذه باختصار الدّوافع التي حفزتني الى كتابة هذا البحث ، والخوض في موضوع شيق وصعب ، دون أن أنسى رغبتي الأكيدة في خدمة كتاب اللّه ومساهمتي المتواضعة في محاولة وضع منهجية تساعد على نشر تشريعاته وتعليماته لتصبح ضوابط تنظم حياة الانسان وتنقذه من ضلالته .

.../...

وأرجو أن أكون ببحثي هذا ، قد وضعت احدى اللبنات في صرح المجتمع الاسلامي المستقبلي ، وتمتين أواصره بالتقريب بين مدارسه ، فان كنت قد أصبت فذلك من فضل الله عليّ وتوفيقه ، وان كنت قد أخطأت فذلك منّي ومن الشيطان الذي استحيذ بالله منه .

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، ويتقبله منّي ويسدد خطاي ويوفقني لما فيه خير هذه الأمّة انه سميع قريب وبالاجابة جدير والحمد لله رب العالمين .

والله الموفق

## مختصرات و ملاحظات

### مختصرات:

| | |
|---|---|
| نفس المرجع | ن م |
| المصدر نفسه | م ن |
| صلى الله عليه وسلم | (ص) في بعض المواضع |
| الطبعة (في فهرس المراجع والمصادر والهوامش) | حرف ط // // // |

### ملاحظات:

- التاريخ الموجود بين قوسين أمام علم من الأعلام هو تاريخ الوفاة.
- اعتمدت في ترقيم الآيات الكريمة مصحف قراءة ورش عن نافع وفي كتابتها الرسم العثماني.
- تفاديا للتكرار واثقال الهوامش خرّجت الأحاديث في فهرسها وعرفت ببعض الشخصيات في فهرس الأعلام.
- العبارة أو الكلمة المكتوبة بين قوسين في فهرس الأحاديث النبوية الشريفة وفي عمود مصدره هي العبارة أو الكلمة الواردة في نفس الحديث بالمرجع المذكور في نفس العمود مقابلة لما ورد في الحديث الذي ساقه المؤلف.
- الرقم المكتوب قبل اسم السورة أو بعده هو رقم الآية.

# التمهيد

## الإباضية والتفسير عندهم

## ـ 0 ـ نشأة المذهب الاباضي ـ 0 ـ

ان الحديث عن نشأة المذهب الاباضي يسوقنا الى الحديث عن الخوارج ، هذا التيار الذي ظهر نتيجة ظروف عاشتها الامة الاسلامية في بداية تجربتها بالخلافة . وان ذهب الباحثون في مذاهب مختلفة في تحديد مفهوم الخروج ، مما نتج عن ذلك اختلاف في زمن ظهور هذا التيار ، وبداية تكوينه ، ووضوح ملامحه غير اننا نستطيع من الآراء المختلفة استخلاص اتجاهين رئيسيين . (1)

### 1) الاتجاه السياسي :

هذا الاتجاه يرى ان التيار الخارجي حركة خرجت على الامام الحق الذي بايعته الامة، او انكرت عليه حكما من احكامه ، غير ان في هذا الاتجاه من يحصر هذه الحركة في الخروج على علي بن ابي طالب ، وبذلك يرى ان بداية هذا التيار كان في وقعة الجمل (2) ، وعند البعض في وقعة التحكيم (3) وتتزعم هذه الفكرة الشيعة ، اما الفئة الثانية فتذهب الى ابعد من ذلك فترى ان كل حركة تنكسر على الامام او تخرج عليه ، تعتبر حركة خارجية.

ولذلك ترى ان أوّل بذرة لهذه الحركة ظهرت في عهد الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم وبالضبط في قضية ابن الثديّة (4) ومن جملة من يرى هذا الرأي عمار طالبي (5) ، وينسبه الى أهل السنة والجماعة ولا سيما الاشاعرة (6) والمعتزلة (7).

---

1) أبو عمار آراء الخوارج الكلامية 1/ ص 15 ـ 45 دراسة مستفيضة حول الموضوع لعمار طالبي .
2) ن.م. ص 27 . 28.
3) ن.م. ص 44
4) أنظر القضية بالتفصيل في ن.م. من ص 35 ـ 46.
5) م. ن
6) ن.م. ص 23
7) ن.م. ص 26.

و هناك فئة ثانية ترى أن الخارجية حركة قامت ضد أئمة الجور ، و المنحرفين عن مبادئ الكتاب و السنة ، و يكون الخروج في مفهومها ، حركة تقوم بثورة لتصحيح مسار الخلافة و اعادتها الى عهدها الأول ، و يمكن استخلاص هذا المفهوم من جواب عبد الله بن اباض لعبد الملك بن مروان ، عند براءته من ابن الازرق (1) و جماعته قائلا : ". . لقد كانوا على الاسلام فيما ظهر لنا حين خرجوا ، ولكنهم ارتدوا عنه و كفروا بعد اسلامهم "(2) ثم يقول متحدثا عن امام الضلالة : " فهو الذي يحكم بغير ما انزل الله " الى أن يقول : " فذلك كفر كما سمّى الله و نهى عن طاعتهم و أمر بجهادهم "(3).

الاتجاه الديني :

يستخلص مفهومه للخروج من الكتاب و السنة ، فالرأي الأول يعطي لمفهوم الخروج المعنى الوارد في القرآن الكريم (4) و يرى أنه مرادف للجهاد في سبيل الله و الجماعة التي تخرج في سبيل الله يطلق عليها اسم الخوارج ، و يمثل هذا الراي بعض علماء الاباضية على وجه الخصوص ، ولهذا الرأي ارتباط وثيق برأي الفئة الثالثة في الاتجاه السياسي السابق الذكر ، غير ان هؤلاء يعطون لمفهوم الخروج معنى دينيا أساسه القرآن الكريم ، و يرى بعض هؤلاء أن هذا المفهوم تغيّر بانحراف الجماعة المنشقة عن المحكمة (5) و ذلك حين أصبحت كلمة الخوارج تطلق على الفئة المنشقة فانقلب بذلك من المدح الى الذم. (6)

---

1) هو نافع بن الازرق امام فرقة الازارقة من الخوارج .
2) أبو الربيع سليمان الباروني — مختصر تاريخ الاباضية ص 25 .
3) ن.م. ص 26 قوله كما سمى الله اشارة الى قوله تعالى " و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون " الآية 46 من سورة المائدة وكذلك " هم الظالمون (47) " و هم الفاسقون (48) " ن.س.
4) مثال ذلك قوله تعالى : " و لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة " 46 التوبة.
5) فرقة رفضت التحكيم في وقعة صفين أنظر التفصيل في فجر الاسلام ص 256، 257 .
6) محمد بن يوسف أطفيش رسالة ( ان لم تعرف الاباضية ) ص 23، 26 هوامش بقلم عبد الله بن حميد السالمي .

أما الرأي الثاني استمد مفهومه من السنة النبوية ، يرى أن الخوارج مرادف في معناه الإطلاحي (مصطلاحي) لكلمة الموروق من الدين ، وكل حركة في نظره تنحرف عن الدين و تخرج عن الأمة تعتبر حركة خارجية ، وقريب من هذا الرأي من يحكم على الخوارج بانهم أصحاب بدع و هي و من جملة من ينتمي الى هذا الرأي جمهور الاباضية ، و اغلب السلف و الصحابة والتابعين و من تمسك بظاهر الحديث (1).

و لذلك تنكر الاباضية اطلاق اسم الخوارج على المحكمة ، وترى أن ذلك ظلم و تعسف رمت به السلطة الحاكمة — آنذاك — الى التشنيع بحركتهم و تشويه سمعتها باعتبارها تمثل حركة المعارضة للنظام الحكم(2).

نستخلص مما سبق ان مفهوم الخوارج تبعا للرأي الاول في الاتجاه السياسي ينطبق على الاباضية بدون منازع و على من رفض التحكيم وانفصل عن علي ، و بل وقف الاباضيون منذ عهد عثمان مع الحركات المناوئة للحكم و هذا ما يفهم من جواب ابن اباض ، لن صحت نسبته اليه ، غير أن حشر الاباضية مع الخوارج بالمفهوم الثاني في الاتجاه السياسي و الديني يعتبر من التناقضات الواضحة لان الاباضية نفسها تنكر أشد الانكار الخروج على الامام الحق(3) و اكبر دليل على ذلك ما جاء في جواب ابن اباض بعد تعريفه بامام العدل فقال : " و هؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم و نهى عن معصيتهم. "(4)

---

1) آراء الخوارج — 1 / 19 ، 22، 30 أبو اسحاق(النقد الجليل)ص 20 ، 22، 23 ن.ك مسألة الاذان ( مجلة المنهاج ) العدد 3، 4/ 29. ابو يعقوب(الدليل و البرهان) 2/ 32.

2) مجلة المنهاج / 29 علي يحي معمر ( الاباضية بين الفرق) ص/ 353، 354 نقلا عن ابي اسحاق سالم بن حمود ( اهدى المنهاج في تمييز الاباضية) ص 18 محمد علي دبوز ( تاريخ المغرب الكبير ) 3/ 170.

3) مسألة الاذان ( مجلة المنهاج ) / 29 ن.ع.

4) مختصر تاريخ الاباضية ص 26.

كما أنهم يتبرأون من الحركة التي انبثقت عن المحكمة و ذهبت الى تاويل آيات الله لتجد لنفسها مبررا للا عتداء على غيرهم من المسلمين ، و قد اطلقوا على هؤلاء الخوارج أو المارقين(1) من هنا يتبين لنا أن الاباضية حركه نشأت كغيرها من الحركات و المذاهب الاسلامية بصفة عامة في خضم تحولات المجتمع الاسلامي ، و الاضطرابات التي تركت — مع الاسف الشديد — تأثيرات سلبية على بنية المجتمع الاسلامي ، ولا أخال باحثا نزيها و موضوعيا في حكمه ينكر أن هذه الاضطرابات كانت من العوامل الاساسية المؤدية الى ظهور المدارس الفقهية المختلفة ، التي عاشتها من قريب او من بعيد تأثرا و تأثيرا ، ومن نتائج ذلك الجفوة والعداوة التي كانت و لا تزال بعض آثارها بين مختلف المذاهب الاسلامية.

و من الادلة التي تثبت ما ذهبت اليه اختلافات المذاهب في امر الخلافة ، و قواتها او ضعفها بحسب علاقة معتقداتها بمبادئ الخلافات المتداولة على العالم الاسلامي (2).

و من هذا المفهوم يظهر لنا ان المذهب الاباضي تبلورت معتقداته ، وتميزت عن غيرها لما انقسمت حركة المحكمة القائمة على أساس مبادئ واضحة في الخلافة الاسلامية الى متطرفين و معتدلين.

فالاتجاه المعتدل من هذه الحركة تمثله الاباضية غير أن جذور هذه الحركة تكون ممتدة الى عهد عثمان بن عفان ولا اقول الى عهد الرسول صلى الله عليه و سلم كما يرى أصحاب الرأي الثاني في الاتجاه السياسي (3) لاننا لا نجد في مصادر الاباضية ما يدل على تاييدهم و رضاهم بموقف ذي الخويصرة تجاه رسول الله (ص) (4).

---

1) احدى المناهج في تمييز الاباضية/ 19 ، مسالة الاذان ( مجلة المنهاج ) ص.ع/ 28 .
2) فجر الاسلام ص 252.
3) ارجع الى ص 1.
4) آراء الخوارج — 1 / من ص 36 — 43.

بينما نجد دليلا واضحا في جواب ابن أبـاض يتمثـل في رأيه الصريح تجاه الأحداث التي عاشتها خلافة عثمان(1) ، واستنكاره لانحراف الخلافة عن المبادئ التي سـار عليها الشيخان (أبو بكر و عمر ) من قبلـه (2).

نستخلص مما سبق ان المذاهب الاباضي تبلورت اراؤه و مبادئه في الخلافة و علاقاتـه مع غيره من المذاهب الاخرى من خلال رؤيتـه و مواقفـه تجاه الاحداث التي عاشتها الامـة الاسلاميـة ، فهو بذلك مذهب سياسي له وجهة نظره تجاه نظام الحكم ، وهذا لا يمنـع أن يعد مذهبا فقهيا كغيره من المذاهب الفقهيـة الاخرى على اساس انه من الصعب — في تلك المرحلة التاريخية — الفصل بين السياسـة و الدين ثم ان وجهـة نظره في الحكـم استمدها من الكتاب و السنة.

ولم تكن الاحداث العامل الوحيد الذي ساهـم في نشـأة هذا المذهب و ميزه عن غيره ، بل أن الاجتهاد الذي كان منهـج أئمتـه الاسلاف ، لا سيما امامـه جابـر ابن زيد و تلميذه أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمـة و غيرهم كان عاملا اساسيا اخر فـي تحديد مبادئه ، و مما نتج عن ذلك اختلافات جوهرية — احيانا — بين علماء المذهب أنفسهم.

ولعل هذا ما دفـع علي يحي معمر الى القول : " أن المذهب الاباضي في نشأته كغيره من المذاهب الاسلامية ، امتاز من ائمـة المسلمين بتكون اتباعـه من تلاميذه ، وبالنسبة الى الاباضية فاماميهـم جابر بن زيد أخذ عنه تلاميذه كعبد الله بن اباض وابي عبيـدة بن ابي كريمـة " (3).

---

1) الصحابي الجليل ، الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين .
2) مختصر تاريخ الاباضية من ص 18 — 27 .
3) الاباضية بين الفرق الاسلامية / 353، 354 .

والنقطة الثانية التي نرى ضرورة الاشارة اليها هي ان كل مذهب فقهي من المذاهب الاسلامية المعروفة ، نجد له وجهة نظره الخاصة تجاه الاحداث التي عاشتها الامة الاسلامية المودية أحيانا الى الغلو في حكمه على مخالفيه ، مما نرى من الضروري النظر في كل ما كتب ، وانتهاج طريقة المحدثين في انتقاء الاخبار الصحيحة من الموضوعية واعادة صياغة تاريخ الفرق الاسلامية باعتماد مصادرها في النقد ، وقد تفطن بعض الباحثين المعاصرين الى هذه الظاهرة من هؤلاء مثلا ، ابو اسحاق الذي يقول في مقال له بمجلة المنهاج : " وما يدرينا انّ ما نراه منسوبا الى كثير من الفرق الاسلامية من قبيل الدعاية الفاجرة المحرمة ما لم نقف على نصوصها في كتبهم وانما يحكيها الخصم عنهم وازداد يقينا في هذا بما أراه المؤلاء القوم من الاباطيل ، التي يعزونها لاصحابها " (1)

ويرى عمار طالبي : " ان الامويين والشيعة غلوا في التنقيص من شان الخوارج ، وفي الوقيعة بهم ، وفي اتهامهم ان بالباطل ، وان بالحق ، ولم يتورعوا في وضع الاحاديث في ذمّ الخوارج ". (2)

اذا بلغ الحد الى درجة وضع الاحاديث للايقاع بالخصم ، وتشويه سمعته فان افتراء الاقاويل ، واخبار من باب المباح في نظر هؤلاء والمذهب الاباضي لم ينسج من ذلك باعتباره في نظر اصحاب المقالات ، ومعظم المؤرخين فرقة من فرق الخوارج مع أنّ اصحابه يرون ان هناك اختلافا جوهريا بينهم وبين من سمّوهم خوارج . (3)

فقضية انكار التحكيم لم تكن القاسم المشترك بينهما فحسب ، بل هو رأي بعض التابعين الكبار مثل الحسن البصري . (4)

---

1) مسالة الاذان ، مجلة المنهاج العدد 3، 4/ 31.
2) آراء الخوارج 1/ 33.
3) مسالة الاذان — مجلة المنهاج ن.ع/ 29.
4) آراء الخوارج 1/ 21.

فلسنا بذلك نريد نفي الخارجية عن الاباضية او اثباتها لان ذلك يحتاج الى دراسة مستقلة في ضوء ما ذكرناه سابقا ، وانما نريد ان نلفت النظر الى اخطاء في منهجية الابحاث التي تعالج مثل هذه الموضوعات ، وندعو الى دراسة موضوعية علمية تتوخى اثبات الحقائق التاريخية والى وضع حد للخلافات الناتجة معظمها عن المبالغات في الاخبار والاتهامات المتبادلة والتي كانت ولا تزال تدمي المجتمع الاسلامي ، وتنخر عظامه ، وتزعزع كيانه كلما حاول ان يسترجع وحدته العقائدية.

وفيما تقدم نكون قد حاولنا ان نحدد تحديدا نسبيا أسباب نشأة المذهب الاباضي وسنحاول فيما يلي التعرف الى التفكير الاباضي .

التفكير الاباضي :

بحكم نشأة المذهب الاباضي في بيئة يغلب عليها طابع الراي في التفكير وهي بيئة العراق التي تمتاز بهذه الخاصية ، وبحكم تصديه للدفاع عن مبادئه ، اضافة الى معتقداته التي تعتمد تاويل بعض الآيات ، فاننا يمكننا اعتباره مذهبا يعتمد الرأي والعقل في التفكير ، حتى يستطيع مناظرة المدارس الفقهية التي تخالفه الراي كمدرسة المعتزلة ، والخوارج ، والشيعة ، وغيرها ، ويحاول ان يقنعها بصحة معتقداته ، وهذا ما دعا عمار طالبي الذي يعتبر الاباضية فرقة من فرق الخوارج الى قوله : " وأن ما ذكرناه من النصوص الكثيرة ولنا غيرها ، لكفيل ببيان مدى الغلو في الحكم على الخوارج بأنهم بدداة لا أنظار لهم ولا فكر والا مقالات منظمة ، وانهم أهل ظاهر ، واصحاب نص. "(1)

واسلوب الجدل الذي اتخذه مدعما للرد واثبات صحة مبادئه يفرض عليه تفكيرا معينا يعتمد العقل لدحض حجج مخالفيه واثبات صحة أدلته ، كما يتطلب من المناظر دراسة خاصة والاحاطة بمسائل الخلاف ، ولعل هذا ما يبرز شغف العلماء والطبقة المثقفة بتعلم أساليب الجدل والمناظرات واتقانها والتزود بعلم الكلام ، وهذا ما يفسر ظاهرة اهتمام الاباضيين بالفقه وعلوم الشريعة بصفة عامة للمحافظة على كيانهم امام تيارات دينية وثقافية مختلفة. (2)

---

1) ن.م. ص 107.
2) ابراهيم بحاز ص 311 ، 333 — 341.

ولا يعني هذا أن المذهب الاباضي يطغى عليه الطابع العقلي كالمعتزلة، فقد كان ولا يزال لا يهمل النصوص التي يعتبرها أدلة قاطعة بالطلاقا من ايمانه بأن الكتاب والسنة مصدران أساسيان في التشريع، وأن الخصم لا يسلم بصحة الراي الا اذا استمد منهما أدلته، وقد اكد عمار طالبي هذا الاتجاه عند الاباضية في حديثه عن مصدر ثقافة بن أبي عباس قائلا: " ومن ثم فان مذهبه، مذهب الاباضي هو هذه التعاليم التي اخذها عنهما ونقلها عنها أصحابه من بعده. (1)

وجواب بن أباض يبين مما لا مجال فيه للشك تمسك هؤلاء بالقرآن الكريم واعتباره مصدر تشريع واقناع فاستشهد لاثبات صحة آرائه بآيات عديدة حتى قال فيه البرادي: " وكتاب عبدالله بن اباض كتب به الى عبدالملك بن مروان جوابا عن كتابه اليه يشتمل على النقض والرد وتبيين الاعتقادات والاحتجاج بآيات القران." (2) ثم يدعو عبد الملك بن مروان الى سوق أدلة من القرآن إن اراد الرد على جوابه ويقول في ذلك: ". . ثم اكتب الي ان استطعت بجواب كتابي انزع عليه ببيّنة من كتاب الله اصدق به قولك". (3)

ويؤكد صاحب الدليل والبرهان أسبقية الشرع على العقل، واعتماد هذا الاخير على الاوّل في حديثه عن اجتهاد الرأي قائلا: " واما العقل فلا حظ له في جواز الاذن الا بعد ما ورد به الشرع". (4)

نستخلص مما تقدم من النصوص أن المذهب الاباضي يعتمد في تفكيره النصوص مع استخدام الراي للتعمّق في فهمها، فهو بذلك يريد التوفيق بين مدرستين مختلفتين، مدرسة الراي بالعراق ومدرسة الاثر بالحجاز ويؤكد هذا الحكم عمر خليفة الناصري في قوله: " "فالمذهب الاباضي بالنظر الى تأسيسه ونشأته من أقدم المذاهب الفقهية الاسلامية وهو نتاج مدرسة الحجاز والبصرة خصوصا، على أنه وان اثّر بمدرسة العراق فاستخدم علماؤه الرأي والقياس أيضا على تردد من بعضهم خصوصا جابر بن زيد، وابا عبيدة، الا أن تأسيسه على يدي جابر بن زيد وهو محدّث صاحب أثار جعل منهجه يطبع فقه المذهب أو يغلب عليه، ويحدّ من تاثير مدرسة الراي التي عظم خطرها في العراق. (5)

---

1) آراء الخوارج 1/197.
2) ن.م. 2/283.
3) مختصر تاريخ الاباضية ص 27.
4) الدليل والبرهان 2/59.
5) ابن خلدون — اجوبته — مقدمة بقلم عمر خليفة الناصي ص 10.

ويشاطره محمد الشيخ بلحاج في رايه عند حديثه عن منهج المجتهدين الاباضيين موضحا ذلك في قوله : " ان الفقهاء المجتهدين الاباضيين نحوا منحى وسطا بين مدرسة أهل الأثر والحديث بالحجاز وما جاورها، وبين مدرسة الراي واهل الحقل بالعراق "(1) اذا كان هذا هو منهج الاباضية في الاجتهاد والجدل فما هو منهجهم في تفسير القران الكريم ؟.

التفسير بالراي عند الاباضيـــة:

راينا فيما سبق ان الاباضية اباحوا اجتهاد الراي في الفقه كغيرهم من اغلب المذاهب الاسلامية بشروط تتوفر في المجتهد وكذلك لا يختلفون مع غيرهم في اباحة تفسير القران بالرأي فنجد صاحب الدليل والبرهان يقرر ذلك صراحة في معرض حديثه عن اجتهاد الراي قائلا: مذاهبهم في التفسير تفسير القران وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا كالاول سائغ لهم كلما ذهبوا اليه على الشرط المتقدم.(2)

وصاحب كتاب قناطر الخيرات يذهب الى ابعد من ذلك ، فيرى ان التفسير بالراي أمر لا يمكن الاستغناء عنه مع سوق الاسباب الداعية الى ذلك ، والادلة المبيحة لاستخدام هذه المنهجية في التفسير فيرى : " من زعم ان لا معنى للقران إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مصيب في الاخبار عن حدّ نفسه ، ولكنه مخطئ في رد كافة الخلق الى درجته ، بل الاخبار والآثار تدل على أن معنى القران متسعا (3) لارباب الفهم ."(4) ٤٢٠٣٤٠

وبعد عرضه لادلة من الآثار والاخبار يضيف قائلا: " فكل هذا يدل على ان في فهم القرآن مجالا متسعا ، وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك." وأثر ذلك يسوق وجوه اباحة التفسير بالراي متوصلا — في الاخير — الى هذا الحكم العام." وجاز لكل عالم ان يستنبط من القران بقدر فهمه وعقله "(5) غير انه يبين — أثر ذلك — وجوه الذم من تفسير القران بالراي ، مع وضع بعض الشروط لمن يسلك هذه المنهجية في التفسير ، ومن جملتها الاطلاع على التفاسير لا سيما فيما يتعلق بغريب القران مع ضرب أمثلة لذلك.(6)

---

1) محمد الشيخ بلحاج (الاجتهاد في المذهب الاباضي) ص 29.
2) الدليل والبرهان 1/ 347.
3) الصحيح ، متّسع ، او " أنّ لمعاني القران متسعا "
4) اسماعيل الجيطالي ، قناطر الخيرات 3/ 385.
5) ن.م. 385، 386.
6) ن.م. 386 — 390.

فاذا كان المصنّف لم يضع الشروط المشار اليها الا في باب اثبات وجه النهي عن التفسير بالراي ، فان ابن الشيخ يضع شروطا من الصعب توفرها في عالم لا سيما في عصر يؤمن بالتخصص نتيجة اتساع العلوم و الفنون ، ومن هذه الشروط مثلا : الالمام قدر الامكان بتاريخ الامم و الشعوب الماضية ، الاطلاع والتفتح على العلوم الكونية المعاصرة دراسة العلوم النفسية و التربوية . (1)

فهذه الشروط لا تتوفر الا في عالم يملك قدرة عقلية و اطلاعا واسعا بالاضافة الى غيرها من الشروط العادية التي ذكرها ، تجعلنا نتعرض الى قضية طالما شغلت الباحثين ووضعت تفاسير الاباضية في قفص الاتهام باعتبارهم خوارج في نظر هؤلاء و هذه القضية هي بدعة التاويل التي تكاولها عمار طالبي باسهاب يغنينا عن بحثها من جديد ، فهو يزعم في اول بحثه لهذه البدعة التي يراها انها اصل كل البدع " ان الخوارج هم أول من فتح باب التأويل في تاريخ الفرق الاسلامية ، وفي تاريخ هذه الملة" (2).

وفي الاخير يثبت هذا الزعم في قوله : ". . وانما هم اصحاب تاويل ، بل انهم من أوائل من فتح بابه للمسلمين ، على مصراعيه "(3) وفي معرض حديثه عن هذه البدعة يسوق رايا يقرر فيه صاحبه " بان الخوارج قالت بالتحسين و التقبيح العقليين "(4) دون ان يثبت هذا الراي او يفنده .

فهذا راي الباحثين المعاصرين في هذه القضية ، اما راي الاباضية انفسهم فنجده في رد ابي اسحاق على متهمي الاباضية بالمبتدعة لا سيما في نفي الرؤية فيقول : " وتأويل المتشابهات بما يليق بكمال الله وجلاله ، ولا يخرج عن المعاني العربية البلاغية التي هي احدى دلائل الاعجاز في القرآن ، فان خلف اصحاب المذاهب الاربعة وكثيرا من سلفهم والمعتزلة ، والزيدية وسائر معتدلة الشيعة ، واصحاب البلاغة على الاطلاق والمتكلمين على وجوب التاويل و هو الذي يدعو اليه سياق الآية ، وهو القرينة التي نصبها الله للدلالة على المعنى المجازي كما ورد في بعضها مما هو صريح المعنى " (5).

---

1) ابن الشيخ ( القرآن تفسيره و مفسروه عند الاباضية) ص 41 — 49.
2) اراء الخوارج — 1/ 103.
3) ن.م. / 114.
4) ن.م. / 112. انظر الهامش رقم 64
5) مسالة الاذان — مجلة المنهاج العدد 3، 4/ 26.

أما فيما يخص قضيه التحسين و التقبيح بقول علي يحي معمر عند تعرضه لأصول الاباضية في العقيدة : " الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبّح الشرع " (1) .

من الآراء السابقة نلاحظ تناقضا واضحا بين متهم و محاول تبرئة نفسه من التهمة و يحتمل أن يكون هذا الاختلاف ناتجا عن سببين أولهما اختلافهما في المدلول الاصطلاحي لتأويل القرآن (2) ، و ثانيهما في نسبة الاباضية الى الخوارج .

واذا تمعنا في آراء علماء الاباضية اتضح لنا تفهمهم للقول بالتحسين والتقبيح العقليين و عدم انكارهم للتأويل الصحيح للقرآن الكريم الذي هو " صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به " (3) . أو هو كما حدده ابن رشد في قوله : " هو اخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بتسمية أو سبب الخ . . " (4)

فالتعريف الأول هو تعريف المتأخرين من علماء الشريعة و التعريف الثاني هو تعريف علماء البلاغة العربية ، ولعل مفهوم أبي اسحاق للتأويل أقرب الى تعريف ابن رشد له .

و من هنا نرى تقيد مفسري الاباضية بالنصوص وارتباطهم الوثيق بها ، و اشتراط عدم تجاوز معانيها سواء في اجتهاد الرأي أو في التأويل ، و سنحاول دراسة هذه القضية عند تعرضنا لصلب موضوع بحثنا .

فيكفي أن نشير الى جواز الاباضية تأويل القرآن ، ولكن بالمفهوم الذي اتفق عليه الجمهور ولعل نسبة الاباضية الى الخوارج — سواء صح ذلك أو لم يصح — هي التي جعلت الباحثين يحكمون عليهم حكمهم على الخوارج دون أن يبينوا الفوارق و الاختلافات التي تميز كل طائفة ثم أننا نستبعد أن يخرج مفسرو الاباضية عن التأويل الصحيح الى التأويل الفاسد ، إلا اذا كان الخطأ صادرا عن التفسير للسبب الذي ذكرناه آنفا ، ولكونهم شديد التمسك بالكتاب والسنة و لايمانهم بخطورة التقوّل على الله ، حتى يلغ بصاحب الدليل والبرهان الى الانكار على من يجعل القرآن دليلا على غرض صحيح و يعتبر ذلك — في نظره — من تفسير القرآن وفق الهوى و الميل (5) و هذا التحرج يجعلنا نتساءل عن مدى مساهمة الاباضية في حركة تفسير القرآن الكريم ؟

---

1) الاباضية دراسة مركزة في أصولهم و تاريخهم ص 60 .
2) أنظر هذا الاختلاف في التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي 1/17، 18 مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان من ص 277 — 280 .
3) ن م . الاول 1/13 و الثاني ص 279 .
4) ابن رشد فصل المقال ص 34
5) الدليل والبرهان 3/336، 387 .

أسباب قلة التفسير عند الاباضية :

كاد يتفق الباحثون على ضآلة التفسير عند الاباضية بالمقارنة الى تفاسير المدارس الاسلامية الاخرى ، وبل يرون أن عدد تفاسيرهم التي بين أيدينا لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة ونحن نضيف الى ذلك أن هذا العدد الضئيل من التفاسير التي وصلتنا غير متداولة ، ولم تجد يدا أمينة لتحقيقها ، واخراجها الى الوجود ليستفيد منها القرّاء والباحثون ، فلا تحظى بالاطلاع عليها وتصفحها الا طبقة من الباحثين والقرّاء مع صعوبة قراءة معظمها لرداءة الطبع أو قدم النسخ ، وهذا يدعونا الى التساؤل عن أسباب ذلك ؟

لعل أول سبب من اسباب قلة تصدّي الاباضية لتفسير القرآن لا سيما اوائلهم هو خوفهم من التقوّل على الله ، والوقوع في الخطأ ، وقد علّل ذلك — محمد حسين الذهبي بتحريمهم للكذب واعتباره جريمة تكفّر صاحبه ويقول في ذلك : " . . يرون أن الكذب جريمة من اكبر الجرائم وبه — عند جمهورهم — يخرج الانسان من عداد المؤمنين ، فلعل هذا دعاهم الى عدم الخوض في تفسير القرآن ، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه "(1).

والتحرج من القول في كتاب الله رأي بعض الصحابة والسلف، مثل أبي بكر الصديق (2) ، ولم تكن الاباضية ولا الخوارج أول من وقف هذا الموقف من التفسير ، ثم ان نصوص الاباضية التي استشهدنا ببعضها — تدلّ على إباحة تفسير القرآن بالرأي ، الذي يعتبر من أخطر منهجية في التفسير ، وأقربها الى الوقوع في الخطأ ، ومن هنا نخلص الى القول بأنّ اذا كان هذا السبب من أسباب قلة انتاج التفسير عند الاباضية فلا يعتبر في نظرنا سببا رئيسيّا .

والسبب الثاني الذي نستخلصه من الاحداث التاريخيّة هو اتلاف تفاسير الاباضيّة أو ضياعها (3) مما دعا شريفي بلحاج الى القول : " أن التفسير الاباضي في القرون الماضية أمسى ضئيل لا يكاد يمثل شيئا مهمّا واما مفقود لم يصلنا الاّ أخباره أو عناوين كتبه . وبهذا لا يمكننا أن نتحدث عن وجود تفسير حقيقي قديم يعطينا الصّورة المشرقة التي نتصورها لانتاج الاباضية الرائع في ميادين العلوم الاخرى " (4).

ويبرر ذلك علي يحي معمر بالملاحقات السياسية للاباضية ومطاردتهم ومضايقتهم بشتى الاساليب والصّور ، واحراق الكتب والمكتبات بالاضافة الى التعصب المذهبي الذي دفع بعض الفقهاء الى تحريك أجهزة السلطة ضد آثار مخالفيهم (5).

---

1) التفسير والمفسرون 2/ 217، 219.
2) القرآن تفسيره ومفسروه ص 16 — 18.
3) التفسير ومناهجه عند الاباضية محاضرة ص 2 / محمد علي دبوز ، تاريخ المغرب الكبير 3/ 144.
4) ن.م. الاول / 10.
5) الاباضية ، دراسة مركزة في اصولهم وتاريخهم ص 36، 37.

لكنه اثر ذلك يعترف بجهل الاباضية انفسهم لكثير من كتبهم نتيجة العوامل التالية :—

1) حرص مالكي المخطوطات و خوفهم من ضياعها .
2) ظروف الانتقال من مكان الى آخر هروبا بالنفس .
3) التعصب المذهبي الانغلاقي .
4) عدم وجود منظمة تتكفل بنشر هذا التراث. (1)

نرى أن هذه العوامل قد تصدق على العلوم الشرعية الاخرى ، التي تعرضت الى التلف لا سيما عند احراق مكتبة المعصومة بتيمرت(2) لان كتب السير والطبقات التي وصلتنا و المؤلفات التي تحدثت من آثار الرستميين و الاباضيين بصفة عامة ، لم تذكر من كتب التفسير إلاّ ما هو معروف لدينا ، والتي سنتعرض لها فيما بعد — غير ان شهادة ابي زكريا التالية تدل على ان التفسير حظي كغيره من العلوم الاخرى بالتأليف و ذلك عند ذكره للعلوم التي اشتملت عليها بيت الرستميين في قوله : ".. وكان بيت الرستميين بيت العلوم في فنونه من الاصول و الفقه و التفسير و علم اختلاف الناس وعلم النحو والاعراب و الفصاحة و علم النجوم"(3).
و اذا اخذنا بعين الاعتبار اهمية ترتيب العلوم التي ذكرها نجد أن التفسير يحتل المرتبة الثالثة بعد الاصول و الفقه ، فقد رأينا فيما سبق سبب اهتمام الاباضية بهذين العلمين و سنجد هذا السبب نفسه ينطبق على ما ألفوه في التفسير عند تعرضنا لمنهجية كل منهم فيه ، غير أن السلاح القوي الذي يصمد أمام المدارس المنافسة ، هو علم الاصول و الفقه لان فيهما تظهر آراء المذهب و معتقداته و وجوه الاختلاف.

الى آن النص الذي استشهد به ابو اسحاق للدلالة على غزارة التاليف في جبل نفوسة أحد معاقل الاباضية و الذي نقله عن ابن خلدون لم يشر فيه هذا الاخير الى التفسير ، فاكتفى بالتنويه بهم في فقه الدين و تمهيد عقائده و فروعه و اجادة التاليف و الترتيب (4).

من هنا نستبعد وجود انتاج اباضي في التفسير غزير تعرض للتلف و الاحراق ، لان التفاسير التي ضاعت بالفعل مثل تفسير عبد الرحمن بن رستم ، و أبي يعقوب لم تحمل ذكرها كتب السير و الطبقات ، ثم أن مؤرخي الاباضية قديما و حديثا لم يتحدثوا عن تفسير بذكر تعرض للضياع باستثناء ما هو معروف لدينا ، ولكن — مع ذلك — يبقى متفائلين ، لعل الابحاث ستكشف لنا يوما تفاسير اخرى و مفسرين آباضيين .

---

1) ب.م.ك
2) أبو زكريا ( سير الائمة) ص 66
3) ن.م. ص 113 .
4) ابو زكريا الجناوني ( التعريف بكتاب الوضع و مؤلفه ) بقلم أبي اسحاق ص 69 .

ولعل السبب الذي جعل الاباضيين عاجزين عن التصدي للتفسير هو طبيعة تنسم البدوية واحتفاظهم بخصائصها ، وبعدهم عن مركز الحضارة (1) لا سيما أسلافهم لأن التفسير يتطلب من صاحبه مستوى فكري معين وثقافة واسعة ، وعقلية البدوي تتسم بالبساطة والفطرة والعجز عن فهم الارتباط بين العلة والمعلول ، والاقتصار الى الاشياء نظرة شمولية. (2)

على الرغم من أن القرآن نزل بلغة العرب الا أن فهمه يتطلب درجة عقلية خاصة تتفق ورقي التفكير في القرآن ومعقه . (3)

غير أن هذا السبب لا ينطبق على جميع الاباضيين في مختلف أزمنتهم وامكنتهم فقد اعتنق هذا المذهب أجناس مختلفة ، وعرف حضارة راقية ، ونشأ في مراكز حضارية كالبصرة كما امتاز بتفكير سام سمح له بمناظرة مختلف المدارس الاسلامية مما يمكن لنا ان نحكم على عدم أهمية هذا السبب الذي لا يصلح تعميمه على جميع الإباضيين .

والسبب الرابع الذي يمكن أخذه بعين الاعتبار هو اشتغال الاباضيين منذ نشأتهم بالحروب من جهة ، في فترات معينة ، والدفاع عن كيانهم من جهة أخرى بمواجهة خصومهم ومناظرتهم مما لم يسمح لهم ذلك بالبحث والتصنيف الا فيما يساعدهم على مواجهة الخصم والمحافظة على كيانهم مثل اهتمامهم بالفقه ، والاصول ، وعلم الكلام .

تحدثنا كتب التاريخ والسير والمقالات عن الحياة المضطربة التي عاشها الاباضيون في فترات تاريخية معينة ، بالاضافة الى الملاحقات التي تعرضوا لها مما لم يعرفوا فترات تذكر من الاستقرار التي تسمح لهم بالتأليف في مختلف الفنون لا سيما في التفسير وحتى في عصورهم الذهبية ، لم يعرفوا استقرارا حقيقيا ، فقد تجندوا للتصدي الى خصومهم ، وكتب السير تذكر لنا المناظرات التي كانت قائمة بينهم وقد بلغت أحيانا درجة راقية الدماء بين الطرفين (4)

---

1) التفسير والمفسرون 2/217.
2) فجر الاسلام ص 39 — 43.
3) ن.م. ص 196.
4) سير الائمة ص 71 ، 72.

ونستخلص مما تقدم أنه لا يمكن حصر اسباب قلة انتاج الاباضية في التفسير في سبب واحد فقد كانت هناك أسباب مختلفة منها ما ذكرناها ، ومنها ما يمكن أن تكون خافية علينا الا أنّ ما وصل الينا من تفاسيرهم وما هو مشهور منه ولكنه ضاع ، يمثل نسبة معتبرة بمقارنتها بتفاسير غيرهم مع الأخذ بعين الاعتبار عدد معتنقيه .

ثم أنّ الاباضية اذا لم يحرفوا تفسيرا منظما في نطاق واسع ، فقد كان القرآن شغلهم الشاغل تلاوة ودراسة واحتجاجا به في اقناع خصومهم واثبات صحة آرائهم ، ثم لا نتصور أنهم عاشوا بمعزل عن ثقافات غيرهم ، ولم يضربوا كما يتصور — ربما البعض — جدارا حديديا يمنعون به تسرّب آراء المدارس الأخرى واتجاهها ، بل لا نبالغ حين نقول : " بأن الاباضيين سايروا حركة التفسير منذ نشأتها الى يومنا هذا ، وتأثروا بها وأثّروا فيها والدليل على ذلك نبوغ مفسرين اباضيين في عصور مختلفة ، فمن هؤلاء المفسرين ؟ وهذا ما سنتناوله بالبحث في الفقرة التالية :—

مفسرو الاباضية :

رغم قلة انتاج التفسير عند الاباضية وفقدان معظمه الا أننا نعترف بما ساهموا في حركة التفسير منذ نشأتها الى عصرنا هذا ، ويمكن تقسيم هؤلاء المفسرين الى طبقتين أساسيتين : طبقة القدماء ، وطبقة المعاصرين .

سنحاول تسليط بعض الأضواء على كل مفسر مركزين على الجوانب التي لها علاقة بتكوين شخصيته ، ومحاولين دراسة بعض آراء الباحثين المتعلقة بتفاسيرهم ، مكتفين بما تتوفر لدينا من النصوص لأن الدراسة كهذه تحتاج الى التنقيب عن المخطوطات في المكتبات العامة والخاصة ، وتتطلب من الباحث جهدا ووقتا كما انها صالحة بأن تكون موضوعا مستقلا ، ربما سنتفرغ اليه مستقبلا بحول الله .

طبقة القدماء :

1) جابر بن زيد : رائد هذه الطبقة التابعي المشهور واحد كبار تلاميذة ابن عباس واما م هذا المذهب ابو الشعثاء جابر بن زيد الفراهدي الذي صنّفه الدرجيني في الطبقة الثانية ( 50هـ،100هـ)[1] ، اختلف في عام ولادته ، والقول الراجح انه ولد في سنة 21 هـ أو 22 هـ يعني هذا انه عاش في القرن الاول الهجري الذي عرف اهتماما كبيرا بدراسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية باعتبارهما مصدري التشريع لا سيما القرآن الذي يمثل الوثيقة الايديولوجية الاساسية للدين الجديد ، غير أن هذه الدراسة لم تتميز بعد عن باقي العلوم الشرعية الاخرى ولعل هذا هو السبب الذي دعا شريكي الى القول : لا يمكن ان يعد من المفسرين

---

1) طبقات المشائخ 2/ 205.

الا تجـوزا " (1)

و السبب الثاني هو اهمـال بعض كتب طبقات المفسرين ذكره في عداد المفسرين بالاضافة الى ندرة الرواية عنه لا سيما في ميدان التفسير . كل هذه الاسباب وان لم يشر اليها شريفي في محاضرته آذت الى تجاهل هذا المفسر التابعي .

غير ان بعض أدلة أخرى تؤكد — على الاقل — أهمية هذا التابعي في ميدان التفسير ان لم نقل مساهمتـه ، ومن بينها :

ا. شهادة أستاذه عبدالله بن عباس الذي يقول فيه : " لو ان اهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لاوسعهم علما عما في كتاب الله "(2) بالاضافة الى شهادة ابن حبّان اذ يعتبره من أعلـم الناس بكتاب الله . (3) .

ب. عدّته جماعة من الباحثين من بين المفسرين ، ومن هؤلاء ابن تيمية الذي اعتبره من مدرسة ابن عباس المشتهرة بعلمها بالتفسير (4) ويصفه صاحب معجم المفسرين بقوله : " تابعي فقيـه ، فقيه مشهور ، مفسر من الائمة "(5) وينقل عن صاحب تاريخ التراث العربي قوله : " لم تناقش مصادر ترجمته قضية آثاره ، ولكنها تتفق على وصفـه بانه عالـم عظيـم وقد يكون ممن ألفوا في التفسير . "(6) ويعتبره سليمان داود من كبـار أئمـة التابعين في التفسير . (7).

ج. نقل عنه كبار المفسرين مثل ابن جرير الطبري ، وابي حيان ، وماروي عنه من احاديث في اسباب نزول بعض الآيات و شروحها . (8)

د. تاليفه لديوان اشتهر به حسب روايات كتب الطبقات و التاريخ و السير ، وان ضاع ، وفقد (9) و الادلة التي تثبت تبحّره في كتاب الله ، وتلقيه العلم من ابن عباس ، اكبر مفسري الصحابة تجعلنا لا نشك في احتواء ديوانه على جزء من التفسير على الاقل لا سيما في العهد الذي الفه فيه و الذي لم تعرف فيه العلوم الشرعية التصنيف و التقسيم بالمفهوم الذي عرف فيما بعد .

---

1) التفسير و مناهجه — محاضرة ص 82
2) عادل نويهض ( معجم المفسرين ) 1/ 123 ( النقد الجليل للكتب الجميل ) ص 10 ابراهيم بيوض و ابراهيم بن سعد الحمين ( اجوبة و فتاوى ) ص 42 هوامش رقم 1 ( من كتاب الله ) عوض عما في ( كتاب الله ).
3) معجم المفسرين 2/ 123.
4) التفسير و المفسرون 1/ 101.
5) معجم المفسرين 1/ 123.
6) ن . م . ن .
7) سليمان داود ( مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الاسلامية ) ص 94 مجلة الاصالة العددان 49،50.
8) الربيع بن حبيب ( الجامع الصحيح ) 3/ 30 — 38.
9) سير الائمة المقدمة بقلم اسماعيل العربي ص 4/ الاباضية دراسة موكزة ص 15.

ولعل فقدان ديوانه هو الذي جعل بعض الدارسين يخطئون الطارف عن هذا المفسّر ويهملون ذكره في عداد المفسّرين التابعين ، غير أنّ الأدلة التي سقناها تجعلنا على الأقل نعترف بأهلية هذا التابعي في التفسير وتضلعه فيه :

والقضية الثانية المطروحة حول هذه الشخصية هي انتماءه المذهبي ، فقد ذكر ابن حجر نقلا عن داود بن أبي هند عن عزرة قوله : " دخلت على جابر بن زيد فقلت أن هؤلاء القوم ينتحلونك يعني الأباضية، قال : أبرأ الى الله من ذلك " (1)

فالواقع أنّ جابر بن زيد لم يتظاهر بانتمائه المذهبي ، فعمد كغيره من بعض التابعين الأعلام ، يعزو بعض الباحثين ذلك الى مكانته العلمية ، والخوف من بطش الأمويين والقضاء عليه يعتبر خسارة للدعوة الأباضية (2) بينما يرى محمد علي دبوز أن نسبة المذهب الى عبد الله بن أباض عوض جابر بن زيد مكيدة من الحكام — في حدّ تعبيره — لئلا يكثر اتباع هذا المذهب نظرا لشهرة الرجل (3) ويعني هذا أنه لم يخف آراءه ، بل كان ينشرها بين تلاميذه علانية ، مما جعل الحجاج ينفيه الى عمان مسقط رأسه . (4)

واذا قارنا هذه الآراء بالرأي الأوّل الذي ينفي نسبة جابر الى الأباضية نجد التوفيق بينهما صعبا ، لا سيما وأن صحت هذه الآراء ، فنجد من جهة — اعلان جابر براءته من الأباضية ، ومن جهة أخرى ادعاء الأباضية نسبة هذا الرجل اليهم ، لكننا لو نتصفح كتاب الجامع الصحيح للربيع بن حبيب الذي يعتبر أعلى مصدر في الحديث بالنسبة للأباضية، نلاحظ أن معظم الأحاديث رواها الربيع عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد ، ولا سيما الأحاديث التي تساق شواهد لأدبيات رأي من آرائهم (5)، أضف الى ذلك أن أعلام هذا المذهب تلقوا تعليمهم على جابر بن زيد ومن الطبيعي أن يتأثروا بآرائه وتعاليمه وعلى رأس هؤلاء أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي تقلد الإمامة بعد أستاذه (6).

ويرى بعض الدّارسين أن البراءة أن صدرت عنه يكون القصد منها التقية لا غير ، محافظة على مكانته العلمية ، وثقة أهل الحديث فيه (7) ونحن نرى أن صحت البراءة فان المذهب الأباضي يرتكز أساسه على آراء جابر ، ويتجلّى ذلك في مؤلّفات الأباضية، لا سيما فيما رووا عنه من أحاديث وما استشهدوا به من أقواله فاعتبروه أماما لمذهبهم ، فمن هذه الزاوية — على الأقل — يمكن اعتبار آراء جابر منطلقا لمبادئ المذهب الأباضي وتفسيره أحد تفاسيرهم .

---

1) ابن حجر تهذيب التهذيب 2/ 38 .
2) بحاز الدولة الرستمية ص 75 .
3) تاريخ المغرب الكبير 3/ 138 .
4) ن . م . ص 147 ، 149، 149.
5) مسنده ( الجامع الصحيح ) أنظر 3/ من ص 2 — 37 .
6) تاريخ المغرب الكبير 3/ 144 ، 145 — 150 .
7) الدولة الرستمية ص 74 أنظر الهوامش رقم 06 .

أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي :(110هـ، 209هـ).

اختلف الباحثون في انتمائه المذهبي ، فمنهم من نسبه الى الخوارج ومنهم من يرى أنه يقول بالقدر، كما يرى بعضهم أنه صفري وتلحقه مجموعه بالاباضية ودليلهم في ذلك انشاد أشعار الخوارج والحديث عنهم وعن أخبارهم ، ومفاخرهم في تقدير وإعجاب ، ومدحه للنظام .(1)

غير أن شريفي ساق أدلة تنفي انتماءه إلى الاباضية يمكن حصرها فيما يلي :-

1 . رغم شهرته الواسعة لم يذكره مؤرخو الاباضية ، ولا كتاب السير والطبقات.

2 . خلو كتابه (مجاز القرآن) من ذكر علم من الاعلام الاباضية سواء الذين سبقوه أو عاصروه .

3) تنويهه بالشاعر قطري بن الفجاءة زعيم من زعماء الازارقة ، ويضيف الى ذلك سلوكه الشاذ الذي يتنافى مع طبيعة الاباضية و أخلاقهم آنذاك .(2)

كما يحاول محمد فؤاد سزكين تعليل الحاق نسبته الى الفرق المذكورة آنفا ، ونسبة آبائه الى اليهودية بكره معاصريه له نتيجة سلوكه الشاذ نحوهم، ويرى أن كتابه (مجاز القرآن) يخلو من أي دليل يثبت هذه الميول .(3)

غير أن الباحثين يجمعون على تضلعه في علوم عصره حتى قال الجاحظ فيه : "لم يكن في الارض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة" (4) كما يرون أنه ساهم مساهمة فعالة في اثراء المكتبة العربية بمؤلفات نفيسة تدل على باعه الطويل في مختلف العلوم لا سيما في القرآن والتاريخ والانساب واللغة ومن هذه المؤلفات التي تعالج موضوع القرآن مجاز القرآن ،اعراب القرآن ،معاني القرآن ، غريب القرآن ، بحار القرآن .

نستخلص مما تقدم أن أبا عبيدة لم يتعرض في كتبه لا سيما المجاز إلى آراء الاباضية لذلك لا يمكن اعتباره مفسرا اباضيا لأن دراستنا لا تتناول الا من تعرض في تفاسيره إلى آراء الاباضية وأجمع الباحثون على انتمائه لهذا المذهب.

ثم اننا نشك في اباضية أبي عبيدة للأدلة المذكورة سابقا ونشاطر محمد فؤاد سزكين رأيه في تحامل معاصريه عليه كما أن إشادته بالخوارج —إن صح ذلك — وذكرهم بإعجاب لا يكفي دليلا قاطعا لتحديد هوية شخصية مالا سيما شخصية أبي عبيدة المعروفة بالتحديات لقيم معاصريه وخروجه عن المألوف لديهم .

---

1) أبو عبيدة مجاز القرآن مقدمة بقلم محمد فؤاد سزكين 1 / 9، 10 .
2) التفسير والمفسرون محاضرة ص 4، 5 .
3) مجاز القرآن مقدمه بقلم محمد فؤاد سزكين 1 / 11 .
4) ن م . 1 / 12 .

عبدالرحمن بن رستم :( 171هـ)

من جملة العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية هذا المفسّر :ـ

1) نشأته في بيئة عربية اسلامية رغم أنّه من أصل فارسي ، فكان مولده بالعراق و نشأته بالقيروان و مواصلة تعليمه بالبصرة ، فهذه العواصم كانت قواعد لنشر الفكر العربي الإسلامي بالمشرق و المغرب.(1)

2) ثقافته التي تلقاها في القيروان ثم بالبصرة في العراق احدى أشهر مدارس اللغة والشريعة.

3) تعرفه الى الفكر الإباضي بإتصاله بأحد دعاته الأوائل في المغرب ألا و هو سلمة بن سعد و تأثره به ، كما لا يستبعد أن يكون قد اطلع على آراء الخوارج في موطن نشأته والتي كان عكرمة يدعو اليها(2) ، الا أنّ لمدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الإمام الثاني للإباضية أثرا كبيرا في اتجاه المفسّر ، وتكوينه حتى أجاز له أن يفتي بما سمع منه و ما لم يسمعه (3)، فأصبح أحد دعاته الكبار الذين عوّل طيهم في تأسيس دولة تدين بهذا المذهب و تطبق في حكمها المبادئ التي استمات من أجلها .

4) تقلده للمناصب المختلفة فقد عينه أبو الخطاب المعافري ـ أحد أقرانه في الدراسة بالبصرة ـ عاملا على القيروان بعد ممارسته للقضاء ، ثم اختير أول امام للدولة الرستمية الناشئة (4) ، و تتفق كتب السير و التاريخ على قدرته الفائقة و حنكته في تسيير أمور هذه الإمامة و تنظيمها (5) مما دعا بصاحب معجم المفسرين الى وصفه بقوله : " كان من فقهاء الإباضية و زاهدا و متواضعا ، على جانب عظيم من العلم و العمل والعدل "(6)

5) شخصيته التي تجمع بين جمال خلقه و خلقته ، ولعل هذا الجمال أكتسبه عن طريق الوراثة لانتسابه الى الأسرة المالكية في الفرس(7) ، و لتكوينه أثر كبير في أخلاقه ، و تحديد ملامح شخصيته الاسلامية ، و قد اكتسبته الحروب و تقلبه في المناصب الشجاعة والحزم (8) ، و لا ننسى تأثير العقيدة الإباضية في سيرته والتي ترى أن الايمان اقرار وقول و عمل .

---

1) سير الأئمة ص 35 ، 36 الدولة الرستمية ص 95 .
2) سير الأئمة ص 36، ( مجموعات الدولة الرستمية) ص 82 محاضرة .
3) تاريخ المغرب الكبير 3/332 .
4) معجم المفسرين 1/365 ، مختصر تاريخ الإباضية ص83 ـ 87 تاريخ المغرب الكبير 3/312 .
5) سير الأئمة ص 54 ، مختصر تاريخ الإباضية ص 37 المغرب الكبير 3/310 ـ 313 الإباضية في الجزائر 1/131 .
6) معجم المفسرين 1/365 .
7) سير الأئمة ص 35 ، 36 أخبار عبد الرحمن بن رستم بن بهرام .
8) تاريخ المغرب الكبير 3/313 ـ 315 .

نستنتج ممّا تقدّم أن هناك عوامل لعبت دورها في تكوين شخصية المفسّر، وجعلته يدعو الى مبادئ الاباضية بحماس ويجسدها في دولة خلدت ذكراها عبر العصور، فجمع بين الامام المحنك السياسي والعالم المجتهد الذي ألمّ بعلوم الشريعة حتى عدّه محمد علي دبوز من " كبار العلماء في عصره، ومن الائمة في الدين وفي العلوم الشرعية وفي اللغة العربية وأسلوبه في رسائله ومواعظه، يدّل على فصاحته وطوكعبه في العربية، وكانت له البراعة القوية والدّراية الواسعة بعلم الفلك والدجوم." (1)

يبقى الآن السؤال المطروح هو هل كان متضلعا في التفسير، وما هي الادّلة التي تثبت انتماءه الى زمرة المفسرين؟

لا نجد سوى نصّ واحد يثبت مساهمة عبدالرحمن بن رستم في التفسير، وهو الذي أوردته كتب الطبقات والسّير مع اختلاف بسيط بينها وقد ذكر البرادي هذا النص في تقييده لموّرخي الاباضية قائلا: " وذكر عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد الحاصمي اللواتي أنّه لقي سليمان بن مدرار الدفوسي، وقد قدم من قلعة حماد فأخبره أنّه ترك في سوق القلعة كتابا في تفسير القرآن من تأليف الامام عبدالرحمن الخ.." وذكر أثر ايراد هذا النص قوله: " وكتاب الامام عبدالرحمن في تفسير القرآن يذكرونه ولم يرو ".(2)

فقد شدّ أبو محمد الرّحال الى القلعة لاقتناء الكتاب، ولكنه أخبر بأنه بيع ولا أمل في الحصول عليه (3)، وذكر طي يحي مغمر نقلا عن البارونيّ قوله متحدثا عن مفسّرنا: "كان رحمه الله مشهورا بالعلم محدودا في فحول العلماء الراسخين، له تفسير جليل القدر، تكلم عليه المؤرخون ولا وجود له الآن، وله ديوان خطب نفيسة، يذكر أن له رسائل متعددة وجوابات كثيرة مفيدة في فنون العلم، بعضها موجود وبعضها مفقود.(4)

فلا شك أن البارونيّ يقصد من المؤرخين كتاب الطّبقات والسّير، فمن هنا نرى أنّ النص الوحيد المشار اليه سابقا هو المعتمد الوحيد في اثبات تفسير لعبد الرحمن بن رستم، والذي تناقلته كتب السّير والطبقات وبعدها كتب التاريخ والدّراسات، فلا نعتقد أن ذلك كاف لاثبات هذا التفسير والتأكد من وجوده فلا بد — اذن — من الإستناد الى معطيات أخرى ومنها مصادره الثقافية التي أشرنا اليها آنفا والدّالة على قدرتها وكفاءتها في تأهيل خريجيها للتصدي لتفسير القرآن، كما لا يستبعد أن يكون قد تلقى مادة التفسير في مساجد القيروان والبصرة في حلقات من اشتهر بهذا العلم، ولا سيما وأن المغرب قد عرف أحد أئمة التفسير الذي هو عكرمة مولى بن عباس لاننا لا نتصور أن شخصية كعبد الرحمن بن رستم نشأت منغلقة

---

1) تاريخ المغرب الكبير 3/312.
2) آراء الخوارج (الموجز الملحق للبرادي) 2/289.
3) ن.م. 2/289، طبقات المشائخ 2/471، الدولة الرستمية ص 300، 301.
4) الاباضية في الجزائر 1/63، الأزهار الرياضية 2/98.

طى دفسها وفي اطار مذهبها ، ولم تتصل بأعلام ذلك العصر في المشرق والمغرب والشيء الذي يؤكّد الاتصال بين المدارس الفقهية ، المناظرات التي تجري بينها ولا سيما ما كان منها بين الأباضيّة وغيرها .

فيرأينا لا يمكن أن نجزم — في هذه المرحلة المبكرة — بأنّه فسّر القرآن آية آية من أوّله الى آخره على النحو المعروف في كتب التفاسير .

كما أنّ اهتمام الرستميين بالتفسير ، يجعلنا نحتمل قيام أول امام لهم بتأليف كتاب فيه ، خاصة وأنّه يتمتع بقدرة علمية ، وقد سبق أن أشرنا الى أن هذا العلم يحتلّ مرتبة مرموقة في الدولة الرستمية حتى عدّ من العلوم التي تقع فيها المناظرات بين الفرق (1) باعتبار القرآن المصدر الأوّل للتشريع ، وتساق منه الأدلة لاقناع الخصم .

لكل هذه الاعتبارات يمكن احتمال وجود هذا التفسير ، واعداد صاحبه من بين المفسرين على أن يبقى الأمر احتمالا ، مالم نظفر على أدلة أخرى تؤكّد ذلك .

## أبو الحواري محمد بن الحواري :

ظهر في القرن الثالث الهجري بالمسان في عمان هما أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي وتلميذه أبو الحواري محمّد بن الحواري ، كل واحد منهما حسب المصادر الأباضية نال شهرة واسعة في الميدان العلمي وتخرجت على يده نخبة من العلماء الفطاحل ، وترك تأليف تشهد بباعه الطويل في المعرفة (2) ، وقد صنف سالم بن حمود الأول في الطبقة الثانية والذاني في الطبقة الثالثة (3) ، وبذلك يكون أبو المؤثر عاصر حملة العلم من أبي عبيدة الى المشرق مثل محمد بن محبوب الذي وصفه عبد الرحمن بكلي في قوله : " كهف من كهوف العلم واحد مجتهدي الأمة " (4) .

فليس من المستبعد أن يكون العالمان قد استفادا من ازدهار العلم في عصرهما بعمان كما تأثرا بالظروف السياسية السائدة آنذاك بحيث كان أبو المؤثر أحد أعضاء مجلس الشورى الذي بايع الامام الصلت بن ملك الخروصي ( مدة امامته 237 — 272 ) وأرخ لتلك الحقبة في كتابه ( الأحداث والصفات ) أما الذاتي فقد تعرض لملاحقات القرامطة وحكموا عليه بالاعدام وان لم ينفذ . (5)

---

1) أنظر ص 13 من هذا البحث .
2) قواعد الاسلام 1/ 80، 358، 359 أنظر الهوامش .
3) أهدى المناهج ص 40، 41 .
4) قواعد الاسلام 1/ 51 أنظر الهامش .
5) المصدر نفسه ص .

فقد نسب البرادي كتاب تفسير الخمسمائة آية في الحلال و الحرام الى أبي المؤثر (1) ، أما بقية الدارسين فقد نسبوه الى أبي الحواري (2) باستثناء شريفي الذي يحتمل أن يكون أصل الكتاب للأستاذ رواه تلميذه مستدلا بقوله :" . . فنحن نجد في كثير من الأحيان يقول : (أبو الحواري) قال أبو الحواري " كأن ما قبل ذلك لغيره " (3).

فاذا كنا نجعل السند الذي اعتمده البرادي في نسبة الكتاب الى أبي المؤثر ، فانه من جهة أخرى يعتبر أقدم مصدر من الواجب أخذه بعين الاعتبار في التحقيق ، ونجد في المقابل النسخة التي احتفظت بها المكتبة تنسب التفسير الى أبي الحواري (4) ، فكيف نستطيع التوفيق بين الرأيين ؟ .

قبل الاجابة عن هذا السؤال ، يجدر بنا أن نتوقف في البداية ، بعجزنا في الوقت الراهن عن اصدار حكم قاطع مبني على أساس علمي ، لأن ذلك يحتاج الى دراسة معمقة ، وبحث طويل فنكتفي — في هذه العجالة — بسرد بعض الاحتمالات التي يمكن أن نستنتجها من خلال النصوص المتوفرة لدينا .

1) احتمال شريفي بأن الكتاب من تأليف أبي المؤثر ، فلم يقسم أبو الحواري الا بروايته و زيادة بعض الاضافات التي نسبها اليه بقوله :" قال أبو الحواري و ان كان هذا الدليل غير كاف لاثبات ذلك لان هذه الطريقة تبدو معروفة لدى المؤلفين القدماء ، و ربما للفصل بين كلامهم و كلام غيرهم بعد الاستشهاد به ، لانهم كانوا يجعلون العلامات المستعملة حديثا في التأليف أو لبيان أهمية رأي أو فكرة ينفرد بها المؤلف ، أو قد تكون هذه طريقة النساخ في التدوين .

2) قد يكون الكتاب لأبي المؤثر ، غير أن ورود أقوال أبي الحواري فيه أدت الى نسبته اليه ولعل ما يؤكد هذا الاحتمال ما جاء في مقدمة الكتاب:" هذا الكتاب فيه تفسير خمسمائة آية في كتاب الله تبارك و تعالى في الحلال و الحرام . . . وفيما رد الفقيه العالم العلامة أبي الحواري رحمه الله و رضي عنه " (5).

---

1) آراء الخوارج ( موجز ملحق للبرادي ) 2/286 .
2) قواعد الاسلام 1/9 35 الهوامش.
3) التفسير و مناهجه ، محاضرة ص 06 .
4) نسخة مصورة في مكتبة الشيخ أطفيش ببني يسقن تحت رقم 2ج/ و نسخة أخرى بمكتبة جامعة الجزائر تحت رقم : 101868 — 101878 .
5) ن م . مقدمة الكتاب بقلم الناشر سالم بن حمد ص 1 .

3) ربما ألف أبو المؤثر كتابا بهذا العنوان ، ثم تأثر به تلميذه فألف كتابا مشابها مع تغيير عنوانه ، لأن النسخة المنسوبة الى أبي الحواري تحمل العنوان التالي : " الدراية وكنز الحناية في منتهى الغاية وبلوغ الكفاءة في تفسير خمسمائة آية "(1).

لكن شريفي يحتمل أن هذا العنوان من وضع بعض الفقهاء أو النساخ الذين ولعوا بالسجع في عناوين الكتب.(2)

ومهما كانت الاحتمالات فان النسخ التي بين أيدينا تنسب الكتاب الى أبي الحواري ، والمؤلف معروف بهذا الكتاب وغير أن قول البرادي يجعلنا نعترف على الأقل بفضل أبي المؤثر وربما في تأليف كتاب شبيه به أو في الاشتراك في تأليفه ، أو على التأثير في تلميذه ، مما ترك في المؤلف بفتح عين الكلمة بصماته .

## هـــود بن محكـم الحواري :

في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري نبغ في المغرب مفسر ، بقي أثره خالدا الى يومنا هذا يتمثل في تفسيره للقرآن الكريم فان ثبتت صحة نسبته اليه فيعتبر من أوائل التفاسير بين أيدي المسلمين (3) وان سبقه عبد الرحمن بن رستم لكن تفسيره ضاع ، وأملنا أن تكون قد احتفظت به احدى المكتبات.

نشأ مفسرنا ، وتربى في بيت علم وقضاء ، وقد تولى أبوه تعليمه وتربيته بما يتمتع به من درجة علمية عالية ومكانة مرموقة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب ، وقد أسندت اليه وظيفة القضاء رغم امتناعه ، وعدم اقتناع الإمام بأهليته نظرا لنشأته البدوية فقد كان — مع ذلك — في مستوى هذه المسؤولية.(4).

ولما شب المفسر ألف عدة كتب أشتهر منها تفسيره على طريقة السلف (5)، فهذا الكتاب توجد منه نسخ محفوظة (6) وقد ثار حول نسبته اليه خلاف ، فجميع النسخ تجمع على نسبة التفسير الى صاحبه ، لكن الدراسة التي يقوم بها حاليا الأستاذ شريفي لتحقيق

---

1) — م ، ن .
2) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 06 .
3) عبد الرحمن الثعالبي (الجواهر الحسان) مقدمة بقلم عمار طالبي 1 /ص.أ (الوضع) التعريف بكتاب الوضع بقلم أبي اسحاق ص 10 ، 11 .
4) معجم المفسرين 2 / 713، الاباضية في الجزائر 1 /من 133 — 138 ترجمة محكم الحواري ، الأزهار الرياضية 2 / من 206 — 209 .
5) الاباضية في الجزائر 1 / 138 .
6) التفسير والمفسرون 2 / 216 ، التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 8 الحواشي.

هذا الكتاب وطبعته بيّنت له أنّ أصل الكتاب " لمؤلّف مشرقي الأصل سبته فجاء هو واختصر الكتاب ولم يضف فيه الّا شيئا قليلا لا يكاد يذكر " (1) و هذا المؤلّف هو يحي سلام بن أبي دحلبة أبو زكريا البصري (2) ، وهذا الرأي في انتظار ادباته او نفيه لا يزال يثير التساؤلات و يجعل الدّارسين في موقف حرج (3) ، وقد حاولت أن أتعرف الى الأدلة التي اعتمدها شربي لكن هذا الأخير رفض الأدلاء بها الا بعد اتمام التحقيق و صدور الكتاب.

و نجد البارو ني في كتابه "الازهار الرياضية " ينسب الى والد المفسّر محكم الهواري تفسيرا لعله التفسير المنسوب إلى ابنه و يفهم ذلك من قوله :" صاحب التفسير المشهور" عند معرض حديثه من اجماع أهل الشورى على اختياره لتوليه وظيفة القضاء في عهد الامام أفلح (4).

و كلمة( المشهور) تدل على أنّ المقصود هو التفسير المعروف وليس غيره ، وقد تكون نسبته الى الوالد عوض الابن من باب الخطأ لا غير ،لأنّ كتب التّفسير و الطّبقات لم تعد محكم الهواري من المفسّرين ، ولم تذكر له تفسيرا أو على الأقل خاض في هذا العلم.

أمّا الخلاف المثار حول نسبة الكتاب الى هود بن محكم الهواري ، لا نجد له تفسيرا الّا في احتمال أمرين :1) أمّا اختصار لكتاب يحي بن سلام مع اضافات قليلة.

2) امّا نقله حرفيا مع توضيح رأي الاباضيّة فيما اختلفوا فيه مع غيرهم ، ففي كلتا الحالتين نرى أن صحة نسبة الكتاب الى هود بن محكم الهواري ثابتة للأدلة التّالية :ـ

1) اذا استثنينا أعلام التفسير و رواده نجد المفسّرين ينقلون عن غيرهم.(5) و لا يضيفون الّا بعض الملاحظات ، لا تخلو أن تكون تعليقات أو استنتاجات أو تصويبات و رغم ذلك لم يذكر أحد نسبتها الى أصحابها . او تعقيبات

2) حسب صاحب معجم المفسّرين فان مخطوط يحي بن سلام في التفسير غير كامل ، و روي عن الجزري أنّه عاش فترة من الزمن في تونس ، يدرس عنه الناس تفسيره ، ويقال فيه :"ليس لأحد من المتقدمين مثله "(6) لكن كتب التّسير و الطبقات تخلو لنا عن اتصال هود بن محكم به أو بأحد تلاميذه ، أو على الأقل بتداول كتابه في الأمامة الرستميّة.

---

1) التفسير و مناهجه ص 00 .
2) الدولة الرستمية أنظر الهوامش رقم 16 ص 302 .
3) القرآن تفسيره و مفسروه ص 36 ،( الدولة الرستمية ) ص303 .
4) الأزهار الرياضية 2/ 211 .
5) القرآن تفسيره و مفسروه ص 29 .
6) معجم المفسّرين 2/730، 731 .

3) قام أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين( 324هـ 399هـ) باختصار تفسير يحي ابن سلام لكن — رغم ذلك — فقد نسب اليه ، وعد من المفسرين . (1)

كما اقتبس [illegible] فخر الدين الرازي تفسيره ، لا سيما الجانب البياني والاعجاز البلاغي للفظ من رائد المفسرين بالدراية جار الله الزمخشري ، ولم يخف الآراء الأشعريين في العقيدة ، ولم يتجرأ أحد على انكار نسبة التفسير المعروف اليه .

4) تفسير هود بن محكم الهواري يصور وجهة نظر الاباضية في بعض المسائل التي اختلفوا فيها مع غيرهم (2) ، فمن هذه الزاوية على الأقل — تمكن نسبته الى صاحبه واعتباره تفسيرا يمثل آراء الاباضية ، وطريقة تفسيرهم لبعض الآيات المتعلقة خاصة بالعقيدة .

5) لقد ذكرت كتب الطبقات والسير تنافس رجلين على امتلاك هذا التفسير (3) ووردت في قضيتهما نسبة الكتاب إلى المفسر وأعطت لنا صورة واضحة عن قيمة الكتاب وتداوله بين الناس .

فمهما يكن من أمر فان تفسيره الذي يحمل طابعا خاصا على الأقل وجهة نظر مذهبه ، يعطينا صورة عن ثقافة صاحبه واهتمامه بالتفسير ، فلم يبق على الباحث الا تحقيق هذا الكتاب ، والتعرف الى مدى تأثير المفسر بخيره ، وما اقتبسه منهم والى الجوانب التي تمثل آراءه وشخصيته .

---

1) ن م ، ص 558 .
2) الدولة الرستمية ص 303 .
3) أنظر الحادثة بالتفصيل في كتاب (طبقات المشائخ) 2/345 .

محمد بن يانس :

لم تذكر مصادر الأباضية ولا غيرها تفسيرا لهذه الشخصية ، غير أن ما جعلنا ندرجه ضمن قائمة المفسرين ، ونعده ممن أدلى دلوه في هذا الميدان ومن المتضلعين فيه العوامل التالية :ـ

1) ما تناقلته كتب السير والطبقات من اخبار علماء جبل نفوسة له (1) ليقوم مقام مائدة عالم في التفسير ، لمناظرة المعتزلة ، في عهد الامام عبدالوهاب بن عبد الرحمن ، لمّا استنجد بالجبل ، وتصوّر لنا هذه الحادثة دماثة أخلاقه وزهده وتواضعه وحفظه لكتاب الله ومكانته العلمية المرموقة ، اذ عرض عليه أحد أقرانه المختصين في علم الكلام أن يتقدم للمناظرة فأجابه بقوله : " تقدم أنت ولست بأعلم مني "(2).

2) اعترافه بمقدرته في التفسير ، فقد روى الدرجيني في طبقات تخصصه في هذا العلم ، وتطوعه لمناظرة المعتزلة فيه (3) وما يدّل على ذلك ـ أيضا ـ قوله للامام : " أما أنا يا أمير المؤمنين فقد كفيتك فنون التفاسير ان شاء الله " . (4)

3) تلقيه العلم على معظم حملة العلم الى المغرب مثل عاصم السدراتي وغيره ، ولا يخفى علينا أن هؤلاء تلقوا تعليمهم في معاهد البصرة احدى مدارس التفسير لا سيما على أبي عبيدة الامام الثاني للاباضية (5) والمفسر نفسه يعترف ـ حسبما ذكره أبو زكريا بأنه أخذ التفسير من الثقات وذلك في قوله : " أما أنا فقد أخذت تفسير القرآن كله من الثقات ، وعلمته عنهم الا حرفا واحدا أو حرفين فان اضطررت أجد مخرجا "(6).

ومهما كانت درجة صحة هذه الروايات الا أن ما يفهم منها نبوغ هذا العالم في علم التفسير ، ومما يؤكد ذلك ازدهار علوم الشريعة في جبل نفوسة في عهده ، ولا يتصور أن يخلو هذا العلم الذي تناول المصدر الاساسي للتشريع ـ من علماء ونابغين فيه ، واذا كادت المصادر الاباضية لم تذكر له تفسيرا ، فقد يكون مصيره كمصير كثير من مصادر الاباضية أو كان يقوم بالتفسير دراسة لا تأليفا .

---

1) جبل يقع في شمال ولاية طرابلس الغرب بالجماهيرية العربية الليبية من بين سكان مدنه الاباضيون .
2) الأزهار الرياضية 2/ 118 ـ 123 .
3) طبقات المشائخ 2/ 58 .
4) سير الائمة 69 .
5) الاباضية في الجزائر 1/ 136 ـ 138 .
6) سير الائمة ص 67 ، وطبقات المشائخ 2/ 58 .

يوسف
أبو يعقوب بن ابراهيم ميساد السدراتي الورجلاني (500، 570هـ/1106، 1175م).

كانت ثقافة هذا المفسر العميقة والمتنوعة انعكاسا واضحا لتكوينه ورحلاته وقد ظهرت على وجه الخصوص في كتابه (الدليل والبرهان)، وقد شبهه علي يحي معمر نقلا عن أبي اليقظان بدائرة معارف اسلامية مصغرة (1) وقد يكون تفسيره صورة لهذه الثقافة، ذكره البرادي من تآليف الاباضية، كما ذكر بأنه اطلع على جزء منه ووصفه بقوله: " لم أر سفرا أضخم منه . . . ولم أر أبلغ منه في اعراب، ولا في لغة، ولا تصريف، ولا في فقه، ولا في اختلاف في قواعد الدين، ولا في غير ذلك من علوم القرآن ."(2) وقد يكون البرادي صادقا في وصفه هذا وغير مبالغ للاعتبارات التالية :—

1) قيام المفسر برحلات لطلب العلم يكون — بلا شك — قد اتصل فيها بعلماء عصره، وتلقى تعليمه في مدارس متعددة نذكر هنا (قرطبة) من أهم الحواضر العلمية في المشرق، ثم في ورجلان على كبار علمائها مثل أبي عمار الكافي .
2) قيامه برحلات دراسية منها رحلته الى أواسط افريقيا حتى كاد يصل الى خط الاستواء، وقد ذكر هذه الرحلة في كتابه (الدليل والبرهان) قائلا: " . . وصلت أنا بنفسي الى قريب من خط الاستواء، وليس بيني وبينه إلا مسيرة شهر . . " ويذكر فيه بعض عادات سكان المنطقة(3).
3) شهادة معاصريه — لا سيما — من الاندلسيين فتلقيهم إياه بالجاحظ ليس من قبيل المصادفة، بل لغزارة علمه، ولحدة ذكائه، وهذا في حداثة سنه .
4) تآليفه المتداولة في الوقت الحاضر تشهد بسعة ثقافته، وتنوعها، وطريقة تفكيره المعتمدة أسلوب الإقناع ومن أهمها (الدليل والبرهان) الذي يجمع فيه مختلف الفنون والعلوم المعروفة وقتئذ مثل: " . الحكمة الفلسفة، الإلهيات، علم الكلام، المنطق، الهندسة، الفلك(4) مستحينا في الشرح وسوق الحجج بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والآثار.

---

1) الاباضية في الجزائر 1/231 .
2) آراء الخوارج (أنظر ملحق البرادي) 2/293 .
3) الدليل والبرهان 3/216 .
4) الاباضية في الجزائر 1/من 229 — 233، معجم المفسرين 2/808، 809 .

5) شهادة البرادي نفسه ، واعجابه بتفسيره ، ووصفه لبعض محتوياته فتبدو من شهادته قيمة هذا التفسير الذي يعبّر عن مكانة المفسّر العلمية وتضلعه في مختلف العلوم إلا أنه يرى أن هذا النوع من التفسير ضاع ، ويعزو ذلك الى ضعف اهتمام أهل المذهب — أنذاك — بالبحث ويقول في ذلك : " ومن ضعف بحث أهل هذا المذهب والتغافل عنه حتى اندرس وذهب ولم توجد منه عندهم نسخة واحدة " غير أنه يذكر — قبل ذلك — بأنه سفرا في بعض بلاد أوربا في تفسير الفاتحة وسورة البقرة وآل عمران (1) وقوله الأول يدلّ على تأسفه لفقدان النسخة الكاملة لهذا التفسير ، ويذكر علي يحي معمر بأن خزائن ألمانيا تحتفظ بجزء من هذا التفسير ، كما ذكر شريفي نقلا عن المستشرق شاخت " أنه عندما زار مدن الوادي ( وادي ميزاب ) لتقصي مكتباتها سنة 1953 أخبره بعض السكان أنهم سمعوا أثناء الحرب العالمية الثانية حديثا من اذاعة روما ، ذكر فيه صاحبه هذا الكتاب ، وقال أنه موجود ببعض مكتبات ألمانيا ."(2) ويرى أن من ذلك الوقت وبعض الشباب يقومون بمساع للعثور عليه لكن دون جدوى (3) ، ويذكر سليمان داود أن حسن حسني عبد الوهاب أطلع عليه في المكتبة الوطنية لمدينة لبيرج بألمانيا الديمقراطية .(4)

ومن خلال هذه الشهادات والنصوص يتبيّن لنا أن بعض أجزاء التفسير يحتمل وجودها محفوظة في بعض مكتبات أوروبا وحتى في المكتبات الخاصة المحجورة ، التي لم تجد أيادي أمينة لتنفض الغبار عنها ، أو منعت بعض هذه الأيادي من الوصول اليها خشية اتلاف محتوياتها .

أما الشيء المؤكد أن أبا يعقوب يمثل في عصره دائرة معارف وأنه بلغ درجة من المعرفة تخوّل له التصدي للتفسير ، فلا يستبعد أن يكون قد ترك لنا تفسيرا قيما يمثل ثقافة صاحبه واتجاهه ، وأسلوبه في التفكير .

---

1) آراء الخوارج ( أنظر ملحق البرادي ) 2/293 .
2) التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 09 أنظر الهوامش رقم 03 .
3) نفسه ص .
4) سليمان داود ، التفسير ومشاهير المفسرين ، محاضرة ص 14 .
ملاحظة : رواية عن أبي اليقظان يذكر علي يحي معمر بأن حسن حسني عبد الوهاب أطلع على كتاب في التاريخ يسمى فتوح المغرب ، أنظر الحاشية بالتفصيل في كتاب الاباضية في الجزائر 1/231 .

طبقة المعاصرين : كثيره

وقد مرّ التفسير الأباضيّ بفترة الركود والانحطاط ، منذ أن خفت نور العلم وانتشر ظلام الجهل ، لم تذكر لنا كتب السير والطبقات مفسرا نبغ في أوساط الأباضية وكل موهبة يجود بها الزمان إلا وتتفرّغ إلى التدريس واصلاح المجتمع عن طريق الوعظ والارشاد وتأليف كتب في الشريعة ، الى أن استفاقت الأمة الاسلامية من سباتها ، على دوي مدافع الاستعمار الأوروبي وعلى أخبار الاختراعات المتتالية والمدهشة التي عرفها العالم المتحضر ، فتصدى الفكر الاسلامي لمجابهة التيارات التي حاولت أن تتقنّن عليه عيثا ، ونتيجة لاحتكاك هذا الفكر بهذه التيارات ، ظهر علماء جندوا كل طاقاتهم لاحياء العلوم الاسلامية منها التفسير ، قصد ملء الفراغ الذي عرفته العقليات ، وتغيير منهجية التفسير التي أصبحت عاجزة عن جعل القرآن يتجسّم في سلوك الأفراد والمجتمعات ، ويطعمها ضد التفسخ والانحلال والانجذاب نحو التيارات المنحرفة . (جذاب)

محمّد بن يوسف أطفيش ( 1236 — 1332 هـ ) ( 1821 — 1914م ) .

أوّل مفسّر معاصر عرفه المذهب الأباضيّ هو محمد بن يوسف أطفيش ، الذي هو موضوع بحثنا ، هذه الشخصية الفذة التي عرفها القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تتميز بذكاء حاد وذاكرة ثاقبة ، ممّا استطاع أن يبلغ درجة الاجتهاد عن طريق التثقيف الذاتي ، هذه الثقافة التي انعكست بوضوح على تفاسيره ، فجاءت تحمل مختلف مميزات تفاسير سابقيه وسنتعرض اليها بالتحليل في صلب موضوع بحثنا .

وقد حاول تفسير القرآن ثلاث مرات غير أنّ أحد تفاسيره الذي هو (داعي العمل) لم يكمله ، فقد تعرضت الى انتقادات لاذعة — أحيانا — منها اعتماده الأسرائيليات ، وتحيّزه الى مذهبه ، وتحامله على المذاهب الأخرى الخ . . . (1) كما نال اعجاب بعض الباحثين ، لا سيما في الجانب اللغوي والبلاغي والفقهي . (2)

وسنتعرض الى هذه الجوانب وإلى غيرها بالتفصيل في فصول هذا البحث ، ومن الملاحظ أن تفاسيره ، غير متداولة بشكل واسع للأسباب التي سنتبيّنها رغم أهميتها .

---

1) التفسير والمفسرون 2/ ص 321 — ص 336 ، التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 13 .
2) التفسير ومشاهير المفسرين ، محاضرة ص 20 ، التفسير ومناهجه ، محاضرة ص 12 ، 13 القرآن تفسيره ومفسروه ص 39 — 41 ، مجلة المنهاج العدد 3 ، 4 موضوع ( داعي العمل ) ص 46 ، 47 .

سنكتفي بهذا التعريف الموجز لهذه الشخصية وتفاسيرها، على أن نتناولها بالبحث في الفصول اللاحقة .

ابراهيم بن عمر بيوض: (1318، 1401 هـ) ( 1899، 1981م) .

عاش هذا المفسّر المخضرم فترة من الاستعمار، وما عرفته من الأحداث والحركات الاصلاحية والثورية وفترة من الاستقلال، وما عرفته من التحولات في جميع الميادين، وفي الفترتين معا حاول مفسّرنا توظيف القرآن في اصلاح الفرد والمجتمع مقتدا* برواد الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي، باعتبار أن القرآن الكريم المصدر التشريعي الأساسي للمسلمين وكتاب هداية، واذا تصفحنا حياة المفسّر نجد عدة عوامل ساهمت في تكوين شخصيته، وتوجيهها هذه الوجهة الاصلاحية التي تبرز بوضوح في منهجية تفسيره، ومن هذه العوامل :

1) اتصافه بحدة الذكاء، ودقة الملاحظة وقوة الذاكرة بحيث حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا في سنّ مبكرة، كما حفظ الكثير من المتون في عدة علوم وقد تصدّر حلقات التدريس في معاهد شيوخه وهو في سن السادس عشر، وقبل هذا السن بعام أصبح يشارك أساتذته في بعض مداولات بعض القضايا الاجتماعية. (1).

2) أثر أساتذته في تربيته، وكانوا ممن عرفوا بمسايرة الأحداث، ومنها الحركة الاصلاحية فقد أحسنوا توجيهه واعداده لمواصلة مسيرتهم، وتلقى منهم كل العناية والتشجيع. (2)

3) شغفه بالعلم والمطالعة، الى درجة أن قال فيه شريفي أحد تلاميذه : " لم أر عالما شغف بالمطالعة ومسايرة الأحداث من الكتب التي تنشر أو أحاديث من الاذاعة في مختلف العلوم والفنون كشغف أستاذنا ." (3)

ولعل هذا هو السبب الذي جعله يبلغ درجة الاجتهاد، اذا علمنا أنه لم يطلق العلم الا في مسقط رأسه (4) شأنه شأن محمد بن يوسف أطفيش.

---

1) التفسير ومناهجه، محاضرة ص 16، أعلام الاصلاح بالجزائر 2/من ص125 — 153.
2) أعلام الاصلاح في الجزائر 2/ من ص 77 — ص 191.
3) التفسير ومناهجه، محاضرة ص 15.
4) ن.م. ص 14.

وبذلك يمكن أن نقول بأنه اعتمد على نفسه ، وهذا لا يعني انكار جهود أساتذته ، ومنهم أحد تلاميذه محمد بن يوسف أطفيش الحاج عمر بن يحي .

4) مصادر ثقافته المتنوعة ، والمتمثلة في العلوم التي تلقاها على مشائخه من العلوم الشرعية المختلفة والمنطق وقواعد اللغة والبلاغة والشعر العربي ، والمصدر الذاتي الكتب التي كان شغوفا بمطالعتها ، لا سيما التي تعالج قضايا الإصلاح ونضال رجاله ، واستبداد الاستعمار الخ ... والمصدر الثالث هي المجلات العربية والبرامج الاذاعية .

والمصدر الرابع وهو لا يقل أهمية عن سابقيه وهو لقاؤه بالمشرقيين من علماء وزملائه الطلبة الذين تلقوا دراستهم في تونس (1).

5) نشاطه في أحضان الحركة الإصلاحية ، ومشاركته فيها كطالب ثم كأستاذ وأخيرا كأحد زعمائها وخوضه لمعاركها ضد التيار المحافظ والمستعمر وقد تعرض للاعتقالات والاعتقالات .(2)

وهذه بصفة عامة هي العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية المفسر ، وحددت اتجاهه الديني الاصلاحي ، لذلك نرى أنه اكتفى بتدريس التفسير في المسجد ، وفي المناسبات ولم يقدم على التأليف ، لأن مهمة المصلح الاجتماعي هي التي تفرض عليه أن يختار الطريقة التي تساعده على تبليغ رسالته ، لجميع الطبقات الاجتماعية وللمستويات المختلفة ، فأسلوب مخاطبة هذه الفئات المختلفة والتأثير فيها أجدى وأنفع من التأليف الذي لا تستفيد منه إلا الطبقات المثقفة ، ويتطلب بذل الجهد .

كما أن هذه العوامل ستلقي الأضواء على منهجية هذا المفسر ، الذي ترك آثارا حسنة في مجتمعه ، وكانت جهوده التربوية مثمرة ولا شك أن لمنهجيته في التفسير والتوجيه دورا لا يستهان به في تحقيق ذلك .

أحمد بن حمد الخليلي :

آخر من يتصدى — حاليا — للتفسير من علماء الإباضية بسلطنة عمان أحمد بن حمد الخليلي ، فحسب الجزء الأول من تفسيره ( جواهر التفسير ، أنوار من البيان التنزيل ) .(3)

---

1) أعلام الإصلاح بالجزائر 2/ص 145 — ص 162 .
2) ن م ، 2/ ص 177 — ص 183 .
3) أحمد بن حمد الخليلي — جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل ج1 .

نون الحديث في هذه الشخصية بالتفصيل لم يحن وقته ، لا نزال يخطو خطواته الأولى في تأليف تفسيره .

وبعد تسليط بعض الأضواء على الأباضية في مختلف العصور ، يجدر بنا — الآن — أن نتعرض لمناهجهم اعتمادا على ما وصلنا من تفاسيرهم ، وفي ضوء ما عرفنا عنهم ، وعن اتجاهاتهم وثقافتهم بصفة خاصة .

مناهج التفسير عند الأباضية :

عرف علم التفسير مدرستين أساسيتين ، مدرسة التفسير بالمأثور ، ومدرسة التفسير بالرأي والدراية ، ولا يمكن أن نتصور مدرسة ثالثة ، لأن الانتماء الى احدى المدرستين لا يعني الاستغناء تماما عن منهجية المدرسة الأخرى ، بل من باب التغليب فقط .

واذا علمنا أن سبب نشأة التفسير عند الفرق الاسلامية ، يعود الى ظهور هذه الفرق وسعي ومحاولة كل واحدة منها ، اثبات صحة معتقداتها والدفاع عن كيانها (1) وكل فرقة تحاول أن تطبع التفسير بطابعها الخاص ، كما أن هذا التفسير عرف صراعا كبيرا موازيا للصراع القائم بين الفرق المختلفة حيث أصبحت كل واحدة تحاول اثبات وجودها ، والبرهنة على مطابقة أفكارها للقرآن والسنة ، فان من الطبيعي في هذا الجو الفكري أن ينتهج التفسير عند الأباضية منهجية مدرسة التفسير بالرأي ، وهذا لا يعني — كما يفهم — أن هؤلاء كانوا يخضعون نصوص القرآن لمعتقداتهم ، ويتخذونها وسيلة لنصرة مذهبهم ، والا فالحكم يشمل جميع المذاهب بدون استثناء ، لأن أنصار كل مذهب يرون أن مبادئهم مستنبطة من الكتاب والسنة ، وأنها أحق أن تتبع ، باستثناء الفرق المعروفة بالتطرف عن أصول الاسلام .

ولهذا ليس من الموضوعية ولا من النزاهة أن نتهم هذا التفسير دون الآخر ، الا اذا أثبتنا — فعلا — زيغه عن الحق وانحرافه عن مبادئ الاسلام (2) ولا يعقل بباحث نزيه أن يتسرع الى الحكم لهذا التفسير أو المذهب أو طيهما ، أو يحتجر كل من يريد أن يستشهد بالقرآن والسنة لاثبات صحة آرائه ، يفسر القرآن حسب هواه ومذهبه ، على أن لا يجعل هذه الآراء هي الأصل ما دام كل مفسر يعتقد اعتقادا جازما أن المذهب الذي اعتنقه مطابقا للكتاب والسنة .

---

1) القرآن ، تفسيره ومفسروه ص 26 ، 27 .

2) التفسير والمفسرون 1/ ص 363 — ص 367 (حكم هذا المؤلف على بعض التفاسير دون الأخرى لا ينبني على أساس علمي ساعدها بذلك في توسيع رقعة الخلاف عوض التقريب بين المذاهب .)

ولماذا لا تنظر الى هذه الخلافات من باب اجتهاد الرأي في فهم النصوص الدينية وتفسيرها، بهذه النظرة يمكننا القضاء على الاتهامات المتبادلة بين المذاهب الاسلامية، التي أرى أن اطلاق مدارس اسلامية عليها أحسن وأصح، لأن كلمة المذاهب أخذت بعدا يدل على التعصب والجمود.

وما ذكرناه يعد من أكبر العوامل التي جعلت حركة التفسير بالرأي تزدهر ومن هذه العوامل — أيضا — تطور الحياة، ومسايرة القرآن للأحداث وصلاحيته لكل زمان ومكان.

واذا تصفحنا كتب التفاسير الأباضية، لا نلاحظ اختلافا واضحا بينها وبين غيرها في المناهج المتبعة في التفسير لذلك يمكن تشبيه منهجية جابر بن زيد في التفسير بمنهجية التأليف السائدة في عصره، فقد رأى ابن الشيخ أنها قد تكون على نمط طريقة الامام مالك في تأليف موطئه وهي الجمع: " بين الآية القرآنية وتفسيرها والحديث النبوي و مسألة فقهية مروية عن مشائخه، أو رأي اجتهادي تفرد به "(1). معللا ذلك بعدم تمييز العلوم الشرعية وانفصال بعضها عن بعض، وتقليد المؤلفين بعضهم بعضا في كل عصر(2) بينما نجد شريفي يعترف بصعوبة، تحديد منهجيته لعدم بلوغ التأليف في عهده درجة تسمح بذلك (3)، لكن بامكاننا تصور الطريقة التي انتهجها من خلال ما روي عنه من أحاديث في موضوع القرآن الكريم.

أول ما يلاحظه أنه كان يرجع في تفسيره الى الرسول صلى الله عليه وسلم، عن طريق صحابي كابن عباس أو أحد التابعين مثل سعيد بن جبير، كما يرجع الى آراء الصحابة أو التابعين.

ولا يستبعد أن يكون قد اعتمد في تفسيره، القرآن، وأدل الكتاب والشعر والاستعمال اللغوي عند العرب أسوة بأستاذه ابن عباس، وعلى غرار تلميذه الربيع بن حبيب (4) الذي يكون قد تأثر به، وهذه المصادر تمثل مصادر التفسير في عصر التابعين(5) وهو عصر مفسرنا.

ومن ذلك يمكن اعتباره من المفسرين بالمأثور، وممن يستحسن في شرح آية بأحد المصادر المذكورة آنفا، أو بأسباب النزول التي ترد في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نتصور أنه فسر القرآن كله، شأن المفسرين الذين ظهروا بعده، وإنما كان يمزج بين الحديث. والتفسير والفقه وقد بيدي رأيه في قضية، على غرار معاصريه من

---

1) القرآن تفسيره ومفسروه ص 34.
2) ن م. ص 34، 35.
3) التفسير ومناهجه، محاضرة ص 2، 3.
4) أنظر أمثلة عن ذلك في كتاب الجامع الصحيح، الربيع بن حبيب 3/ ص 14 — 36 مجلد واحد.
5) ن م. ص/ 29 التفسير والمفسرون 1/ ص 70، 71.

التابعين و اقتداء بأستاذه ابن عباس، أمّا بقية المفسّرين فقد انتهجوا طريقة التفسير بالرأي، غير أنّنا نلاحظ في تفاسيرهم اختلافا في الغرض و الموضوع، و يعود ذلك في تصنيفهم على النحو التالي :— 1) التفسير الفقهي، 2) التفسير العقائدي، 3) التفسير التحليلي، 4) التفسير الاصلاحي الاجتماعي.

1) التفسير الفقهي : يمثّل هذا اللّون أبو الحواري في تفسيره الخمسمائة آية في الحلال و الحرام، تظهر بوضوح في موضوعاته التي لا تختلف عن موضوعات الكتب الفقهية، و لا تخرج عن فقه العبادات و المعاملات فكل موضوع يسرد فيه الآيات المتعلقة به مع الاستشهاد — أحيانا — بأحاديث نبويّة شريفة، و أقوال الصحابة أو بعض التابعين لا سيما، إمام المذهب جابر بن زيد أو الربيع بن حبيب مع التعرّض الى رأي الأباضية في المسائل الخلافية.

غير أنّ المفسّر — حسب رأي شريفي — لا يتعمّق في تبيانه للأحكام، و لا يحللها و لا يتعرّض لحكمها (لحكمها)، و أسرارها، أو يحاول استنباط أحكام جديدة. (1)

كما كان يعنون كلّ فقرة بكلمة (تفسير) مع ذكر الموضوع بحدها، و ذكر اسم السورة و الآية أو الآيات التي يقتبسها منها. فمن الملاحظ أن منهجيته مناسبة لمباحثة الكتاب و قد يكون غرض المفسّر منه جمع الآيات التي لها علاقة بكلّ موضوع مع دعمها بشواهد أخرى — أحيانا — لأثبات صحّة ما ذهب اليه أو لزيادة الايضاح، فهو يعتبر من هذا القبيل نواة هذا النّوع من التفسير الذي تبلور على يد أبي بكر الرّازي المعروف بالجصّاص و غيره من المفسرين (2) مع الملاحظة أنّ في القرن الثامن الهجري ألف حسين أحمد النجري كتابا سمّاه (شرح الخمسمائة آية) (3).

2) التفسير العقائدي : و هو النّوع الذي يركز على الخلافات المذهبية في العقائد بصفة خاصة و قد يكون أبو يعقوب الورجلاني من هؤلاء المفسّرين، اذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة ثقافته و نوع مؤلفاته كالدّليل و البرهان مثلا بالاضافة الى وصف البرادي لمنهجيته في التفسير اذ يقول : "فاذا ذكر آية يقول : قوله تعالى الى آخر الآية فأوّل ما يذكر اعراب

---

1) التفسير و مناهجه، محاضرة ص 07.
2) ن.م، ص 08.
3) التّفسير و المفسّرون 3/ ص 101 — ص 103.

فاذا ذكر آية يقول : قوله تعالى الى آخر الآية ، فأول ما يذكر إعراب الآية و يستقصي جميع تصاريف الفعل من الكلمة ، ثمّ الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلّم فيسوق الرواية من كتاب الربيع بن حبيب المعروف بالمسند ثم يسرد فيه السند ، أبو عبيدة عن جابر و يذكر الحديث و لقد استقصى الخلاف الذي في الأمام في قوله :" إني جاعلك للنّاس اماما " البقرة ( 124 ) فذكر مقالة الرافضة و الخالبة ، و ذكر مقالات النّكار و غيرهم من جميع الفرق " (1) و يذكر في نسخة أخرى ما يلي :" ... و لم أر أبلغ منه في اعراب و لا في لغة و لا تصريف و لا في فقه ، و لا في اختلاف قواعد الدين مثل قوله تعالى : " و اذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهنّ" البقرة ( 124 ) الآية في الإمامة ، و لا في غير ذلك من علوم القرآن "(2).

و لا شكّ أنّ ضرب البرادي مثالا للتعرّض المفسّر الى الخلافات في الإمامة لدليل على قيمة المفسّر في هذا الجانب ، و تركيزه عليه ، مما استرعى انتباهه .

و من هنا نستطيع أن نقول بأنّ أبا يعقوب سلك في مؤلّفه طريقة تفسير القرآن من أوله الى آخره ، آية ، آية ، وذلك بشهادة البرادي ، إذ ذكر في نفس المرجع بأنّه عثر على سفر في تفسير الفاتحة و سورة البقرة و آل عمران (3) ، و أنه يبدأ باعراب الآية و شرحها لغويا مع التعرّض الى الجانب الصرفي ، ثم يسوق الشواهد من حديث الرسول صلّى الله عليه و سلّم ، معتمدا في ذلك — مسند الربيع بن حبيب قبل تناوله الجانب الفقهي و معالجة خلافات المدارس الاسلامية ، محللا الآراء جميع الفرق المعروفة آنذاك ، دون أن يغفل الخلافات القائمة بين علماء الأباضية و دون أن يعرض عن علوم القرآن .

و من المفسّرين الذّين يمكن ادراجهم في هذا النوع من التّفسير ، عبد الرحمن بن رستم و محمد بن يانس و محمد بن يوسف أطفيش في تفسيره ( همیان الزّاد ) .

أمّا عبد الرحمن بن رستم و محمد بن يانس ، فقد ظهرا في فترة انتعشت فيه المناظرات بين المدارس الفقهية ، وكثر فيها الجدل بحيث أنّ الأخير أختير لمناظرة الواصلية ، فمن الطبيعي أن تتأثّر منهجيّتهما بطريقة التّفكير السّائد في عصرهما .

و أما محمد بن يوسف أطفيش فسنتعرض إليه في صميم بحثنا .

---

1) الموجز 2 / 293 ملحق للبرادي ، أنظر الهوامش رقم 03 .
2) ن م . ( نفس المكان )
3) ن م / 292 .

3) التفسير التحليلي :

اذا كنت قد سمحت لنفسي أن أطلق هذه التسمية على بعض التفاسير ، لأن أصحابها لا يتعمّقون في مسائل الخلافة ولا في المسائل الفقهية و بصفة عامة لا يهتمون بجانب دون الآخر، وكأني بهم يهدفون من تفاسيرهم تعليم القارئ ، و إفادة طلبة العلم هذا العلم فيولّون للشرح و التّوضيح مبنى ومعنى الأهمية فيسلكون طريقة شبيهة بتأليف الكتب المدرسية . فمن التّفاسير التي تتّصف بهذه الخصائص تفسير هود بن محكم الهواري فنجده يستهلّ تفسير سورة بذكر اسمها و نوعها مدنيّة أو مكّيّة ، وأحيانا عدد آياتها ، وقد يتعرّض الى أسباب النزول ، مكتفيا للتّوضيح بابراز المضمر أو المقدّر أو بذكر المرادف مثل تفسير قوله تعالى : "(فأوجس في نفسه خيفة)موسى ،(قلنا لا تخف إنّك أنت الأعلى)(أي الظّاهر)"(1) . ولا يخوض في الأعراب و البلاغة ، ويذكر أحيانا السّند مثل شرحه لقوله تعالى :" ثم أنشأناه خلقا آخر (قال بعضهم الشّعر، وقول الحسن : الرّوح ، وقال بعضهم ذكرا أو أنثى ، وقول الكلبي : الرّوح و هو في بطن أمّه )" (2)أهـ. نلاحظ أنّه ينقل أقوال السّابقين بذكر السند أحيانا ، و اهماله أحيانا أخرى ، وكثيرا ما يشير إلى المصادر المعتمدة كالأحاديث النّبوية أو اسم الصحابي مثل ابن عباس أو التّابعين أو غيرهم، وإذا كان يختصر في تفسيره للآيات ، فنجده يستفيض القول في الأحكام ، متعرّضا الى المسائل الفقهيّة ، ومرجّحا آراء ابن عباس و أئمّة المذهب مثل تفسيره لقوله تعالى :" الزانية و الزّاني الخ " فيرجح القول القائل بقبول شهادة الزّاني الّذي أقيم عليه الحدّ مستدلاّ بقوله :" . ويقول ابن عباس في هذا نأخذ و عليه نعتمد، هو قول أبي عبيدة و العامة من فقهائنا ، قال أبو عبيدة :" شهادة كلّ من أقيم عليه الحدّ جائزة إن تاب و أصلح "(3). فنراه يستعمل عبارة ( العامة من فقهائنا ) و يعني بها جمهور فقهاء المذهب و هو ما يقابل جمهور أصحابنا عند فقهاء الأباضية و أما قوله ( عامة النّاس كلّهم) يقصد بها جمهور فقهاء المذاهب الأخرى ، وهو ما يقابل جمهور قومنا عند فقهاء الأباضيّة و الفرق بينه و بين النّوع السابق هو عدم تعمّقه عند تحليله لمسائل الخلاف.

و من التّفاسير الذي سلك صاحبها هذه المنهجية تفسير ( التّيسير ) لمحمّد بن يوسف أطفيش مع بعض الاختلافات بين المفسّرين ، ولعلّ من التّفاسير الّتي اختار

---

1) هود بن محكم الهواري/تفسيره مخطوط ج3 سورة( طه ) الآية 67،68 الصحيح الأعلى (أوراقه غير مرقمة) مكتبة الشيخ أطفيش بني يسقن رقم : ب.14 .
2) ن م . سورة المؤمنون / 14 .
3) ن م . سورة النّور / 02 .

صاحبها هذه المنهجية( جواهر التفسير و أنوار من بيان التنزيل) لأحمد بن حمد الخليلي الذي شرع في تأليف أجزاءه الأولى ، فمن الصعب تحديد منهجيته بالضبط ما لم ينته منه ، فيكفي اعتباره من التفسير التحليلي ، لأنّه يحمل طابعا مدرسيا حسب الجزء الأول منه ، الذي تعرّض فيه إلى تعريف التفسير و التأويل ، وعالج فيه بعض مواضيع في علوم القرآن ، ومهّد فيه لتفسير سورة الفاتحة بتبيان مثلا: اختلاف الفقهاء في مسألة قرأتها في صلاة الجماعة ، وقضية البسملة مع ترجيح الرّأي الّذي يراه صحيحا .(1)

نرجو الله عز و جل أن يوفّقه لإتمام تأليفه الّذي نأمل أن يكون من أحسن التّفاسير منهجية، وتحقيقا ، ودقّة .

4) التّفسير الاجتماعي الاصلاحي :

إذا اختار محمد حسين الذّهبي تسمية هذا النّوع بـ ( اللّون الأدبي الاجتماعي )(2) فإنّنا نرى أنّ هذا الاسم ينطبق على بعض التّفاسير الّتي يسمو بها أصحابها إلى أسلوب أدبي فني رفيع ، وقد لا يملك مفسّر آخر هذه الموهبة الفنيّة و الجانب المشترك بين هؤلاء المفسّرين الّذين يمثّلون الحركة الاصلاحية في العالم الاسلامي ، وهو توجيه تفسيرهم إلى اصلاح الطّبقات الاجتماعية ، ومحاربة الآفات أو الأمراض ، ومواجهة التّيارات الهدامّة .

و من بين هؤلاء المفسّرين الّذين لعبوا أدوارا رئيسية في الحركة الاصلاحيّة ، ابراهيم بن عمر بيوض ، وقد حاول أن يجسّم معاني القرآن في سلوكات الأفراد و البنية الاجتماعية و لذلك اختار أسلوبين في التفسير :ـ

1) أسلوب تفسيره في المناسبات .

2) أسلوب تدريس القرآن في المسجد .

و يهدف من وراء ذلك انتهاز كلّ فرصة للتّبليغ ، وانقاذ المجتمع بفئاته المختلفة من براثن التخلف و الجهل و الانحلال .

كان أسلوبه الأوّل موجّها بالدرجة الأولى إلى الطلبة ، ولكن ـ مع ذلك ـ لم يغفل طبقة العوام محاولا به تحقيق غرضين أساسيين : غرض تعليمي ، وآخر توجيهي ، فنجده يربط السّور ببعضها و الآيات بما قبلها لتبيان وحدة الغرض و الموضوع .

---

1) جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل ج1 .

2) التفسير و المفسرون 3/ 213 .

والتّداسق التّي يمتاز بها القرآن مستعينا في الشّرح بأسباب النّزول إن وجدت ، و تذليل الصّعوبات اللغويّة ، وأحيانا باللّغة العامية، كما يرجع في كثير من الحالات إلى تفسير القرآن بالقرآن ، والاستشهاد بالأحاديث و الأشعار ، والحكم ، والأمثال ، والمتون الفقهية . و للتأثير في المستمعين ، يربط المعاني بواقعهم و بالأحداث الجارية ، محلّلا طبائع الدفوس البشرية كلّما وجد لذلك سبيلا .

كما أنّه لا يغفل عن الجوانب البيانية ، وإبراز أعجاز القرآن في أسلوبه و مواكبته للتّطور العلمي والحضاري ، فنجده عند تعرّضه للقصص القرآنية — يستغني عن التفاصيل التي كادت معظمها من نتاج الأسرائيليات ، محاولا جمع النصوص القرآنية التّي تتكوّن منها أحداث هذه القصص ووقائعها ، مركّزا على جوانب الاذكار والاعتبار ، مهتمّا بالمسائل الفقهية التّي تنظّم الأسرة والمجتمع ، وتعالج موضوعات المعاملات .(1)

أمّا أسلوبه في المناسبات ، فنجده يتوخّى فيه البساطة ، و يعالج قضايا الساعة ، كمواجهة أعداء الحركة الاصلاحية والمستعمرين (2) مستغلّا ذلك لتجنيد الأمّة حول الحركة و توضيح أهدافها المتمثّلة في محاربة الجمود والبدع و الخرافات و الجهل و بناء صرح المجتمع الاسلامي على أسس سليمة و لتحقيق هذه الغايات يختار المفسر آية أو بعض آيات لها صلة بالموضوع ، ثم يشرع في شرحها منتهجا نفس الطريقة السّابقة ، مع عدم التّعمّق في المباحث اللغويّة و النحوية و الصّرفية و البلاغية ، وكل جانب لا يخدم الغرض من الدرس مركّزا على القضية التي يعالجها .

و من خلال ما تقدّم نرى أنّ مفسّرنا كان يهتمّ بالجانب الاجتماعي الاصلاحي ، و يهدف من دروسه إلى تحقيق المبادئ التّي تبنّتها الحركة الاصلاحيّة ، فلذلك لا نرى أن ابن الشيخ مبالغ حين شبه تفسيره بتفسير المنار من حيث المنحى الاجتماعي و الحكمي ، و السّياسي و الاقتصادي و " بظلال القرآن" من حيث روحه و أثره في اصلاح الفرد بتعميق العقيدة في نفسه و طبع مكارم الأخلاق في سلوكه فردا و جماعة . (3)

---

1) التّفسير و مناهجه ، محاضرة ص 15 — ص 17 القرآن تفسيره و مفسروه ص 41 — 44 .
2) ن م . محاضرة ص 16 .
3) القرآن تفسيره و مفسروه ص 44 .

هذه بصفة موجزة مناهج التفسير عند الأباضية، نلاحظ أنها لا تختلف عن مناهج تفاسير المدارس الاسلامية الأخرى إلا من حيث أنها تمثل وجهة نظر الأباضية في تفسير بعض الآيات.

وهذه الاختلافات لا تعدو أن تكون وجهات نظر لعلماء بلغوا درجة الاجتهاد. فهي تمثل مع بقية آراء المدارس الاسلامية الأخرى ثروة علمية يحق للمسلمين أن يعتزوا بها دون أن يتخذوها أسبابا ومبررات للتفرقة والتعصب، فمن نعم الاسلام أن أتاح لمعتنقيه حرية التفكير والاجتهاد في حدود قواعد مضبوطة، وأصول ثابتة لا محيد عنها.

# الباب الأول

## عصر المفسر، حياته، آثاره

## الفصل الأول :
## عصره

### الحياة السياسية:

عاش المفسّر في فترة شيخوخة الخلافة العثمانية في العالم الاسلامي بحيث أصبح نفوذها يضعف، وتتكالب عليها الحركة الصليبية، محاولة بعث مجدها من جديد والقضاء على الحضارة الاسلامية التي بسطت سلطتها حقبة من الزمن على جزء كبير من الكرة الأرضية حتى أصبحت تهدّدها في معقلها وممّا ساعدها على تحقيق أحلامها، حالة العالم الاسلامي التي أخذت تتدهور بانسلاخ المسلمين عن مبادئ دينهم سواء في أنظمة الحكم أو معاملة الرعية، أو في اخلاق الأفراد والمجتمع، فتفشّى الظلم، وانتشر البدع والخرافات وانساق المسلمون وراء ملاذ الحضارة، ودبّت أمراض التفرقة والعصبية في صفوفهم (1)، فوجد الاستعمار الغربي الأوربي ممهّدة لغزو هذا العالم الذي حمل رسالة الحضارة الانسانية منذ أن بزغت شمس الاسلام في الجزيرة العربية، فأخذت الدول الأوروبية تتقاسم هذا العالم، وكلّ واحدة تطلق يد الأخرى في جزء منه.

ولم ينقض القرن التاسع عشر حتى أصبح معظم مناطق هذا العالم تحت وطأة الاستعمار الصليبي، وقد ظهرت هذه النزعة بوضوح في حركة التبشير التي رافقت الحملات الاستعمارية لا سيما الاستعمار الفرنسي الذي نصّب نفسه ممثّلا للذمة الصليبية، ولا ريب أن الحبيب الجنحاني مبالغ في اعتبار الكنيسة دعامة أساسية من دعائم السياسة الاستعمارية (2) وقد لعبت هذه الحركة دورا خطيرا في التمهيد للاحتلال، ثم في محاولة سلخ الشعب العربي المسلم من قيمه الثقافية الوطنية، ولا يخفى على أحد الدور الذي لعبه رجال الكنيسة، وعلى رأسهم الكردينال لافيجري، مستغلّين كلّ فرصة سانحة ومستخدمين جميع الوسائل تحت غطاء التعاون والرحمة، وتقديم الخدمات لنشر المسيحية في الأوساط الشعبية بالمغرب العربي (3)، باعتباره إحدى القلاع الرئيسية التي وقفت في وجه الصليبية ولمكانة الاسترا تيجي في البحر الأبيض المتوسط.

وقد عمد المستعمر إلى هذه السياسة للقضاء نهائيا على روح المقاومة في الشعب

---

1) أعلام الاصلاح في الجزائر 1/ 16.
2) د/ الحبيب الجنحاني (حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في ق 19) ص 4 2 مجلة الأصالة.
3) ن م. من ص 24 — 32.

و قد أدرك — بما اكتسبه من تجربه عبر التاريخ — أن الاسلام هو العنصر الاساسي الذي يحرك الشعب لمقاومته وأحد العناصر الاساسيه التي تميز شخصيه هذا الشعب عن شخصيه المستعمر ولذلك رأى أنه لا يحكم القبضة عليه الا اذا جرّده من أهم مقوماته ، فجنّد رجال الكنيسه و قدّم لهم كل العون للقيام بتحليه غسل الأدمغه ، وتمهيد الأرضيه لتحقيق أغراض الاستعماريه (1).

والسلاح الذاتي الذي استعمله المستعمرون هو جلب المعمرين من أنحاء أوروبا و تشجيعهم على الاستيطان و قد وفروا لهم كل أسباب الاستقرار و العمل ، وان أدى الأمر الى الاستيلاء على ممتلكات الأهالي متذرعين — أحيانا — بحجج واهيه ، ومستغلين كل فرصه سانحه بما فيها حجز ممتلكات الثوار و المتهمين .

كما حاولوا أن يطبعوا الحياه بطابعهم الخاص ، فاصدروا قوانين تفرض على الشعب المقهور سلوكات مصيره مخالفه لمقوماته و عاداته ، فانتهجوا في تطبيقها — أحيانا — سياسه القهر و أحيانا أخرى سياسه الترغيب .

كما استخدموا وسائل أخرى من أهمها : فتح المدارس الفرنسيه و اجبار الأطفال على الالتحاق بها و فرنسه الاداره و قوانينها ، فاصبحت الفرنسيه لغة التعليم والخبز ، و شيدوا كنائس و مدارس يشرف عليها رجال الكنيسه ، و استولوا على المساجد والقضاء و حاربوا كل ما يعرقل سياستهم الادماجيه (2).

و في خضم هذه الاجراءات التعسفية ظهرت المقاومه في أشكال مختلفه كانت في بدايه الأمر مقاومه مسلحه و حاولت صد الغزو الاستعماري بكل ما توفرت لديها من قوه ، غير أنها سرعان ما اصطدمت بقوه أكثر عددا و عده و تنظيما ، ووجدت نفسها تصارع عدوين : الفقر من جهه و العناصر التي دبت في نفسها أمراض التخلف غير أن هذا الصراع المرير دفع بالمقاومه الى تغيير أسلوبها فلجأت الى طريقه اصلاح المجتمع المريض أولا ، و اعداده للمقاومه المسلحه التي أظهرت التجربه عدم نجاعتها و عجزها عن تجنيد الأمه فتكفت بها أمراض عصر الانحطاط ، وهذا الأسلوب الجديد تمثّل في الحركة السلفيه التي ظهرت بوادرها للوجود في الفتره السابقه للاحتلال ، لكنها تبلورت في عقده . فقد اتخذت في بدايه الأمر شكل الأصلاح الديني والرجوع بالاسلام .

---

1) ن م . ص 26 ، 27 مجله الاصاله عدد / محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث ص 21 .
2) نهضه الجزائر الحديثه ، 1 / من ص 21 — 27 .

الى عهده الأوّل ، ثم تطوّرت فاهتمت بالنواحي الدينية والاجتماعية ، وبعد أن حاولت طي يد بعض قادتها مثل جمال الدّين الأفغاني أن تتّجه اتجاها سياسيا أيضا . (1)

فاستمرت هذه المقاومة تشتدّ أحيانا وتتّخذ أشكالا مختلفة وتضعف أحيانا أخرى ، كما أدّت الى ظهور نهضة فكرية سياسية بعد أن واجهت تيارين أساسيين ، تيار الغزو الأجنبي وتيار الجمود والبدع الداخلي ، فخرجت في الأخير منتصرة .

ووسط شمّرنا جزء من هذا العالم الاسلامي ، فلذلك قد عرف هو — أيضا — هذا الصّراع قبل الاحتلال وبعده ، بحيث يرى محمد علي دبّوز أنّ وادي ميزاب في جنوب الجزائر استفاق من نومه قبل الشمال ، لقد ابتدأت فيه النّهضة منذ أوائل القرن الثاني عشر الهجري ، (2) أي منذ تلك الفترة ورجال الاصلاح يحاربون تيار التّخلف والجمود ، ولعلّ آثار هذه الحركة تجلّت في وعي هذه المنطقة حين فكر أهلها في عقد معاهدة الحماية في 29 أبريل 1853 م مع الاستعمار الفرنسي ، لمّا تبيّن لهم فشل المقاومة المسلّحة في الشمال ، والتي شاركوا فيها بحماس حسب المصادر التاريخيّة (3) ، ومن الأسباب التي دفعتهم الى هذه المعاهدة اقتراب أكثر شبابهم في مدن الشمال ، وانتشار التخلف والتعصب القبلي والمذهبي في الصحراء ، ورأوا أن يأخذوا بقاعدة أخف الضّررين وهي عقد معاهدة الحماية مع المستعمر الّذي وصل الى مشارف منطقتهم والّذي لا يحترم في غزوه أدنى المبادىء الانسانية والأخلاقية ومن جملة ما تنصّ عليه هذه المعاهدة احترام نظمهم الاجتماعية والمحافظة على كيانهم العربي الاسلامي ، ولكن سرعان ما وجد المستعمر — كعادته — مبرّرا لفرض حكمه العسكري على المنطقة ، وذلك سنة 1882م بدعوى أن ميزاب أصبح ملجأ الثوار وقاعدة امدادهم بالذخيرة العسكرية . (4)

وممّا تجدر الإشارة اليه ، هو أنّ الوحدة الاسلامية هي العنصر السائد آنذاك ، ولم تنتشر بعد فكرة الوحدة الوطنية ، بمفهومها الحديث وحتّى الوحدة الاسلامية لم تكن مبنية على أساس التّضامن والشّعور بوحدة المصير المشترك ، ووحدة المبادىء ، لأنّ العالم الاسلامي لا زال متأثّرا بالصراعات المذهبية والجنسية الّتي عرفها في القرون الماضية وتجلّت هذه الوحدة الاسلامية في علاقة ميزاب بالحكم الحفصي أمّا علاقته بسلطنة عمان وزنجبار وباباضي ليبيا وجربة فكانت أساسها الانتماء المذهبي على أن هذه العلاقة أخذت بعـــــــدا

---

1) نجلاء عزالدين ( العالم العربي ) من ص 94 — 125 .
2) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 36 .
3) أحمد توفيق المدني (كتاب الجزائر) ص 48 ، سعد الله (الحركة الوطنية الجزائرية) 2/ 216 ، 238 ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ص 38 ، عبد الرحمن الجيلالي (تاريخ الجزائر العام) 3/ 386 ، 387 .
4) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 246 — 248 .

جديدا فأصبحت تتجه الى تكوين نواة للوحدة الاسلامية الشاملة ، و تقارب المذاهب و هذا ما سنراه من خلال اتصالات المفسر بمختلف الجهات في العالم الاسلامي (1) و هذه الرؤيا الجديدة ظهرت نتيجة للتكالب التبشيري على العالم الاسلامي دون تفريق بين هذا و ذاك و شعور الطبقة الواعية والمثقفة بضرورة التضامن ، وبهذا التعصب المذهبي الممقوت ، و هذا لا يعني التخلص الكامل من شوائب عصور الانحطاط، لان هذا الامر لم يتم بعد الى حد الآن، فمازلنا نعيش بعض الظواهر المؤسفة التي تجسد تلك الذهنيات المختلفة التي لا علاقة لها بالدين أصلا .

و هذه بصفة عامة الحالة السياسية التي عرفها محمد المفسر بين غزو استعماري واسع ، وحشي أحيانا و بين بوادر يقظة عربية اسلامية تجلت في مقاومات عسكرية و حركات اصلاحية و أمام هذا الصراع يجدر بنا نتساءل عن الحالة الاجتماعية السائدة آنذاك .

2 . الحالة الاجتماعية :

و لعل الحياة السياسية تعكس بوضوح الحالة الاجتماعية في العالم الاسلامي ،هذه الحالة التي بلغت حدها القصوى من التدهور و الانحطاط في الاخلاق و القيم و لم يشهد هذا العالم مثلها من قبل ، وكان من نتيجة غزو أوروبا له ، فوجده لقمة سائغة ، و ما غزو الاستعمار للجزائر ووقوف بعض القبائل بجانبه تمد له يد المساعدة ضد المقاومات لا سيما مقاومة الامير عبد القادر (2) الا احدى هذه الصور لما آل اليه هذا المجتمع وقتئذ ، وتعبيرا صادقا عن التفكك الاجتماعي و الرجوع الى عهد النظام القبلي، و سيادة التعصب العرقي و المذهبي ، وما ردود مفسرنا على الحملات ضد المذهب الاباضي الا دليل على هذا التنافر بين المذاهب الاسلامية و الذي وصل الى حد اتهام بعضها بعضا بالكفر و اباحة سفك الدماء (3) و لم يقف الامر عند هذا الحد ، بل أدى كل ذلك الى انتشار الفتن و لعل أحسن من وصف منطقة ميزاب في هذا العهد يحي بكوش في قوله : " فقد كانت الفتن كثيرة في المنطقة ، وانتشر الفقر و اشتدت الحروب الطائفية واستحكمت العنصرية " (4).

ومن أسباب هذا التعصب و التفكك الاجتماعي الجهل الذي تفشى في الاوساط الشعبية،هذا الجهل تجلى في انتشار البدع والخرفات و يصور الاستاذ سعد الله حالة هذا المجتمع بدقة .

---

1) أنظر أمثلة لذلك في بحثنا هذا ص 74 .
2) كتاب الجزائر ص 56 .
3) محمد بن يوسف أطفيش (ان لم تعرف الاباضية يا عقبي ) كتاب ازهاق الباطل بالحلم الماطل.
4) يحي بكوش كتاب شرح النيل دائرة معارف في الشريعة الاسلامية ص 22 أنظر بعض الصور المأسوية لهذه العصبية في كتاب المجتمع الاسلامي .د /أحمد شلبي من ص 192 — 196 المذاهب نعمة انقلبت نقمة .

في حديثه عن أعلام القرن الحادي عشر إذ يقول : "فقد عاش خلال القرن الحادي عشر و الثاني عشر الميلادي في الوقت الذي اشتدت فيه القطيعة بين العالم الاسلامي الجامد و العالم الاوروبي المتحرك ، وازدهر فيه التصوف المزعوم و الدروشة و الامية و التخلف العقلي في المجتمعات الاسلامية ، و كثر فيه أدعياء العلم من الفقه التي كانت تسمي نفسها حامية الشريعة ، و مصابيح الظلام و هي فئة الفقهاء أو المتفقهين ، و استولى فيه على مقاليد السلطة حكام جهلة ، و طغاة غرباء عن حاجات المجتمعات الاسلامية التي يحكمونها و أحاسيسها و عشش أدمغتها الفكر الخرافي حتى كاد المجتمع كله يصبح زاوية صوفية ." و يضيف الكاتب يصف الامراض الاجتماعية المنتشرة كالايمان بالغيبيات و الروحانيات ، و استغلال سذاجة الاوساط الشعبية لابتزاز أموالها ، و نصرة الظلمة و المستبدين .(1) هذه صورة صادقة للمجتمع الاسلامي الذي أصبح مطمع الاستعمار الاوروبي و لعل هذه سنة الله في خلقه ، فالشعوب كالافراد تمر بمراحل القوة ثم تنحدر نحو الضعف و لذلك لم يجد الاستعمار صعوبة كبيرة في الاستيلاء عليها ، و تحقيق مطامعه فيها ، و ليبقى دائما سيد الموقف ، راح يشجع الآفات الاجتماعية التي ورثها المجتمع الاسلامي عن عهد الانحطاط و يضرب كل حركة اصلاحية تحاول محاربة هذه الآفات .

فلعل أول آفة أخذ يغذيها و ينميها في هذا المجتمع المريض هي التفرقة و العصبية و يذكر محمد البتي أن تجنيد بعض الشربيين الآريين المسيحيين لابراز الخلافات المذهبية من وسائل الاستعمار في اضعاف المسلمين في اسلامهم(2) و لعل النداءات التي كانت قوات الاحتلال توجهها الى الشعب الجزائري و طبقاته تدل على زرع العصبية ، اذ ورد في أحدها مثلا العبارة التالية : " نحن الفرنسيين أصدقاءكم سنذهب الى مدينة الجزائر لنطرد منها الاتراك الذين طغوا عليكم و اضطهدوكم الخ . . " (3) و نلاحظ هذا النداء يدعو الى اثارة الحزازات و الضغائن بين الاتراك الجزائريين و الدولة العثمانية قصد القضاء على كل تحالف ممكن قيامه بينهما ، و هذه هي سياسة المستعمر قديما و حديثا ، يسعى في البداية إلى فصم عرى التضامن

---

1) د / أبوالقاسم سعد الله شيخ الاسلام عبد الكريم فكون جريدة الشعب العدد 6969 السنة 24ص / 11 .

2) الفكر الاسلامي الحديث ص 21 .

3) عبد الحميد زوزو ، نصوص وثائق ص 30 ( نداء موجه من طرف الجيش الفرنسي الى الكراغلة أولاد الاتراك العرب القاطنين بايالة الجزائر .

بين الدول الاسلامية ثم يتفرغ الى اثارة الفتن الداخلية ، و يدل على ذلك ما كان بين أحزاب المقاومة و القبائل التي لم تكتف بالوقوف ضدها بل راحت تؤيد العدو الغاشي و تقف بجانبه بفضل سياسته ( فرق تسد )، والحالة الاجتماعية المتردية التي أصبح يعيشها المجتمع الجزائري المسلم أنذاك (1) .و قد كان المستعمر في كل بقعة من العالم الاسلامي يحاول استغلال كل فرصة لاحياء النزاعات الدينية ، و العصبية الجنسية ، ومن ذلك ما ذكره الحبيب الجنحاني في أن ثورة المقراني كانت رد فعل ضد سياسة التنصير، والسياسة الرامية الى بث الشقاق بين العرب و البربر(2) .

و للنجاح في سياسته هذه عمد الى سد أبواب التعلم أمام الجزائريين لا سيما التعليم العربي الاسلامي فحاول تمويضه بلغته التي تعتبر وسيلة لبث أفكاره ، واتجاهاته في أوساط الأمم المستعمرة لكن دون أن يسمح لها باكتساب ثقافة تساعدها على الارتقاء في سلم الحضارة و الرقي ، فترك الأغلبية الساحقة تتخبط في الجهل و الأمية ،فأصبحت فريسة الخرافات و البدع، مشجعا كل الهيئات التي كانت في السابق حامية الاسلام و العربية على نشر هذه الضلالات و الأفكار الانكالية و القدرية ،قصد تدويم هذه الطبقة التي تعتبر القاعدة العريضة لجميع الانتفاضات و الثورات و من هذه الهيئات رجال الدين و بعض الزوايا التي كانت في السابق معاقل اللغة العربية و الاسلام .(3)

لئن استطاع الاستعمار أن ينشئ طبقة جندها لتقرير سلطته و تثبيت ولايته و حماية شخصيته (4) لكنه عجز و فشل فشلا ذريعا في القضاء على شعلة الاسلام و العربية ، و تحقيق أغراضه الدنيئة، كتجنيس هذه الأمة وتنصيرها و محو مقوماتها ، رغم محاولاته العديدة منها انشاء طبقة بورجوازية أوروبية على انقاض الطبقة الجزائرية المتمتعة بجميع الحقوق ، و تشجيعه بعقد الاستعلاء ضد تحطيم معنويات الشعب العربي المسلم ، فاستعمل لتحقيق ذلك كل الوسائل منها تقهير الطبقة

---

1) للاطلاع على أمثلة أرجع الى اسماعيل العربي المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الفصل الحادي عشر ( سقوط الزمالة ) .
2) حركة التبشير و السياسة الاستعمارية الفرنسية الأصالة العدد 18 ص 32 .
3) أعلام الاصلاح في الجزائر 1/ من ص 18 — ص 21 .
4) الفكر الاسلامي الحديث ص 21 .

الشعبية و تجويعها بحجز أراضيها بأسباب و بدونها ، و غلق أبواب الرزق أمامها ، فتركها تُصارع ضنك العيش و فريسة مجاعة 1868 م و التي اعتبرها فرصة سانحة لتحقيق مآربه (1) .

و نتيجة للظلم الاستعماري ، لجأت بعض العائلات بأسرها الى الهجرة الداخلية أو الخارجية ، هروبا من المعاملات التعسفية و طلبا للعمل .

و لم يكن ميزاب بيئة المفسر أحسن حالا من المناطق الأخرى فقد مرّ بفترة مظلمة ساعد الاستعمار على امتدادها و وقف ضد كل محاولة اصلاح ، و لعل أحسن وصف لحالة هذا المجتمع يعبر عنها أحد الباحثين في قوله : " ولد الأمام القطب و نشأ في بيئة كاد ينطفئ فيها نور الهداية الإلهية ، فلم يبق فيها الا بصيص من نور خافت لبعض آيات قرآنية ترتل أو أحاديث ترد تقليدا . " ثم يمضي في وصفه لهذا المجتمع بطغيان الجهل و الجاهلية ، و سيادة عادات و تقاليد خرافية واستقراطية نسبية ، لا تولي للقيم الروحية العلمية الدينية أيّ تقدير و لا اعتبار . " الى درجة أن أصبح إفشاء السلام بدعة و ضلالة ، و توريث المرأة خطأ ، و تزويج طالب العلم القاء بالبنت إلى التهلكة ، لا يناصر الحق على شيء من الحق ، اذا خالف أهواءهم ، بل تطلق عليه معارضة و مطاردة و اخراج ، و كثيرا ما كان يلقي مصرعه قتلا أو اغتيالا . " (2)

هذه حالة الطبقة الساحقة من المجتمع الإسلامي بصفة عامة و الجزائري بصفة خاصة في عهد مفسرنا ، ولئن تعبر عن الحالة المزرية التي بلغها هذا المجتمع نتيجة عصر الانحطاط ، ومساعي الاستعمار ، لكن سنرى بأنها — أيضا — فترة مخاض بالنسبة للنهضة الفكرية التي سنتعرض إليها فيما يلي :—

3) الحالة الفكرية .

تميزت الحالة الفكرية في عصر الإنحطاط بالجمود و الركود ، نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية و الحالتين الاقتصادية و الاجتماعية ، وقد ساهم الإستعمار في اخماد جذوتها .

و مما هو معروف أن حياة المسلمين الفكرية مترابطة ارتباطا وثيقا بالدين

---

1) حركة التبشير ، الأصالة العدد 18 ص 22 .
2) الشيخ بلحاج ، محاضرة ص 03 مخطوطة .

الأسلامي ،فلو عدنا الى العصور الذهبية لهذه الأمة لوجدنا أن العامل الديني لعب دورا كبيرا و رئيسيا في اقامة صرح حضارتهم و انعاش الحياة الفكرية في مجالات مختلفة نتيجة لحرية التفكير السائدة أنذاك ،و لما أصيب تفكير المسلمين بالعقم ، ومال الى التحجر ،واكتفى باقتفاء الآثار مجترا انتاج السابقين دون محاولة اثرائه و مواصلة السير به قدما نحو التجديد و التقدم أخذت الحياة الفكرية تسير نحو الإنحطاط و التسفل ، فاذا كانت شهادات المؤرخين تؤكد انتشار مراكز التعليم المختلفة عبر أرجاء العالم الأسلامي ، و منها الجزائر فان هذه المراكز لم يتعد دورها تعليم طلبتها العربية ، وبعض العلوم التي هي أقرب الى التراث منها الى العلوم التي تروض العقول على التفكير و الأبداع و تساير التقدم الحضاري الذي أخذت الانسانية تعرفه ، و قد ساهمت في ذلك مناهج التدريس المتبعة في هذه المراكز ، والتي تعتمد الشرح و الحفظ ، و تقديس كل ما هو قديم ، فأخذ الفكر الأسلامي و اللغة العربية التي هي وعاؤه ينفصلان شيئا فشيئا عن حياة المسلمين و واقعهم ، فأصبح الدين الذي كان يروح هذا المجتمع يتخلى عن دوره القيادي و مسايرة تطور الحياة ، فوجد الناس صعوبة لفهم تراث سابقيهم فكيف باثرائه ، و عزفوا عن الإغتراف من مناهل الثقافة ، فانشر الجهل ، وانحصرت الثقافة في نخبة قليلة و في ميادين محدودة لاتفي بحاجة المجتمع ، فاعتلى منبر القيادة الثقافية عناصر ساعدوا على نشر البدع و الضلالات ، بوعي أو بغير وعي ، ومما زاد الطين بلة الظروف الاقتصادية الصعبة التي مر بها العالم الأسلامي ،نتيجة أنظمة الحكم المهترئة ، مما اضطر كثيرا من طلبة العلم إلى مغادرة مقاعد الدراسة و الالتحاق بميادين العمل لمساعدة أسرهم على سد الرمق . (1)

ولعل أحسن من وصف الحياة الفكرية في هذه الحقبة من التاريخ التي سبقت الاحتلال الفرنسي للجزائر أبو القاسم سعد الله والذي يرى أن العلوم الشرعية تميزت بالتقليد و التكرار و الحفظ قلما نجد فقيها اجتهد و استقل برأيه بل كان التقليد الأعمى ديدان معظمهم و يرى أن : " من شذ عن هذه القاعدة عزل أو اتهم بالتكفير و الزندقة " كما يعزو جمود الانتاج الفكري الى المميزات السابقة التي تكاد تنطبق على جميع العلوم و الفنون ،الى أن بلغ الأمر بالرحالة الأجانب الى اتهام علماء الجزائر بممارسة

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 249، 250 د /سعد الله محاضرة في تاريخ الجزائر الحديث،ص 159، 163 .

السحر والشعوذة، لا سيما في الميدان الطبي .(1) ولا يعني هذا أن العالم الاسلامي كله استسلم للنوم العميق، بل نجد شخصيات دينية تولت حمل مشعل الاصلاح و حاولت احياء الفكر العربي الاسلامي، و تجديده فقادت حركات اصلاحية مثل حركة الوهابية، و السنوسية و غيرها، وقد تركت في المجتمعات الاسلامية بصمات واضحة ومهدت للحركات الفكرية و السياسية التي عرفها عصر النهضة، و يبين نجلاء عز الدين أثر هؤلاء و ثقافتهم الدينية في قوله :" قدم الدين أول الحوافز لبعث المجتمع، فلقد قامت جميع محاولات الاصلاح التي تمت قبل القرن التاسع عشر على أيدي نفر من رجال الدين، وكان المصلحون الدينيون أشد أثرا بين جميع القوى و التيارات العاملة للاصلاح ." (2) و اذا حاولت شخصيات متنورة في الجزائر بمشجد الامة و اصلاح المجتمع فان أثرها لم يتجاوز ميدان التأليف، وأبداء بعض الآراء الاصلاحية ، ولعل الظروف المحيطة بهم، هي التي جعلتهم يسلكون منهجية مناسبة لها في الاصلاح والمتمثلة في اعداد الجيل عن طريق التعليم و تزويده بمؤهلات تحمل أفكارا جديدة و ثقافية سلفية منقحة، وتبسيط العلوم .

فلنأخذ كمثال لذلك عبد العزيز الثعالبي (3) باعتباره حركة مفسرا امتداد لحركة هذا المصلح، و قد ذكر أبو القاسم سعد الله عاملين أساسيين وجها حياة هذا المصلح و وجهة جديدة و يتمثل أحدهما في " مارآه في مجتمعه من الفساد والعصبية وانتشار بعض البدع الضارة فحز كل هذا في نفسه و عزم على تغييره بجميع الوسائل" (4) ، و تصدي هذا المصلح للدعوة الى الاصلاح جلب له الأذى مما اضطر في الأخير الى عزل الناس و التفرغ للتأليف، بعد أن مارس التدريس و قد ترك مؤلفات قيمة و أشهرها (كتاب النيل) الذي أصبح عمدة المذهب الاباضي في المغرب العربي (5) .

فهذا نموذج للحركة الاصلاحية التي سبقت عهد الاحتلال، ولم تتصل ببعيد و لا قريب بالنهضة الاوروبية، فقد كان مصدرها المجتمع والبيئة المحيطة بها، التي كانت السبب الرئيسي في الثورة على الاوضاع المزرية ومحاولة تغييرها، وكانت تتمثل حركة دينية خالصة واستمدت فتاحيا العلوم الدين ، ونشرها في الاوساط الشعبية عن طريق تجنيد الطلبة و اعداد المؤلفات و الوعظ و الارشاد ، فنجد المؤلف في مقدمة كتابه النيل

---

1) د /سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي 2/ 09، 10، 11 ـ 41 .
2) نجلاء عز الدين العالم العربي ص 95 .
3) تاريخ الجزائر الثقافي 2/ 72 ، تاريخ الجزائر العام 3 ص 580، 581 .
4) د / سعد الله ن .م . 2/ 79 .
5) تاريخ الجزائر العام 3/ 580، 581 .

يصف حالة العلم في عهده قائلا : " و من أن العلم قد أدبرت أيامه و انطمست أعلامه ، و سدت مصادره و منعت موارده " ثم يصور ما كان يحاربه في قوله " مع ما أكابد و أتجرع من الزمان غصصا الى أن يقول مبينا الغرض من تأليفه للكتاب : "رجاء من الله سبحانه و تعالى أن ينفع به كل من قرأه أو حصله أو سعى فيه شيء منه كل وقت من بعد عصره " و علق الشارح محمد بن يوسف أطفيش على العبارة الأخيرة محتملا في تفسيرها وجهين أحدهما هو : " اشارة الى أن أهل العصر لا ينقادون له ، لأن أهل كل عصر لا ينقدون لعالمهم " . (1)

فهذه شهادة المؤلف على ما كان عليه العلم في زمانه ، وعلى ما كان يتحمل أهله من أذى في سبيل نشره ، كما توضح لنا الغرض من انهماك هذه الكوكبة الأولى على التأليف والتصنيف والتي تأمل أن تترك للخلف ما ينير طريقه . . لكن لم تلبث تتبلور هذه الحركة السلفية الاولى حتى استولى الاستعمار الغربي على العالم الاسلامي ، لا سيما الجزائر فحاول أن يخمد هذه الشعلة المضيئة ، ويطفئها في مهدها قبل أن تستفحل و تضيء طريق الأمة الضالة و تهديها الى سبيل الخلاص ، فاستغل كل الوسائل المتاحة لاخماد كل بصيص من نور يظهر هنا أو هناك ، و قضى على كل مركز أقيم لنشر المعرفة أو للمحافظة على مقومات هذه الأمة ، بل حول بعضها الى مراكز مساعدة على التضليل مستغلا نفس السلاح الذي كان من المفروض أن يوجه ضده ، و لم يكتف بذلك بل جند كل ما لديه من الوسائل و الخبرات لتضييره ، وتجريده من دينه و لغته ، فشجع على تكوين طبقة مضللة ، تشرف على قيادة هذه الأمة ، انطلاقا من أهم مراكزها الحضارية كالمساجد و الزوايا ، وكرد فعل لهذا التيار الهدام الذي وقف وراءه المستعمر بقصد تشويه الدين و اللغة و تقاليد هذه الامة ، واظهارهما في صورة منفرة ، برز تيار اصلاحي ديني اجتماعي الذي تمثل في الحركة السلفية الجديدة التي تزعمها في العالم الاسلامي جمال الدين الافغاني ، و حمل مشعلها — بعده — الشيخ محمد عبده ، وفي الجزائر ظهرت حركة موازية لها ، ومن روادها مفسرنا محمد بن يوسف أطفيش (2) و ان لم تبلغ درجة التأثير التي بلغتها الحركة بالمشرق فهي عبارة عن حركة تجديد لا تختلف كثيرا عن سابقتها اذ واصلت عملية بعث التراث الاسلامي ، و محاولة تجديده و القيام بتكوين نخبة تتولى فيها بعد نشر آرائها ومن مميزاتها ،

---

1) عبد العزيز الثميني كتاب النيل وشفاء العليل 1/من ص 19 — 34 شرحه محمد بن يوسف أطفيش

2) أنظر الجندي الفكر و الثقافة المعاصرة ص 28 .

محاولة مواجهة التيار المعاكس المتمثل في حركة المحافظين و المقلدين الذين ورثوا ثقافة عصر الإنحطاط بمحاسنها و مساويها، و غذّى أفكارها المستعمر و لم ينج هذا الأخير رغم شراسته ، ومراقبة تحركاتهم من الحملات التي وجهوها ضده .و سنشير الى بعضها عند تعرضنا الى مواقف مفسرنا .

و بموازاة هذه الحركة المتشبعة بالثقافة العربية الاسلامية واطلاعها على بعض مظاهر النهضة الاوروبية، برزت نخبة جديدة مزدوجة الثقافة ، تكوّنت من مدرسي الثانويات المزدوجة اللغة (فرنكو ميزلمان) و خريجيها ، و أخذ دور النخبة القديمة يتقلص شيئا فشيئا (1) في القرن التاسع عشر، وأن ظهرت الحركة السلفية في شكل جديد أكثر تنظيما و استعدادا للمقاومة في القرن العشرين بمثل الاتجاهين السائدين في القرن الماضي فما يهمنا في هذا البحث هو الطابع الفكري الذي يميز تلك المرحلة التي عاش فيها مفسرنا و هي مرحلة انتقالية بين العهد العثماني الذي أخذ نجمه في الأفول، و العهد الاستعماري الذي يحاول أن يبسط ثقافته في مستعمراته ، فنجد الطابع التقليدي يطغى على الثقافة العربية الاسلامية، يتجلى في أنواع العلوم التي كانت تدرس و طريقة التدريس المنتهجة، وهي طريقة تقليدية أو القائمة تعتمد الفهم و الحفظ ،وهذه المنهجية ساعدت على تعطيل القوى العقلية المبدعة ، و أضفت على هذه العلوم هالة من التقديس بالنظر الى السلف، بنظرة الكمال ، والى الخلف بنظرة النقص، و ان الأوائل لم يتركوا علما من العلوم و لا فنا من الفنون الا قتلوه بحثا و تصنيفا، و لا يمكن للخلف في أية حالة من الأحوال وهم دون المستوى أن يتجرأوا على الإجتهاد و الإبتكار،فهذه الفترة التاريخية امتداد لطور التقليد الذي عرفه عصر الإنحطاط و ان كان بعض العلماء المتنورين حاولوا بعث الثقافة العربية الاسلامية ، وهم يمثلون نواة الاولى لحركة الأحياء ، ومن أهم الأسباب الداعية الى ذلك ، محاولة المستعمر الصليبي الحقود طمسها ، بالاضافة الى الضعف الذي عرفته هذه الثقافة قبل الإحتلال ، مما أدى ذلك الى ظهور البدع و المنكرات . و ان حاول المستعمر ، كعادته ، حصر هذه الحركة بالقضاء على المراكز التي كانت مصدر الاشعاع و تحويل بعضها الى قوة مضادة ، لكن رغم ذلك بقيت بعض هذه المراكز محتفظة على كيانها و قوتها ، ولعبت دورها في تخريج رجال قادوا الحركة ، وارتقوا بها إلى مرحلة التجديد ، بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، ولعل معهد مفسرنا أحسن مثال لهذه

---

1) الحركة الوطنية الجزائرية 2 / ص 39 ، ومن 64 — 69 .

الحركة ، و سيتجلى لنا ذلك من خلال بحثنا لآثارها مفسرنا في فصل خاص.

و هذا التيار أخذ ينتقل بفضل احتكاكه بحضارة الغرب و صراعه معها الى مرحلة التجديد التي أشرنا اليها سابقا ، غير أنه اصطدم بعوائق، تمثلت في الإستعمار أولا ، و دوره معروف لدينا وجلي ، والجبهة المضادة الثانية في حزب الجمود و المحافظين ، أما التيار الثالث الذي جنّده المستعمر فكان يشكّل خطرا على هذه الحركة ، وقد اعتبره محمد البهي من الوسائل الرئيسية التي استعملها المستعمر لإضعاف المسلمين في اسلامهم ، وهذا التيار يمثل في نظره في " قيام بعض مفكري المسلمين بحركة تقدمية في الأسلام تبغي تقرير سلطة المستعمر و تثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الأسلامية " (1)

فهذه الحركة أخذت أشكالا و رموزا مختلفة ففي الجزائر مثلها الدّاعون الى الإندماج ، و تقديس الفكر الغربي (2) . و ان كان هذا التيار لم يشكل بعد كيانا خاصا في هذه المرحلة الا أن بوادره أخذت تظهر و تقوم بالدور المنوط بها ، بتشجيع من المستعمر ، الذي يمثل هذا التيار احدى نتائج سياسته الثقافية ، التي كان يرمي بكل وسائله الى تحقيقها . (3)

وهذه الجبهات الثلاث ، الاستعمار الصليبي و الجمود ، و التغريب ، واجهتها الحركة السلفية مستعملة كلّ امكانياتها قصد إثبات وجودها في الميدان ، وتحصين الأمة من الانحلال و التفسخ و التغريب ، ومن هذه الامكانيات.

1) دروس الوعظ و الأرشاد في المساجد و النوادي و كل مناسبة .
2) فتح الكتاتيب و المعاهد لأعداد الرجل المسلم القوي ، المعتز بشخصيته و المتمسك بدينه ، المواصلة حمل مشعل الاصلاح .
3) احياء التراث ، ومحاولة تبسيطه ، و تجديده .
4) اصدار مجلات معبرة عن آرائها ، وتنشرها في ارجاء العالم الأسلامي .
5) تشجيع مراسلة العلماء و استفتاءهم في الأمور المستجدة .
6) تبادل البعثات العلمية .
7) تقليد المناصب الحساسة لسدّ الأبواب أمام الاستعمار و عملائه .

و هذا الصراع ساعد علماء المسلمين على الوقوف في جبهة واحدة ، فاذا كانت الظروف الظروف لم تسمح لهم باللقاءات فانها لم تمنعهم من اقامة اتصالات عن طريق

---

1) الفكر الاسلامي الحديث ص 21 .
2) الفكر و الثقافة المعاصرة ص 148 ، 149 .
3) ن م . ص 133 ـ 184 .

المراسلات وزيارة بعض العلماء واللقاء في مواسم الحج والتنويه ببعضهم في مؤلفاتهم وحلقاتهم الدراسية.

وفي هذا الجو السياسي والاجتماعي والفكري، رأى مفسرنا نور الحياة، وترعرع فيه وناضل بما أوتي من موهبة ومعرفة وجرأة سنتعرف في الفصل التالي إلى العوامل التي ساهمت في تكوين شخصيته، وأهلتها لتحمل رسالتها في مجتمع عرف هجمات شرسة، وبلغ درجة قصوى من الإنحطاط.

الفصل الثاني :

حياتـه : في غضـون سنة 1236 هـ الموافق لسنة 1820 م رأى محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح أطفيش النور في هذه الحياة وما أن بلغ الرابعة من عمره حتى فارق أبوه الحياة و تركه يتيما ، بين أحضـان أمـه ، فتحملت هذه الأخيرة في سبيل قوت عينيها ، كل أنواع أتعاب الحياة و شمّرت عن ساعديها ، لتوفير الأمن الغذائي له و وقايته من قساوة الطبيعة و الحياة ، وهذا شأن الأمهات اللواتي تتحدن أزواجهن في ذلك العصر فتجدن في مناسجهن خير عون لمقاومة نوائب الدهر .

و قبل خروج الولد للوجود كان أمنية والديه ، وكانا يريان فيه البديل في تحقيق غايتهما المتمثلة في الرقي الى درجة العلماء العاملين (1) لكن المحيط الذي نشأ و ترعرع فيه الابن ملي بالعراقيل ، والعوائق ، مما يتطلب لمن يريد أن يتصدر هذه الأمة امتلاك استعدادات خاصة و مؤهلات واسعة تناسب مع تعقيد الأوضاع و الظروف الصعبة ، وعظمة المهمة ، ولعل السؤال المتبادر الى أذهاننا هو : ما هي العوامل التي ساهمت في تكوين شخصية المفسر لتستطيع بلوغ درجة النبوغ في هذا المحيط المعقد ؟ و فيما يلي سنحاول التعرف الى هذه العوامل ، و أثر كل واحد منها في رسم ملامح شخصيته التي تركت آثارا واضحة ، و ايجابية في الأمة .

عوامل نبوغه :

أ . عوامل وراثية .

ينحدر المفسر من سلالة مشهورة بالعلم ، والذكاء ، فقد كان جده محمد ابن عبد العزيز علامة عصره و مرجع الفتوى ، كما نبغ علماء كثيرون في عائلته فاجتمعت في الولد أسباب النبوغ الوراثية من الفرعين المشتهرين بالعلماء و المصلحين .

و يقول المفسر معتزا بنفسه و مفتخرا به :

محمد بن يوسف عيسى * نجل كرام سادة وكيسى

فجدنا هو الولي ابن الولي * ابن الولي ابن الولي المحتلى

اذا أرادوا فصل ما لم يرد * عدوهم قالوا له ابرق و أرعد

---

1) نهضة الجزائر الحديثة / من ص 291 — 296 محمد بن يوسف أطفيش الذهب الخالص ، ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص : أ .

2) الذهب الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص / ب .

قد صيّر الله الخدود منهم * نعالنا حين أبيعاعنهم ...الخ (1)

فاذا كان للعامل الوراثي تأثير كبير في شخصية الانسان باتفاق معظم علماء النفس، و يترك هذا العامل بصمات واضحة في النواحي المختلفة : الجسمية، و العقلية، و الوجدانية، فاننا نجد لهذا العامل اثرا بارزا في شخصية مفسرنا، فقد كان له ذكاء ثاقب، وذاكرة ممتازة ساعداه على حفظ القرآن . هو ابن الثامنة من عمره، و نظم كتاب المغني لابن هشام في خمسة آلاف بيت و عمره لا يتجاوز السادسة عشر، و لما بلغ العشرين من عمره ارتقى الى أكبر عالم في وادي ميزاب.

كما أن لبنيته القوية التي وهبها الله له دورا في تحمل متاعب الدراسة، و التدريس فقد كان يتمتع بصحة جيدة، و بصر حاد حافظ عليه الى أواخر أيام حياته، و هذا الكمال الجسمي و العقلي ساهم في تكوين شخصيته القوية الواثقة من نفسها، و الخالية من مركبات النقص التي تقف — في الغالب — عائقا أمام المرء الطموح الى شق طريقه نحو العلى.

و قد يكون للعامل الوراثي — أيضا — نصيب في مزاجه الشخصي، اذ عرف بدماثة أخلاقه و الاعتزاز بنفسه، و سنرى أثر ذلك واضحا في مواقفه الجريئة غير أن هذا العامل ينمو و يتهذب اذا تعهده عامل آخر، هو أكثر تأثيرا في شخصية الانسان و هو عامل التربية بنوعيها المقصودة و غير المقصودة.

ب. عامل التربية :

وسط المفسر العائلي و الاجتماعي عاملان لا يستهان بهما في تربية شخصيته فقد غمره والداه بالحنان و العطف، رغم وفاة والده المبكرة، غير أنه تلقى رعاية كبيرة من والدته باعتباره أمل حياتها، و ثمرة علاقتها الزوجية، و مما زاد من حبها له ما ظهر له في ابنها من علامات النبوغ المبكرة.

كما أن لمواقف والده الاصلاحية أثرا في اتجاهه، اذ كان في نظر محمد علي دبوز : " من أنصار النهضة الحديثة الكبار، و حماتها الشجعان، نازل أتباع الفساد و أنصار الجهل و البدع من بني يسقن حتى ضاقوا به ذرعا و أرهقوه بالأذاة

---

1) الذهب الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص /ب.

و تآمروا على قتله ،فهاجر الى غرداية فأقام فيها مدة " (1)

فلا شك أن لهذه المواقف أثرا في شخصية المفسر رغم صغر سنه ، و يزداد هذا الأثر كلما ذكّر بها ، و عند بلوغ درجة الوعي و النضج يقارنها بمحيطه الذي لا زال يشكو الآفات الاجتماعية المختلفة التي عرفناها في الفصل الأول من هذا الباب ، فيأخذ — حينئذ — ازاءها موقفا واضحا ، و يسعى إلى تغييره ، مواصلة لمسيرة والده في القضاء على التخلف و الإنحراف الديني ، ثم أن الانسان كائن اجتماعي يتفاعل مع محيطه ، فاذا كان هذا التفاعل هو محاولة تغيير هذا المحيط و الوقوف في التيار المضاد له ،فلا بد من التعرض الى الصعوبات ، والمجابهة ، و قد يصمد أمامها المرء فيخرج منتصرا و مكتسبا تجارب تزيد لشخصيته قوة و ثباتا و هذا ما وقع بالفعل لمفسرنا ، وهذا هو المحك الذي مرّ عليه الرجال العظام في المراحل التاريخية ، و قد يصاب المرء اذا لم يقو على الصراع بالصدمة العنيفة فينهار .

و هناك عامل تربوي آخر ساهم في بلورة شخصية المفسر، وتعديد ملامحها و هو تعليمه و ثقافته ،فقد أدخل الكتاب في سن الخامسة لحفظ القرآن الكريم و تعلم القراءة و الكتابة ، ولم يبلغ الثامنة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم و استظهره ،وهذا النبوغ المبكر دفعه الى الاستزادة من العلوم العربية الشرعية ، و لفت أنظار أساتذته فأحاطوه بالرعاية و العناية ، وهؤلاء الأساتذة هم تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني صاحب كتاب التيل ، الأمر الذي ثقف التلميذ المفرط بنفسه نتيجة العوامل بسيكولوجية ، جعلته سريع الاستيعاب فلجأ الى الاعتماد على نفسه في الاستزادة من طلب العلم ،فاكب على المطالعة ،لأن أساتذته لم يشفوا غليله لأوقاتهم الضيقة و لقلة بضاعتهم العلمية .

و لما رجع أخوه ابراهيم بن يوسف أطفيش من عمان و مصر حيث أتم دراسته العالية، انقطع للتدريس ، ووهب نفسه لنشر العلم في وطنه ،فوجد فيه المفسر ضالته المنشودة ، فتلقى على يده مختلف العلوم المعروفة في ذلك العصر كالتفسير و الحديث و الفقه و أصول التشريع ، و علم الكلام و قواعد اللغة و البلاغة ، و العروض و المنطق و الحساب و الفلك ،كما درس عليه سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الراشدين ، ولعل هذه الدراسة تعتبر احدى قنوات اتصال

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 292 ، 301 ، 302، 303 .

بثقافة الشرق العربي، وإحدى النوافذ التي أطلّ منها على هذه الثّقافة وربما على أوضاع المسلمين هناك، باعتبار أنّ الاستاذ في الغالب يتحرّض في دروسه إلى تجارية في الدّراسة وإلى أقوال بعض أساتذته الّذين تأدّب بهم و درس عليهم.

وكانت لهذه الدراسة الشرعية اللغوية أثرها البيّن في شخصية المؤلف الثقافية واتجاهه ونظرته إلى محيطه، غير أنّ عبقرية هذا المفسّر لم تجد في هذا المصدر ما يروي عطشها من المعرفة، ولم يسعدها الحظ للانتقال إلى حواضر العلم الإسلامي، فاستنجد بمصدر آخر الذي هو الكتاب، هذا الصّديق الذي لم يفارقه طيلة حياته، وكانت الصّداقة بينهما حميمة، تجاوزت كلّ التّصورات فشغف بمطالعة كل كتاب يقع بين يديه وبل لم يكتف بذلك فأخذ يستنسخ الكتب والمخطوطات الّتي تزخر بها مكتبات المدائن وعمان وكلّ مكتبة يمد إليها سبيلا.(1)

وقد نلاحظ بوضوح في مؤلّفاته الثقافة العصامية الواسعة، وأثرها في طريقة التّأليف ومنهجية البحث، وحتّى في نظرته إلى بعض القضايا حتّى ليخال للمرء أنّ الكتب كانت المصدر الأساسي والوحيد لدراسته.

وفعلا كانت الكتب أهمّ مصدر ثقافي له، فقد وجد — مثلا — في مكتبة أخيه وأستاذه الشيخ الحاج ابراهيم بحيته وكوّن بها نفسه، هذه المكتبة الّتي تضمّ كتبا نفيسة جلبها من الشرق العربي بعد عودته منه. (2) كما استفاد من مكتبة أستاذه الشّيخ الحاج محمد آزيار المجاور للمفسّر، وأحد تلاميذه الشيخ عبد العزيز(1130هـ1232هـ)

هذه المكتبة الزّاخرة بنفائس الكتب التي أهديت إليه من عمان(3) وغيرها من المكتبات التي تحتوي على مؤلّفات قديمة ومعاصرة من تأليف أساتذته أو مشائخهم وقد ترك صاحب النّيل مؤلّفات قيّمة كانت مرجعه. (4)

وممّا تقدّم يتّضح لنا أنّ المفسّر من بين العلماء الّذين بلغوا هذه المرتبة العلمية المرموقة بفضل التّثقيف، وقد ساعده على ذلك عاملان أساسيان :

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/من ص 298 — 306/ التّفسير ومناهجه عند علماء الإباضية. محاضرة ص 15 / الشيخ بلحاج، محاضرة ص 4 / عبد الرحمن باكلي، محاضرة ص 02، معجم أعلام الجزائر ص 19، 20 / لنفس المؤلف، معجم المفسرين 2/ 658.
2) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 285.
3) ن.م. / ص 284.
4) ن.م. / 272 — 277.

عامل ذاتي يتمثل في قواه العقلية وكمال بنيته الجسدية ، وعامل خارجي ، وهو توفر المكتبات التي كانت من نتائج الحركة العلمية التي شهدت لنهضته وكان أبو زكرياء يحي بن صالح الأفضلي ( 1120هـ ، 1223هـ ) رائدها . (1)

وكما أن هذه الحركة هيأت له الجو الملائم ، والمساعد على طلب العلم على الرغم من انتشار مظاهر الجهل و التخلف في وسطه مما أصبح مغرما بالمطالعة و شغوفا بها إلى درجة أن أضحت همه الوحيد ، واستولت على معظم أوقاته .

و من العوامل التربوية التي تتأثر في الانسان ، ولكن الدراسات لا تولي لها أهمية عند تعرضها لحياة كاتب أو مؤلف ، رغم اعترافنا بأثره في توجيه شخص ما الى وجهة معينة أو على الأقل ترك بعض الأثر في سلوكاته و من هنا يذكر أساتذته و اعجابه بهم ، باعتبارهم ممن يتولون تربيته ، و توجيهه ؟ فمهما حاولت البرامج الدراسية ، والمناهج المقررة توجيه التربية الى أهداف محدودة و مرسومة ، فان الأستاذ أو المربي بصفة عامة من جملة العوامل المؤثرة في تربية الانسان ، فنجده يتخذ أساتذته قدوة و مثالا ، لا سيما اذا تحلوا بشخصية قوية ومؤثرة و لها وزنها في المجتمع ، ومعظم أساتذة مفسرنا ان لم نقل كلهم يمتازون بهذه الصفات ، ولذلك لا نستبعد تأثيرهم في تلميذهم سواء في تصرفاته أو في مواقفه و آرائه ، و لعل هذا العامل هو الذي جعل مفسرنا يواجه الهجمات و الصعوبات في سبيل اصلاح المجتمع ايمانا منه بأنه يواصل مسيرة أساتذته و متأسيا بهم ، و لعله — أيضا — من العوامل التي ساهمت في اكتساب شخصيته القوة و الجرأة ، و الورع ، و بعض الصفات التي خولته لأن يتصدر قيادة الأمة .

كما أننا نجد أثر تربية أساتذته في تفتح مفسرنا على العالم الاسلامي ، و تخطيه حدود الوطن الضيق ، والرؤية المحدودة الى الدعوة الى توحيد صفوف المسلمين و الوقوف مع الحركات الاصلاحية و المقاومات المسلحة ضد المستعمرين .

وكان لسفره و تنقلاته بغرض تأدية فريضة الحج أو لالقاء دروس الوعظ والارشاد أثر بليغ في تكوينه ، والتعريف بشخصيته ، فقد اتصل بعلماء العالم الاسلامي و تناظر مع بعضهم و تعرف بهم (2) كما ألقى دروسا في الحرم الشريف ،

---

1) ن.م. أنظر ترجمته في ص 254 .
2) صدقي محاضرة ص 14 تاريخ الجزائر العام 4/451 .

و جلب بعض الكتب منها ، كتب الحديث التي ساعدته على تأليف كتابه ( وفاء الضمانة) و ( جامع الشمل ) في الحديث باعتراف منه . (1)

و قد لبى دعوة أحد علماء عصره الشيخ محمد بن أبي القاسم ( 1239 هـ، 1315 هـ) فزار معهده اتصل و ألقى درسا في مسجد زاويته .(2) و كانت له رحلات الى بريان و القرارة و وجلان منتظما لارشاد الأمة ،(3) فهذه الرحلات زادته معرفة بالطبقات الاجتماعية ، وساعدته على الاتصال بمختلف فئات المنطقة.

و لعل العامل الذي أكسبه القوة ، وأهله للقيادة هو تصديه للجمود و الاستعمار بروح طبعها الايمان و الثقة بالنفس فهذا العامل هو الامتحان الذي يجتازه كل شخص يريد أن يقتحم الحقبات للوصول الى مركز القيادة و شهادة أثبتت أهليته مفسرا و زكته .

هذه هي عوامل نبوغه ، التي صهرت شخصيته و أعطت لها ملامحها المميزة و في الفصول التالية تتضح لنا هذه الشخصية من خلال مواقفها و جهادها ضد التخلف و الاستعمار .

---

1) محمد بن يوسف أطفيش التيسير / 799، 800 .
2) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 71 أنظر ترجمته الشيخ محمد بن أبي القاسم في نفس المرجع من ص 56 — 81 .
3) ن .م . من ص 340 — 349 .

موقفه من التيار المحافظ:

أول جبهة تدخل فيها المفسر و واجه فيها خصما عنيدا ، لقي منه الأذاة و استنفذ جهوده ووقته ، هي جبهة التخلف و الجمود ، المتمثلة في طبقة المحافظين التي نصبت نفسها محامية الدين و المدافعة عن التقاليد الموروثة غير القابلة للتغيير و التبديل ، و كل من حاول أن يتصدى لتحديلها أو ابطال ما يتنافى منها مع الشريعة الاسلامية السمحاء ، يقف هذا التيار ضده و يحاربه بكل ما لديه من الوسائل .

و قد وصف مفسرنا هذا التيار بالغلو و العناد و تقديس القديم و إن تعارض مع الكتاب و السنة فقد كانت معه معارك طاحنة ، وجولات تجسمها مواقفه التي تصور لنا بصدق معتقدات هؤلاء و تصرفاتهم ، و مواقفه الشجاعة و الجريئة ضدهم ، فمثلا في كتابه ( القنوان الدانية ) يقول عن هؤلاء الذين أصروا على الاسرار بسجدة التلاوة : "أما أدى بهم الغلو في اعتقاد الأسرار والتمسك به الى أن قالوا : نعمل اما بالقرآن و السنة ، وإما بما في الديوان قالوا أو اعتقدوا أن الديوان في هذه المسألة مضاد للقرآن و السنة ، و أنما يجب العمل أما بالديوان و اما بالقرآن والسنة ." (1)

و يمضي في نفس الكتاب يتحدث عن تصورهم لدور العالم في المجتمع فهم يريدون منه : " أن يحبد ربه بكتمان علمه ما لم يحتج اليه الناس هذا لفظهم ، يتوهمون أنه لا يلزم العالم أن يأمرهم و ينهاهم حتى يطلبوه ، فاذا هم لم يطلبوه لا يلزمه الأمر و النهي ." (2)

و لصد كل دعوة للتغيير و التصحيح يستعمل هؤلاء كل الوسائل بما في ذلك إثارة الفتن ، ثم يحزون ذلك الى الحركة الاصلاحية و يقول المؤلف في ذلك مبينا سلطتهم على المجتمع : " تذكرتأنهم يقولون لو جهرنا بها لقامت الفتنة و ليس كذلك لأن القائلين ذلك هم أفراد متقدمون على العامة و مثيرون للفتن موقدون لها لكراهتهم الجهر بها ( أي سجدة التلاوة ) فلو تركوا إثارة الفتنة لم تكن الفتنة ، لأن العامة و سائر الطلبة مقلدون . . " (3).

---

1) محمد بن يوسف أطفيش ، القنوان الدانية ص 48 .
2) ن م . ص 66 .
3) ن م . ص 25 ، 36 .

ولا يتورع هؤلاء عن تهديد معارضيهم باللجوء الى المستعمر لعقابه وزجره بالسجن و دفع غرامة ماليّة و يفهم ذلك من قوله : " أدّاهم الغلو الى أن قالوا من جهر بآية من آيات السّجود مكناه للنصارى يحبسونه ، وأخذنا منه دراهم معدودة عقوبة له " . (1)

تتضح لنا من النصوص السابقة طبيعة من سمّاهم المؤلف بأهل البدعة : فهم شديد التمسك بكلّ قديم و لو خالف القرآن و السنّة ، و يرون آراء من سبقوهم بنظرة التقديس ، فلا يحاولون فهمها فهما صحيحا ، ولا يتجرّأون على نقدها لتبيان الخطأ من الصواب ، وهذا الاعتقاد لازال محشمشا في عقول بعض علماء المسلمين فضلا عن عامتهم ، فكل ما جاء به أمام من أئمة مذهب ما غير قابل للمناقشة و النقد و إعادة النظر ، فهم يرفضون كل فكر تحرريّ ، يدعو الى عرض أفكار السلف الاجتهادية على الكتاب و السنّة و مصادر التشريع المختلفة ، لنبذ كل ما يتعارض مع مبادئ الاسلام ، وتحقيق وحدة المسلمين على أساس الأصول الثابتة و الصحيحة .

و هذه الطائفة تتّهم التيار الاصلاحي بإثارة الفتن وتفريق كلمة المسلمين و تشتيت صفوفهم مع أن الحقيقة و الواقع — هم الذين يحركون العامة الجهلة ، لاثارة الفتن ، قصد مواجهة التيار الاصلاحي ، ومجابهته وقد يلجأون الى استعمال وسائل خسيسة لقمع هذا التيار كاستعانتهم بأعداء الاسلام و المسلمين ، ايمانا منهم بالمثل القائل " أنّ الغاية تبرر الوسيلة " .

إزاء تصرفات هؤلاء نجد المفسّر في مدائحه و رسائله يشتكي من وطأتهم ، و معاناته فنراه في هذا المديح مثلا يقول : —

والمرء في الدنيا يعيش عذابه * لحياته في الجاهلين و حسّد

و يفضل العيش في البرية مع الذئاب العاوية على معاشرة هؤلاء و يقول في ذلك : —

ولأن يعيش المرء في بريّة * سرحانها يعوي من الحصر الصدي

أولى له من أن يعيش معاشرًا * لكلاب أبناء الزمان الأوغد

لكن المفسّر تهون أمامه كل المصائب ما لم تكن في الدّين .

هانت مصائب من أصيب سوى التي * في الدين أو موت النبي محمد (2) .

---

1) ن . م . ص 74 .

2) محمد بن يوسف أطفيش كتاب مجمع القصائد ص 27 .

وفي رسالة الى علماء عمان خاصة يقرأ شكاويه من قومه كالجواب الذي وجهه الى الشيخ عبد الله بن حميد السالمي ردا على طلبه في استنساخ بعض الكتب فيقول فيها : " الا أن النسخ هنا بأجرة غالية . . والناس لا يعينوني في ذلك في مثله في ايقاف الكتب" ويقول في نفس الجواب مبررا سبب تسيانه الاجابة عن بعض الفتاوى :" لكثرة الاشغال والاعداء"(1) وفي رسالة أخرى يشتكي من عدم مساعدة قومه له قائلا :" لأني في قوم لا يقومون بي " (2) .

فهذه الرسائل وأمثالها تحمل الينا صورا صادقة عن معاناة المفسّر في مجتمع يسود فيه الجهل والتخلف ، والتعصب للقديم ، ومحاربة كل تجديد ، ولا يعير أي اهتمام للعلم والعلماء وقد أدى بهم الأمر الى نفية من مدينته فأقام في مدينة بنورة ، كما تعرض لمؤامرة قتل دبرها له هؤلاء الجهلة .(3)

ولكن المفسّر — رغم ذلك — لم يستسلم ، ولم يلن في مواقفه الشجاعة التي تعبر عنها مؤلفاته ، وتصور لنا صراعه مع أهل البدعة على حد تعبيره ، مجتدا الشباب بتوعيتهم ودعوتهم الى نشر أفكاره الاصلاحية ، فنجد — مثلا — لمواقفه المتصلبة التي لا تعرف هوادة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في اجابته ردا على قولهم :" لو طاوعناك في الجهر (سجدة التلاوة) لطلبتنا بأشياء أخر وتعبتنا عن أشياء أخر " فيرد عليهم المفسّر قائلا :" ان المطاوعة منكم في الحق لا تسقط عني الأمر والنهي لكم والواجب علي أن آمركم بالخير وأنهاكم عن الشر قصد الخير لكم ولي وأمر نفسي وأنها ما قبلكم ولست أعاملكم بترفع ولا بتحقير بل أداء للواجب عليكم أن تفرحوا بي وتقبلوا مني " وقد رد عليهم حين لاموه على ارضال الشباب للجهر بأي سجدة التلاوة مع السماح له بالجهر بها : أفلم لا يقبلون الحق من الشبان وان كان باطلا فلم يقبلونه مني " .

ما يفهم من هذه الردود أن المفسّر أولا كان يترفع عن هذه الطبقة الشاذة في نظره رغم انكاره لذلك على الأقل هذا ما كان يعتقده الطرف الآخر، وثانيا كان يحث الشباب على مجابهة هؤلاء ، وفرض أفكاره في الواقع ، ولا يخفي المفسّر كرهه لهؤلاء ، فيصرح لهم بذلك مبينا السبب :" انما بغضتكم لوجه الله عز وجل

---

1) محمد بن يوسف أطفيش (كشف الكرب) 1/06 .
2) ن.م. 1/11 .
3) محضر الجزائر الحديثة 1/332 — 337 .

لتعديكم حدود الله بترك فروض و اثبات بدع."

و في الأخير يعلن القطيعة و يرى أن الاختلاف واضح بين الجماعة المؤيدة له و بين الطبقة الجاهلة التي تدار العامة لتحقيق مآرب خسيسة بالاستيلاء على مناصب المسجد الذي كان و لا يزال يملك السلطة و النفوذ على المواطنين في وسط المفسر، والتصرف في أمواله و يقول في ذلك :" و كيف اجتمع أنا و أصحابي اجتماعا صحيحا مع العامة و الغوغاء و الجهلاء. و هم غصبوا المسجد و ماله على أهله."(1)

و يستوحي المفسر مواقفه هذه من ايمانه بدور العالم في المجتمع و مسؤوليته في اصلاحه، و يقول ردا على أولئك الذين يرون أن مسؤولية العالم تقتصر على الاجابة على طلبات الناس فقط". و ليس كذلك فانهم اذا أخطأوا ألحق فقد احتاجوا الى العالم و لو لم يطلبوه، ولولم يعلموا أنهم أخطأوا و لزمه الأمر و النهي، ولو لم يعلموا بخطئهم و لو لم يطلبوه."(2)

و المفسر يرى أن مسؤولية الفرد المسلم في المجتمع تتطلب منه الاندماج فيه، و السعي الى اصلاحه، وان تعرض الى الأذى و نفهم ذلك من قوله مجيبا من سأله عن تفضيل المخالطة أو العزلة :" و مما سألتما عنه الاشتغال بأمر المسلمين علما أنه أولى من الانفراد لكن مع تحمل الأذى من الناس و معالجته." كما يرى أن الاخلاص في العمل مساعد على تحمل الصعاب وعلى اجتياز العقبات و يمضي قائلا :" و اذا قوي اخلاصكما سهل عليكما الأذى فتجدان راحة في قلوبكما تصلان معها الى التعلم و التعليم." و لا يعذر من يتخوف من الوقوع في المعاصي في مجتمع انتشرت فيه و يرى أن عليه :" مخالطة الناس و نفعهم أولى من الاعتزال، و ان خفت في ذلك معصية فجاهد نفسك بالمعصية." غير أنه يرى أن من عجز عن اتقاء المعاصي، لضعف شخصيته و عدم استطاعته الصمود فعليه بالاعتزال، و يتضح رأيه هذا من قوله :" فان لم تكن طاقة على مخالطتهم الا بالمعصية فهذا عجز فاعتزل"(3).

و ايمانه بوجوب اصلاح المجتمع، جعله يسلك طريقتين في اصلاحه فتارة يرشد بنفعهم و ترك

---

1) القنوان الدانية ص 70، 71.
2) ن.م. ص 66 ( بخطئهم ).
3) كشف الكروب 1/ 106، 107.

و يوجه و اذا اقتضى الأمر عودت الضرورة الى مجابهة العناصر الفاسدة لا يحجم عن عن ذلك بل نجده ينتقد بشدة بعض فتاوي العلماء" و يبين ضعفها ، و ينكر عليهم سكوتهم عن كثير من البدع التي تقع أمامهم ، ومجاراتهم للعامة ." (1)

و لغرض القضاء على هذه البدع ، و ايجاد حلول شرعية للمستجدات يدعو المفسر الى الاستفادة من أحد أهم مصادر التشريع الذي هو الاجتهاد ، يرد على من يدعي غلق باب هذا المصدر قائلا :" فان باب الاجتهاد و الترجيح مستمران بشرطهما و هو صحة عقله و استكماله الآت ذلك ."(2) باعتبار أن الاجتهاد وسيلة من أهم وسائل القضاء على الجمود و التخلف الذي عرفه العالم الاسلامي نتيجة التقليد الأعمى ، كما جابه هذه الوضعية المزرية بحملات التوعية في دروسه (3) و مؤلفاته بقصد محو صور الفساد من المجتمع ، والعودة به الى منابعه الأصلية و الى عهوده الاولى التي عرف فيها الازدهار و الرقي في ضوء التعاليم الاسلامية .

غير أن المفسر اعترضته عقبة في سبيل اصلاح المجتمع و لولا ما لحقق خطوات عملاقة و هذه العقبة تمثلت في الاستعمار الذي كان يقف وراء كل بدعة ، وخرافة ، مشجعا التيار المحافظ على الاستمرار في قيادته ، ونشر أفكاره الرجعية لكن المستعمر لم يسلم أيضا من هجمات المفسر و تحدياته وهذا الموقف تجاهه نابع من عمق ايمانه وقوة عقيدته كيف ذلك ؟ وهذا ما سنراه في الفقرة التالية .

موقفه من الاستعمار و عملائه :

تفاعل المفسر مع الأحداث التي جرت في عصره ، تفاعل المسلم الواعي ، والمؤمن بالمصير المشترك بين المسلمين و تتبع بكل جوارحه المعارك الطاحنة ضد الحملات الاستعمارية على بلدان العالم الاسلامي وكان " كثير الدعاء بالنصر للأمة الاسلامية على من يناوئها ، شديد الرغبة من وجود الجماعة الاسلامية و يرى من الواجب أن يكون الاسلام في عز و أهله في منعة و يرى أن كل ما يلم بشعب اسلامي

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/336 .
2) آن لم تعرف الأباضية سيا عقبي ص 128 .
3) نهضة الجزائر الحديثة 1/346 .

كائنا من كان من الارهاق ، فهو نكبة أصابت الأمة لما في ذلك الشعب من التوحيد و الإنتساب الى الدين الاسلامي الجامعة العامة . " (1)

فهذه شهادة أحد تلاميذه بن اسناذه لموقفه الواضح و الحدائي للمشركين و تعاطفه مع المسلمين في أي بقعة من العالم ،فهذا الموقف ناتج عن وعيه المبكر لأغراض المستعمر الدنيئة و عن كرهه الشديد لأعداء الاسلام و اذ يصور هذه الأغراض في قوله ردا على من يزعم و يعتقد أنه جاء لنشر المدنية :" و من كذلك قولك أنهم جاؤوا للتمدن و التأديب بل جاؤوا لأخذ الأموال و التملك و لزمك على ذلك أن علماء المسلمين و عامتهم منا و منكم عارون عن الأدب يشبهون السودان العراة حتى جاء المشركون يؤدبونهم و يعلمونهم و ذلك خطأ ."(2)

تجد مفسّرنا لا يثق في المشركين ، و لا يحسن الظن فيهم وقد تفطن لمكائدهم و غشهم للمسلمين ، وسعيهم وراء مصالحهم ،فقد هجا من ظن فيهم الخير بقوله :" هذا رجل مخذول ظن الخير في المشركين ، وأمر الناس أن يظنوا فيهم و عنف من لا يظنه فيهم " الى أن يقول :" و أما مشاهدة السوء في صنائعهم هكذا اجمالا بقطع النظر من أنهم قصدوا بذلك السوء الغش أم قصدوا مصالحهم فقط ،فلا يحصى عددهم الا الله ." (1)

و من هذه النظرة الواعية الى المستعمر ، واليقظة المبكرة ومن ايمانه العميق بعداوة المشركين ، يواجه مفسّرنا هذا العدو اللدود بمختلف الأشكال و الأساليب المواتية له ،فنلاحظ في " تأليفه كثير التفرغ و الاستطراد للحط من قيمة المشركين و الكفار و الدعوة لهم بالخيبة و الخذلان و سوء المصير و يقوم بذلك أدناء التدريس " (4) .

كما يهاجمهم عن طريق المراسلة ، كلما سنحت له الفرصة بذلك مستغلا الحوادث كحادثة قتل أحد وزراء الحكومة الفرنسية ، فوجه الى أحد حكامها رسالة شديدة اللهجة و مما قال فيها :" لقد تمادى بكم قتل المسلمين و تجرأتم عليهم فكان الله يراقبكم و أصبح وزراؤكم يقتلون في الطرقات كالكلاب."

---

1) الذهب الخالص ،ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص/ ج .
2) ان لم تعرف الأباضية يا عقبي ص 111،112 .
3) ن م . ص 99 .
4) حنني بكير ، محاضرة ص 03 .

و قد حاول المستعمر استدراجه و ترضيته بتلبية كل طلباته اذا رضي به ، لكن عقيدة المفسّر كانت أقوى و أشد صلابة ، فتظهر في ردّه على هذه المحاولات بقوله : " لا أطلب سوى رحيلكم من هنا " (1)

و لما تبين للمفسّر أن أوضاع المسلمين لا تسمح بأعلان الجهاد و أن الصف لا يجدي هؤلاء و هم في مركز القوة حاول أن يستعمل أساليب أخرى علّها توتي ثمارها ، لكن دون جدوى و من هذه الأساليب قوله ناصحا المستعمر : " اذا عدلتم فسيدوم ملككم و اذا أخذتم سبيل الظلم فسيؤول ملككم الى الزوال كما زال غيره " اجابة عن سؤال وجهه اليه حاكم استعماري لمعرفة رأيه في الاستعمار .(2)

و قد تناول عن مطالبه الشخصية مقابل مطالب تعود بالفائدة على المواطنين، و ذلك حين نجح في حل لغز عرضته عليه السلطة الاستعمارية بعد عجز الجميع عن حلّه و تمثلت هذه المطالب فيما يلي :

" الرفق بأهل التوحيد بأن يسقط خراجهم أو ينقص منه و أن يلزمهم الحكم بالعدل و لا يعددوهم على الجور و أن لا يفسدوا أنكحتهم " . (3)

و في رسالته الموجهة الى السلطان عبد الحميد يظهر اهتمامه بقضايا العالم الاسلامي و تخوفه من استيلاء الاستعمار عليه ، لا سيما على البقاع المقدسة ، فيدعوه فيها الى " ابطال طريق الجرارات و مركب النار ، وترك تمهيده و يقول متوسلا : "الله الله في ذلك فان تمهيد الطريق لمركب الجرارات و مركب النار تسهيل لدخول الملك الملحد اقليم المدينة بل حريم المدينة و مسجده ، الله ، الله في ذلك ، و لا سيما أن ذلك انما يتصور بأيدي المنكوبين الملحدين لأنهم أعرف بسياسة الطرق ،" ثم يمضي مبينا خطر هذا العمل و قبحه في حق الاسلام قائلا : " فاذا أدخلت الملحدين تلك البقاع أو بعضها فأي حظ لك يبقى في الاسلام و أي شريقي لم تفعله في الاسلام ،" ثم يبين أن المشروع لو يعرض عليهم لأنجزوه بأموالهم و لما تأخروا عن التعجيل في تنفيذه مهددا أياه بانتقام الله منه أن أقدم على هذا الفعل.(4)

---

1) ان .م . ص 07 ، نقلا عن الجزائر الحديثة 1/330، 331 .
2) عثمان بكير ، محاضرات ص 07 .
3) محمد بن يوسف أطفيش ، رسالة الشافية ص 132 — 134 .
4) محمد بن يوسف أطفيش ، رسالة مخطوطة في مكتبة بني يسقن بخط المؤلف توجد عندي نسخة منها .

و المفسّر لا يواجه الاستعمار فحسب بل يصوب سهامه — أيضا — نحو أذنابه، الذين افتروا بمكائده و حاولوا تزيينه للناس وفي رده مزاعم هؤلاء العملاء ينتهز الفرصة لازالة القناع عن وجه الاستعمار وابراز نواياه السيئة فيقول مثلا في مستهل رسالته التي ردّ فيها على العقبي : " أما بعد فهذه نصيحة لسن مال قلبه و لسانه و جوارحه الى قوم (وهم الأجانب حكام الجوائر) و صار يمدحهم و يحببهم الى الناس و يصدّ الناس عن اجتناب نجاسهم و يدعوهم الى الحكم بطهارتهم على الاطلاق" (1)

فمهما كان تحامل المفسّر على خصمه ، فاننا نلاحظ كرهه الشديد للمشركين، و دعوة الناس الى اجتنابهم و مقاطعتهم ، والابتعاد عن تقليد الوظائف في حكمهم الا عند ما تقتضي الضرورة ذلك ،كاباحته لتلاميذه تقليد مناصب القضاء خوفا من تعيين من ليس أهلا لها فيها .(2)

و في رسالته ( حكم الدّخان و السعوط) كشف المفسّر عن مساعي المستعمر الخبيثة في سبيل اضعاف المسلمين ، والقضاء عليهم ، بتبيان غرض الانجليز من نشر هذه الآفة في البلاد الاسلامية اذ يقول : " و ذكر بعض من خالط الانكليز أنهم ما جلبوه لبلاد الاسلام الا بعد اجماع أطبائهم على مضرهم من ملازمته .. فمنعوهم من مداومته و أمروهم ببيعه للمسلمين لأضرارهم وأن قلت الانكليز لازموا استعماله ولم يذكروا فيه علة ، ولا ضررا قلت يحتمل كتمهم ذلك توصلا لتعزيز أهل التوحيد بسلب أموالهم و تضييع صلواتهم و اتلاف أبدانهم و أرواحهم" .(3)

و لم تخف على المفسّر مكائدهم في اثارة الفتن و تفريق صفوف المسلمين حيث يذكر في رسالته (ان لم تعرف الاباضية يا عقبي ) حادثة وقعت في ورجلان دبرها مشرك لاشعال فتيلة الفتنة بين المسلمين . (4)

كما تصدى للرد على الحملات التبشيرية التي جندتها الحركة الصليبية للتشكيك في الاسلام و مصادره ، فقد ردّ في رسالة سمّاها ( قذى العين على أهل الغبن )

---

1) رسالة ،ان لم تعرف الاباضية يا عقبي ص 08 .
2) ن .م. ص 113 ،نهضة الجزائر الحديثة 1/ 378 .
3) محمد بن يوسف أطفيش،رسالة في حكم الدخان و السعوط ،ص 44 ،45 .
4) ( ان لم تعرف الاباضية يا عقبي ) ص 130 .

على الأنجليزي المنكر للقرآن و الطاعن فيه ، مبينا في مستهلها بغضه و حقده للمسلمين ، ودوره التخريبي في تشكيك سكان تونس في ذلك : " فكان ذلك الأنجليزي يشكك الناس في تونس ولا أعلم أنه يؤثر فيهم تشكيكه ." (1)

و مفسرنا لم ينج من وسائل الترهيب و الترغيب التي يسلطها — عادة — المستعمر على خصمه ، فقد ذكرت الروايات بأن السلطات الأستعمارية اعتقلته حين عارض بشدة دخول الفرنسيين لوادي ميزاب و تحداهم بقولته المشهورة التي سبق ذكرها . (2) كما أهدوا له وساما تقديرا لمكانته العلمية ، ولكن المفسّر لم يعبأ به ، ولم يقم له وزنا مثلما هو الشأن للوسامين اللذين أهداهما له سلطان عمان و الدولة العثمانية . (3) وقد حذرته السلطة الأستعمارية حين بعث رسالة استنكار شديدة اللهجة الى الوالي العام بالجزائر لما عزم هذا الأخير على هدم الجامع الكبير بالعاصمة (4).

والمفسّر ينظر الى المشركين نظرة احتقار ، ويخاطبهم مخاطبة الواثق بنفسه و المعتز بشخصيته و عقيدته ، و يتضح ذلك من جوابه لمؤتمر المستشرقين و رفضه لدعوته قائلا لهم : " خبروني هل من بينكم ابن عباس ، وجابر بن زيد و أضرابهما أولا ، فاني لا أجالس و لا أساجل سواهم " (5) .

و قد بلغ المفسّر درجة الوعي ، وتنبهه للأحداث و الصراعات التي عاشها العالم في عصره ، أن تنبأ — حسب روايات تلاميذه — في أواخر أيام حياته بوقوع هول عظيم و هذا الهول قد يكون الحرب العالمية الأولى التي اندلعت بعد وفاته بقليل .

و مما روي عنه كان " يقول بتأثير شديد جدا ، كاد ينقلب العالم و يحدث هول عظيم ، يكرر ذلك و يقول : أنه على الأبواب وكأنه غدا ." (6).

فهذه مواقف المفسّر و نضاله ضد الجبهتين : جبهة الجمود و جبهة الاستعمار فقد رأينا بأنه صارع التخلف والركود ، كما أعلنها حربا شعواء على الاستعمار وعملائه

---

1) محمد بن يوسف أطفيش نسخة من رسالة مخطوطة بقلم أحد تلاميذه ص 09 مكتبة بني يسقن توجد عندي نسخة منها .
2) أنظر صفحة رقم 65 من هذا البحث .
3) هذه الأوسمة الثلاثة احتفظت بها مكتبة ببني يسقن بمدينة الجزائر الحديثة ، 1/329 .
4) ن .م . 1/330 .
5) عبد الرحمن باكلي محاضرة ص 03 .
6) الذهبي الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص أ/د .

مستعملا كل الوسائل المتاحة ، رغم صعوبة المهمة نتيجة لما آل اليه المجتمع الإسلامي فقد استطاع حمل لواء الإصلاح ، والاستقامة في سبيل مبادئه بقوة الحجة والبيان ، فلولاه لاستطاع الاستعمار بمعونة أنصار البدع والجمود القضاء على الحركة الإصلاحية ، ولامتد عصر الجهالة والانحطاط عقودا زمنية أخرى على الأقل في مسقط رأس المفسر .

ومن بين الوسائل التي أعدها المفسر لخوض غمار المعركة ، وتهيئة الجيل للدخول فيها بقوة ، جهوده الكبيرة في التعليم والتأليف والتوجيه ، وسنرى في الفصل التالي آثاره في هذه المجالات الثلاثة .

## الفصل الثالث:

### 1. آثاره في ميدان التعليم :

تخرجت على يد المفسّر نخبة من الطلبة، واصلت مسيرته الأصلاحية في مختلف الميادين، و انبثت في الجزائر و في بعض الدّول العربية ، فمنهم من تقلّد مناصب القضاء عملا بنصيحة أستاذه خوفا من تعيين المستعمر فيها عملائه ، ونذكر من بين هؤلاء القضاة :"بابكر بن الحاج مسعود بغرداية ، الحاج يحي بن صالح باعمارة بمليكة ، الحاج بكير بن الحاج قاسم بقسنطينة و غيرهم ممن غطى مناصب هذه الوظيفة في جميع مدن ميزاب و بعضها في الشمال الجزائري ، وقد ترك معظم هؤلاء آثارا حسنة ، وكانوا في مستوى المهمة المنوطة بهم .

و من تلاميذه من تفرّغ الى التعليم و التوجيه مساهما في تربية الأجيال الصاعدة ، وحاملا اليها مشعل الأصلاح والعلم ، نذكر من بين هؤلاء : الشيخ ابراهيم بن بكير حفار والشيخ يوسف بن بكير ، اللذين توليا التدريس في المعهد الجابري ببني يسقن ، وتخرج على يديها أساتذة و ما زال بعضهم يشغل الى حد الآن مناصب مختلفة كما تصدى للأفتاء و التوجيه في المساجد ومن أساتذة الشيخ ابراهيم بيوض أحد دعائم الحركة الأصلاحية الشيخ الحاج عمر بن يحي الذي تلقى دراسته في العلوم الابتدائية على أحد تلاميذ المفسّر الذي هو الشيخ بابكر بن الحاج مسعود ، ثم زاول دراسته الثانوية و العالية في معهد المفسّر . (1)

و من أبرز تلاميذه الذين خاضوا معركة الصحافة ،أحد رواد الصحافة الجزائرية ابراهيم أبو اليقظان ،ومن الصحف التي أصدرها وأدى فيزاب ،ميزاب ،المغرب ،النور ، البستان ،النبراس ،الأمة ، الفرقان ، ومن أدلى بدلوه في هذا الميدان أبو اسحاق ابراهيم أطفيش صاحب مجلة المنهاج التي أصدرها في القاهرة .

و هذه المجالات المذكورة كانت سهاما حادة على الأستعمار و عملائه و التخلف و الأنحراف الديني ،كما اشتركا في حركة التأليف ومن مؤلفات الأول المطبوعة

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/ من ص 377 — 331 .

والمتداولة : سليمان باشا البارودي في أطوار حياته ، ديوان أبي اليقظان، سلم الاستقامة ، فتح نوافذ القرآن ولديه — أيضا — مؤلفات مخطوطة لما تعرف النور. (1)

ومن أبرز مؤلفات الثاني ، الدعاية الى سبيل المؤمنين ، تحقيق تفسير القرطبي والذهب الخالص لمحمد بن يوسف أطفيش وشامل الأصل والفرع لنفس المؤلف وغيرها من المخطوطات التي لم تظهر للوجود . (2)

تأثرا بمواقف الأستاذ تجاه الاستعمار خاض بعض تلاميذه المعركة ضده بالكلمة والجهاد وشاركوا في الحركات الوطنية ، وكانوا من روادها وأكبر مثال على ذلك ، سليمان البارودي المناضل الليبي ضد الاستعمار الايطالي ، والشيخ صالح بن يحي العضد الأيمن لزعيم الحزب الدستوري التونسي القديم الشيخ عبد العزيز الثعالبي .(3) ومن المساهمين في هذا الحزب أبو اسحاق ابراهيم أطفيش ، وابراهيم أبو اليقظان ، وقد تعرض الأول للنفي ، وتلقى بعضهم أنواعا من التعذيب والأذى، فقد كانوا شوكة في جسم الاستعمار ، وأعلاما مضيئة في الحركة الاصلاحية بالجزائر وبعض الأقطار العربية .

فهذه عينة من تلاميذه ، اخترناها من كل مجال ساهموا فيه ، لأن تتبع أعمال جميع تلاميذة يحتاج الى دراسة مستقلة ، فالغرض من عرض هذه العينة هو بيان آثار هذا المفسّر في تكوين جماعة من المثقفين والذين شاركوا في معارك هذه الأمة ضد التخلف والاستعمار والجهل .

وقد نلاحظ من هذه العينة ، أن ثقافة المفسّر أثرت في اتجاهها ، هي ثقافة شرعية أدبية ، لكن الطابع الشرعي هو الغالب عليها ، لذلك نجد أكثر تلاميذه ، قد تقلدوا مناصب دينية كالقضاء والتعليم ، والتوجيه والوعظ ، فهذه الثقافة ظهرت — أيضا — آثارها في سلوكهم ومؤلفاتهم ، فنجد معظمها يطغى عليها الطابع الديني ، ولا تخلو مؤلفاتهم الأدبية من أثر هذه الثقافة ، وحتى مجلاتهم

---

1) أنوار الجندي ( الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا ) من ص212 — 216 .
2) أنظر ترجمته في أبي رأس عبد الله بن محمد الكاملي ، أبو اسحاق ابراهيم أطفيش معجم أعلام الجزائر ص19 .
3) نهضة الجزائر الحديثة 1 / ص 280 .

التزمت بخدمة الجانب الديني أكثر من غيره ، وحين نستعرض المواد التي كانت تتضمنها برامج معهد ، نلاحظ بوضوح طغيان الطابع الشرعي عليها ، فهذه البرامج تشتمل على المواد التالية : العلوم الشرعية من تفسير وحديث وتوحيد وفقه وأصوله ، والعلوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ، والعروض وكان الأدب مدعما لهذه المواد الأخير ، كما أن بعض العلوم الأخرى لا أهمية لها في البرامج تدرس كوسائل مساعدة لترسيخ المواد الشرعية ، وتوضيحها ، فقد خصص المفسر دروسا في المنطق والحساب لبعض تلاميذه (1) ، فكان من المنتظر أن يتخرج من هذا المعهد طلبة لا يختلفون كثيرا عن مثقفي العصور السابقة باعتبار برامجهم الدراسية ، والكتب التي كانت المعتمدة في التدريس ، فقد كان تفسير البيضاوي ، والزمخشري مرجعين أساسيين في مادة التفسير في معظم الأحيان ، وفي الفقه كتاب الوضع لأبي زكرياء ، والايضاح لعامر الشماخي ، والنيل لعبد العزيز الثميني ، وفي التوحيد عقيدة اسماعيل الجيطالي ، وكتاب الموجز لأبي عمار الكافي ، وفي علم الكلام كتاب معالم الدين لعبد العزيز الثميني ، وفي النحو يرجع المفسر الى المؤلفات المتداولة في ذلك العصر ( مثل الآجرومية والألفية وشرح ابن عقيل ، والمغني الخ . . . وكذا البلاغة والعروض .

غير أن المفسر لا يتقيد بهذه المؤلفات ، فقد وضع كتبا مناسبة لمستوى تلاميذه كما قام بتبسيط بعضها لتلائم العصر ، ومن الكتب التي ألفها لهذا الغرض كتاب ( التيسير ) في التفسير ، وشرح النيل وشرح الوضع ، ونظم أرجوزة في علم العروض . (2)

ورغم جدة هذه المؤلفات ، فانها لم تخرج عن المألوف في الكتب المعروفة طريقة ومضمونا ، فربما تختلف عنها في ناحية البساطة والسهولة فقط . لكن الجوانب التي يمكن أن يكون لها تأثير في تلاميذه هي شخصية الأستاذ وطريقته في التدريس ، ومعاملته لهم . ومن خلال بعض مفاهيمه في ميدان العلم والتربية والتعليم يمكننا القاء بعض الأضواء على الجوانب المذكورة سابقا .

---

1) ن . م . 1 / من ص 366 — ص 373 .
2) ن . م . 1 / من ص 371 — ص 373 .

نجد المفسّر يصوّر لنا الصّفات التي ينبغي للعالم أن يتحلى بها بصفته معلم الناس و مرشدهم فيما يلي :ـ " على العالم أن يكون أعمل و أصبر و أعفى و أحمل للأذى و أخضع و أبعد عن الكبر و أحسن خلقا ، وأشكر لأن نعم الله عليه أكثر بذلك العالم و لأنه يقتدى به " (1)

استعماله لصيغ المبالغة دال على حرصه الشديد ، وادراكه العميق لأهمية سلوك العالم ، الذي يعتبر في نظر غيره قدوة ، وبذلك يدعو المعلم الى التحلي بالشخصية المثالية التي تؤثر تأثيرا ايجابيا في التلاميذ ، فهذا التأثير نجده قد لعب دورا كبيرا في تصرفات تلاميذ المفسّر ، ومواقفهم تجاه القضايا المعاصرة لهم ، فهم شديد الكره للمستعمر وكثير التعاطف مع قضايا العالم الاسلامي والحركات الأصلاحية اقتداء بأستاذهم الذي تربطه بزعمائها علاقات وطيدة ، فقد اعترف مثلا بعلاقته بأحد روّاد هذه الحركة في المشرق الذي هو محمد عبده . في رده على العقبي الذي ما زال يؤمن بتنافر المدارس الأسلامية الفقهية ، والعداوة التي كانت قائمة بينها و بين علمائها فيقول :" فمنهم مؤلف هذا الكتاب محمد بن يوسف أطفيش الذي جاء العلامة الشيخ محمد عبده من مصر في شأنه الى تونس ، وأشار على أهل جامع الزيتونة أن يسألوه في المسائل الشرعية و يرجعوا اليه في المشكلات ، فقال " انا نسأله من مصر و أنتم أقرب اليه منا ، فقالوا نعم " . (2)

و هذا التقارب بين علماء مختلف المذاهب الأسلامية ظاهرة جديدة تمخضت عن الفكر الأصلاحي ، والوعي الديني عاش المفسّر هذا التقارب ، وتداعياته ، فقد اعترف ـ مثلا ـ في نفس الكتاب بلقائه مع الشيخ ابراهيم حقي ، العالم التركي المؤلف على حد تعبيره و ابراهيم الرياحي التونسي الفقيه ، وكانت له مراسلات مع الخلافة العثمانية ، و سلطان زنجبار وعمان و غيرهم . (3)

فهذه العلاقات الواسعة ، وتفتحه على الأحداث ، ومعايشته لها و شخصيته الحية تركت آثارا واضحة في بعض تلاميذه ، ولم يجدوا صعوبة في التكيف مع

---

1) محمد بن يوسف أطفيش ( شامل الأصل و الفرع) 1/06 .
2) ( ان لم تعرف الأباضيه يا عقبي ) ص 13 .
3) ن.م . ص. 17 ، 18 ـ 31 ـ 34 .

الحركات الأصلاحية في الجزائر و خارجها ومع الأحزاب السياسية، والانتفاضات الوطنية، فاذا كنا قد سمحنا لأنفسنا بتصنيف تلاميذه الى قضاة وموجهين و أساتذة و صحفيين و سياسيين، ومصلحين، فان ذلك من باب اشتهار كل واحد منهم بجانب معين، والا فاننا نجدهم قد ساهموا في عدة ميادين فمثلا سليمان الباروني الذي كان شاعرا و مؤلفا، ومناظلا، ولا يستبعد أن يكون قد مارس مهنة التعليم و التوجيه، وان لم يشتهر بذلك، و يقال نفس الشيء عن أبي اليقظان ابراهيم و غيرهما.

أما معاملته لتلاميذه فتبرز من خلال هذا المثل الذي ضربه لتبيان طريقة معاملة العالم للجاهل و ذلك في قوله :" و يجب أن يكون مخاطبة الجاهل و العاصي معاملة الطبيب المريض، فان الجهل طبع الانسان و العلم حادث، فمن خاطب جاهلا مخاطبة تنفره لغلطه فيها أو لعدم علمه بكيف الأمر و النهي و التعليم فأصر بسببه أو زاد شرا أو بعدا عن التعليم كان شريكا للجاهل في ذلك، و لزمته التوبة أو اعادة خطاب صالح جبرا لما فعل." و يمضي مشبها ذلك بمهمة الطب :" كما أن الطبيب اذا قصر في طبه أو كان غير محكم للطب يضمن ما حدث به ". (1)

يلاحظ من قوله :" أو لعدم علمه بكيف الأمر و النهي و التعليم " أنه يدعو الى اختيار طريقة ملائمة و ناجعة للتدريس، والتوجيه، وقد كان بهذا المفهوم يبذل كل جهوده لأفهام تلاميذه، ولو اقتضى الأمر اعادة شرح الدرس و هذا ما يفهم من قول محمد علي دبوز رواية عن تلاميذه :" يشرح لهم الدرس حتى يفهموه وكان يحتني بضعفائهم فيسألهم، واذا وجدهم لم يفهموا يعيد لهم الدرس مرارا بأساليب مختلفة حتى يفهموا." (2)

و يتضح من هذه الشهادة أن المفسر كان يراعي في تدريسه الفروق الفردية مطبقا في معاملته لتلاميذه مبدأ العدالة، باعتنائه بالضعاف، و عدم اهماله للمتفوقين و الذين يظهرون ميلا الى فن معين، فيخصص لهم حصة يدرسهم فيها ذلك الفن فقد كان على سبيل المثال : يدرس الأشموني في النحو و الصرف لبعض تلاميذه الراغبين فيه و لسليمان الباروني دروس خاصة به، كما كان تلميذه يحي بن صالح باعمارة قاضي مليكة يدرس عليه كتابا في الأحكام لا يشاركه فيه غيره.(3)

---

1) شامل الأصل و الفرع 1/ 05.
2) نهضة الجزائر الحديثة 1/ ص 361.
3) ن م. ص 372 ـ 374.

فاذا كانت طريقة التدريس في معهده لا تختلف عن الطريقة السائدة في ذلك العصر فهي طريقة القائمة محضة تعتمد على الشرح و التوضيح ، فان شغف الأستاذ بالتعليم و المطالعة جعل تلاميذه يقتدون به ، كما أن الجو الثقافي الذي ساعد أجداده المفسّر في أوساط تلاميذه بتكليفهم باستنتاج الكتب ، و نسخها ، وجلبها و حركة التأليف الواسعة التي كان فيها قطب الرحى ساهمت في ترغيب تلاميذه في المطالعة و دفعهم الى الاغتراف من مناهل العلم .(1)

و من الأنشطة التي اكتسبت تلاميذه الثقة بالنفس ، والخبرة ، اصطحابهم في رحلاته الى القرارة و بريان و ورجلان (2) . هذه الرحلات مكّنتهم من الاطلاع على عادات الناس و من انماء شخصيتهم بما كانوا يتلقونه من عناية كبيرة و حفاوة بالغة من مستقبليهم ، بالاضافة الى ما يمكن احتماله من تعرض الأستاذ في دروسه الى مواقفه ، و اتصالاته و الى الأوضاع التي يعيشها العالم الاسلامي ، بحيث كان يدعو أثناء بعض دروسه على النصارى و المشركين بالخزي و الى المسلمين بالنصر في جهادهم .(3)

فجميع هذه العوامل ساهمت في تخريج نخبة من مثقفين واصلوا — بالفعل — مسيرة أستاذهم الاصلاحية ، وكانوا عناصر ايجابية في المجتمع ، عاملين بقاعدة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، كما كانوا حربا على الاستعمار و عملائه و الجهل و الانحراف الديني ، ومشاعل مضيئة في مسيرة هذه الأمة .

لكن من المعروف عن المفسّر أنه لم يترك مهمة اصلاح المجتمع الى تلاميذه و انتظرهم حتى يشبوا ليتولوا هذه المهمة ، فقد شمّر عن ساعديه ، و جنّد نفسه للقيام بدور الموجه و المرشد في مجتمع أخذت الأمراض تفتك به متحديا كل الصعاب ، ومتحملا جميع المشاق ، مخلصا عمله لله عز و جل .

و فيما يلي صور واضحة عن دوره في هذا المجال الحيوي .

---

1) ن .م . 1/ 305 ، 306 ، 360 ، 361 .
2) ن .م . 1/ 342 ، 343 ، 344 .
3) ن .م . 1/ 332 ، 353 ، 354 .

## 2 . آثـاره في اصـــلاح المجتمـع :

ايمانا من المفسّر بدور العالم في اصلاح المجتمع ، واعتقـادا منه بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قام بارشاد الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وتوجيهها الوجهة السليمة ، و توعيتها بمكائد المستعمر و مكره ، ودسائسه لخنق الفكـر الاسلامي و محو اللغة العربية من الوجود ، وكان فخورا بتلقيبه مجـدد القرن و يفهم ذلك من قوله : " فقد عرفهم الشيخ عبد الله بن يحي اذ جعلني المجدد ، نسأل الله تصديق قوله و بارك له اذ قال في قصيدة له صدّقها الله ببركة نبيـه صلّى الله عليه و سلم ، و أرجو أن أكون مجدد أول القرن الذي نحن فيه " (1)

و الحق يقال أن المفسّر قد قضـى على كثير من الآفـات التي يشكو منها المجتمع منها البدع التي لها صلة بالعقيدة و العادات اعتقادا من ممارسيها بأنها من الدين ، ومن هذه البدع تقديس الأموات ، والتوسل اليهم ، واعتقـاد البركـة فيهـم ، فقد حـرر طبقـة كبيرة من المجتمع من هذا الشرك ، وقضى على ظاهرة الخمـول و الزهد في الدنيا ، ولعلّ هذه الظاهرة ناتجـة عن المصائب أو الكوارث التي توالت على المجتمع الاسلامي ، وقد ساعد على نشرها التيار المحافظ الذي تولى قيـادة الأمـة .

كما حمل حملات شعواء على بعض البدع التي اعتبرت من الدين بمرور الوقت و انتشار الجهل ، فقد تمكن — مثلا — من احياء بعض السنن ، كافشاء تحية الاسلام و الجهر بسجدة التلاوة و التحرر من التقليد الأعمى لفتاوي السلف دون امعان النظر فيها ، وعرضها على الكتاب و السنة ، و دعا الى التعامل في الميدان الاجتماعي و الاقتصادي بمقتضى الأحكام الشرعية .

و من الجوانب التي أولى لها أهمية خاصة ، محاربة العصبية الجاهلية التي انتشرت في المجتمع الاسلامي بشكل فظيع و ما زلنا نعيش في عصرنا هذا بعض آثارها .

---

1) ( ان لم تعرف الأباضية يا عقبي ص 18 .

و ألف بين العشائر المتناحرة ، وبين القرى المتقاتلة ، و سعى الى التقريب بين المذاهب، ومحاربة التعصب المذهبي الممقوت ، داعيا الى اعتبار التوحيد شعارا جامعا للأمة الاسلامية . (1)

و في ميدان تربية الأطفال ، حاول القضاء على أساليب الزجر والعنف ، و المعاملة القاسية و دعا الى تهذيب الطفل بالقدوة الحسنة ، والعطف عليه ، و أول كلام استهل به حديثه عن حق الولد قوله :" و حق الولد روي ( رحم الله والدا لم يحمله على شاق يعضي بتركه ) " و ساق في نفس الفصل ما روي من جزاء عند الله لمن يدخل السرور في قلب طفل مهتما بالأنثى .(2)

كما تعرض الى بعض الفتاوى فانتقدها و بيّن ضعفها ، و يكون بذلك قد حرّر الفكر من التقليد الأعمى و التسليم بكل فتوى صدرت من عالم و لو لم يكن أهلا لذلك ، أو راعى في فتواه ظروفا خاصة ، فقد كان في معظم دروسه يدعو الى نبذ الجهل و الجهالة ، مبينا أهمية العلم و ضرورة تعلمه .

فلم يهمل أهم عنصر في المجتمع الا و هو المرأة ،فقد اعتنى بها ، و ساهم في تربيتها و اعدادها لتنشئة الأجيال الصاعدة في أسرة يتم فيها التحاور بين أفرادها على أساس الشريعة الاسلامية السمحاء .

فاذا كان المفسر لم يتوصل الى تحقيق جميع آماله و أمانيه في اصلاح المجتمع ، والسمو به الى درجة النضج ، فانه على الأقل — قد هيأ التربة لمن جاء بعده و واصل مسيرته الاصلاحية تحضيرا لمرحلة الانعتاق من الاستعمار الصليبي .

و قد استخدم عدة وسائل و طرق للقيام بهذا الدور ، من أبرزها الدروس التي كان يواظب على القائها في المساجد و دور العشائر و في كل فرصة أتيحت له ، فقد كان مسجد بنورة في فترة نفيه ثم مسجد بني يسقن و مساجد مدن ميزاب ، و بعض مساجد مدن الشمال في طريقه الى البقاع المقدسة ، منابر يخاطب منها الجماهير ، و يرشدها الى الطريق السوي و يبث فيها الوعي الديني و القومي ، مستشهدا بالآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة و سيرة الرسول

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/ من ص 333 — ص 339 .
الذهب الخالص ترجمة للمؤلف بقلم أبي اسحاق من ص/ب الى ص / ز .
2) الذهب الخالص ص 293 ، 294 .

صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ، مؤثرا فيها بشخصيته الأجتماعية القوية وصوته الهادئ ، وغزارة علمه ، بالأضافة الى اخلاصه في وعظه وارشاده .

ومن الملاحظ أنه رغم اقبال الناس على دروسه التي كان يلقيها في مسجد مسقط رأسه أو معهده فلم يتوان في تلبية دعوات المدن الأخرى ، فقد كان يقوم برحلات منتظمة الى بريان ، والقرارة ، وزار مدينة ورجلان وبعض مدن الشمال .

ومن مساعيه الدالة على ايمانه بتقارب المسلمين ، وتحطيم الجدار الفاصل بين المدارس الأسلامية المختلفة وعلمائها ، زيارته لمعهد العامل تلبية لدعوة صديقه الشيخ محمد بن أبي القاسم(1) ، وارسال تلاميذه لتلقي العلوم في معهد الشيخ عبد القادر الجاوي (2) والقاؤه دروسا في الحرم النبوي الشريف ، واتصالاته بعلمائه ، وعلماء جامع الزيتونة في تونس ، ومختلف الأقطار الأسلامية وتبادل الآراء معهم في المسائل العلمية ، والتعليمية والأصلاحية .(3)

وقد تمت هذه الأتصالات مباشرة وعن طريق المراسلات ، فكثير من رسائله التي احتفظت بها المكتبات أو جمعت في كتابه (كشف الكرب) بجزئيه تبرز مكانة المفسر في العالم الأسلامي حتى أصبح مرجعا للفتوى كما أننا نقرأ في بعض مؤلفاته اعترافات بعض هؤلاء العلماء واعجابهم به وبغزارة علمه وقد جاء في احدى رسائله (ان لم تعرف الأباضية ) ما نصه :" فقد عرفتهم علماء الحرم أذعنوا تفسيري ، وعلموا أني أباضي واستحسنوه " (4) .

ومما يبرهن على غيرته على توحيد المسلمين ، واهتمامه بشؤونهم ومراسلاته الواسعة الى كبريات المدن الأسلامية آنذاك كمصر وقسنطينة والحجاز ودول المغرب العربي وعمان ، وزنجبار ، وبذلك يكون قد خطا خطوة عملاقة في سبيل التمهيد لتحقيق الوحدة الشاملة ومما يؤكد ذلك مشاركة تلاميذه في الحركات السياسية في العالم الأسلامي دون مراعاة الأنتماء المذهبي أو

---

1) أنظر ترجمته في نهضة الجزائر الحديثة 1/ من ص 56 — 31 .
2) أنظر ترجمته في ن م م 1/ من ص 82 — 104 .
3) ن م م 1/ من ص 336 — ص 353 .
4) ان لم تعرف الأباضية ياعقبي ص 17 و في نفس الصفحة أمثلة أخرى ، أرجع أيضا الى كتابه كشف الكرب بجزئيه و رسالته ( في حكم الدخان والسعوط) تجد فيها نماذج حية .

الجهوي أو العرقي ، فكل حركة دعت الى تحرير بلد اسلامي أو ضمّ شمل المسلمين الّا ووقفوا بجانبها ، وتعاطفوا معها ، بل شاركوا عمليا فيها وفي سليمان الباروني وأبي اسحاق ابراهيم أطفيش ، وأبي اليقظان وصالح بن يحي وغيرهم أمثلة حية . (1)

لكن رغم كلّ ذلك فإن حركته الاصلاحية لم تتعدّ فكرة الرجوع الى الطريقة السلفية ، ولم يطبع النواحي التربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بسمات العصر ، نتيجة عدم احتكاكه بالحضارة الأوروبية كما كان الشأن بالنسبة للحركات الاصلاحية التي ظهرت في المشرق أو في المغرب فيما بعد ، ثم نجد أنّ المفسّر عاش في فترة احتدّ فيها الصراع بين هذه الحضارة والحضارة الاسلامية فواجهتها بالرفض لكل ما جاءت به . (2)

ولعلّ انتشار الجهل وقلة الموّلفات واهتمام المفسّر بنشر العلم ، أبعدا منه بأهمية اعداد الأجيال الصاعدة ، جعلته يتفرّغ الى التأليف ، ويركّز على هذا الجانب أكثر من غيره وفيما يلي سنحاول تسليط بعض الأضواء على جهوده في ميدان التأليف مبرزين آثاره فيه .

3 . آثـاره في ميدان التأليف :

لعلّ من الدواعي التي جعلت المفسّر يهتمّ بالتأليف ، ويفرغ فيه جهده ، مذ صغره إلى أن دنا أجله وهو إدراكه لأهمية الكتاب كوسيلة تثقيفية خالدة ومتنقلة ، واحساسه بالدقص الذي يشكو منه هذا الميدان لا سيما المكتبة الاباضية في عصره بالاضافة الى ضعف المستوى الثقافي وصعوبة الموّلفات التي تركها السلف ، أضف الى ذلك قلّة التصنيف في علم من علوم ، لضياع كثير من الكتب الموّلفة فيه ، أو لعدم اهتمام السّلف به ، ومما دفعه الى ذلك — أيضا — غيرته على الدين والعربية ، وهذا ما يفسّر تركيزه على العلوم الشرعية التي استحوذت على جزء كبير من موّلفاته ووقته .

واذا تصفحنا بعض كتبه للمس أغراضه ، وبواعثه على التأليف مثل قوله في مقدّمة كتاب (شرح النيل ) :" هذا ثاني في تفسير على النيل ، يحصل عنه

---

1) لمن يريد الاطلاع على أعمال هؤلاء وجهادهم الرجوع الى نهضة الجزائر والحديثة 2 / 38 . وأعلام الاصلاح في الجزائر 3 / 141 — 278 / أبو اليقظان/سليمان الباروني باشا /أبو رأس عبد الله بن محمد الكاملي ، كتابه: أبو اسحاق ابراهيم أطفيش.

2) في كتابه (لم تعرف الاباضية بعد) إشارات واضحة تدلّ على هذا الرّفض.

ما أبهم كالسيل :" الى أن يقول :" و انما ألفته لينتفع به الناس و يشتغلوا به في العبادة" (1)

و يقول في رسالته ردا على من ظن أن كثرة الأسئلة تزعجه :" و لا تظنا أن الاشتغال باجابتكما يثقل علي لا و الله و لو كثر السؤال منكما لمزيد المحبة منّي لكما و لقصد أحياء العلم " (2).

و يحدد فيما يلي رغبته في نشر كتبه و تداولها :" و الله أني راغب في نشر كتبي نفعا لكم ، و انتصارا على مخالفيكم و طلبا لثواب الله جل و علا " (3).

و باعتبار المؤلف أحد أعلام المذهب الاباضي في عصره ان لم يكن امامه الأول ، فمن الطبيعي يتولى في بعض رسائله الرد على خصوم هذا المذهب ، ايمانا منه بأنه أولى بالرد ،أو تلبية لطلب بعض علماء هذا المذهب مثل رده على الصفرية و الأزارقة و قد جاء في مقدمة هذا الرد . " سألني اخواني من أهل عمان وفقهم الله الأشياخ الكرام العلماء أن أكتب لهم رسالة في الرد على الصفرية و الأزارقة ، ومن نحا نحوهم لاستطالتهم على المسلمين بالقتل و الأسر و السبي و الغنم فساعفتهم قصدا للثواب و موافقة لاخوان الدين و العلماء . (4).

كما وردت عليه طلبات لشرح بعض المؤلفات القديمة كشرحه ( الدعائم ) لابن النظر العماني تذليلا لما فيه من صعوبة ، فيقوم المؤلف بتلبية هذه الطلبات ابتغاء وجه الله . و يفهم ذلك من مقدمة شرح الدعائم و مما جاء فيها :" و بعد فان بعض النفوسيين ممن له حفظ واسع و فهم ثاقب ، طلب مني أن أفسر له الدعائم تفسيرا مختصرا جدا مقتصرا على حل البيت و أذكر بعد التفسير حاصلا و زيادة فاجبته لوجه الله عز وجل ."(5)

---

1) محمد بن يوسف أطفيش شرح النيل 1/ ص 05 .
2) رسالة مخطوطة ص 03 توجد منها نسخة في مكتبتي الخاصة .
3) كشف الكرب 1/ 10 .
4) محمد بن يوسف أطفيش ( الرد على الصفرية و الأزارقة ) ص 02 .
5) محمد بن يوسف أطفيش شرح الدعائم 1/ 02 .

ومما يلاحظ في ردوده عبارات : اما تدل على تواضعه ، واحترام سائليه أو على صعوبة المهمة ، واختباره للقيام بها لابراز مقدرته العلمية ، ومكانته بين أقرانه ، وترجيح الاحتمال الأول أولى لما تلاحظه في ردوده على الرسائل التي ترد اليه من علماء عصره في مختلف المواضيع من عبارات التقدير والاحترام لهم .(1)

كما يلاحظ الباحث في العلوم والفنون التي تناولها بالشرح أو البحث أو التعليق والنقد تركيزه على العلوم الشرعية ، واهتمامه بالفقه الاباضي ، كأنه يريد بذلك بعث فكر هذا المذهب من جديد باحياء تراثه وتجديده ، وبيان مكانته بين المدارس الفقهية الاسلامية الاخرى ، وان لم يهمل بقية العلوم السائدة في عصره ، فقد ألف في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصول الفقه والتشريع والبلاغة والحساب والتجويد والطب والتاريخ والنحو والعروض والفلاحة والفلك والميراث والمنطق ، وترك تراثا شعريا في المدائح والوعظ وانتقاد البدع والدعاية الى العلم ، ويمكن تصنيف مؤلفاته الى ثلاثة أنواع .

1) مؤلفات من انشائه ، تبرز فيها شخصيته بوضوح .
2) شروح لمؤلفات قديمة أو ترتيب لها ، وتهذيب لتليق بعصره وقد يعلق على بعض المفاهيم الواردة فيها أو يزيد فيها بعض الاضافات .
3) شروح لمؤلفات بغرض تبسيطها فقط. (2)

وتشتمل هذه المؤلفات على مجموعة من الرسائل تحتوي على الفتاوي وردود خاصة دفاعا عن الاسلام أو مذهبه .

واذا تصفحنا هذه المؤلفات نجده — غالبا — ما يقتصر في عصره على الجمع وحشوها بأكبر عدد من المعلومات يستقيها من أمهات الكتب أو يطنب في الشرح دون التحقيق والتعليق والمفسر نفسه يصرح بذلك في احدى رسائله الموجهة الى عمان قائلا : " وفي عمان شرح لامية ابن مالك وحاشيتا القطر والشذور ،

---

1) أنظر نماذج منها في (كشف الكرب) بجزئيه أو في رسائله المخطوطة أو نسخ منها في مكتبته ببلي يسقن .
2) نهضة الجزائر الحديثة 1 /من ص 313 — ص 320 بتصرف .

وحاشية شرح الآجرومية لأبي القاسم كلهن تأليف في حال ابتدائي في التعليم رغبتي فيهن اكثار المسائل لا تحقيقها وأنا حينئذ مبتدئ" (1) .

ولعل ما يفهم من هذا النص ـ أيضا ـ تركيزه في هذه الفترة على التأليف المدرسي، والشرح وفي بعض هذه الشروح يقتصر على التوضيح، ملتزما بالأمانة العلمية، محترما آراء المؤلف وان تعارضت مع آرائه الخاصة وهذا ما يفهم من قوله في مقدمة كتابه (تفقيه الغامر): " والذي أقصد في هذا الكتاب وأريد نقل ما وجدت لا أنقص ولا أزيد ولو استحق مني زيادة أو نقصا من حيث كونه معنى أو عبارة نصا على أن النسخ مختلفة، والمعاني غير مؤتلفة." وفي آخر الكتاب يؤكد هذا الالتزام ويرى أنه يضطر ـ أحيانا ـ لتصحيح بعض العبارات التي يقتضيها ذوقه: " قد تم... ما وعدته من ترتيب لفظ الشيخ العلامة عمنا موسى بن العلامة الشيخ عامر بما وجدته في النسخ من العبارات الركيكة والعبارات الفاسدة بدون تغيير لما يستحق التغيير، وبدون نقص لما يستحق النقص الا ما لم يكن له وجه صحيح رأسا، فربما لم أتمالك نفسي عن اصلاحه لنفور طبيعتي عن العبارات الركيكة بل الفاسدة" (2)

لكن نجده في مؤلفات أخرى يهتم بالتحقيق وتصحيح ما يبدو له خطأ، وترجيح رأي أو نقضه بروح علمية أساسها العقيدة الراسخة، ورائدها حب خدمة العلم وتخليص مؤلفات قديمة من الشوائب ويتضح رأيه في ذلك من مقدمة كتابه (الذهب الخالص) يقول فيها: " ومهما رأيت مخالفا فمن عهدي أتيتها" الى أن يقول: " وكثيرا ما أصحح غير ما صحح في الأثر". (3)

وهذه منهجية في معظم المؤلفات التي وضعها عندما بلغ درجة الاجتهاد، وهذا لا يعني لم يتنهجها مطلقا في صغر سنه، فمؤلفه (شرح النيل) الذي ذاع صيته، واعتبره بعض الباحثين موسوعة في الشريعة الاسلامية (4)، يقول عنه في مقدمته: " دائي تفسير على النيل، يغسل عنه ما أبهم كالتسيل، بخلاف الأول فانه طويل الذيل، ولم يتم وكلاهما في صغر السن" (5)

---

1) كشف الكروب 1/ ص 119، 120.
2) محمد بن يوسف أطفيش تفقيه الغامر فترتيب ابن عامر ص 03، ص 448.
3) نهضة الجزائر الحديثة 1/ ص 316، 317.
4) شرح النيل 1/ 05.

ومن جملة من نوّه بهذا الكتاب، واضع تقديم الطبعة الثانية منه ومما جاء فيه :
" وكتاب (شرح النيل) من أجلّ كتب الفقه الاسلامي، وهو من أمّهات كتب المذهب الاباضي المنتشر في شمال افريقيا وغيرها من البلاد الاسلامية في عصرنا الحاضر" إلى أن يقول مشيدا بالمؤلف: " أما الشرح فالعالم من أجلّ علماء المذهب الاباضي أفاض الله عليه العلم والتّفقيه في الدّين وسلاسة التّعبير، حتّى غدا الشرح من السهل الممتنع، يسهل على كل ظامئ وروده والحبّ منه حتّى يرتوي" (1).

ويقول عنه أحد تلاميذه وابن أخيه وناشر بعض مؤلّفاته : " ناهيك بشرحه على (النيل) فإنّه من أولى الكتب الفقهية الاسلامية وأجمعها وأكملها تحريرا يقف مطالعه على مذاهب المجتهدين المشهورين وأئمّة علوم الشريعة منذ عهد الصحابة "(2)

وهذا الكتاب يعتبره الباحثون من أبرز مؤلّفات المفسّر، وقد أشادوا به، وإن كانت عباراتهم كما لاحظنا في النّصين السّابقين دالة على المبالغة، والمدح ويتجلّى ذلك خاصّة من صيغ المبالغة، وهذا يتنافى مع النّظرة النقدية الفاحصة لهذا التّقدير أشبه بعبارات الاشهار منها بعبارات النّقد الموضوعي المبني على الأدلّة والحجج، ومهما يكن من أمر فإنّ هذا المؤلّف يعدّ مرجعا أساسيا للمذهب الاباضي لا سيما في المغرب، التزم فيه صاحبه طريقة قلما نجدها في مؤلفات أخرى، فهي أقرب الى الفقه المقارن لشمولية آراء المذاهب الاسلامية المختلفة في الموضوعات التي تناولها بالبحث والدّراسة، وهي طريقة المؤلّف في أمّهات كتبه الفقهية منها مثلا : " شامل الأصل والفرع، والذهب الخالص وغيرها ".

وقد ساعدت هذه الطّريقة على بروز شخصية المفسّر من خلال عرضه للآراء المختلفة وترجيح أصحّها في نظره وإن تعارضت — أحيانا — مع آراء علماء الاباضية معتمدا أدلة نقلية وعقلية فلنستمع اليه وهو يناقش قضية ( جواز القياس) واختلف

---

1) (شرح النيل) تقديم الطبعة الثانية بقلم علي منصور 1/05،06 .
2) (الذهب الخالص) ترجمة المؤلف بقلم أبي اسحاق ص/ هـ .

في القياس فقيل جائز و قيل لا و قيل جائز في التوحيد ، وقيل في الأحكام ، و الصحيح الأول و أنه حجة لقوله تعالى :( فاعتبروا ) (1) ، أي قيسوا الشيء " و يمضي يسرد الأدلة ، محملا الأدلة المعارضة على محمل مقبول قائلا :" منعا للقياس مطلقا ، بل منعا لقياس من يقيس مع ورود الأحاديث جاهلا بها " (2)

و في نفس الكتاب يستعرض المراحل التي مرّ بها في الاجتهاد قائلا :" و قد كنت اجتهد بالقياس على أصل أمامي ، و لا أكاد أصيب الا قولا يوافق ما قلت و الحمد لله ثم انتقلت عن هذه الدرجة الى ما فوقها و الحمد لله .(3)

و لعل الدرجة التي أشار اليها هي تجاوز أقوال المذهب و التحرر منه الى الاجتهاد المطلق ، لأننا فلاحظ في بعض مؤلفاته مخالفته ، لبعض جمهور علماء الاباضية منها مثلا تصريفه للمنافق فيقول :" . . و المنافق عندي من أظهر التوحيد و أخفى الشرك ، و عليه أحمل ما ورد في القرآن و من عمل كبيرة دون الشرك ، و قصره أصحابنا على الثاني و قومنا على الأول " (4).

و المؤلف نراه يسوق جميع آراء المدارس الاسلامية في مسائل الخلاف بأدلتها المختلفة ثم يرجح الرأي الصحيح في اعتقاده و في الغالب ما يكون هو رأي علماء الاباضية ، على أنه لا يتعصب لهذا الرأي تعصب الأعمى دون تبيان سبب ، موافقته أو مخالفته — وهذا دليل على نزاهته ، و دعوته — عمليا — الى تحري الحقيقة و هي خطوة محمودة في عهد ساد فيه التعصب ، و خطوة أولى نحو الدعوة الى الرجوع الى مصادر التشريع الاسلامي الأساسية و التقارب بين المدارس الاسلامية و هذه النظرة نلمسها بوضوح في مؤلفاته و قد عبّر عنها في احدى رسائله الموجهة الى علماء عمان مجيبا عن بعض أسئلتهم :" و من العجيب أن تكون المسألة حقا فتترك لأنها جاءت من مخالف ، هذا غلو و أذكروا قوله تعالى في غير أهل القبلة :" و لا يجرمنكم شنآن قوم ) (5) ." (6) و يقول في موضع آخر : " والحق يقبل ممن جاء به موافقا أو مخالفا و أعوذ أنا و أنتم من تحريم الحلال "(7)

---

01) الحشر/02

02) شامل الأصل والفرع 1/ 10 أنظر في المرجع القضية بالتفصيل.

03) ن م. 1/ 13.

04) ن م. 1/ 26 يقصد بقوله أصحابنا علماء المذهب الاباضي وقومنا علماء المذاهب الأخرى لا سيما الأشعرية :

05) المائدة 08

06) كشف الكرب 1/ 95.

07) ن م. 1/ 96.

و يبدو من إجابته أنه يرد على من أتبه على الرجوع الي كتب المذاهب الأخرى ، وتأييد بعض آرائها ، فلذلك راح يبين صحّة رأيه ، محتجا بمن سبقه من علماء الأباضية الأعلام ، ويقول : " اذا كانت المسألة راجحة من مذهبهم و لو لم تذكر في مذهبنا هي حق ، فذكرها بلا نسبة اليهم أولى اذ تراد بذكرهم ، وليست باطلة و في القرآن ( الحق أحق أن يتبع ) (1) . و ما بعد الحق الا الضلال (2) و الحق يقبل من كل من جاء به و لو مشركا " (3).

فاذا كان المؤلف يرى أن نسبة المسألة الى علماء المذاهب الأخرى تجعلها مريبة ، لأنه على يقين بأن الأفكار وقتئذ ـ مازال التعصب المذهبي عالقا بها ، فترفض كل مسألة جاءت من مدرسة من المدارس الأسلامية الأخرى ، وهذا هو الفكر السائد في العالم الأسلامي لأن المفسّر مقتنع باستفادة هذه المدارس من بعضها ، و يظهر ذلك من خلال هذا الرد العنيف : " ومن أين لك ترهيب مسائلهم كلها ، وهل لك أن تحرم أموالهم لعلها من ربا أو غصب أو سرقة أو غير ذلك مقتضى قولك أن تحرم ذلك كله و تحريمه باطل ، و خلاف الاجماع فاياك و قد علمت أن الخلو حرام . " (4)

فاذا تصفحنا مؤلفاته نلاحظ التزام المفسّر بهذه القاعدة في أمهات كتبه ، غير أنه من جهة أخرى يصرح بعدم استحسانه الأخذ بأقوال علماء المدارس الفقهية المخالفة للمدرسة الأباضية و هذا يفهم من قوله : " و لا يحسن الأخذ بقول مخالف و لو ثقة عالما الا أن ظهر أنه حق ، ولا معهم فيها خالفونا مما لا يجوز فيه الاختلاف ، ولا يصدق ثقة منهم فيما نسبه الينا أو الى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى الصحابة أو الى التابعين كما ينسبون الى جابر بن زيد و عدوه في الثقات لم تعرف صحته ، وان عرفت أو عنده حديث عندنا جاز الأخذ به و لا يجوز الأخذ بأحاديثهم الا أحاديث الترغيب و الترهيب " و يشترط فيها أن لا تخالف القرآن و لا ما صحّ من الأحاديث عند الأباضية و لا تكون متناقضة لآرائهم . (5)

---

1) يونس / 35 .
2) يونس / 32 .
3) كشف الكرب 1 / 91 .
4) ن.م . 1 / 91 .
5) شامل الأصل و الفرع 1 / 15 .

اذا قارنا محتوى النص السابق بهذا النص يبدو لنا لأول وهلة تناقض في أفكاره لكننا اذا رجعنا الى مقدمة المرجع الذي ورد فيه النص الأخير نقرأ فيها ما يلي :

"فهذا كتاب وضعته للمبتدئ يشمل أصولا و فروعا وليس فضله عن المتوسط و المتناهي ممنوعا ." (1)

فهذا يعني أن المفسّر يجيز الخوض في آراء المدارس الأسلامية الأخرى للعالم المتضلع الذي بلغ درجة الإجتهاد ، والقادر على التحقيق ،لأنه ممن يتكر تقليد مجتهد لمجتهد آخر ،الا اذا ضاق الوقت (2) ، بينما النص الثاني الذي أورد فيه شروطا قاسية — أحيانا — ليسمح بالأستفادة من المدارس الفقهية الأخرى موجه الى المبتدئين ، وذوي الثقافة المتوسطة ، وتجد في نص آخر يمنع الضعفاء النّظر في كتبها معللا ذلك بقوله :" لأنها قد تتضمن خطأ ولو في الوعظ لأنه قد يسوء فهم الضعيف"(3)

ثم أن المفسّر من المتحمسين للمدرسة الأباضية التي ينتمي اليها ، وهذا شأن علماء عصره و هذا نراه أمرا طبيعيا اذا نظرنا الى ثقافته ، وتكوينه و انتمائه ، و اقتناعه بصحة آراء هذه المدرسة ، وهذا الاعتقاد يبدو من قوله :" فنقول معشر الأباضية الوهبية الحق ما نحن عليه و الباطل ما عليه خصومنا لأن الحق عند الله واحد و مذهبنا في الفروع صواب يحتمل الخطأ و مذهب مخالفينا خطأ يحتمل الصدق"(4)

غير أن تحمسه لمذهبه ، و تفضيله على سائر المدارس الفقهية الأخرى لم يبلغ به درجة الغلو و التعصب و اتهامها بالزيغ و الأبداع (5) ، الا التي أجمعت المدارس الأسلامية على انحرافها عن الأصول كالخوارج مثلا ، و سنضرب مثلا عند تعرضنا لتفسيره ،ثم أن مثل هذا التمسك بمذهبه و تفضيله على غيره كثيرا ما يكون رد فعل ضد متهمي الأباضية بالأنحراف و الزيغ ، و قد ورد مثلا القول السابق في كتابه ( الصحة في بيان الحجة في التوحيد بلا تقليد ) الذي يكون من المحتمل ألفه لأثبات صحة معتقدات مذهبه ردّا على اتهامات الأخرين .

---

1) ن .م . 1 / ص 02 .
2) ن .م . 1 / 20 .
3) كشف الكرب 1 / 95 .
4) ن .م . 1 / 25 .
5) أنظر مثلا لهذه الاتهامات في الالوسي روح المعاني 1 / 60 .

وفي هذه الردود يسوق أدلة مختلفة محاولا اقناع الخصم وتفنيد ادعاءاته، وابطالها ثم يتعرض الى نقد أسلوبه ولغته، وقد يسرد في بداية الرد بعض أقوال الخصم. (1)

عموما تمتاز مؤلفاته بغزارة المعلومات، فصدها بطرق موضوعا، يقتله بحثا ودراسة محاولا الالمام به وقد يستطرد — أحيانا — منتقلا بقرائه في المسائل الخلافية بين علماء المذهب الاباضي، وبين علماء المذاهب الاخرى، مستعرضا أدلتهم، مرجحا ما يراه منها صوابا أو مفندا ما يراه خطأ وهذه طريقته التي ينتهجها في معظم مؤلفاته المختلفة، وقد يجمع في كتاب واحد عدة فنون مختلفة مثل الفقه والنحو والتاريخ واللغة الخ... لا سيما في رسائله وردوده متأثرا بطريقة التأليف عند القدماء لا سيما الطابع السائد في عصره الذي لم يعرف وحدة الموضوع بمعناه الحديث، ولا فكرة التخصيص والتصنيف، فجاءت مؤلفاته صادقة لثقافته الواسعة والمتنوعة، كما أن طريقته في البحث لا تتعدى نقد بعض المعلومات المتعلقة بموضوع معين كنقده لبعض الاحاديث النبوية الشريفة وبيان ضعفها أو صحتها على غرار من سبقه من العلماء، أو نقده لبعض أفكار أو مسائل وفي النص التالي ما يبرهن على ذلك " .. وكثيرا ما أصحح غيرما صحح الأثر، والفضل لأبي ستة (2) لانه الذي أسس وكفاني فتفرغت لبعض ما لم يذكره " (3) وقوله لمن سأله عن الأخذ من كتب المدارس الفقهية الأخرى :" وقولا له أو لمثله ممن لم يصل بيته هو عن الأخذ بنفسه من قوما ولا يقتد بما أخذت له منهم مصفى ولينته عما قلت له منهم متكدر فقد كفيته المؤونة ومن الله المعونة وعلمت من هو عدل في شأن العلم ونقلت عنه كما نقول نقل من قبلنا من أصحابنا ممن علموا عدله فليدع لي بالخير اذا كانت المسألة راجحة من مذهبهم ولو لم تذكر في مذهبنا فهي حق." (4).

---

1) أنظر أمثلة في محمد بن يوسف أطفيش أزهاق الباطل بعلم الهاطل وفي رسالته ان لم تعرف الاباضية ياعقبي.
2) أنظر ترجمته في فهرس الاعلام.
3) الذهب الخالص ص 02.
4) كشف الكرب 1/91.

و مما يلاحظ في مؤلفاته قصر المقدمة ، فلا تتجاوز صفحة واحدة على أكثر تقدير ، وهذه ميزته في جميع مؤلفاته التي أتيحت لنا فرصة الاطلاع عليها ، يذكر فيها أحيانا السبب الذي دعاه الى تأليف الكتاب ، وموضوعه وتسرد بعض التوضيحات تتعلق بالرموز أو المصطلحات(1) أو يكتفي بأحد بعض هذه الجوانب دون غيرها وأكثر هذه المؤلفات مبوبة و يلاحظ فيها التكرار الناتج عن عدم مراجعته لها و هذه الملاحظة لا تنطبق على جميع مؤلفاته ،لأن تصريحاته تدل على مراجعة بعضها ، ومقابلة النسخ المنقولة بالنسخة الأصلية لا سيما قبل تقديمها للطبع و من هذه التصريحات مثلا قوله في احدى أجوبته عن شرح الليل : " مثل أن أرسل اليكم ما قوبل و صحح و لو من وسط أو آخر ." (2)

و مما يؤخذ على المؤلف تضمين مؤلفاته مسائل ضعيفة يسوقها من هنا و هناك أحيانا دون تمحيصها ، و يشير أحد تلاميذه المعجبين به الى ذلك في قوله : " و المؤلف قد يسوق مسائل ضعيفة " لكنه يمضي في حديثه محاولا تعليل ذلك " أما يبين فسادها تصريحا أو تلويحا و ليبين ما يستأنس به أن كان مما يحتمل ذلك كما جزم به نفسه ، وقد يسوق بعض مسائل واهية القول ليتميز الصواب من الخطأ و بضدها تتميز الأشياء و قد يترك ذلك الى الادراك بمعونة القرائن" (3).

و اذا افترضنا أن هذه العلل التي ساقها أبو اسحاق صحيحة ، و مقبولة ، فهي كذلك بالنسبة للعلماء و المحققين و لكن غير صالحة بالنسبة للمبتدئين و القارئين العاديين فقد يسلمون بصحة هذه المسائل باعتبار المصنف أوردها

---

1) أنظر مثالا لهذه المعلومات في مقدمته كتابه الذهب الخالص 02،03 .
2) كشف الكرب 1/07 .
3) شامل الأصل و الفرع مقدمة بقلم أبي اسحاق ص / هـ .

دون تبيان وجوه الخطأ و الصواب كما يصعب عليهم أن يدركوا هذه الوجوه ، و يفرقوا بينها ، و لذلك لا نجد للمفسّر مخرجا و سببا واضحا يصلح أن يكون مبررا مقبولا يعفيه من المسؤولية .

و اذا كنا نشاطر أبا اسحاق في التنويه بمؤلفات أستاذه و عمه من حيث احتوائها على ثروة علمية عظيمة قلّ أن توجد في سواها ، و بكثرتها بحيث أنها تجاوزت ثلاثمائة مؤلف عند بعض الدارسين ، و المئات عند البعض الآخر ، و تنوعها فاننا نرى من المفيد تحقيقها قبل طبعها و نشرها ، لا سيما ما يتعلق بالأحاديث النبوية الشريفة و بعض المفاهيم الواردة في مؤلفاته لتصبح — بعد ذلك — مراجع و مصادر مفيدة لجميع المستويات ، ليتنفع بها المجتمع .

و مهما يكن من أمر فان مؤلفات المفسّر تعتبر تراثا يستحق الدراسة و المراجعة و الطبع ليكون في متناول الباحثين ، و لعل مساعي وزارة التراث القومي و الثقافة بسلطنة عمان من نشر هذا التراث تعتبر خطوة أولى في سبيل تحقيق هذه الغاية المنشودة خدمة للمكتبة العربية الاسلامية ، و نرى أن هذه المؤلفات تساهم كثيرا في التقارب بين المدارس الاسلامية بما تحمل من أفكار جزئية ، و نزيهة رغم الظروف الصعبة التي نشأ فيها المصنف ، و تعتبر مراجعا يستفيد منها جميع طلبة العلم باختلاف انتماءاتهم و اتجاهاتهم و في البابين التاليين سنحاول القاء بعض الأضواء على نوع خاص من هذه المؤلفات و الذي أولى له المفسّر اهمية كبيرة ، و هذا النوع يتمثل في تفاسيره للقرآن الكريم ، الذي يحتل المرتبة الثانية في مؤلفاته بعد الفقه .

# الباب الثاني

## التعريف بنفاسيره

## - الباب الثّـانـــي -

### الفصل الأوّل : التّعريف بتفاسيـــره :

أوّل ما يلفت انتباه الباحث في حياة أمحمـد بن يوسف أطفيّش و مؤلّفاته اهتمـامه بتفسير القرآن الكريـم ، فقد اقتحمى أمهـات تفاسير القرآن و مكتبتـه خير شاهد على ذلك (1) .

كما كانت مادّة التفسير في معهده من المواد الرئيسية التي لها أهمية عظمى و يتولّى تدريسها بنفسه متّى و إن أسند تدريس بعض المواد إلى تلاميذه ، و يبدو اهتمـامه بهذا العلم - خاصّة - في تفسيره للقرآن الكريـم ثلاث مرّات في حياته منذ ريعان شبابه ، فإن أوّل كتاب ألّفـه في التّفسير هو كتابه ( همیان الزّاد الى دار المعاد ) الذّي ألّفـه في صغر سنّه بإعترافه (2) . هذا التّفسير الذّي احتفظت لنا مكتبته بثلاثة أجزاء منه مخطوطة هي : الجزء الثّاني من سورة (الأعراف) الى سـورة ( الكهف ) ، و الجزء الثّالث من سورة ( مريم ) الى سورة ( الصّافات) و الجزء الرّابـع من سورة ( ص ) الى سوره ( النّاس ) ،فيضـم - اذن - الجزء الاوّل الربع الأوّل و الفاتحـة . و تظهر أن هذه النسخة هي تلك التّي بعثها الى سلطان زنجبـار : برغـش بن سعيد ابن سلطان بن الأمتام لطبعها ، و يفهـم هذا من كلمة كتبها المؤلف في آخر الجزء الرّابع جاء فيها ما يلي :" . . . يقول المفسّر كمل الرّبع الرّابع وقت الظهر من يوم السّبت لتسع مضين من شهر رمضان من عام ألف و مائتين و واحد و سبعين بخط العجلة و قلمها ، وهذه مسودة لم أطالعها للتّصحيح و سأطالعها ان شاء اللّه تعالى . . . هذا الكتاب أمانة الى السّلطان برغش بنسخه بالقالب و يردّه الى مؤلّفـه ." (3)

و بالفعل لقد قـام بطبعه بنفقته الخاصة في المطبعة السّلطانية بزنجبار في أربعة عشر جزءا و أشرف على طبعه يحي بن خلفان بم أبي ثبهان الخروصي واضع تقديم الكتاب باسم السّلطان يبيّن فيه أسباب طبعه ، و يذكر فيه اسم النّاســـخ ،

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 307 .
2) التّيسيـــر 1/ 02 مقدمـة .
3) همیان الزاد 4/ آخر صفحة غير مرقمة رقم نسخة مكتبة المفسر ببني يسجن أ.ب. 11 .

وتاريخ نسخ كلّ جزء وفي تقديم كل جزء ينوّه بالمفسّر ومؤلّفه ويذكر أحد الأسباب الدّاعية الى تأليفه ألا وهو اشتماله على : " عقائد أهل الاستقامة ممتحنا لها على أهل الزّيغ بالحجج القاطعة والبراهين السّاطعة من الكتاب والسّنة وإجماع المحقّقين من الأمّة . . "(1)

ويستنتج من هذا التّقديم أنّ أحد دوافع برغش بن سعيد لطبع هذا الكتاب شعوره بضرورة خدمة المذهب الأباضي باعتباره من المنتمين إليه ، وتقديره لعالم ذاع صيته وخدم المذهب إلاّ أن هذا لا يمنع أن تكون رغبته كما ذكر في تقديم الكتاب الذّي أشرنا اليه — خدمة العلم رجاء ثواب اللّه وخوف عقابه .

فقد دام طبعه ابتداء من سنة 1305 هـ هو تاريخ انتهاء طبع الجزء الأوّل الى سنة 1314 هو تاريخ انتهاء طبع الجزء الأخير .

اذا كانت هذه الطبعة تمتاز بخطها الجميل فإنها لا تخلو من أخطاء رغم قيام خليفة بن سعيد بتصحيحها حسبما يفهم من هذه العبارة : " صحّح ذلك السيد — خليفة بن سعيد " والمشرف على طبعها نفسه يعترف بذلك في تقديم الكتاب إذ يقول : " . . وان احتاج الى إصلاح فليصلحه من صار في يده وأجره على اللّه تعالى . "(2)

ويؤكّد ذلك في آخر كل جزء بهذه العبارة : " . . ليعلم النّاظر في هذا الكتاب أنّه لا بدّ به من غلط لعدم وجود المصحّحين من أصل نسخته التّي هي بخط المغربي فلينظر النّاظر وليسدّد خلله . . " (3)

وفي المدّة الأخيرة قامت وزارة التّراث والثقافة بسلطنة عمان بطبع بعض أجزائه معتزمة طبع النّسخة الكاملة في خمسة عشر جزء . (4) دون تحقيقها .

---

1) همیان الزّاد 7 / أنظر الصفحات الأولى .
2) نفس المكان .
3) نفسه . الصفحة الأخيرة .
4) محمد كامل / قائمة مطبوعات الوزارة 1986/1987 وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان .

أمّا تفسيره ( تيسير التّفسير ) المشتمل على جزء واحد في مجلّد كبير الحجم ينقسم بين دفّتيه حوالي 938 صفحة ، مكتوبة بخط رقيق يكاد لا يقرأ إلّا بالعدسة أو المجهر (1) ، وفي مكتبة المفسّر نسختان إحداهما ناقصة في البداية الى قوله تعالى : "ياأيها النّاس اعبدوا ربّكم" سورة البقرة الآية 21 .

فقد تمّ طبع الكتاب في مطبعة حجرية بالجزائر العاصمة بين سنتي 1325 هـ و 1326هـ وتكلّف بطبعه هذا تلميذا المفسّر الحاج عمر بن الحاج ابراهيم بن محمد العطفاوي ( ...—... ) والحاج محمد بن الحاج صالح بن عيسى بن سليمان البسجيني ( ...—... ) وتشتمل هذه الطّبعة على ستّة أجزاء تضمّها سبعة مجلّدات لأنّ الجزء الرّابع قسّم الى مجلّدين لضخامته إذ يحتوي على 1098 صفحة حسب الترقيم الوارد فيه ويذكر صاحبا حقوق الطّبع أنّه تمّ ذلك للتّسهيل على القارئ . (2)

وفي تقديم كلّ جزءٍ يقومان بالتّنويه بالمفسّر ويختمان كلّ مجلّد بتاريخ انتهاء طبعه ، والدّعاء للمفسّر ولهما ، والجزء الأول يحتوي على مقدّمة مختصرة للمفسّر يبيّن فيها سبب إعادة تفسيره للقرآن الكريم ، فرغم انتشاره الواسع بمقارنته بتفسيره الأوّل الآن طباعة بعض أجزائه رديئة ومليئة بالأخطاء حتى قيل أنّ ذلك أسـاء المؤلّف . (3) فلا تكاد مكتبة من المكتبات الأباضية العامّة تخلو من نسخة أو أكثر من هذا التّفسير وكذا جلّ المكتبات الخاصّة القديمة .

فقد اعتزمت وزارة التّراث القومي والثّقافة بسلطنة عمان إعادة طبعه في عشر أجزاء لكن دون تحقيقه ، فقامت إلى حدّ الآن بطبع ستّة أجزاء منه . (4)

---

1) هذه المعلومات خاصة بالنسخة الأولى الكاملة .
2) التّيسير 4 / أنظر الصفحة الأخيرة من المجلّد الثّاني .
3) ابراهيم محمد طلاي ، محاضرة / ص 6 توجد لدي نسخة منها .
4) قائمة المطبوعات الوزارة 1986 / 1987 وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان .

ومايلاحظ في طباعة التّفسيرين السّابقين ملوءهما بالأخطاء وإهمال بعض العبارات أحيانا وخلوّهما من التّرقيم للآيات، والفهارس المساعدة للقارئ على استعمالهما والميسّرة له للاستفادة منهما وتمكينه من الرجوع الى الآيات عند الضّرورة.

أمّا تفسيره الثّالث المسمّى (داعي العمل ليوم الأمل) الّذي لا يزال مخطوطا وغير تامّ فلا يوجد منه في مكتبة المفسّر ببني يسجن الّا مجلد واحد يضمّ الأجزاء الأربعة وإن كتب عليه الجزء التاسع والعشرون، ففي آخر كلّ جزء يذكر المؤلّف رقم الجزء الّذي أتمّه، ثم يكتب عبارة الإهداء الى راشد بن عزيز العماني ومما جاء فيها: "أهداه مؤلّفه أحمد بن الحاج يوسف أطفيش المغربي إلى أخيه في الله الشيخ العالم الثّقة راشد بن عزيز يستفيد منه ويشره وإن شاء طبعه كما شئت ردّه إليّ لكونه غير مقابل بخطّي، فأرسل إليه بخطّي ليطبعه في مصر وذلك أنّه لم يوجد الّا نسختان، نسخة بخط يده ونسخة نسخت منها ولم تقابل بها وهي هذه، فلم أرد أن تخلو يدي منها لئلا يضيع." (1)

ويبدو أنّ كلمة الاهداء هذه مكتوبة بخطّ يده وذلك من خلال المقارنة بين خطّه والخطّ الّذي كتبت بها فيوجد تشابه كبير بينهما، غير أنّ تفسيره منسوخ بخط جميل وواضح ولا نلاحظ فيه تشطيبات كثيرة والكتابات على الهوامش كما هو شأن مخطوط تفسيره (تيسير بيان التّفسير) والمؤلّف نفسه يؤكّد في إهدائه أنّ هذه النّسخة ليست بخطّ يده ولم تقابل كما ذكر.

كما يعبّر من خلال هذا الإهداء عن رغبته في طبعه بمصر لعلّ ذلك لتقدّم الطّباعة بها وأمله في أن يخرج في حلة قشيبة خاليا من الأخطاء الّتي قد يرتكبها النّاسخ، ولعلّ النّسخة الّتي كان يمتلكها ابراهيم بن محمد أطفيش المدعو (أبو اسحاق) (1305هـ، 1385هـ)(1888م، 1965م) هي المخطوط الذي كتبه المفسّر بخطّه ويحتوي على مجلّدين.

---

1) داعي العمل / نهاية الجزء 29 صفحات غير مرقمة.

وكل مجلد يشتمل على جزئين ، فالمجلد الاول المشتمل للجزئين التاسع والعشرون والثلاثين يبدأ من سورة ( الرحمن ) وينتهي في آخر سورة ( التحريم ) . أما المجلد الثاني فانه يحتوي على الجزئين الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين ويبدأ بسورة ( الملك ) منتهيا بسورة ( الناس ) كما يضم بعض الأوراق من تفسير سورة ( ص ) .(1)

وهذه الطريقة في التأليف طرحت أمام الباحثين ، هذه التساؤلات ، هل أتم تأليفه ؟ ولماذا بدأ بسورة المفصل ؟ ولم أعاد تفسير القرآن ، وشرع فيه ثم توقف ؟ .

يرى ابراهيم بن محمد أطفيش ومحمد علي دبوز أن المؤلف كان ينوي أن يفسر القرآن باسهاب أكثر في تفسيره ( داعي العمل ) ويجعله في أثنين وثلاثين جزءا لكن أجله أدركه قبل إتمامه (2) ، بينما يرى ابراهيم محمد طلاي أن المؤلف أتم كتابه واستند في رأيه هذا الى قول المؤلف الوارد في مقدمة كتابه ( التيسير ) : " . . . وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل . . . " (3) ولعل ما يؤكد رأيه وجود الأجزاء الأخيرة من الكتاب وبعض أوراق من تفسير سورة (ص) الا أن هذا لا يمنع أن يتوقف المؤلف عن تأليف كتابه لما لم يجد اقبالا على كتبه باسهاب لتأليف كتاب يناسب مستوى طلبته ، ثم يعود لاتمام مؤلفه ، ولعل السبب الذي دعاه الى البدء بتأليف الأجزاء الأخيرة خلافا لتفسيره الأول هو ما لمس من نقص في الأجزاء الأخيرة من ( همیان الزاد ) بحيث أوجز في الشرح بينما نجد في كتابه ( داعي العمل ) أطنابا في التفسير لتلك الأجزاء ، ومن طبيعة معظم المفسرين والمؤلفين ضعف النفس في أواخر أعمالهم .

ومهما يكن من أمر فإن النسخة التي بين أيدينا تحتوي على أربعة أجزاء فقط مخطوطة ولا ندري السبب الذي جعلها تبقى الى يومنا هذا لم تطبع رغم الجهود التي بذلها تلميذه ابراهيم بن محمد أطفيش لطبعها حسبما ورد في مجلة ( المنهاج )

---

1) التفسير والمفسرون 2/316 .
2) ابراهيم بن محمد أطفيش أبو اسحاق ، مجلة المنهاج العدد 3،4 /46 داعي العمل ليوم الأمل ، التفسير والمفسرون 2/ 316 . تحقيق الجزائر الجديدة 16/ 316 الطبعة الأولى .
3) التيسير 1/ 32 المقدمة .

اذ يقول في معرض الحديث عنه : " . . . فأصبح ما نحن بصدد طبعه تفسيرا مستقلا للقسم المفصّل ." (1)

ولعلّ السابق الذي حال بينه وبين تحقيق عزمه هو قلّة المشتركين وغلاء الطّابع لأنّ في نفس العدد يحثّ القرّاء على الاشتراك في طبعه .(2)

و الكتب الثلاثة بحاجة الى يد أمينة وخبيرة لتحقيقها واعادة طبعها لتوضع في متناول أيدي القرّاء والباحثين كثيرا من التّفاسير ، وبذلك لو توضحت لنا هوامش مختصرة يستغني فيها عن بعض التّفاصيل التي سنتعرض الى بعضها في الباب الأخير من هذا البحث .

أسباب تفسيره للقرآن الكريم .

لعلّ أوّل سبب دعا أحمد بن يوسف أطفيّش الى التّصدي للتّفسير هو سدّ الفراغ الذي تشكو منه المكتبة الاباضية في هذا العلم للأسباب السّابق الذكر في التّمهيد (3) بحيث لم يبق من تفاسيرهم المكتوبة الى عهد المفسرين الكتاب المنسوب الى هود بن محكم الهوّاري ( القرن 3هـ ، ق م) وهو لفتنا نفسه يعترف بذلك في قوله ردّا على من ينكر الرّجوع الى تفاسير المذاهب الأخرى :" . . . هل فسّر القرآن غيرهم قبل هذا العصر إلا الشّيخ هود رحمه الله ولم يصل تفسيره هؤلاء المستشكلين (4) وان وصلهم فقد لا يجدون مقصدهم فهل يقرأون أو يصلون أو يفسّر لهم إلا تفسير البيضاوي و الزّمخشري ونحوهما" .

وبعد ذلك يبيّن أنّه وضع تفسيرا يغني القارئ الاباضي عن التّفاسير الأخرى ويقول في ذلك :" ولكما الآن والحمد لله الرّحمن الرّحيم من تفسير المذهب ما يغنيكم وان شاء الله عن تفسير غيره ."(5)

---

1) مجلة المنهاج 3،4/46 داعي العمل ليوم الأمل .
2) ن م . ص 47 .
3) أرجع الى ص 12 — 15 من هذا البحث .
4) يفهم من هذه العبارة أنّ تفسير هود بن محكم لم يكن آنذاك متداولا في عمان لأنّ الرّسالة موجّهة الى هذا البلد .
5) كشف الكرب 1/95 .

ويظهر من كلامه في مقدمة تفسيره ( همیان الزّاد ) أنّه لم يتصدّ للتفسير الا بعد أن أنس من نفسه القدرة وبلغ درجة الاجتهاد ويقول في ذلك : " ورفعه الى درجة اجتهادية لم أكن أظنني أصلها ." (1)

ومما يؤكّد هذا الدافع إلى تأليف هذا التّفسير ما قاله المستشرق مسكري أثناء تنقّله في قرى وادي ميزاب بحثا عن التّراث الاباضي وعدم عثوره على كتاب في التّفسير يعبّر عن وجهة نظر هذا المذهب ، فقد أخبره المفسّر بأنّه ألّف كتابا موسعا في التّفسير جمع فيه آراء المشائخ الّذين سبقوه ، فاذا علمنا أنّ تاريخ هذه الزيارة كان في سنة 1851 م ، اتّضح لنا أنّ هذا التفسير المشار اليه هو ( همیان الزّاد ) الّذي ألّفه في الخامس والعشرين من عمره . (2)

ومن الدّوافع التي دفعته إلى تأليف هذا التّفسير ، حسبما يفهم من كلامه ايضاح آراء الاباضية والرّد على المخالفين بأدلة نقلية وعقلية ويتّضح من قوله : ".. ويتضمّن انشاء الله (3) الكفاية في الرّد على المخالفين فيما زاغوا فيه وايضاح مذهب الاباضية الوهبية ، واعتمادهم ذلك بحجج عقلية ونقلية " (4) وبالفعل فإنّ المفسّر عند تعرّضه لقضايا الخلاف نجده يحاول البرهنة على صحّة آراء الاباضية ، واقناع الطّرف الآخر شأنه شأن المفسّرين الّذين طغت على تفاسيرهم الجوانب العقائدية والخلافية وهذه النقطة سنعالجها في بابها ، ونسوق أمثلة لذلك ، فانّما تريد من هذه الاشارة اثبات أحد الأسباب الدّاعية إلى تأليف تفسيره الأول ( همیان الزّاد ) ومن الأدلة التي تثبت هذا الدافع عند المفسّر ما جاء في تقديم الكتاب بقلم المشرف على طبعه :" .. لا سيّما وقد أظهر فيه عقائد أهل الإستقامة ممتحنا لها على أهل الزّيغ بالحجج القاطعة والبراهين السّاطعة الخ .." (5).

---

1) همیان الزاد 1/1 المقدّمة.
2) التّفسير ومناهجه عند علماء الاباضية — محاضرة ص / 11 .
3) هكذا كتب في النّسخة المعتمدة والصّحيح ان شاء الله .
4) همیان الزّاد — 1/1 المقدمة.
5) ن.م. 7/ تقديم القطعة السابعة .

فهل وفّق المفسّر في تحقيق هذا الغرض ؟ وهل كان دفاعه عن مذهبه بدافع التحزب؟ هذا ما سنراه في الباب الخاصّ به ، فيكفي أن نعرف أن المؤلف في تفسيره الأول — على وجه الخصوص — حاول أن يثري مكتبة الأباضية بتفسير موسّع يحمل وجهة نظر هذه المدرسة ، ويوضّحها شأنه شأن جميع المفسّرين بمختلف نحلهم واتّجاهاتهم لاقتناع كلّ واحد منهم بصحة مذهبه ، فرغم أهمية هذا التفسير من حيث كونه موسوعة جمع فيها المفسّر معظم أفكار أشهر المفسّرين المتقدّمين فإنّه يصوّر لنا ثقافة المفسّر التي لم تبلغ درجة النّضج التي تجعله يتحرّى في تأليفه التّدقيق والانتقاء ويبدو أنّ المفسر نفسه أحسّ بذلك ، ولهذا حاول إعادة تفسير القرآن مرّة أخرى في مخطوطه (داعي العمل) متحرّيا فيه التّحقيق ، والانتقاء ، والنّقد وقد شرع في هذا التّفسير بالقسم المفصّل على غير عادة معظم المفسّرين ، وربّما يعود ذلك كما سلف الذّكر الى ما لمس من نقص في الأجزاء الأخيرة من تفسيره الأوّل (همیان الزّاد ).

ولعلّ المؤلف يريد من هذا التّفسير تعويض ما فاته في تفسيره الأوّل ولا سيما وقد ازداد أطلاعا ومعرفة وتجربة ، وقد علمنا أنّ الأول قد ألّفه في صغر سنه .

وفعلا فإنّ الأجزاء التي ألفها تعكس بوضوح هذه الملاحظة ، وهذا الاحتمال .

ولكن التّفسيرين السّابقين رغم أهمّيتهما ، فانّهما لم يجدا إقبالا من قبل القرّاء وطلبة العلم ، وهذا ما صرّح به المؤلّف ويعزو ذلك إلى الكسل ، وضعف العزيمة في مقدّمة كتابه ( تيسير بيان التّفسير ) إذ يقول : " أمّا بعد فإنّه لمّا تقاصرت الهمم عن تحصيل همیان الزّاد إلى دار المعاد الذي ألّفته في صغر السّن وتكاسلوا عن تفسيري ( داعي العمل ليوم الأمل ) أنشطت إلى تفسير يختبط ولا يمـــلّ . . " (1)

فاذا كان المؤلّف يعزو سبب إعادة تفسيره للقرآن الكريم إلى ما لاحظناه من عزوف القرّاء عن المؤلّفات الضّخمة ، فان بعض تلاميذه يرون أنّه ألّفه ليكون كتابا مدرسيّا باعتباره من كتب التّفاسير التي أعتمدها في التّدريس بمعهده فقد كان يقرأه على طلبته في درس التّفسير قبل تقديمه للذّباعة لمعرفة ما أستشكل

---

1) التّيسيـــر 2/1 المقدمة .

عليهم ويقول في ذلك مؤلف كتاب ( أعلام الأصلاح في الجزائر ) نقلا عن تلميذ المفسر ابراهيم بن عيسى اليقظان ( 1306هـ ، 1393هـ ) ( 1888 م ) ( 1973 م ) ، و " كان درس التفسير في كتاب التيسير تأليف القطب (1) يفسر الآية في دروسه تفسيرا موجزا ثم يقرأ القارئ من كتاب ( التيسير ) ما كتبه القطب في تفسيرها ، وكان يستغني بما كتب عن الأسهاب الشامي في الدرس وكان ما يقرأه القارئ في سنيه الأولى في معهد القطب آخر ما ألفه القطب من ( التيسير ) وإذا لم تبد له زيادة ولم يضمن منه شيء على الطلبة يدفعه الى من يكتبه بحبر المطبعة ، فيرسله الى الطباعة ." (2)

فيكون تفسيره هذا — بذلك — تفسيرا مدرسيا ، ألفه لغرض تيسير المادة على طلبته للاستغناء عن المطولات ، التي تتطلب الجهد في الفهم ، والوقت في دراستها ولعل العنوان غير معبر عن هذا الغرض ، اذ سماه صاحبه ( تيسير بيان التفسير ) .

## المقارنة بين تفاسيره :

ليس من السهل اجراء مقارنة دقيقة وعلمية بين تفاسير تشتمل على مجلدات ضخمة ، فمثل هذه الدراسة في حد ذاتها موضوعا مستقلا ، يجدر بحثه من جوانبه المختلفة ، انما نحاول في هذه الصحالة القاء بعض الأضواء على أهم مميزات كل تفسير لا سيما من ناحية المضمون ، والتعريف بها فحسب .

إن أول ملاحظة تستدعي الانتباه في هذا الصدد هو الفرق بين تفسيره الأول ( محياني الزاد ) الذي جاء عبارة عن كتاب جامع لآراء المفسرين المتقدمين دون تمحيص ، مما أدى به الأمر الى الأغراق في النقل والاقتباس متأثرا بمن سبقه ، ولعل ذلك راجع الى صغر سنه وقلة تجربته ، وتجنب نقد من كانوا مصدر معارفه ، وخوفه من الوقوع في الخطأ بانكار الصحيح من الحديث أو المعلومات المختلفة ، وكأني به يثق ثقة عمياء في المفسرين الذين

---

1) لقب أطلقه علماء عمان على محمد بن يوسف أطفيش لمكانته العلمية انظر
2) أعلام الأصلاح في الجزائر 2/234 .

آستقى منهم معارفه .

غير أنه في تفسيره ( داعي العمل ) أخذ يتحرّر من هذه العقدة ، لأن معارفه ازدادت اتساعا وعمقا ، وبلغ درجة الاجتهاد المطلق ، فقد اعتمد فيه على فهمه ، مع انتقاء وتحقيق بحرما ينقله من غيره ، فلذالك نجد تلميذه ، ابراهيم بن محمد أطفيش يشيد به قائلا :" من أجل التفاسير وأغزرها لما فيه من حقائق التفسير ودقائق التنزيل ، وليس بتفسيره بسيط بل سلك المفسّر فيه منهج التبسيط والتحقيق لما اختلفت فيه الأمة من معاني الآيات ، ووجوه التأويل " (1) ولئن كان هذا الأخير لم يتم تفسيره فهو يشترك مع تفسيره الأول في غزارة المادة ، تتجلّى من خلالها ثقافة المفسّر الواسعة واطلاعه على جلّ التفاسير ، وآراء أصحابها ، وعمقه في دراسة آراء الأباضية ، فهما يصوران بصدق وجهة نظر هذه المدرسة . وللتأكد مما قلناه نسوق هذا المثال :

"للتمهيد لسورة ( الرحمن ) في كتابه ( همیان الزاد ) نلاحظ أن المفسّر يذكر فضلها وأسماءها ومكيّتها ومدنيّتها مع سرد الآراء المختلفة ، وعدد آياتها وحروفها وينهي هذا التمهيد بذكر فضل تلاوتها مستشهدا بحديث تبوي . . . "(2)

بينما نجده في كتابه ( داعي العمل ) يكتفي بذكر ترتيبها وعلاقتها بالسورة السابقة والحكمة من ذلك .(3)

ولتفسير قوله تعالى :" ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " الآية 27 من سورة الرحمن اقتصر في ( همیان الزاد ) على شروح عامة (4) ، وفي ( داعي العمل ) تعرض الى الرد على المجسّمة على حدّ تعبيره ، وأطنب في سرد مفهوم الأباضية لصفاته تعالى محاولا الردّ على الأشعريّة ، مع الاتيان بأمثلة حسّية وتعابير عربية مستعملة لاثبات صحة تأويل ( الوجه ) ولا يخفى عن ذكر المعاني اللغوية لهذه الكلمة ووجوه تصريفها الخ " . .(5) معتمدا في شروحه هذه على التحليل ، والنقد ، وعند استحسانه لرأي يقول :( هذا وجه حسن ) ولا غرابة في ذلك لأن المفسّر مرّ بتجربة في كتابه الأول سواء بهذا الكتاب تحويه ما لاحظه من نقص فيه ،

---

1) مجلة المنهاج العدد 3،4 / 45 داعي العمل ليوم الأمل .
2) ( همیان الزاد ) الجزء 14 .
3) ( داعي العمل ) الجزء 29 صفحاته غير مرقمة .
4) ( همیان الزاد ) 14/34 .
5) ( داعي العمل ) الجزء 29 صفحاته غير مرقمة .

وجعله أكثر دقة وتحقيقا .

وأما تفسيره المسمّى ( بالتيسير ) فنلاحظ أن المفسّر لم يخض فيه كثيرا في التفاصيل والجزئيات ، فقد حاول الالمام فيه بالمعلومات الضرورية مع محاولة الإختصار والتزام الموضوع في كثير من الأحيان فاذا قارنا بينه وبين تفسيره الأول ( هميان الزاد ) نلاحظ اطنابا مفرطا في هذا الأخير لا سيما في أجزائه الأولى منه ، وقد خصّص مثلا حوالي مائة وثمانية وستون صفحة لتفسير سورة ( الفاتحة ) وأفرغ في تفسيرها كلّ معلوماته ، وكأنّي به يريد أن يجعل منه موسوعة في التفسير ، فقد تعرض في تفسيرها الى أسمائها معللا ذلك ، ومبيّنا فضلها والإختلافات في مدنيتها ومكيّتها متحدّثا عن القراءات مسردا الأقوال والأحاديث المتعلقة بهذه السورة ثم تعرّض الى الإختلافات في البسملة مشيرا الى الأقوال الشاذة في عدد آيات الفاتحة وذكر عدد حروفها . . . بينما نجده في كتاب ( التيسير ) يتحرى الايجاز ويستغني عن التفاصيل محاولا الإفساح بالمعلومات العامة ، ويلاحظ القارئ رزانة المفسّر في الردّ على مخالفيه ونضجه وتمكّنه أكثر .

ولنمثل المثال الثاني يكون أكثر وضوحا ، فعند تفسيره قوله تعالى في كتابه ( هميان الزاد ) : ( هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب . . . ينفقون ) الآية 2 و 3 من سورة البقرة . يتحدث عن الإختلافات في تفسير الايمان ومفهوم الكافر والمشرك والمنافق في رأي الأباضية وغيرهم مع محاولة اثبات صحة رأي الأباضية (1) .

وفي كتابه ( التيسير ) استغنى عن ذكر تلك الاختلافات مقتصرا على ذكر اختلاف المفسّرين في مدلول المتقين ومفهوم إقامة الصلوات . (2)

وفي معرض حديث المؤلف عن طريقته في سرد آراء المذاهب الأخرى وموافقة بعضها لمعتقداته ونفيه لتقليد غيره قال : " . . ولا سيّما التيسير الذي قرب ان شاء الله الرحمن الرحيم كما له والله ما ذكرته الا لترغبوا فيه لأنه غير طويل بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطوّلات والحمد لله . " (3)

---

1) ( هميان الزاد ) 1/200 .
2) ( التيسير ) 1/6، 7 .
3) ( كشف الكرب ) 1/95، 96 .

فلعل العامل الذي ساعد على جعل هذا التفسير أكثر دقة وتحقيقا مرده على طلبته من جهة ومراجعته من جهة أخرى ، قبل تسليمه للطبع رغم كبر حجمه بمقارنته بالتفسيرين السابقين ، يقول فيه إبراهيم بن محمد أطفيش :" ومن وقف على تفسير ( تيسير التفسير ) شاهد تبحره في علوم القرآن وغزارة مادته ومقدرته على إظهار حقائق التفسير " (1)

غير أن ما نلاحظه في هذا التفسير ركاكة الأسلوب أحيانا عكس التفسيرين السابقين ويعزو ذلك ابراهيم محمد طلاي إلى " الرغبة في الاختصار من جهة والرغبة في جمع الكثير والإحاطة بمختلف الأوجه من جهة ثانية " (2) ونضيف الى هذا العامل عاملا آخر ألا وهو الغرض من تأليفه مما جعل المفسر يتوخى فيه أسلوبا بسيطا بعيدا عن الأسلوب الفني الأدبي الذي كان ميزة تفسيره ( همیان الزاد ).

والمؤلف في تفاسيره الثلاثة لم يخرج عن الطريقة السلفية في التفسير ولم يتميز عنها رغم معاصرته للحركة الاصلاحية ، وانتشار الوعي الديني والقومي فاننا لا نلاحظ لهذه التغييرات أثرا في تفاسيره ولا لأفكاره التي تبناها وقد لمحنا إليها في الفصل الثاني من الباب الأول إذا استثنينا بعض الاشارات في ( همیان الزاد ) بحيث كان مثلا يدعو على النصارى بالخزي وللمسلمين بالنصر (3).

وفي الوقت الذي عرفت فيه البلدان الاسلامية الهجمة الاستعمارية الشرسة ، والزحف الصليبي ، وبعض إشارات في كتابه ( التيسير ) الذي يدعو فيه المسلمين إلى توحيد الكلمة وجمع الشتات وتجاوز الخلافات ، ويثني فيه برجال الاصلاح (4) ، فكان من المنتظر أن تجيء تفاسيره أو على الأقل احداها تحمل مميزات المدرسة الاصلاحية لكن يبدو أن المفسر لم يستطع التحرر من تأثيرات المدرسة السلفية التي تتلمذ عليها من خلال مصادر دراسته ، فجاءت تفاسيره — بصفة عامة — تحمل طابع هذه المدرسة لكنها تصور — كما رأينا ذلك سابقا — أفكار مدرسة من المدارس الفقهية الاسلامية ، ألا وهي المدرسة الاباضية ، وتعبر بصدق عن تفاعل

---

1) الذهب الخالص ترجمة المؤلف بقلم أبو اسحاق ص/هـ.
2) ابراهيم محمد طلاي ، محاضرة ص 07.
3) ( همیان الزاد ) 14/100 — 129.
4) ( التيسير ) 2/791.

هذه المدرسة مع المدارس الأخرى وتجسّم وجهة نظر هذه المدرسة التي كانت مجهولة في نظر الكثير من الدّارسين.

أسباب عدم انتشار التفاسير

وقد يعجب الدّارس — في بداية الأمر — اذا علم أنّ هذه التّفاسير تجد صداها عند متعلّمي الأباضيّة ومثقفيهم ناهيك عن غيرهم ، فقد درست — مثلا — مادة التّفسير على أحد تلاميذ المفسّر وهو يوسف بن بكر حمود علّي من كتاب عبد الله بن عمر البيضاوي (000 — 685هـ) وكان ابراهيم بن عمر بيوض (1816م — 1400هـ) في دروس التّفسير لا يعود الى كتابه (التّيسير) إلّا حين يريد أن يطّلع على وجهة نظر الأباضية في قضية ما .(1) ولم يبلغ مسامعنا اعتماد أحد تفاسيره كمرجع في معهد من المعاهد التي تدرس الفقه الأباضي ، ولعلّ من أسباب ذلك ما يلي :—

1) طباعتها السّيئة التي لا تغري الطالب على الدّراسة ، ولا تساعده على البحث لخلوّها من أرقام الآيات والفهارس ، بالاضافة الى كثرة الأخطاء الواردة فيها .

2) قلّة النّسخ التي طبعت لا تسمح للطّلاب والباحثين باقتنائها ، فيكون من الصّعب عليهم — أحيانا — العثور على نسخة للاطّلاع عليها بله للدّراسة ، بالاضافة الى عدم طبع تفسيره ( داعي العمل ) الذي لولا الأيادي الأمينة لضاع مع جملة من مؤلفاته التي ضاعت لا سيّما رسائله .

3) وبما أنّ المفسّر اقتبس كثيرا من كتب المفسّرين الذين سبقوه في هذا الميدان ، وانتهج الطّريقة السّلفية في التّفسير كما سبق ذكره ، ولا تحمل عناصر جديدة شكلا ومضمونا الا ما ذكرناه من وجهة نظر الأباضيّة ، فانّ الباحث والطّالب لا سيّما في الماضي — يحبّذ الرّجوع الى المصادر الأساسية ، ليستقوا منها معلوماتهم ، وفي الوقت الحاضر فانّ الطّالب — في الغالب — يختار المراجع التي تمتاز بمنهجية حديثة ومضامين تتماشى مع تطوّر الحياة والفكر ولذلك لم تجد تفاسير المؤلف صدى في أوساطهم وأولئك .

---

1) أعلام الاصلاح في الجزائر 3/126 .

4) عدم التعريف بهذه التّفاسير ،بحيث لم يتناولها باحث أو أستاذ بالدّراسة كما هو شأن بقيّة التّفاسير التّي نالت حظّها من الدّراسة الأكاديمية أو من تعريف العلماء بها فهي الى حدّ الآن مجهولة لدى كثير من الباحثين ،ولعلّ اذا وجدت من يقوم بتحقيقها وطبعها طباعة عصرية وحظيت بدراسات علمية ستجد مكانتها بين سائر التّفاسير المعروفة على الأقل من حيث أنّها تمثّل مدرسة اسلامية تتميز بمعتقداتها وآرائها .

5) اعتماد المغاربة مؤلفات المشارقة ظاهرة معروفة منذ القدم ،ولعلّ السّبب راجع الى أنّ المشرق مصدر الثّقافة العربية الأسلاميّة ممّا أصبح المغاربة ينظرون اليه نظرة التلميذ لأستاذه ،ويشعرون ازاءه بعقدة النّقص مهما بلغوا من المعرفة والعلم ،وهذه الظّاهرة نلاحظها في معظم العلوم ،وهذا ممّا أدّى الى التّقليل من شأن تفاسير أهل المغرب مثل تفاسير المؤلف ،وتفسير الثّعالبيّ وغيرها واعتبار غيرها أحقّ بالدّراسة ،وأن كنّا نفضل المشرق على المغرب وتفوّقه الّا أنّنا لا نوافق على انكسار مساهمة المغاربة في اثراء التّراث العربي الأسلامي واحيائه ،كما ندعو لذلك الى استثمار هذا التّراث والاستفادة منه ،ووضعه في مكانته اللاّئقة .

فهذه أهم الأسباب التّي جعلت تفاسير أمحمد بن يوسف أطفيش غير منتشرة ، ومتداولة بين الدّارسين والباحثين ،رغم أنّها تمثّل وجهة نظر احدى المدارس الاسلامية في تفسير آيات العقائد والأحكام .

## الباب الثاني :

## الفصل الثاني :

### — رأي الباحثين في تفسيره —

تختلف آراء الباحثين في تفاسير أحمد بن يوسف أطفيش باختلاف وجهة نظر كلّ باحث واتّجاهه ، فمن الآراء المنتقدة لهذه التّفاسير ، وتبلغ هذه الانتقادات — عند بعضهم — درجة التّحامل ، مثلما هو الملاحظ في كتاب ( التّفسير والمفسّرون ) .

فإنّ أوّل حكم يصدره صاحب هذا الكتاب على تفسير ( همیان الزاد ) هو كونه يمثّل أهمّ التفاسير عند الأباضية من الخوارج (1) ، غير أنّه يرى من جهة أخرى لا يمثّل حقّ التّمثيل التّفسير عند الخوارج القدماء معلّلا ذلك بقوله : " لقرب عهد مؤلّفه ، وتأخّره عن زمن كثير من علماء التّفسير الّذين وافقوه على مذهبه والّذين خالفوه فيه " دون أن يستند في رأيه على أدلّة تثبت صحّة ما ذهب اليه ، ويقول في موضع آخر من كتابه مؤكّدا رأيه بعد التّعريف بالتّفسير الّذي سبق ذكره : " ممّا يدعونا الى القول بأنّ تفسيره يمثّل التّفسير المذهبي للخوارج الأباضية في أواخر عصرهم فقط " .(2)

أرى أنّ النّاقد تسرّع في إصدار حكمه على الكتاب بحيث يمكن له أن يقارن بينه وبين تفسير هود بن محكم الهوّاري ( القرن الثّالث الهجري ) الّذي ذكر بأنّه تحصّل على نسخة منه ، وهذا العمل لا يكلّفه جهدا كبيرا يخرج برأي ثابت مدعّم بأدلّة ثم أنّ آراء الخوارج والأباضية — بصفة خاصّة — معروفة وواضحة في كتبهم ، ولا أخال أنّ النّاقد يجهلها ، فاذا وجد المفسّر — فعلا — يدافع عنها ويؤوّل الآيات حسب مذهبه كما استنتج النّاقد ذلك حيث يقول : " لا يكاد يمرّ بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلّا مال بها إلى مذهبه وجعلها دليلا عليه . " أ.هـ. بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ يقول : " .. ولا آية تصارحه بالمخالفة إلّا تلمّس لها كلّما في طاقته من تأويل ليتخلّص من معارضتها ، وقد يكون تأويل متكلّفا وفاسدا ، طاقته

---

1) التّفسير والمفسّرون 320/2 .
2) نفس المكان .

ولا ينجو من معارضة الآية ، لكنه التعصب الأعمى يدفع الإنسان الى أن ينسى عقله ويطرح تفكيره الصائب ليمشي مع الهوى بعقل فارغ وتفكير خاطئ ."

فالأجدر بالناقد أن يصدر حكما صريحا على أن التفسير يمثل آراء الإباضية ولا سيما وقد استنتج أن المؤلف يتعصب لآراء المذهب تعصبا أعمى ، فماذا ينتظر من مفسري الإباضية الأولين حين كان الصراع المذهبي قائما والجدال حادا ، وكل مذهب يرمي غيره بالمروق من الدين ، فهل يصفهم بوصف آخر غير التعصب الأعمى ! ؟ أو ينتظر منهم أن يكونوا أكثر نزاهة من مفسرنا ؟ وسندلي برأينا في الموضوع عند تعرضنا لهذه النقطة في منهجية التفسير .

وبعد أن أشاد الذهبي بسعة اطلاع المفسر واستفادته من التفاسير قائلا : " ان الرجل قد قرأ الكثير من كتب التفاسير تأثر بما جاء فيها ، واستفاد الكثير من محاسنها ومزاياها ."(1)

ورجل متفتح على جميع الآراء ليس من السهل أن يتهم بالتعصب الأعمى فماذا يقال — حينئذ — في مؤلف عاش في عصر ازدهار العلم ، وفي وسط ثقافي ، وفي عصر يؤمن بحرية الرأي ؟ فيتهم مذهبا من المذاهب الإسلامية بالزيف ، دون الاستناد على أدلة وحجج قاطعة متحاملا على المفسر في قوله :" .. هذا هو مفسر الإباضية ، وهذا هو تفسيره الذي ملأه بالدفاع عن العقيدة الزائغة والتعصب لمذهب فاسد ."(2).

فهذه اللهجة العنيفة التي عرض بها الناقد أفكاره تجعلنا نحتمل تجاهه أحد الاحتمالين : إما جهله لآراء الإباضية ، ورأي علماء المذاهب الإسلامية الأخرى النزهاء فيها ، وإما تعصبه لمذاهب أهل السنة ، جعله يعتبر غيرها مارقة من الدين وزائغة ، وفي كلتا الحالتين يقف الدارس الذي ينشد الحقيقة متحفظا من آرائه النقدية .

---

1) ن.م. 2/ 320.
2) ن.م. 2/ 321.

وقد تعرض محمد حسين الذهبي لطريقة المؤلف، يلاحظ القارئ اعترافه بسعة اطلاعه، والمامه بجميع المسائل التي تناولها بالآية على غرار المفسرين الذين سبقوه، وقد ذكر من قبل بأنه استفاد منهم، لكن لا أجد أي داع لقوله: " ثم يذكر فوائد السور بما يشبه كلام المضعوفين الدجالين " وقوله: " وهو يكثر الى حدّ كبير من ذكر الاسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع، ولا يصدقها العقل. "(1)

فهذه المميزة لا يختص بها مفسرنا فحسب، بل هي مميزة مشتركة بين عدد من المفسرين الذين تأثر بهم، وسنذكر بعضهم عند تعرضنا للمصادر، ومن بينهم مفسري أهل السنة، فلا ندري لماذا أصدر الناقد حكمه على محمد بن يوسف أطفيش دون غيره "!؟

ومن هنا يتبين لنا بوضوح أن محمد حسين الذهبي تنقصه النزاهة العلمية وعمق التفكير وتتصف أحكامه - في غالب الأحيان - بالجحاف كبعض تجاه بعض المفسرين - لا سيما - غير المنتمين الى مذاهب أهل السنة، فلا أدري على أي أساس صنف تفاسيرهم في صنف التفاسير بالرأي المذموم، وتفاسير أهل السنة في صنف التفاسير بالرأي المحمود !

وقد لاحظ محمد حسين الذهبي أن المفسر في أسلوب تناوله للسورة، يذكر في أولها عدد آياتها والمكي منها والمدني، ثم يذكر فضائل السور، وفوائدها آخذا عليه استشهاده - في الغالب - بالأحاديث الموضوعة، في فضائل السور، وبسرد فوائدها بما يشبه كلام المضعوفين والدجالين.

ثم يشرع باسهاب الآيات متعرضا - في ذلك - للمسائل النحوية واللغوية والبلاغية والفقهية، مع ذكر مسائل الخلاف بين الفقهاء، متطرقا بشيء من التفصيل الى مباحث علم الكلام، والأبحاث الأصولية، والقراءات، ويقتصر في الجانب التاريخي على ذكر الغزوات التي وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

1) ن م. 2/320، 321.

ومما أخذ عليه اكثاره من الاسرائيليات المتناقضة مع الشرع ، وتأويل الآيات بما يوافق آراء مذهبه ، وقد ظهر له بأنه متأثر بآراء المعتزلة .(1)

من خلال هذا العرض الوجيز لآراء الذهبي في تفسيره ( هميان الزاد ) نستنتج ما يلي :ـ

1) أهمية هذا التفسير تبدو واضحة في كونه موسوعة تجمع مختلف الآراء والعلوم التي لها صلة بالقرآن الكريم .

2) تأثر المفسر بمذهب الاعتزال .

3) اعتماده التأويل أسلوبا لنصرة مذهبه ، نتيجة تعصبه له .

4) اعتماده على الاسرائيليات والاحاديث الموضوعة ، وسرد فوائد السورة بطريقة لا يصدقها الشرع ولا العقل ، ومعنى هذا لا يتحرى المفسر التحقيق في روايته المعلومات وايرادها كشواهد .

فهذه الآراء التي استخلصها محمد حسين الذهبي من كتاب ( هميان الزاد ) للمفسر كانت محل رد بعض الباحثين ، فقد ذكر عادل نويهض لكتاب ( التفسير والمفسرين ) كأحد المراجع المعتمدة في ترجمة المفسر ، عقب ذلك بقوله :" لا نوافق على كل ما جاء فيها من آراء ." (2)

كما تولى الرد عليه أكثر من باحث اباضي ومن جملتهم أحد مفسريهم المعاصرين أحمد بن حمد الخليلي الذي يعزو نقده الى : " التعصب المذهبي البغيض " والذي يرى أنه أعماه عن رؤية الحقائق يمكن له التوصل اليها باجراء مقارنة بين تفاسيره الثلاثة ، والبحث عن الاسباب التي جعلته يقع في تلك المآخذ والتي يجملها فيما يلي :ـ

1) تأليفه في مختصر سنة .

2) تقتيه في أقوال العلماء من قبله على اختلاف مذاهبهم .

3) عنايته بالجمع أكثر من عنايته بالبحث والتمحيص.

---

1) ن.م. 2/320 ، 321 .

2) معجم المفسرين 2/ 653 أنظر الهوامش.

ومّما يلاحظ في هذا الرّدّ اعتراف أحمد بن حمد الخليليّ بالخطأ الّذي وقع فيه المفسّر في كتابه (هميان الزّاد) والتّنويه ضمنيّا بتفسيريه الآخرين اللّذين كانا ثمرة نضج المفسّر وتحقيقا لرغبته في محو الأخطاء الّتي تنبه اليها في تفسيره الأول، والنّاتجة عن عدم الاهتمام بالتّحقيق والتّمحيص فيما ينقله من المفسّرين السّابقين.(1)

ونشر الرّدّ — تقريبا — يوجّهه اليه بلحاج عدّون شريفي، اذ يرى أن صاحب كتاب (التّفسير والمفسّرين) بالغ في نعت المفسّر بأوصاف لا تليق به نتيجة عدم التّعمق في الدّراسة، والاقتصار على تفسيره الأول والمبالغة في التّهويل مع اعترافه — من جهة أخرى — بالخطأ الّذي وقع فيه المفسّر من جمع المعلومات وروايتها دون تمحيص وتحقيق أحيانا، وهذا راجع في نظره الى محاولة المفسّر الاولى والّتي توخّى فيها جمع ما يمكن من المعارف الّتي حصّل عليها أثناء سنوات دراسته.(2)

لكن ابراهيم محمد طلاّي يرى في ردّه أن السّبب المحتمل الذي دعا الذّهبيّ الى اتّهام المفسّر بالتّعصب المذهبيّ هو أحد أسباب تأليفه للتّفسير الوارد في مقدمة الجزء الأول والمتمثّل في الرّدّ على المخالفين وايضاح مذهب الاباضيّة (3)، ممّا دفع النّاقد الى التّهجم على المفسّر ومذهبه، ويرى أن الدّارس المنصف للكتاب يكشف أن هذه التّهمة الموجّهة للمفسّر باطلة، ولا يوافق على اتّهام كلّ متحمس لرأي، أو مؤمن بنظرية بالتّعصب والتّطرف.(4)

اذا كان الذّهبيّ جانب في نقده الموضوعية، ولم تكن دراسته مبنيّة على أسس علمية حسبما رأينا فإنّ الرّدود الموجهة اليه اتّسمت بالسّطحية، ولم تعتمد على أدلّة وحجج مقنعة فأوّل ما يلاحظ عليها الاكتفاء بلوم النّاقد عوض محاولة تبيان مواطن الخطأ في أحكامه وتصحيحها، فكان موقفهم موقف المحامي والمدافع

---

1) أحمد بن حمد الخليليّ جواهر التّفسير أنوار من بيان التّنزيل 1/من ص35 — 37.
2) التّفسير ومناهجه عند علماء الأباضيّة، محاضرة ص11 و12.
3) (هميان الزّاد) 1/ .
4) ابراهيم محمد طلاّي، محاضرة ص05.

الذي يحاول ردّ التّهمة على زبونه لا الناقد الذّي ينشد الحقيقة والصّواب.

ولذا نجد في دراسات هؤلاء التفاسير أمحمد بن يوسف أطفيش، التركيز على ابراز مزاياها والتّنويه بها، أكثر من محاولة نقدها نقدا علميّا يبرز الجوانب الايجابية والسّلبية فيها، فجاءت دراساتهم عبارة عن ملاحظات عامة يعززها التّحليل والتّحقيق وسوق شواهد وأدلة تثبت صحّة ما ذهبوا اليه.

فاذا تصفّحنا محاضرة ابراهيم محمد طلاّي حول تفاسيره يسترعي انتباهنا فيها تحديد مزاياها في النّواحي التّالية :-

1. جمع الكثير ممّا هو متفرّق في كتب مختلفة.
2. تحقيق الكثير من المسائل التّي تضاربت فيها أقوال المؤلفين والمفسرين.
3. لا يغفل عن أوجه الاعراب والتّخريجات البلاغية وايراد المسائل الفقهية واستنباطها من مضانّها مقارنا ومرجحا ومنتقدا.
4. يغني القارئ من مراجعة عدّة تفاسير وعدّة كتب في الموضوع الواحد. (1)

وممّا يستخلص من هذه الأوصاف الحكم على تفاسيره بالشّموليّة لجميع الموضوعات التّي تعرض لها المفسّرون ولعلّ هذا يعتبر من الأسباب التّي جعلت القرّاء يحجمون عن مطالعتها اذا صحّ هذا الحكم، كما يرى — بعد عرض طريقة المفسّر — أنّه انتهج في تفاسيره الطّريقة السّلفية التّلقينية الشّائعة بين المفسرين (2)، دون الاشارة الى ما يمكن أن تمتاز به تفاسيره عن غيرها من حيث الموضوعات أو الطّريقة وكأنّ شخصية المفسّر لا أثر لها، مع أنّه سبق للمحاضر أن نوّه — في مستهلّ محاضرته — بالمفسّر قائلا: " وهو على الخصوص مفسّر كبير، وعالم جليل بمعاني كتاب الله تعالى ومتمكن من استنباط أحكامه، واستجلاء دُرره. " (3)

فاذا كان الأمر كذلك فانّه من دون شكّ تحمل هذه التّفاسير مميّزات وخصائص نتيجة اجتهاد المفسّر الذّي أدّى به الى استنباط الأحكام، واستجلاء الدرر، والمحاضر لم يتطرق في محاضرته ولو على سبيل المثال الى بعض ما توصل إليه المفسّر ممّا يعتبر نتيجة اجتهاده وثمرة بحثه وتحقيقه.

---

1) ن.م. / 07
2) نفس المكان.
3) ن.م. / 01، 02.

فاذا استثنينا ملاحظات المحاضر لأسلوب المفسّر في كتابه (التّيسير) والّذي يرى أنّه يميل فيه — أحيانا — الى عدم الاسهاب معللا ذلك برغبة المؤلّف في الإختصار من جهة ورغبته في جمع الكثير، والاحاطة بمختلف الأوجه من جهة ثانية،(1) نجد طلّاي قد تغاضى عن الجوانب السّلبية الأخرى والّتي لاحظها بقية الباحثين والدّارسين لتفاسيره.

وما يلاحظ المقارن بين أحكام محمد حسين الذّهبي وابراهيم محمد طلّاي هو غضّ طرف الأول عن جميع الجوانب الايجابية عند المفسّر، وعدم التّنويه بها، ولو بعباره مختصرة أقلها التّرحم على المؤلف، بينما راح يوجه له انتقادات لاذعة — أحيانا — ولا أقول نقدا — بعيدة كلّ البعد عن الرّوح العلمية والنّزاهة والعدالة مع أنّ اللّه سبحانه وتعالى يقول :" ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتّقوى.." (2)

بينما نجد ابراهيم محمد طلّاي يتغاضى عن الجوانب السّلبية، وان تعرض لبعضها حاول ايجاد مبرّرات لها، وهذه النّظرة — أيضا — بعيدة عن البحث العلمي النّزيه.

فاذا انتقلنا الى رأي محمد بلحاج بن الشّيخ، نجده يلخّص طريقة المفسّر في جانبين رئيسيين.

1. جانب المبنى الّذي يعتبر — في نظره — الميزة الغالبة على تفاسيره، اذ لاحظ إفاضة المفسّر في المسائل النّحوية والصّرفية والبلاغية.
2. الجانب العلمي والفقهي، يظهر على وجه التّخصوص في شرحه لآيات الأحكام، غير أنّه يوردها بطريقة غير مرتّبة كما هو الشّأن عند القرطبي والرّازي.

ونوّه (من خلال ذلك) بقدرة المفسّر، وسعة معارفه في العلوم الآلية والصّناعية اللّفظية، أخذا عليه الاغراق في النقل واقتباس بعض الاسرائيليات من المفسّرين السّابقين في تفسيره (همیان الزّاد) معللا ذلك بتأليفه في غضارة شبابه.

---

1) ن.م. ص/ 07.
2) المائدة 09.

ومشيدا بالمفسرين الآخرين ، الذين ألفهما عند نضج عقله ، وبلوغه درجة الاجتهاد المقيد ثم المطلق من حيث التخلي عن كثير من النقل والروايه مقتصرا على ما توصل إليه عن طريق استقراء النصوص القرآنية من مسائل بلاغيه ، وأحكام فقهية مع الاستشهاد ببعض أقوال السابقين (1).

لولا اعتراف الباحث في مستهل تعرفه للمفسر وتفاسيره بعدم التعمق في دراستها لأخذنا عليه اقتصاره على جانبين فقط ، في حين أن المفسر قد تناول في تفاسيره جوانب عديدة لا سيما الجانب العقائدي ولم يحمل الجوانب الأخرى التي سنتناولها بالبحث في الباب الأخير ، لكن من جهة أخرى نلاحظ اتفاقه مع بقية الدارسين في أغراض المفسر في نقل الاسرائيليات دون تحقيق وتمحيص ، والاكثار من الروايات من المفسرين الذين استقى منهم معلوماته ، وهاتان الملاحظتان تنطبقان - في نظره - على تفسيره ( معيار الزاد ) بخلاف ابراهيم محمد طلاي الذي يرى أن الملاحظة الثانية ميزة تفسيره ( داعي العمل ) اذ يقول : " .. فهو تفسير ضخم يورد فيه القطب رحمه الله كل ما ذكره المفسرون من قبل " (2) ، غير أنه لا ينفي هذه الميزة عن بقية تفسيريه لكنه لا يوافق غيره على عدم التحقيق والتمحيص ويقول في ذلك :" فميزة الكاتب أنه جمع الكثير مما نراه متفرقا في كتب مختلفة ، وحقق الكثير من المسائل تطاربت فيها أقوال المؤلفين والمفسرين " (3)

وأما رأي ابراهيم بن محمد أطفيش في كتابه ( داعي العمل ) يلخصه في قوله : " لقد رأيت في هذا التفسير من التحقيق ما لم أره في غيره " (4) ويعرفه في مجلة المنهاج بقوله : " وهو جدير بالاهتمام والاعتبار ، ومن أجل التفاسير وأغزرها ، لما فيه من حقائق التفسير ودقائق التنزيل ، وليس بتفسير بسيط ، بل سلك المفسر فيه منهج التبسيط والتحقيق ، لما اختلفت فيه الأمة من معاني الآيات ووجوه التأويل ." ويسترسل قائلا :" ... يجد فيه مريد الآيات من بدائع التفسير

---

1) القرآن تفسيره ومفسروه عند الاباضيه ص 39 — ص 41 .
2) ابراهيم محمد طلاي محاضره ص 06 .
3) ن م . ص 07 .
4) نهضة الجزائر الحديثة 1/315 الطبعة الأولى .

وبلاغة القرآن ، وأصول الأحكام ، وتحرير المشكل وتأويل الحق المتشابه ما لا مزيد بعده لمستزيد " (1) ويرى أن المفسر نفسه قد نوّه به في مؤلفاته وكان يحيل القارئ عليه في سور المفصل كما يحيله في غيرها على ( همیان الزاد ).(2)

أول ما يلاحظ القارئ في هذه الآراء المتناقضة ، أحيانا ، اتفاقها على غزارة المادة وتنوعها ، أن ما رآه هذا الأخير حقائق في التأويل المتشابه رآه محمد حسين الذهبي من التأويل الفاسد لظواهر الآيات تعصبا لمذهب ، وكل يحكم على المفسر من وجهة نظره ، ومن زاوية انتمائه المذهبي ، ولا عجب في ذلك ، إنما العجب هو الانتظار من عالم عاش في القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر ، أن يكون نزيها كل النزاهة بطرح آراء مذهبه جانبا وإلا اتهم بالتعصب الأعمى!!!.

فاذا اعتبر ابراهيم بن محمد أطفيش كتابه ( داعي الحمل ) من أهم تفاسيره من حيث التحقيق بدليل قوله السابق ، فاننا نجده يصدر حكما شبيها بالحكم السالف الذكر على كتابه ( التيسير ) قائلا : " .. ومن وقف على تفسيره ( تيسير التفسير ) شاهد تبحره في علوم القرآن وغزارة مادته ، ومقدرته على اظهار حقائق التفسير " (3).

وبنفس الأسلوب يعلق محمد علي دبوز على تفاسيره قائلا : "وأنت اذا نظرت في كتب التفسير التي ألفها ورأيت مباحثه النحوية واعرابه فيها ، ولحظه لمذاهب النحاة في مشاكل النحو علمت أي بحر هو في علوم العربية " (4)

" لكن اعجاب هذا الأخير مقتصر على تضلع المفسر في المسائل النحوية ومذاهب النحاة ، دون التعرض لجوانب أخرى ، وكأن تفاسيره ذات اتجاه نحوي حسب وجهة نظره ".

واذا تأملنا آراء ابراهيم بن محمد أطفيش ومحمد علي دبوز لاحظنا أنها تتميز بطابع المدح فهي أشبه ببلاغات الأشهار ، منها بآراء نقدية ، وأحكام دقيقة يتوصل اليها الباحث عن طريق التحليل والدراسة الجادة والموضوعية ، فاذا حاول النقاد

---

1) مجلة المنهاج ع 3، 4/ 46 ، 47 داعي الحمل .
2) ن م . ص 47 .
3) الذهبية ص ترجمة المؤلف بقلم ابراهيم بن محمد أطفيش أبو اسحاق ص/ هـ .
4) نهضة الجزائر الحديثة 1/ 302 .

السّابقون الأظهار في دراساتهم لبعض جوانب تفاسيره بالنّاقدين و محلّلين لأن هذين الأخيرين اكتفيا بالتنويه و الإشادة .

ولعلّ الدراسة التي يمكن اعتبارها أقرب الى الدّراسات الجادّة و الموضوعية و التي تفيد الباحث ، وتعطي صورة — ولو عامة — على تفاسيره هي الدّراسة التي قام بها بلحاج عدّون شريفي ، وقد استعملها باقطاع ولاحظة عامّة على تفسيره ( همیان الزّاد ) الذّي لا يمثّل — في نظره — منهاجه الحقيقي في التّفسير مثلما هو شأن تفسيره ( التّيسير ) و ذلك راجع الى عاملين :—

1 . محاولة المفسّر جمع أقصى ما يمكن من المعارف التي حصّل عليها في سنوات دراسته .

2 . إهمال التّحقيق و التّمحيص أحيانا . (1)

ثم تطرق الى تحديد منهجيّة من خلال تفسيره ( التّيسير ) و تتمثل في الجوانب التّالية :—

1 . إفاضة القول في المباحث اللّغويّة البيانيّة ، معتمدا في ذلك أسلوب التّحليل والتّعليل للتّوصّل الى ترجيح الرّأي الذّي يراه صحيحا مدعما رأيه بأدلّة من القرآن ، و الملاحظة التي استرعت انتباهه هي قيمة المصادر التي يستقي منها معلوماته .

2 . الخوض في مسائل الخلاف الفقهية مقدما الرّأي المشهور عند الإباضيّة .

3 . التّعرض — أحيانا — الى علم المتشابه .

4 . **الرّد على المخالفين** للمذهب الإباضي في بعض المسائل العقائدية على وجه الخصوص .

5 . رواية كثير من الآثار دون التّثبت من صحّتها . (2)

و ما يلاحظ جديدا في دراسة بلحاج عدّون شريفي سوقه لأمثلة لدعم آرائه ، غير أنّه استمدها من كتابيه ( همیان الزّاد ) و ( التّيسير ) مع أنه اكتفى بدراسة منهاجه من خلال تفسيره ( التّيسير ) و اعتبر ( الهميان ) لا يمثل بحقّ منهاجه ، و من هنا نرى أن المحاضر لم يلتزم بمنهجيّته في الدّراسة ، بالإضافة الى ذلك اعتمد على قول بعض الأساتذة دون التّحقيق من صحته مع إمكانيّة ذلك ، لكن الدّارس استطاع الإلمام ببعض جوانب منهجيّته في التّفسير ، و سلّط على تفسيريّة ( الهميان ) ،

---

1) التفسير و مناهجه عند علماء الإباضية ، محاضرة ، ص 11، 12 .

2) ن . م . ص 12 ، 13 .

و ( التّيسير ) بعض الأضواء المساعدة للباحثين على التّعمق في دراساتهم لهذين التّفسيرين .

وما يمكن استخلاصه من هذه الآراء المختلفة التي تعتبر ملاحظات عامّة أكثر ما تكون نقدا و دراسة علميّة ما يلي :-

1 . اتّفاق الباحثين على أنّ التّفاسير الثّلاثة تبرز بوضوح ثقافة المفسّر الغزيرة ، واطّلاعه الواسع على جلّ التّفاسير و تبحّره في علوم اللّغة و البيان .

2 . تحرّيهما المسائل الخلافيّة و تحبيرها عن وجهة نظر الأباضيّة في هذه المسائل .

3 . جلّ الدّارسين أجمعوا على أنّ تفسير ه ( هميان الزّاد ) يمثّل أولى محاولته في هذا الميدان ، مما يعوزه التّحقيق و التّثبت من صحة المعلومات التي استقاها المفسّر من مختلف المصادر .

4 . تنويه بعض الباحثين بالتّفسيرين ( التّيسير ) و ( داعي العمل ) وعدم انكسارهم لأهميّة تفسير ه ( هميان الزّاد ) رغم ما فيه من مآخذ لأسباب سبق ذكرها .

فهذا أهم ما أمكن استنتاجه من ملاحظات بعد عرض آراء الباحثين و الدّارسين لتفاسير ه ، فهي لا تخلو من جوانب ايجابيّة ، و تعتبر مادّة هامّة للباحث تساعده على الدّراسة المعمّقة العلميّة لهذه التّفاسير ، و بالفعل كانت لي بمثابة معالم اهتديت بها الى تحقيق هذه الدّراسة المتواضعة ، التي سنتعرّف من خلالها على منهجيه المفسّر ، التي هي موضوع الباب الثالث منها ، محاولين معالجة هذه الآراء مثبتين الصّحيح منها و مفندين ما نراه مجانبا للصّواب مدعّمين كلّ ذلك بأدلّة و حجج ، لأنّ من الملاحظ هذه الآراء طغى عليها اتجاه الباحث و انتماؤه المذهبي و هذا شيء طبيعيّ بالنّسبة لدراسة يهدف في الغالب صاحبها الى التّعريف بتفاسير مجهولة و دراسة لا تعتمد على قواعد منهجيّة علميّة يتوخّى الباحث من ورائها الحقيقة لا غير ، خدمة للتّراث و العلم .

الباب الثاني :

## الفصل الثالث .

### مصادر تفاسيره :

انّ المتمعن في آراء الباحثين و الدّارسين لتفاسيره ، يلاحظ شبه اجماع على غزارة المادّة و كثرة الرّوايات ، و هذا العمل يتطلّب من المفسّر الاعتماد على مصادر مختلفة ، و متنوّعة ، سواء كان ذلك في علم واحد كعلم التّفسير مثلا أو في علوم مختلفة كالحديث و التّفسير ، و قواعد اللغة و البلاغة و ما إلى ذلك .

سنحاول في هذا الفصل - قدر المستطاع - تسليط بعض الأضواء على هذه المصادر المختلفة مكتفين بضرب أمثلة عن كلّ نوع ، لأنّنا لسنا بصدد حصر جميع المصادر المختلفة التي اعتمدها المفسّر ، و انّما الغرض من دراستنا هذه وضع معالم تساعدنا على تحديد منهجيته من جهة و ابراز مدى تأثير تفاسيره بين التّفاسير التي كانت مصادرها ، و مدى تأثّر المفسّر بغيره .

### مصادرها من كتب التّفسير :

اذا عدنا الى حلقة الدّرس التي كان يشرف عليها المؤلف في مادّة التّفسير نجد ، حسب رأي أحد تلاميذه ، أنّه كان يعتمد في تدريسه لمادّته على وجه الخصوص على كتابي : أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل لعبد اللّه بن عمر البيضاوي ( ... ، 685 هـ ) و الكشّاف عن حقائق التّنزيل لمحمود بن عمر الزّمخشري ( 467 هـ ، 538 هـ ) (1) و المفسّر نفسه يتحدّث عن هذين المفسّرين في مقدمة تفسيره ( همیان الزّاد ) قائلا : " و أمّا نفس تفاسيرهما الآتي و الرّدّ على بعض المفسّرين ، و الجواب فمنه ما تراه منسوبا ، و كان ينظر بفكره في الآية أولا ثمّ تارة يوافق جار اللّه الزّمخشري و القاضي البيضاوي ، و هو الغالب و الحمد للّه ، و تارة يخالفهما ، و يوافق وجها أحسن ممّا أثبتاه و ذلك من فضل اللّه الكريم عليه " (2) .

---

1) نهضة الجزائر الحديثة 1 / 372 .
2) ( همیان الزّاد ) 1 / المقدمة .

من هذه الفقرة يتّضح لنا جليّا أنّ المؤلّف لا ينكر النّقل من المفسّرين والاستفادة منهم لا سيّما عبد اللّه بن عمر البيضاوي ومحمود بن عمر الزمخشري كما فهم ذلك محمد حسين الذّهبي (1) ، فحمده اللّه على موافقته لهما في كثير من الأحيان لدليل على عدم انكاره للنقل والاعتماد على تفسيرهما ، كما أنّ الرّد على بعض المفسّرين يتطلّب منه الاطلاع على تفاسيرهم والوقوف على آرائهم ، وإلّا فكيف يردّ عليهم ؟!

كما استنتج ابراهيم بن عمر بيوض (1316 هـ ، 1400 هـ) من خلال اطلاعه على كتابه (التّيسير) الذّي كان يرجع اليه للوقوف على رأي الاباضيّة في تفسيره ممّا أنّ المفسّر اعتمد في تفسيره على محمود بن عبد اللّه الحسيني الآلوسي (1217 هـ ، 1270 هـ) في كتابه (روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني) ، وقد تأكّد من ذلك حين عثر في تفسيره على عبارات كاملة نقلها حرفيّا منه . (2)

وللتّأكّد من كلّ ذلك نسوق الأمثلة تثبت صحّة ما ذهبنا إليه فاذا تصفحنا تفسير عبد اللّه بن عمر البيضاوي وأخذنا كمثال تفسيره لقوله تعالى : " إنّ الذّين فرّقوا دينهم " الآية 159 من سورة الأنعام يقول في شرحها : " بدّدوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض أو افترقوا فيه قال عليه الصّلاة والسّلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلّها في الهاوية الّا واحدة وافترقت النّصارى على اثنين وسبعين فرقة كلّها في الهاوية الّا واحدة وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّها في الهاوية الّا واحدة وهي الجماعة والكسائي هنا وفي الرّوم فارقوا أي باينوا . وقرأ شيبا) الآية 159 من سورة الأنعام " فرقا تشيع كلّ فرقة إماما " (3).

ولتفسير محمد بن يوسف أطفيش لنفس الآية يقول : " (4) دين اللّه الواجب عليهم أن يوكنوا عليه فيضاف إليهم أخذوا بعضه وتركوا بعضه وترك البعض نقض للكلّ فهو ترك للكلّ وهذا في أهل الشّرك وأهل التّوحيد ، وذلك كعبادة الأصنام والقول بأنّ الملائكة

---

1) التّفسير والمفسّرون 2/ 316 .
2) أعلام الاصلاح في الجزائر 3/ 124 .
3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل 1/ 432 .
4) التيسير 2/ 472 — 473 .

بنات الله و بأن عيسى ابن الله و آله اله و أن مريم اله و أن عزير بن الله و أن عليا أولى بالامامة في أولاده الى الحسين بن علي بن الحسين بن علي لأنه لم يبغض ابا بكر و عمر و كذبت الشيعة ، فانه لم يبغضهما أحد قبله أبدا من أولاد علي و القول بأن أهل المعاصي و الكبائر مشركون و التحكيم فيما فيه حكم لا أن أمرنا الله به قال صلى الله عليه و سلم افترقت المجوس على سبعين فرقة كلها هالكة ، و افترقت اليهود على احدى و سبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ، و افترقت النصارى على اثنين و سبعين فرقة كلها هالكة الا واحدة و ستفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة كلها هالكة الا واحدة ، و سئل صلى الله عليه و سلم من هي ، فقال من كان على ما أنا عليه و أصحابي ".

وليس في أحاديث الأستاذ ذكر المجوس و ذكره الشيخ يوسف بن ابراهيم في بعض كتبه و ذلك كما قال الله جل و علا : " وكانوا شيعا " فرقا تنسب كل فرقة الى امامها الذي شايعته هي " و اذا قارنا بين التفسيرين للآية نلاحظ الاتفاق في شرح المعنى مع تغيير طفيف يتمثل في تعرض المفسر الأول للقراءات و اعراب الثاني في الشرح و ضرب الأمثلة ، و قد استشهد كل منهما بحديث ( ستفترق أمتي ) مع اختلاف مصدر استيقائه ، أما الجزء الثاني من الآية لا نلاحظ عليه سوى تغيير في العبارة مع اتفاق في المعنى .

و يظهر تأثر المفسر بوضوح في كتابه ( هميان الزاد ) و هذا بالاعتراف منه فعند شرحه لقوله تعالى : " و بشر الذين آمنوا و عملوا الصالحات " الآية 25 من سورة البقرة يقول المفسر بعد استنكاره للرأي القائل أن الايمان قول بلا عمل مؤيدا هذا الرأي بقوله : " فالعمل الصالح كالبناء النافع . . " و الايمان أس ، و لا ينفع الأس بلا بناء عليه . . ففي عطف الأعمال الصالحات على الايمان ايذان بأن البشارة بالجنات انما يستحقها من يجمع بين الأعمال الصالحات و الايمان . . " (1) .

اذا رجعنا الى تفسير عبد الله بن عمر البيضاوي لنفس الآية نراه يستدل بنفس الأدلة و يضرب نفس المثال مع التقديم و التأخير ، و تغيير في الأسلوب فيقول : " و عطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بأن السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الأمرين و الجمع بين الوصفين بأن الايمان الذي هو عبارة عن

---

(1) ( هميان الزاد ) 1/ 260، 261 .

التّحقيق و التّصديق أس و الحمل الصّالح كالبناء عليه و لا غناء بأس لا بناء عليه ."(1)

و قد يعتمد المفسّر النّقل منه مع نسبة القول إليه ، و نراه يرويه فحسب أو لآدبات ذكره أو لتنفيذ ما ذهب اليه ، و خير مثال ما ورد في تفسير قوله تعالى : " إنّما المشركون نجس الآية 28 سورة التوبة ، يقول المفسّر :" . . قال القاضي و فيه دليل على أن ما الغالب تجاسته نجس " . (2)

و في قوله تعالى : " إنّ عدّة الشهور عند الله " الآية 36 من سورة التوبة ، يقول المفسّر :" و علّقه القاضي بعدّة و هو مصدر" (3) و هذا نموذج لتفنيد رأيه يقول في تفسير قوله تعالى :" حتّى يغيّروا ما بأنفسهم " الآية 53 من سورة الأنفال " . . و لا يخفى أن سبب الأخذ هو تغيير النّاس ما بأنفسهم كما هو بالآية و ليس سببه عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتّى يغيّروا حالهم كما هو ظاهر الآية و لا ما هو المفهوم من منطوق الظّاهر و هو جرى عادته على تغييره متى يغيّروا حالهم كما زعم القاضي ." (4)

و تأثره بمحمود بن عمر الزّمخشريّ يظهر في النّقل منه أحيانا دون ذكر السّند و هي عادة المفسّرين القدماء ، و في تفاسيره أمثلة كثيرة تثبت اقتباس المفسّر من كتابه ( الكشّاف ) ، و نؤكد بأنّه يعتبر من أهمّ مصادره و يكفي أن نسوق هذا المثال للدّلالة على ذلك .

لتفسير أحمد بن يوسف أطفيش لقوله تعالى : "المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض" الآية 67 من سورة التوبة يقول :" أي متوالفون مجتمعون على المعاصي متشابهون فيها كأبعاض الشيء الواحد كما تقول : أنا منك و أنت منّي يريد أنكما متوافقان كما تقول النّفس من الرّأس تريد أن حكمهما في القصاص واحد ، و الأذنان من الرّأس تريد أن وجوههما من الرّأس لا مع الوجه ، و قيل ذلك تكذيب لحلفهم أنهم لمنكم و تقرير لقوله :" و ما هم منكم " " و يأمرون بالمنكر " " الكفر و المعاصي "،

---

1) ( أنوار التنزيل و أسرار التأويل ) 496/1 .
2) ( همیان الزّاد ) 276/7 ( أنوار التنزيل و أسرار التّأويل ) 1/ 496 .
3) ن م . 301/7 ، ن م . 1/ 500 .
4) ( همیان الزّاد ) 197/7 .

" ينهون عن المعروف " " الايمان و الطاعة و ذلك مفساد لاحوال المؤمنين فليسوا منهم " . (1)

و محمود بن عمر الزمخشري يفسر قوله تعالى : " بعضهم من بعض " أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين و تكذيبهم في قوله و يحلفون بالله انهم لمنكم و تقرير قوله : " و ما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مباينة حالهم لحال المؤمنين " يأمرون بالمنكر " " بالكفر و المعاصي " " و ينهون عن المعروف " " عن الايمان و الطاعات " (2).

نلاحظ عند المقارنة بين التفسيرين للآية تقاربا واضحا ، رغم أننا لا يمكننا الجزم أن المفسر اقتبس بعض المعاني مباشرة منه ، لأن التشابه نلاحظه أيضا بين مفسرين آخرين مثل عبد الله عمر البيضاوي (3) ، وعلي بن محمد علاء الدين المعروف بالخازن (4) ( 678هـ ، 741هـ) و محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي (5) ( 1217هـ 1270هـ) غير أن اعتبار تأثر المفسر بالأول أولى لكونه متقدما على بقية المفسرين من جهة ، و لاعتراف المفسر بالاستفادة منه و من عبد الله بن عمر البيضاوي في مقدمة كتابه ( همیان الزاد ) و كثيرا ما يرد ذكر اسم ( جار الله ) و يعني به صاحب كتاب ( الكشاف) مبتدأ لأقواله ، أو مفندا لها ، و مكتفيا - أحيانا - بروايتها مع جملة رواية آراء بقية المفسرين ، و في الأمثلة التالية ما يدل على ذلك :

جاء في معرض تفسير قوله تعالى : " رئاء الناس " الآية 47 من سورة الأنفال ما يلي : " . . قال جار الله فوافوها يعني بدرا فسقوا كأس المنايا مكان الخمور ، و ناحت عليهم النوائح مكان القينات " (6).

---

1) ن م. 7/ 368.
2) ( الكشاف ) 2/ 161.
3) ( أنوار التنزيل ) 1/ 509.
4) ( لباب التأويل ) 2/ 243 ، 244.
5) ( روح المعاني ) 10/ 132.
6) ( همیان الزاد ) 7/ 138. ، ( الكشاف ) 2/ 180.

وفي تفسير قوله تعالى : " ولو شاء الله ما أشركوا " الآية 107 / الأنعام يقول المفسر ردّا عليه : " وزعم الزمخشري أنّ المعنى لو شاء مشيئة اكراه أن يشركوا وأن مشيئة الاختيار حاصلة البتّة ،وهذا خلاف الظاهر فلا يقبل ألخ . . " (1)

وفي تفسير قوله تعالى : " اذ يريكهم الله في منامك قليلا " الآية 43/الأنفال يورد بعض الأقوال في شرح المنام قائلا : " . . وعن الحسن المنام موضع النوم وهو العينان كما قيل للقطيفة المنامة لأنّه ينام فيها وعليه النقاش وحكاه عن المازني قال : " بعضهم وعليه فالرؤية في اليقظة ، قال جار الله : " انّ هذا التفسير المذكور عن الحسن تحسّف وما أحسب الرؤية فيه صحيحة عنه وما تلائم عنه بكلام العرب فصاحته . . " (2).

ومحمود بن عمر الزمخشري في تفسيره للآية يورد نفس معاني الكلمة تقريبا ، لاحظ ذلك فيما يلي :ـ" . . وعن الحسن في منامك في عينيك لأنّها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لأنّها ينام فيها ، وهذا تفسير فيه تحسّف وما أحسب الرؤية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته " (3).

وأثر علي بن محمد علاء الدين المعروف بالخازن في تفاسيره واضح ، لا سيما في القصص فاذا أخذنا كمثال الحوار الذي جرى بين الذئب ويعقوب عليه السلام في تفسير قوله تعالى : " وجاءوا على قميصه بدم كذب" الآية 18 / يوسف نلاحظ تشابها كبيرا بين التفسيرين ،ولا ندري هل نقل المفسر هذا الحوار من كتاب علي بن محمد علاء الدين ( 678 هـ-741هـ) ( لباب التأويل ) أو كان المصدر الذي آستمد منه هذه القصة هو نفس المصدر الذي آعتمده هذا الأخير ؟ وان كان المفسر أحيانا يحاول الاختصار بينما نجد ( الخازن ) ينقلها ويفرد لها فصلا يقول المفسر : " . . ويروي أنهم أتوا بذئب ، وقالوا هذا هو الذي أكله فقال عليه السلام : أيها الذئب أنت أكلت ولدي ، وثمرة فؤادي ، فأنطقه الله عزّ وجلّ ، وأفهمه فقال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قطّ ، ولا يحل لنا أن نأكل لحوم

---

1) التيسير 2/377.
2) تبيان الزاد 7/132.
3) الكشاف 3/ 126.

الأنبياء ، فقال له وكيف وقعت في أرض كنعان فقال : " جئت لصلة الرحم وهي قرابة لي فأخذوني إليك ، فأطلقه يعقوب " (1)

غير أن من الملاحظ تحفظ على اسم ( الخازن ) في تفاسيره إلا قليلا ، لا كالمفسرين السابقين مثل نقده لروايته رواها هو ومحمد بن جرير الطبري ( 224هـ ، 310 هـ ) قائلا : " . . وما رواه الطبري والخازن عن ابن جبير من أنه قتل يومئذ جبرائيل أيضا وهو المطعم بن عدي غير صحيح لأنه مات قبل بدر . . " (2) وذلك في تفسير قوله تعالى : " واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا " الآية 31 من سورة الأنفال .

وأهم مصدر اعتمده المفسر وان لم يرد ذكر اسم صاحبه كثيرا في تفاسيره هو ( روح المعاني ) لمحمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ( 1217هـ ، 1270هـ ) لكننا لا نعتقد أن المفسر قد اطلع عليه خلال تفسيره للقرآن الكريم في كتابه ( هميان الزاد ) لأن المفسر الأول قد أنهى تفسيره في سنة 1267هـ بينما المؤلف قد أنهى تفسيره في سنة 1271هـ وأربع سنوات كافية في ذلك الوقت لحصول المؤلف على نسخة حديثة التأليف ، بينما في تفسيره ( تيسير بيان التفسير ) لا سيما في الأجزاء الأخيرة نجد أثره واضحا ، في نقل أفكار وعبارات — أحيانا — برمتها منه ، وقد أشار المفسر الى هذا المرجع عند تفسير قوله تعالى : " لا بارد ولا كريم " الآية 44 سورة الواقعة قائلا : " . . ويجوز أن يكون ذلك نعتا ليحموم فيفيد نفي الكرم عن اليحموم والبرد العام عن الظل المخصوص منه اذ كان بعضه مع بقاء ما تقدم من نكتة نفي البرد والكرم عن الظل أشار اليه الامام أبو حيان ورد علي تفسير قبل هذه السورة بمقدار لبغدادي يكثر فيه الرد على أبي حيان ولي همة في الجواب عنه لكن لي أشغال (3) "

ويفهم من ذلك أن المفسر قد اطلع على هذا المصدر ، واعتمده في تفسيره ( التيسير ) الذي لو تصفحناه لوجدنا فيه أمثلة ، بل نلاحظ — أحيانا — نقله لعبارات كاملة دون التصرف فيها ومن خلال المثال التالي يتضح لنا ذلك ، وما جاء في تفسيره لقوله تعالى : " هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا " الآية

---

1) ( التيسير ) 3/305 لباب التأويل 3/9 .

2) ( هميان الزاد ) 7/157 ، 158 .

3) ( التيسير ) 6/49 ( روح المعاني ) المجلد 9 الجزء 27 / 144 .

01 من سورة الانسان يقول المفسر ما يلي :— " . . مع أن الرواية الصحيحة أم هل رأونا بأم المنقطعة بمعنى بل كما قال السيرافي و مع أن في نسخة قديمة وجد ما السيوطي فعل رأونا بالفاء . . كما فسرها ابن عباس بمعنى قد وكذا سيبويه و الكسائي و قيل للتقريب و قيل للتحقيق . . ( على الانسان ) الجنس على الصحيح و لا مدخل فيه لآدم و به قال ابن عباس . . . ( حين ) طائفة من الزمان محدودة طويلة أو قصيرة . ( من الدهر) الزمان الممتد غير محدود يقع على مدة العالم من حين خلق الله الزمان الى ما لا نهاية له . . و يطلق الدهر أيضا على كل زمان طويل غير معين و الزمان عام للقليل و الكثير . . و المعنى قد أتى أو هل أتى على جنس الانسان قبل زمان قريب مثلا طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لا يذكر كما قال الله عز و جل " لم يكن شيئا مذكورا " بل كان شيئا لا يذكر بالانسانية أصلا أي غير معروف بها و هو التراب . . الخ "(1)

فقد أورد في تفسير الآية ما يمكن اعتباره اقتباسا من المرجع أما معنى أو حرفيا للمقارنة نورد مثاله من كتاب روح المعاني ) . " . . على أن السيرافي قال الرواية الصحيحة أم هل رأونا على أن أم منقطعة بمعنى بل و قال السيوطي في شرح شواهد المعنى الذي رأيته في نسخة قديمة من ديوان زيد فعل رأونا بالفاء و عن ابن عباس و قتادة هي بمعنى قد و فسرها بها جماعة من النحاة كالكسائي و سيبويه و المبرد و الفراء و حملت بمعنى التقريب و من الناس من حملها على معنى التحقيق . . والمراد بالانسان الجنس على ما أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس ، و الحين : طائفة محدودة من الزمان شاملة للكثير و القليل و الدهر ، و الزمان الممتد غير المحدود و يقع على مدة العالم جميعها و على كل زمان طويل غير معين و الزمان عام للكل . . و المعنى هل قد أتى أو هل أتى على جنس الانسان قبل زمان قريب طائفة محدودة مقدرة كائنة من الزمان الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا غير مذكور بالانسانية أصلا أي غير معروف بها . " (2)

فلا تنحصر مصادر من كتب التفسير فيما ذكرناه ، و اخترناه كأمثلة ، فحسب بل نجده يستقي المعلومات من أغلب المفسرين الذين سبقوه ، غير أنه اعتمد على بعضهم أكثر من غيرهم ، كما أنه يستفيد من مفسر في جانب معين أكثر من جوانب

---

1) ( التيسير ) 6/ 433 ، 434 .
2) ( روح المعاني ) المجلد 10 ج 29/ 189 ، 190 .

أخرى فعلى سبيل المثال ، اتخذ كتاب ( عرائس القرآن ) (1) مصدره في رواية قصص الأنبياء وكتاب ( البحر المحيط) لمحمد بن يوسف أبي حيّان ( 654هـ-745هـ) (2) في مسائل قواعد اللغة ، كما كان ( جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد ابن جرير الطّبري ( 224هـ-310هـ) ( 839م-923م) مرجعه في التّفسير بالمأثور. (3).

وقد يشير الى بعض المراجع التي اطّلع عليها خلال تفسيره للآية ، كما أشار الى حصوله على نسخة من كتاب ( الفتوحات) لمحي الدّين محمد بن عليّ ( أبو بكر ) المعروف بابن عربي ( 560 هـ-638 هـ) ويقول في ذلك :" .. والعمل على ظاهره من أراد الأفراد أولى كما قال ابن العربيّ في فتوحته ، تحصلت لي من مكّة نسخة منه بالقالب معها كلام لبعض الأشعرية .." (4).

ومن المصادر التي ورد مؤلفوها كثيرا في تفاسيره عبد الرّحمن بن أبي بكر الخضيري السّيوطي ( 849 هـ-911هـ) (5) وقاسم بن أصبغ البياتي القرطبي ( 247 هـ-340هـ) (6) وعبد الحق بن غالب بن عطيّة المحاربيّ ( 481هـ-542هـ) (7) ومحمد بن عمر التيمي البكر ، فخر الدّين الرّازي ( 544هـ-606هـ) (8) واسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدّين ( 701هـ-774هـ) (9).

ومن الملاحظ أنّه لا يشعر على اسم هود بن محكم الهواري ( القرن الثالث الهجريّ ) المفسر الأباضيّ الا قليلا ، وهذا دليل على أنّه لم يتّخذه مرجعا أساسيّا غير أنّه يفهم أنّ غرض المفسّر من ذكر اسمه ضمن بقيّة المفسّرين هو محاولة وضعه في مكانه كمفسّر ومن هذا المثال يتّضح لنا ذلك :" وقال عامر الشعبيّ وابن زيد والشيخ هود حسبك اللّه وحسب من اتّبعك من المؤمنين ." (10).

---

1) لعلّ كتاب المشار اليه لأحمد بن محمد ابراهيم الثعلبي (427هـ) المورود اسمه في تفاسيره أنظر أمثلة في هميان الزّاد 7/31 ، 45 ، 47 ، 48 ، 288.

2) أنظر أمثلة في ( التّيسير) 4/279 ، 12 ، 28/3 ، 160 ، 161.

3) أنظر أمثلة ( هميان الزّاد ) 7/30 ، 34 ، 266 ، 267 ، 292. ( التّيسير ) 1/290.

4) ( التّيسير ) 5/327.

5) أنظر أمثله في التيسير 1/501 ، 20/4 همبان 7/90.

6) = = = 1/510 ، 3/ 139.

7) = = = ن م. 6/535 ، 554 ، 4/ 12 ، 5/ 129.

8) = = ( همبان الزّاد ) 7/57 ، 424.

9) ن م. ( همبان الزّاد ) 7/83 ، 40.

10) ن م. 7/209 أنظر أمثله أخرى في ن م. 7/187 ، 188.

وقبل أن نختم حديثنا عن مصادره من كتب التّفاسير، نريد أن نشير إلى أنّ المفسّر قد يستقي معلوماته من مصادرها دون واسطة وقد يستقيها عن طريق مصادر أخرى، كما ورد في تفاسيره أسماء مفسّرين آخرين لم نشر إليهم لأنّنا لسنا بصدد حصر جميع مصادره من كتب التّفاسير فاقتصرنا على أهمّها، وعلى ما يخدم الغرض الّذي أشرنا إليه في مقدمة هذا الفصل.

مصادره من كتب الحديث:

يبدو أنّ المفسّر يستقي الحديث النّبوي الشّريف من مصدرين: كتب التّفسير، وكتب الحديث، ويظهر لنا ذلك من نقله لرأي مفسّر في حديث أو في رواية عنه، والأمثلة التّالية توضّح ذلك، في تفسير قوله تعالى: " هل تعلم له سميا " الآية 65 من سورة مريم يقول: " . . وفي تفسير البغوي عن ابن عبّاس أنّ النبيّ صلى اللّه عليه وسلم قرأ اسم ربّك الأعلى فقال سبحان ربّي الأعلى الّذي خلق فسوّى إلى آخر السّورة " (1).

ويقول في تفسير قوله تعالى: " أم نحن الزّارعون " الآية 64 من سورة الواقعة قال أبو هريرة قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم " لا يقلّن أحدكم زرعت لكن ليقل حرثت، ثم قال أبو هريرة ألم تعلموا أنّ اللّه تعالى يقول أفرأيتم ما تحرثون(2) الآية رواه الطّبري وغيره، ويستحب للزّارع. قاله الطّبري بلفظه وقد ظفرت بنسخة من تفسيره بخط اليد المشرقي. . " (3)

" ان الحديث الوارد في المثال الأول أخرجه أحمد وأبو داود الطّبري والبيهقي في سننه حسبما ذكر محمود بن عبد اللّه الحسيني الألوسي (4)، لكن المؤلف ينقله من تفسير حسين ابن مسعود الملقب بالبغوي، أمّا الحديث الوارد في المثال الثّاني نسب روايته الى محمد بن جرير الطّبري مع أنّ النّص الوارد في تفسير هذا الأخير(5) يختلف عن النّص الوارد في تفسير المؤلف.

---

1) (التّيسير) 4/55، 56.
2) الواقعة 63.
3) (روح المعاني) 30/131 المجلّد 10.
4) (التّيسير) 6/55.
5) (جامع البيان) المجلّد 11، 27/114.

لكننا نجد نفس النص مع آختلا ف بسيط في قول أبي هريرة : " ألم تسمعوا الله " عـوض " ألم تعلموا أن الله " في كتاب روح المعانيّ (1) ولا نستبعد حينئذ نقل المفسّر للحديث من المصدر الأخير ،مع الملاحظة أنّ هناك آختلا فا في نسبة الدّعـاء (ويستحب للزّارع ألخ ) فقد نسب روايته لمحمد بن جرير الطّبري بينما صاحب ( روح المعاني )رواه عن قاسـم بن أصبغ البيانيّ القرطبيّ ،ومن هذين المثالين يمكن القول بأنّ المفسّـــر يلجأ الى مصادر التفسير لرواية الحديث عنها ،لكن المؤلف يلجأ إلى مصادر الحديث لاقتباس الشّواهد منها ،ومن الأدلة التي تثبت ذلك ،اعترافه بأطلاّعه على أشهر كتب الحديث المعروفة وحصوله عليها ،ونقرأ هذا الاعتراف في معرض تفسيره لقوله تعالى : " وما جعل أدعياءكم أبناءكم " الآية 04 من سورة الأحزاب،ويقول المفسّر بعد شرحه للآية وذكر أسباب نزولها مستشهدا بحديث ورد في مسلم والبخاري والترمذي والنّسائي باسنادهم ... " ..وكانت كتب الحديث غير موجودة في مضاب (2) ورأى مالكي عالـم من أهل مكـــة مضابيّا ينسخ شرح النّيل (3)في مكة ولم يجد فيها الحديث كثيرا فأعطاني البخاري ومسلما والترمذي وابن ماجـة والنّسائي وأبا داود وغير ذلك وأنا حاضر في مكـة ،فانتفعت بتلك الكتب كما انتفعت بصحيح الرّبيع بن حبيب فجمعت منها وفاء الضمانة (4) وجامع الشمل (5) في حديث خير الرّسل . (6)

وفي هذا الاعتراف ذكرنا أهـم مصادر الحديث التي اعتمدها ،والتي ورد أسماؤها كثيرا في تفاسيره ،تارة بنقل الأحاديث منها ،وطورا بنقلها من كتب التّفاسـير مع ذكـر السند . كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

---

1) ( روح المعاني ) المجلد 09، 148/26.

2) اسم واحة بالجنوب الجزائري تدعى حاليا وادي ميزاب عاصمة ولايتها غرداية تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم وبني يسجن احدى قرى هذه الواحة مسقط رأس المفسر.

3) مؤلفات من المفسّر في الفقه.

4) وفاء الضمانة بأداء الأمانة من مؤلفاته في الحديث .

5) جامع الشمل في الحديث خاتم الرّسل من مؤلفاته في الحديث.

6) ( التّيسيـــر) 799/4 ـ 800 المجلّد 2.

وقد يذكر المصدر وصاحبه كما هو الملاحظ في معرض تفسيره لقوله تعالى : " انك أنت الوهّاب" الآية 08 / آل عمران يقول المفسّر :" . . قال الطّبرانيّ في معجمه الكبير ، عن أبي مالك الأشعريّ أنّه سمع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول : " لا أخاف على أمتي إلّا ألخ . . " (1) والمثال التالي يثبت أكثر بأن المفسّر كان يعتمد مصادر الحديث لروايته في تفاسيره فيقول :" رأيت في مسلم والتّرمذيّ وأبي داود وابن ماجه والنّسائيّ والبيهاقيّ أنّ رسول الله ألخ . . " (2).

وعند تصفّحنا تفاسيره لا سيّما ( هميان الزّاد ) و ( التّيسير ) لاحظنا أسماء أشهر المحدّثين والرّواية عنهم وهذا ما يؤكّد ما ذهبنا اليه من أنّ المفسّر اعتمد أهمّ المصادر من كتب الحديث ، والشيء الملاحظ أنّه لم يتّخذ مسند الرّبيع بن حبيب الأزديّ ( . . . 170 هـ/786 م) أحد أقدم مصادر الحديث عند الأباضيّة مصدرا أساسيّا في هذا العلم ، فلا نعثر على اسم هذا المحدّث في تفاسيره إلّا نادرا مثل قوله :" . . وقد أخرج الرّبيع بن حبيب وغيره حديث أنّ أبا مسعود رفع السّوط." (3) وفي موضع آخر يورد حديثا قريبا من معنى الحديث السّابق ويقول :" وهو مخالف لمتن حديث الرّبيع" (4) وقوله :" . . لحديث الرّبيع رحمه الله أنّه صلّى الله عليه وسلّم جاوز فرسخين من المدينة الى ذي الحليفة ، وقال أريد أن أعلمكم حدّ السّفر(5) وهذا الحديث قد ورد في الجامع الصّحيح لمسند الرّبيع حسب النّص التّالي :" الأمام قال قال أنس بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم صلّى الظّهر بالمدينة وصلّى العصر بالحليفة ركعتين بينهما في القياس والتقدير خمسة أميال الى ستّة" (6) نلاحظ أنّ راوي الحديث هو أفلح بن عبد الوهاب .

---

1) ن .م . 1/ 446 .
2) ن .م . 6/ 540 .
3) التيسير 1/ 726 وقد ورد الحديث في الجامع الصّحيح لمسند الرّبيع بن حبيب مع اختلاف بسيط في العبارة 2/65 .
4) ن .م . 1/ 729 .
5) ن .م . 1/ 794 .
6) الجامع الصّحيح 4/09 .

(ت ... 240هـ 854م ) وروايات هذا الأخير ضمّها مرتّب الكتاب يوسف بن ابراهيم (أبو يعقوب ) (1) الى الكتاب ولم يروها الرّبيع بن حبيب ونفس الملاحظة نستخلصها من استشهاده بحديث ( ستفترق أمتي ) فبعد أن ساق الحديث قال : "00 وهذا هو المشهور وعليه أبو عبيدة رحمه الله تعالى 00 ولفظ أبي يعقوب ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّهن الى النّار ما خلا واحدة ناجية وكلّهم يدّعي تلك الواحدة الحديث" (2) 0

انّ النّص الثاني هو النّص المطابق للنّص الوارد في الجامع الصّحيح لمسند الرّبيع بن حبيب بن عمر الأزديّ 0

نستخلص مما تقدم من الأمثلة أنّ المفسّر اعتمد الجامع الصّحيح مصدرا من بين مصادر الحديث في تفاسيره ،ولكن نجد من جهة أخرى أمثلة تثبت ما ذهبنا اليه سابقا بأنّ المؤلّف لم يتخذه مصدرا أساسيا بحيث نجد بعض أحاديث واردة فيه ،فيكتفي بذكر مصادر أخرى دونه وفي المثال التّالي ما يدلّ على ذلك 0 " 00 قال صلّى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له" رواه الطّبري والبيهقيّ ولفظ الطّبريّ عن أبي عباس وابن مسعود موقوفا ومرفوعا لم يزدد بها عن الله الّا بعدا 0 " (3)

وقد روي هذا الحديث في الجامع الصّحيح عن جابر بن زيد : "عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم كان يقول هو وأصحابه : " من لم تنهه عن صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلّا بعدا" (4) 0

وفي المثال التالي ما يدلّ على عدم اهتمام المفسّر كثيرا بهذا المصدر فيقول : " ولم يصّح عند أصحابنا حديث البخاري ومسلم أنّ كلّ آدم يفنى إلّا عجب الذنب فانه يبقى ومنه يبني " (5) 0

---

1) ن 0م 0 3/1 0 تنبيهات لمصحح الكتاب عبد الله بن حميد السالمي 0

2) (التّيسير) 241/5 ، وللاطلاع على مثال آخر ،ارجع الى ن 0م 0 حديث ( أصبح من عبادي مومن ألخ 0 ) رواه الرّبيع بن حبيب في الجامع الصّحيح لمسنده 16/1 مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات والعبارات 0

3) ن 0م 0 686/4 0

4) ( الجامع الصّحيح ) 15/4 0

5) ( التّيسير ) 674/4 ،فقوله لم يصّح عند أصحابنا فهذا الرّأي يبدو أنّه نقله من كتاب السؤالات ،لأن عبد الله بن حميد السّالميّ أثبت صحته في شرحه لجامع الصّحيح لمسند الرّبيع وبل أنكر تأويله ،أنظر صفحة 63 ، 564 من المرجع الأخير 0

والحديث نفسه وارد في الجامع الصّحيح على النّحو التّالي : رواه أبو عبيدة عن جابر بن زيد :" ومن طريقه (1) عنه عليه السّلام ، كلّ ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب فإنّه منه خلق ومنه يركّب" (2) .

ومما تقدّم يتضح لنا على الأقل عدم اهتمام المفسّر بهذا المصدر ، مقارنة على مصادر الحديث الأخرى التي اعتمدها المفسّرون السّابقون ، في الوقت الذي كنّا نتوقع أن يتخذ هذا المصدر الأباضي في الحديث مصدرا أساسيّا و ان لم يحتله احتلالا تامّا ، فقد رأينا أنّه كان يشير الى صاحبه على الأقل (3) باستثناء هذه الملاحظة ، نجد المفسّر اهتم كثيرا بكتب الحديث الصّحاح ، وبصفة عامّة استفاد من أشهر كتب الحديث .

مصادره من كتب الفقه :

تنقسم هذه المصادر الى قسمين :

1) القسم الأوّل ما يحمل من آراء المدارس الفقهية المختلفة ، التي لا تستطيع التأكد من أنّ المفسّر قد استمدها من مصادرها ، ولم يقتبسها من كتب التّفسير ، لأنّنا نلاحظ أحيانا توافقا و تطابقا كبيرا بين طريقته في عرض هذه الآراء و طريقة مفسّر آخر ، ولتوضيح ذلك نضرب هذا المثل : في تفسير قوله تعالى :" وعلى الوارث مثل ذلك " الآية 233 من سورة البقرة ، فبعد عرضه لبعض الآراء يسوق رأي أبي حنيفة والشّافعيّ (4) وهذه الطريقة في الشّرح والعرض نلاحظها في كتاب (روح المعاني) (5) ، وفي تفاسيره أمثلة كثيرة يمكن للدّارس أن يعثر عليها لا سيّما في تفسير آيات الأحكام .

غير أنّ هذا لا يعني أنّ المفسّر لم يرجع إلى المصادر الفقهيّة للاستفادة منها رغم أنّ ايراد أسمائها في تفاسيره قليل بالمقارنة الى ورود أسماء أئمة الفقه (6) .

---

1) أي أبي هريرة .
2) (الجامع الصّحيح) 2/71 .
3) أنظر مثالا آخر على ذلك في (التّيسير) 1/544، (الجامع الصحيح) 1/69 .
4) (التّيسير) 1/335 .
5) (روح المعاني) 2/147 المجلّد الأول .
6) أنظر مثالا في (التّيسير) 1/501 .

2) والقسم الثاني يتمثل في كتب الأباضيّة في الموضوع ومن أمثلة هذه المصادر : كتاب قواعد الإسلام (1) الديوان (2) السؤالات (3) القناطر (4) الإيضاح (5)٠

يعود الى هذه المصادر إمّا لسوق رأي الاباضيّة في قضية ما أو رأي المؤلف فحسب فقد يذكر اسم المصدر ومؤلفه أو يكتفي بذكر المؤلف دون الإشارة الى كتابه أو العكس، ومن خلال هذه الأمثلة يتّبين لنا ذلك:

فأثر ايراد رأي المذهب الأباضي في نهي المشرك غير الكتابي والمشرك الكتابي عن دخول المسجد الحرام أو غيره من المساجد أو مواضع الصلاة والمجالس يقول : " وفي السؤالات وان دعا مشرك الى الجملة التي يدعو اليها رسول الله صلّى الله عليه وسلم أو أمر بها أو كتبها أو صوّبها فانّه يجبر على التوحيد ألخ ٠٠ " (6)٠

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى : " وما كان المومنون لينفروا الى يحذرون " الآية 122 من سورة براءة يقول : " ٠٠قال الشيخ اسماعيل الجيطالي وقال أبو العبّاس أحمد بن محمد بن بكر لا يجوز أن يقصد بتعلّمه التعليم ٠ " (7)

وفي اتخاذ الأوطان يقول : " ٠٠ ذكر الشيخ عامر نفعنا الله ببركته ورحمنا الله ما حاصله أنّه من لم يتّخذ وطنا لا صلاة له ألخ ٠٠ " (8)٠

---

1) من تأليف اسماعيل بن موسى الجيطالي ( أبو طاهر) تصحيح وتعليق عبد الرحمن بن عمر عمر بكلي ٠

2) ويدعى كتاب الأشياخ ألّفه سبعة من الفقهاء ويشتمل على 25 جزءا ٠

3) ألّفه عثمان بن خليفة المازغني السوفي ( أبو عمر) من علماء القرن السادس الهجري ٠

4) قناطر الخيرات في أصول الدين من تأليف اسماعيل بن موسى الجيطالي ( أبو طاهر) ٠

5) ألّفه عامر بن علي بن عامر بن سيفا والشماخي ( أبو ساكن ) يشتمل على 3 أجزاء ٠٠

6) ( همیان الزاد ) 278/7 أنظر أمثلة أخرى في كتاب التيسير 569/1 ، 472/5٠

7) ( همیان الزاد ) 451/7٠

8) ( التيسير ) 415/6 ، رأي صاحب كتاب الإيضاح 1/ 625٠

ومن الفقهاء الأباضيين الذين كان المؤلف يحفل بآرائهم ويستشهد بها لا سيما في العقيدة عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي (أبو عمار) ويوسف بن ابراهيم السدراتي الورجلاني (أبو يعقوب)( 500، 570 هـ).

ففي تفسيره لقوله تعالى: "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" الآية 116 من سورة النساء يقول المفسر: ". . وقال أبو عمار رحمه الله ما دون ذلك الصغار لأنها تغفر لمن اجتنب الكبائر ولو بلا قصد توبة منها ما لم يصر عليها . ." (1)

وفي تفسير قوله تعالى: "أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين" الآية 14 / سبأ يستشهد بقول يوسف بن ابراهيم (أبي يعقوب) قائلا: "وبأن الشيخ يوسف بن ابراهيم قال من كان داخل بيت من زجاج لا منفذ له لا يسمع الصوت ولو ضربت عليه طبول الدنيا إلا أن لله خرق العادة." (2)

كما كان يستشهد بمنظومة فتح بن نوح الملوشائي أبي نصر مثلما نلاحظ ذلك في قوله: ". . وقد عبر أبو نصر بتقدير في النونية. ." (3) عند تفسيره للآية 180 من سورة الأعراف.

ونخلص الى القول بأن المصادر الفقهية المتنوعة التي اعتمدها المفسر تتجلى في عرضه وسوقه لآراء الفقهاء المختلفة في قضية، كلما دعا تفسير الآية الى ذلك فاذا كنا لا نستطيع الجزم بأن المفسر قد استقى هذه الآراء من مصادرها ولم ينقلها من كتب التفسير، فاننا لا نشك في أن آراء المدرسة الأباضية استمدها من مصادرها، فقد وردت في تفاسيره بعض هذه المصادر المعتمدة أو أسماء مؤلفيها فاكتفينا بذكرها معها.

مصادره من كتب مختلفة:

ان الملاحظة الملفتة للنظر في تفاسيره والتي تسترعي انتباه كل باحث هي تنوع المعلومات ويستدعي ذلك تنوع المصادر، غير أنه لا يمكن لنا التأكد من أن المفسر — كما سبق أن ذكرنا — رجع الى هذه المصادر للاستفادة منها، ولم يقتبسها من كتب التفسير، ففي القراءات على الرغم من اطلاع المفسر على هذا العلم والتأليف فيه (4) إلا أننا مع ذلك لا يمكن الجزم بأنه كان يعتمد على مصادر هذا العلم.

---

1( التيسير ) 1/ 741.
2) ( هميان الزاد ) 7/912.
3) ( هميان الزاد ) 7/ 58.
4) له كتاب تلقين التالي للآيات المتعالي مخطوط في خزانة محمد بابا نو ببني يسقن ولاية غرداية موضوعه علماء التجويد والقراءات شرح لمنظومته التي سماها ( جامع حرف وردن) تحتوي على 513 بيتا.

ففي المثال التالي نلاحظ تطابق شبه تام بين استشهاد المفسر بقراءة زيد بن علي وابن مسعود واستشهاد محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي في كتابه ( روح المعاني ) يقول المفسر: " . . ويدل له قراءة زيد بن علي أنه ملاقيكم بالفاء وابن مسعود تفرون منه ملاقيكم " (1)

وجاء في محرر تفسير صاحب ( روح المعاني ) للآية ما يلي : " . . وقرأ زيد بن علي أنه ملاقيكم — بدون فاء . . . وقرأ ابن مسعود " تفرون منه ملاقيكم بدون (الفاء) (2).

نلاحظ هذا التطابق في ترتيب القارئين خاصة ، وهذا ما يدعونا الى التحفظ من اصدار حكمنا بأنه استفاد من مصادر هذا العلم ، وان لم نستبعد ذلك لتصنيفه فيه .

وقد اعتمد في التاريخ بعض المصادر ، منها كتب السير (3) والشيء الذي يؤكد لنا ورود أسماء شخصيات تحدثت عنها هذه الكتب منها كموسى أبو محمد (4) وأبو مرداس محاضر السدراتي ( من القرن الثاني الهجري ) ، وجنون بن يمريان (5) وعلى سبيل المثال يورد نصيحة أبي مرداس لجنون بن يمريان قائلا: " . . قال أبو مرداس لجنون بن يمريان إياك ومفارقة المسلمين وبغضهم والترك بعد الاجتماع الخ . . " (6).

---

1) ( التيسير ) 6/ 219 تفسير الآية 08 من سورة الجمعة .
2) الألوسي ( روح المعاني ) المجلد 10 ، 28/ 97 .
3) كتب السير التي تترجم الشخصيات الاباضية تخص بالذكر يحي بن أبي بكر ( أبو زكريا ) سير الأئمة وأخبارهم ، أبو الربيع الوسياني ( سير مشائخ المغرب ) أحمد بن سعيد الدرجيني ( طبقات المشائخ بالمغرب ) أحمد بن سعيد الشماخي السير .
4) ذكره أبو زكريا في كتابه سير الأئمة ص 167 ، 168 وترجم له الشماخي في السير ص 470 ، 471 نقلا من حاشية رقم 9 لأبي زكريا في سيره ص/ 172 بقلم اسماعيل الحربي كما ذكره أبو الربيع الوسياني سير مشائخ المغرب 2/ 14 .
5) ذكره يحي بن أبي بكر ( أبو زكريا ) السير ص 113 ، 124 ، 126 ، 155 ، 161 ، 166 ، 186 وترجم له أحمد بن سعيد الدرجيني الطبقات 2/ من ص 341 — ص 344 عدة من الطبقة السابعة ( 300 هـ — 350 هـ ) .
6) ( التيسير ) 6/ 311 .

و من الكتب التّاريخيّة التّي ورد ذكرها في تفسيره ، كتاب الاُستقصاء(1) ، يقول المفسّر متحدّثا عن فتح الاُندلس: " . . وفي كتاب الاُستقصاء أنّه دخلها صحابيّ واحد و قد ذكرت اسمه في غير هذه السّورة و هو المنيسار (2).

و من جملة المصادر اللّغويّة التّي يعتقد أنّه آستشاد بها كتاب المحكم (3) يقول متحدّثا عن رأي مؤلّفه : " . . و قال صاحب المحكم هو القدر المتوسّط من أعمار أهل كلّ زمان ، و هذا أعدل الأقوال " (4) و ذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى : "و الّذين آتبعوه بإحسان" الآية 100 من سورة براءة .

و ورد كذلك أسماء بعض اللّغويّين مثل الجوهريّ ( 1005هـ . . ) ، ففي تفسير قوله تعالى : " و من لم يطعمه " الآية 249 من سورة البقرة ، يسرد المفسّر رأيه في مدلول الطّعم (5).

كما لا تخلو تفاسيره من ذكر بعض مراجع قواعد اللّغة لكنّها قليلة اذا أخذنا بعين الاعتبار اهتمام المؤلّف بهذا الجانب ، و ايراد أسماء النّحاة المشهورين و من أمثلة ذلك ذكره لرأي آبن مالك في (إلّا) في معرض تفسير قوله تعالى : "إلّا تنصروه " الآية 40 من سورة براءة قائلا : " . . و آبن مالك على جلالته في النّحو و التّصريف كثيرا ما ن الحديث و التّفسير و الفقه و اللّغة و العروض ذكر إلّا في شرح التّسهيل من أقسام إلّا و انّما ذلك منه على جهة الغفلة أو زلّة القلم(6).

و من المصادر النحوية التّي اهتمّ بها المفسّر ( شرح سيبويه ) فقد روى عن السّيرافيّ ( قبل 270هـ 368هـ) أنّ الواو كاف في الاباحة " (7) عند تفسير قوله تعالى : "فصيام ثلاثة أيّام في الحجّ و سبعة اذا رجعتم " الآية 196 من سورة البقرة ، و هذا من بين الأدلة التّي تثبت اهتمام المفسّر بهذا العالم و مؤلّفه السّابق الذّكر .

---

2) كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى لأحمد النّاصريّ اللّاويّ يشتمل على 4 أجزاء طبع سنة 1312هـ
التيسير 2/1043 .

3) المحكم والمحيط الأعظم معجم ألفه عليّ بن اسماعيل ( أبو الحسن ) المعروف بآبن سيده الأندلسيّ ( . . 458هـ) ( . . 1066 م) رتبت ألفاظه على ترتيب كتاب "العين" للخليل لمزيد من المعلومات عن هذا المعجم راجع الى أحمد مختار عمر البحث اللّغويّ عند العرب ص150، 151.

4) ( همیان الزاد ) 7/408 .

5) التيسير 5/362 .

6) همیان الزّاد 7/316 .

7) التّيسير 1/268 .

ومن المصادر المعتمدة في تفاسيره الكتب الأدبية منها الدّواوين الشعرية وذكر هذه المصادر لا ترد إلّا قليلا، ويكتفي في معظم الأحيان بسرد الأبيات الشّعرية دون ذكر اسم الشاعر، ومن اعترافاته اطّلاعه على ديوان الشّعراء السّتة (1) مستدلا بقوله على جواز كتابة البسملة في الدّواوين الشّعريّة.: ". . وجدتها مكتوبة في نسخة قديمة بأكثر من خمسمائة عام من ديوان الشّعراء السّتة معروضة على أبي عليّ الشّلوبين وأعطى الإجازة فيها لبعض تلاميذه " (2).

وفي نقده لأبيات شعريّة لامرئ القيس (500م ،540م) موضوعة يقول: ". . بل ذلك شعر موضوع اقتبس من الآية كقوله قتل الانسان ألخ . . . فإنّي لم أره في نسخ ديوانه ولا في شرحه ولا سيّما نسخة عتيقة موجودة صحّحت عند أبي عليّ الشّلوبين في أندلس ولم أجد فيها ذلك " (3)

ومن المصادر الأدبيّة التي اهتمّ بها المؤلّف، واستعان بها في تفاسيره كتاب (الأمالي) لأبي عليّ القالي (901م-967 م) (4).

وللرّدّ على أهل الكتاب، يبدو أنّ المؤلّف اطّلع على التّوراة والإنجيل ومما يدّل على ذلك قوله في معرض تفسيره تعالى :" برسول يأتي من بعدي " الآية 06 من سورة الصّفّ. تبشيرا تضمّنته التّوراة، وقد بسطت أدلّة نبوءة سيّدنا محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم ورسالته من الكتب المتقدمة في (ردّ الشّرود الى الحوض المورود )(5).

---

1) لعل شعراء السّتة هم الشعراء الجاهليّون، امرؤ القيس والنّابغة وزهير، وطرفة، وعنترة، وعلقمة، ولمزيد من التّوضيح أرجع الى كتاب العصر الجاهلي شوقي ضيف.
2) التّيسير 02/1.
3) التّيسير 495/6، مثال آخر في ن.م. 303/5.و
4) [illegible]، العصر الجاهلي 131/1 يعتبر شوقي ضيف كتاب الامالي من الكتب التي فيها انتحال كثير
4) أنظر مثلا في كتاب التّيسير 6/ 96.
5) كتاب للمفسر طبع طبعة حجريّة في 1 صفر 1320هـ يحتوي على 233 صفحة يسوق فيه الأدلة على نبوءة سيّدنا محمّد صلّى اللّه عليه وسلّم وصدق رسالته.

فمن ذلك ما في الفصل العشرين من السّفر الخامس منها ."(1)

وبعد عرض أهمّ المصادر الّتي اعتمدها المؤلّف في تفاسيره خلص إلى القول بأنّ المفسّر لم يخرج عن سنّة المفسّرين الّذين سبقوه فيما يخصّ نوعيّة المصادر الّتي استعانوا بها في تفاسيرهم بالاستثناء رجوعه الى المصادر الأباضيّة.

ومن خلال ما تقدم يمكن لنا تصوّر منهجيته في التّفسير والّتي سنتعرض إليها في الباب الموالي من هذا البحث، فاذا أهملنا ذكر بعض المصادر الخاصّة بعلوم أخرى كالطّب والفلك ألخ... أو بعض مؤلّفات شخصيات بارزة اهتمّ بها المفسّر مثل ابن تيمية، وابن قيّم الجوزية والغزالي، وغيرهم لاعتبارها من المصادر المشتركة بين معظم المفسّرين الّذين ينتمون لمدرسة المفسّر، وممّا لاحظناه من خلال دراستنا أنّه يقتبس كثيرا من المعلومات الواردة في المصادر السّالفة الذّكر من كتب التّفسير وهذا لا يعني حكمنا عليه بأنّه لم يستفد منها، ولم يرجع اليها.

وفي فصول الباب الثالث سنحاول معالجة هذه القضية عند حديثنا عن منهجية تفسيره من خلال كتابه (التّيسير)، ومقارنتها ببقيّة التّفاسير.

وقد لجأ الى الاشارة الى بعض هذه المصادر اذا اقتضى الأمر

---

1) التّيسير 6/ 197، 198.

# الباب الثالث

## منهجيته في تفسيره التيسير ومكانته بين بعض المفسرين

## الباب الثالث

### الفصل الاول :
### طريقته في التفسير .

**اطار السورة :**

لرسم معالم طريقة تداول علم من العلوم أو فن من الفنون يجدر بالباحث أولا أن يتعرف الى الاهداف المتوخاة منه باعتبار الطريقة وسيلة لتحقيق هذه الاهداف .

فمن بين الاهداف التي كان يرمي اليها المفسر من تأليفه لكتابه ( تيسير التفسير ) الذي نقتصر عليه في دراستنا هذه ، تذليل صعوبة هذا العلم لطلبته ولعل عنوانه خير دليل على ذلك ، وان أول ملاحظة يمكن استنتاجها هي محاولة الاختصار بالمقارنة بتفسيريه الآخرين و هذا الاختصار يتجلى في التمهيد للسورة اذ نجده في كثير من الاحيان يستغني عن هذا التمهيد ، و يشرع مباشرة في تفسيرها الا في بعض السور التي مهد لها اما :

1) بذكر مناسبة نزولها مثلما نلاحظ ذلك في بداية سورة العلق (1) و سورة الاسراء التي مهد لها بسرد الحادثة التاريخية المذكورة في مستهل السورة ، متعرضا الى بعض الاختلافات المتعلقة بها . (2) .

2) أو يستهل السورة بما ورد في تحريم تسميتها بأسمها دون اضافته الى السورة و في بداية سورة الرحمن مثال على ذلك (3) .

3) و قد يمهد لبعض السور بذكر أسباب نزولها ، على غرار تمهيده لسورة الانفال التي استهلها بسرد حادثة اختلاف المسلمين في غنائم بدر (4) .

4) و الا يتعرض في التمهيد الى علاقة السورة بما قبلها مثلما نلاحظ ذلك في بداية سورتي النجم (5) و الانشراح (6) .

---

1) ( التيسير ) 6/634 ـ 636

2) ن .م . 3/675 ، 676 3) ن .م 6/ 5

4) ن .م . 2/720

5) ن .م . 5/569

6) ن .م . 6/585 .

بعدا

5) و مهّد لبعض السور بمواضيع لها علاقة بما تعرضه الى الادلة التي تثبت وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم عند ورود اسمه في بداية سورتي المزمل (1) و يسين (2) أو نهي الرسول صلى الله عليه و سلم من تعليم سورة يوسف للنساء في مستهل هذه السورة (3) ، و في بداية سورة براءة يذكر سبب عدم ذكر البسملة (4) .

6) و قد يقتصر في التمهيد على البحث في اسم السورة من حيث مدلوله ، و اختلاف اسمائها كما نلاحظ ذلك في سورتي الحشر (5) و الممتحنة (6) .

7) أو يبين فضل السورة مستشهدا بالاحاديث النبوية ، كما في بداية سورتي الملك (7) و الاخلاص (8) أو فضل بعض آياتها مثل تمهيده لسورة الحديد (9) .

8) و يقتصر في بعض الاحيان على سرد الاحاديث الدالة على صلاة الرسول صلى الله عليه و سلم بالسورة التي يمهد لها أو بغيرها في بعض صلواته المفروضة و المسلونة ، و النوافل ، و نجد مثالا لذلك في مستهل سورة المطففين (10) .

9) و قد يكتفي أحيانا بالاشارة الى بعض مميزات السورة مثل ملاحظته لعدم ورود لفظ الجلالة في سورة القمر (11) الرحمن و الواقعة .

10) و نادرا ما يطرق موضوعا لا علاقة له بالسورة مثل تبيانه لطريقة بداية المراسلة في مستهل سورة الأحزاب (12) .

و المفسر يلتزم في كل ذلك الاختصار الا في بعض الحالات القليلة التي يتساق فيها وراء تفاصيل ، و يسرد الشواهد من الاحاديث النبوية ففي سورتي المزمل و ( الكافرون ) من أمثلة على ذلك ، ففي تمهيده للسورة الاولى راح المفسر يسرد أحاديث نبوية دالة على

---

1) ن م. 6/381 الى 383
2) ن م. 4/985 المجلد 2 .
3) ن م. 3/285 .
4) ن م. 2/829
5) ن م. 6/136 .
6) ن م. 6/171 .
7) ن م. 6/277 .
8) ن م. 5/712 .
9) ن م. 6/69 .
10) ن م. 6/521 .
11) ن م. 5/602 .
12) ن م. 4/795، 796 المجلد 2 .

وجوب الصلاة على الرسول صلى الله عليه و سلم و اختلافا الرواة في منتهاه (1) اما في السورة الثانية فيستهلها بحديثين لسويين في موضوع صلاة الرسول صلى الله عليه و تسلم بالسورة التعبية لها و سورة الاخلاص في ركعتي سنة الفجر ، و المغرب ، بينما ان الوتر أفضل من سنة الفجر خلافا لمن يرى غير ذلك ، ثم يتعرض الى الطريقة التي كان يتعبد بها الرسول صلى الله عليه و سلم قبل البعثة . (2) .

و اذا استقصينا رأيه في افتتاح بعض السور بالحروف ، و مدلول هذه الحروف وجدناه يلخصه في بداية سورة البقرة قائلا : " الله هو العالم بمعناه و بعض المعنى و انمر و الر ، و كهيعص و طه و طسم و طس و يس و ص و حم عسق و ق ، و ن " (3) و لكنه يذكر في بعض الاحيان ما روى في تفسيرها .

و المفسر لا يخرج في اختتامه للسورة عن الطريقة المعروفة عند بعض السلف من المفسرين ، لا سيما الذين تأثر بهم و لذلك نجده يختمها باحدى الطرق التالية المفسرين :

1) الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم وآله ، مضيفا معها — أحيانا — عبارة ( الله أعلم ) و الحوقلة أو الدعاء الذي يكون في الغالب مناسبا لمدلول نهاية السورة أو مدلولها العام مثل قوله عند تفسير الآية (56) من سورة المدثر " اللهم اجعلنا من أهل هذه الآية " . (4) و عند اختتام سورة الانفطار يقول : " اللهم ببركة هذه السورة المختومة بلفظ الجلالة اغفر لنا ذنوبنا و اقض حوائجنا ، و سهل لنا يوم البعث و النشور و الحشر و الموقف . . " (5)

2) يذكر في نهاية بعض السور و الاحاديث الواردة في فضلها ، أو فضل بعض آياتها و خير مثال على ذلك حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : " . . فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه الفاقة أبدا . (6) .

---

1) ن . م . 6/ 381 - 383
2) ن . م . 6/ 691 ، 689
3) ن . م . 01/ 06 .
4) ن . م . 6/ 417 .
5) ن . م . 6/ 521 .
6) أخرجه أبو عبيد ، و ابن الضريس و الحرث بن أبي أسامة ، و أبو يعلى ابن مردويه ، و البيهقي ( انظر ( روح المعاني ) المجلد 09 — 27/ 126 ورواه بهذا اللفظ من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا " ورواية محمود بن عمر الزمخشري ( في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا ) الكشاف 6/ 81 .

وقد أورد قبل هذا الحديث أحاديث أخرى في فضل التسبيح بعد تفسير قوله تعالى :
" فسبح باسم ربك العظيم " الآية 96 من سورة الواقعة (1).
وفي نهاية سورة الصافات مثل آخر في سرد أحاديث فضل تلاوة " سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " (2) الآية 180 ـ 182 من نفس السورة.

3) وقد يسوق أحاديث في مواضيع أخرى لها علاقة بالسورة مثل حديث عائشة رضي الله عنها في وتر الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة الاعلى (3)، وفي فضل ليلة القدر(4) وما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تلاوة بعض الآيات (5) هذا هو الاطار الذي يحدده المفسّر للسورة، وكيف يتناول السّورة بالتفسير في هذا الأطار؟

ب. طريقتـه في تفسير السّورة:

في تفسيره للسّورة، لا يتقيّد المفسّر بالآية، وانما يراعي في التقسيم المعنى، فاذا وجد في الآية ما يتطلّب التوضيح والشرح وقف عنده ليبيّن معناه ويبسط مدلوله ثم يروح يفسّر بقية الآية واذا تطلب المعنى تجاوز الآية الى الآية الأخرى فصل ذلك، وليتضح لنا ذلك نسوق هذين المثالين :

1) تفسيـره للآية تبعا للمعنى :

لتفسير قوله تعالى :" لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون " الآية 07 من سورة يسين، يجزّئ هذه الآية حسبما يقتضيه معناها فيقول :" (لقد حقّ) والله لقد صح وثبت (القول) قولنا لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين(6). وقولنا لأملأن جهنم منك (7) الخ : وهذا أولى من تفسير القول بعلم الله عز وجل أو بقضاءه (على أكثرهم) هم تبعة أبليس كما قال الله عز وجل لأملأن جهنم منك ومن تبعك أجمعين.. (فهم) أي الاكثر (لا يؤمنون) منهم .

---

1) ن.م. 6/69
2) ن.م. 4/1097 المجلّد 2
3) ن.م. 6/560.
4) ن.م. ... 6/651.
5) ن.م. 6/297.
6) هود / 119
7) ص / 85.

أي بسبب حق القول عليهم مع اختيارهم ... فليست اجبارا اذ لا يخفى أن المكلف قادر على ترك المعصية و على فعلها الخ ..." (1).

2) تجاوز الآية الى الآية التالية لاتمام المعنى :

نلاحظ المفسر يجمع بين الايتين 08،09 ، من سورة الرحمن، لاتمام المعنى ثم يشرحهما بقوله : " يجوز أن يراد بالميزان العدل و الميزان الحسي جمعا بين الحقيقة و المجاز و ان يراد عموم المجاز اللام مقدرة أي لئلا تطغوا أي كراهة ان تطغوا الخ ..." (2).

و بهذه الطريقة يفسر المؤلف السورة منطلقا من الجزء الى الكل كما نلاحظ في تفسيره لقوله تعالى : " ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم " الآية 110 من سورة آل عمران يقول : " (ولو امن أهل الكتاب) اليهود (لكان) ايمانهم (خيرا لهم) نفعا وأفضل من كفرهم ..." الى أن يقول ملخصا ما سبق" .. فان الايمان التام يكون أفضل لوعلموا " (3) و بعد تفسيره للآيات من 04 الى 07 من سورة الغاشية يقول ملخصا اياها : " .. و الآية تدل ان لاهل النار أشتياقا لشراب و الطعام فعذبوا بالعطش و الجوع كما عذبوا بالنار و الضرب و الزمهرير و القرآن و الحديث يدلان على ذلك و يصرحان به " (4).

و قد ينتهي الى استخلاص معنى من جملة الآراء التي عرضها مثل قوله : بعد تفسيره للآيات من 05 الى 10 من سورة الليل : " .. و يتحصل من بعض ما تقدم من الاجوبة انه أعطى فسوفقه و تكون الطاعة عليه أيسر الامور كقوله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه الخ (5) .. و من بخل واستغنى فتكون الطاعة عليه أعسر شيء كقوله تعالى : " يجعل صدره حرجا كما (6) يصعد في السماء (7).

---

1) ن .م. 4/ 939 المجلد 2

2) ن .م. 6/ 05.

3) ن .م. 1/ 565، 566.

4) ن .م. 6/ 373، 374.

5) ن .م. الآية 125/ الانعام.

6) الصحيح كأنما يصعد الآية 125/ الانعام.

7) التيسير) 6/ 611. "

كما يشرح الآية أحيانا جزءا جزءا دون التعرض في شرحه الى التفاصيل فيكتفي بابراز المضمر أو ذكر المحذوف ، أو الاتيان بالمرادف ، أو التوضيح أو بيان حالة اعراب ، ثم يتفرغ الى التفاصيل ، و هذا المثال يوضح لنا ذلك .

"(إن ربك) ياكل من يصلح للخطاب (يبسط الرزق لمن يشاء) البسط له (و يقدر) و يضيقه لمن يشاء التضييق له أو عليه " ، ثم يبين سبب نزول الآية منتقدا بعض الروايات التي لا تنطبق على الآية لكونها مكية ، و محتملا أنها مدنية أدرجت في سورة مكية الخ ... على أنه لم يتجاوز في هذه التفاصيل نزولها ، ثم يواصل تفسيرها بقي من الآية : " (إنه كان بعباده خبيرا) بسرهم (بصيرا) بعلنهم" و اثر ذلك يسترسل في شرح الآية متعرضا لمعناها ، و موضحا و محللا ، و منتقدا ، و هنا رأى المعتزلة في مسألة إرادة الله و مصلحة العبد مبينا علاقة الآية بما قبلها و ما بعدها (2).

و نخلص الى القول بأن المفسر لا ينتهج أسلوبا واحدا في العرض ، فتارة ينطلق من الجزء الى الكل ، مبتدأ بشرح أجزاء وحدة فكرية و منتهيا الى تلخيصها ، أو يمهد لتفسير الوحدة الفكرية بتذليل بعض الصعوبات اللغوية أو النحوية أو غيرها ، ثم يتفرغ الى التوسع في شرحها ، و إلا يكتفي بشرح كل جزء على حدة مثل تفسير قوله تعالى . " (يأيها الذين امنوا اتقوا الله) في كل ما تفعلون أو تتركون فلا تؤذوا حبيبه صلى الله عليه و سلم (قولوا) في حقه (قولا سديدا) مصيبا للحق مخالفا لقولكم فيه ، و في زينب في زيد و قيل لا إله إلا الله و قيل ما يوافق ظاهره باطنه و قيل ما فيه صلاح و الظاهر الاول لان الكلام في النهي عن الايذاء و لو كان يحتمل أن الخطاب لمن ضعف ايمانه فيأمره باخلاص لا اله الا الله و: كذا يجب القول السديد في حق غير موسى و يجتنب السفه مطلقا و من السفه قول بعض أهل هذه البلاد كذا مثل ذكر في أنثى و يريدون ذكرا في فرج أنثى يقولون ذلك تارة و لو في المسجد أو بحضرة من يستحي منه و يقولون مطلقا و هو لفظ فحش (يصلح لكم) يجعلها صالحا بالتوفيق الى الصلاح و من لازم صلاحها و الثواب عليها ، و تاب الله عزوجل صلاح الأفعال من الجوارح على صلاح القول باللسان .

---

1) 30/اسراء 30/ الاسراء

2) التيسير 3/718.719.

الصادق الصادر من القلب ، و معنى يصلح لكم أعمالكم ، يتقبلها و يثيب عليها ، و ذلك تفسير بالا زم . ( و يغفر لكم ذنوبكم) يسترها بانتفاء العقاب عليها كأنها لم تكن ( و من يطع الله و رسوله ) في الأمر و النهي ( فقد فاز) حصل الفوز لنفسه في الدنيا و الاخرة ( فوزا عظيما )(1) لا يعلم قدره إلا الله عز و جل " (2) .

اذا كنا نلاحظ بعض الإشارات في تفسير جزء من الآية الى معنى الجزء السابق مثل ما ورد في تفسير قوله تعالى : " يصلح لكم أعمالكم) فذلك من باب الربط و تسلسل المعنى ، و محاولة توضيح مدلول الجزء المراد تفسيره .

" و قد يطلق المفسر من الكل الى الجزء ، و إن كنا لا نلاحظ ذلك كثيرا فمن الا مثلة تفسير قوله تعالى : " يأيها الذين امنوا إذا تداينتم" الآية 282 من سورة البقرة ، " تعاملتم و هو شامل للآخذ و المعطي فانه يجب أو يتأكد عليهما معا الترثيق " لئلا يضيع مال المعطي ، و ليقضي ورثة الآخذ إن مات أو هو أو نائبه دينه فلا يهلك و لكن اذا استوثق صاحب الحق بالكتابة و الاشهاد كفاه و ينبغي له مع ذلك أن يكتب و يقدم في ذلك لورثته و وصيته" .(3) .

نلاحظ في هذه الفكرة العامة المتعلقة بموضوع التداين ، ذكر طرفي هذه المعاملة و نوعها و طريقتها و الحكمة من ذلك ، مع ان الآيات التي تليها ستشرح هذه العناصر ، و تتعرض اليها بالتفصيل .

و الحديث عن هذا الاسلوب يسوقنا الى الحديث عن الطريقة التي يسلكها المفسر في تمهيده للآيات ، و الربط بينها ، و جوانب هذا الربط و التمهيد .

1) التمهيد للآية التالية :

" المفسر يكتفي أحيانا في نهاية تفسير آية بالتمهيد للآية التالية دون محاولة ايجاد علاقة بينهما لاحظ ذلك في المقالين التاليين .

في نهاية تفسير الآية 01 من سورة المجادلة يقول تمهيدا للآية الموالية : " و شرعي بيان حكم الظهار يقوله "(4) و بعد انتهائه من تفسير الآية 33 من سورة سبأ يقول ممهدا للآية اللاحقة : " .. و قال الله تعالى تسلية لرسوله صلى الله عليه و سلم (5) :

---

1) 70/71 الاحزاب .
2) ( التيسير) 4/ 890 ، 391 المجلد 2 .
3) ن م . 1/417 لعل الصحيح ( ان مات هو او نائبه الخ . . .)
4) ن م . 6/106 . 5) ن م . 4/929، 930 .

على أنّ هذا التمهيد يختلف من ناحية المضمون فقد يكون اشارة الى المضمون الاجمالي للآية الممهّدة لها كما لاحظنا ذلك سابقا وقد يمهّد للآية بذكر أسباب النزول كما يتجلى لنا ذلك في هذا المثال الذي يمهّد فيه لقوله تعالى : " ألم تر الى الّذين نهوا من النّجوى " الآية 08 / المجادلة ، في نهاية تفسير الآية السابقة لها يقول : " . . وكانت اليهود والمنافقون ويتناجون ويتغامزون بموت المؤمنين ، يوهمونهم موت أقاربهم والمؤمنين في القتال ولا يزالون كذلك حتى تقدّم الاقارب والمؤمنون وكثر ذلك منهم فشكا المؤمنون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنهاهم ولم ينتهوا ونزل قوله تعالى " (1).

2) الآية مكملة لمعنى الآية السابقة :

وقد يكون التمهيد للآية متمثّلا في ربطها بما سبقها بحيث تكون تتمة لمعناها ولتوضيح هذا الربط نسوق هذين المثالين :

في نهاية تفسير قوله تعالى : " ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنّم ملوما مدحورا " الآية 39 من سورة الاسراء يقول المفسّر محاولا ربطها بالآية التي تليها (2) " . . ومن الاشراك وصف الله بالولادة ولا سيما أخس الاولاد هو الاناث كما قال . " (3).

وتظهر هذه العلاقة بجلاء في تفسير قوله تعالى : " رجع بعيد " الآية 03 من سورة ( ق ) . . . فرد الله تعالى عليهم بأنه عالم بما تفتّت ما فيّ بينهم في الأرض فقال . . " (4).

3) الآية مؤكدة لمعنى الآية السّابقة :

وقد يتجلّى هذا الربط بين الآيتين في كون الثانية دليلا للآية الأولى ومؤكدة لها وهذا ما يبيّنه المثال التّالي .

يقول الله عزوجل : " ويستخلف من بعدكم ما يشاء " يقول المفسّر : " . . . ويدلّ

---

1) ن . م . 6 / 119

2) ن . م . 40 / الاسراء

3) التيسير 3 / 727 .

4) ن . م . 5 / 496 .

لكون الاستخلاف الانشاء و انجعل فى مكان من أذهب قوله تعالى "(1) كما أنشأكم ذرية قوم آخرين " الآية 133 من سورة الانعام.

4) الآية التالية مدعمة لرأي المفسر:

و المفسر يستدل بالآية اللاحقة لدعم رأيه أو الرأى الراجح فى نظره كما نلاحظ ذلك فى تفسير قوله تعالى : " و للكافرين عذاب اليم " الآية 04 المجادلة يقول المفسر : " . . قلت المعنى المذكور كله صحيح . الا انه لا يصح تفسير الآية به لانها ظاهرة فى المشركين ألا ترى إلى قوله تعالى "(1) ان الذين يحادون الخ . . . " الآية 05 من سورة المجادلة.

5) الآية جزء أو جزء منها مكمل للآية السابقة او جزء منها فى الاعراب:

و تظهر هذه العلاقة فى أجزاء هذه الآية : " (كبر) فيه ضمير مفسر بقوله تعالى ( مقتا ) بالنصب على التمييز المخصوص بالذم المصدر من قوله تعالى : " عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " (3) الآية 3 من سورة الصف.

و لبيان هذا النوع من العلاقة بين الآية و الآية يورد هذا المثال يقول المفسر فى شرح قوله تعالى : " اذا تتلى عليه . . . ايتنا قال اساطير الاولين " الآية 13 من سورة المطففين . " تحت اخر لمعتد او لمفعوله المحذوف اى كل انسان معتد أثيم قائل " أساطير الاولين "(4).

6) الآية معللة لمعنى الآية السابقة:

يقول المفسر فى نهاية تفسير قوله تعالى : " و بشرى للمحسنين " الآية 12 من سورة الاحقاف: " فيما سبب تعليل البشارة بقوله تعالى : " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " الآية 13 من سورة الاحقاف.

كما أنهى تفسير قوله تعالى " و من كفر " بقوله : " و أغنى عن الجواب تعليله لقوله تعالى : " فان الله غني حميد " (6) الآية 12 من سورة لقمان.

---

1) ن م. 2/ 417.
2) ن م. 6/ 116.
3) ن م. 6/ 195.
4) ن م. 6/ 527
5) ن م. 5/ 334.
6) ن م . 4/ 747.

و من الملاحظ أنّ التمهيد أو العلاقة لا نجدها في جميع الآيات ، قد ينتقل المفسر " من آية الى أخرى أو وحدة فكرية الى أخرى دون محاولة ايجاد رابطة معنوية أو وحدة موضوعية بين الآيات ، و كأنّ معنى الآية مستقل كما قبله " ، لاحظ ذلك في المثال التالي :

في تفسير قوله تعالى : " يأيها الناس اتقوا ربكم . . . و لا يغرنكم بالله الغرور " الآية 32 من سورة لقمان يقول في آخر تفسير هذه الآية : " . . . و قيل الغرور كل ما غرك حتى عصيت الله سبحانه كمال وجاه و شيطان الجن او الانس و قيل الدنيا " ، ثم ينتقل الى الآية التي بعدها و هي قوله تعالى : " ان الله عنده علم الساعة " من الآية 34 سورة لقمان ، فشرحها مبينا معناها و سبب نزولها و الايات التي بعدها دون محاولة ايجاد علاقة بينها و بين الايات التي قبلها في الوقت الذي يمكن أن يجد هذه العلاقة التي تتمثل في أنّ الآيات السابقة تعالج موضوعا غيبيا ، يحذر الناس من اليوم الرهيب الذي لا ينفع فيه مال و لا بنون و الآيات التالية لها تتطرق الى مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها من الله يعلمها ، و هي دلائل قدرة الله تبارك و تعالى على التصرف في هذا الكون ، و على مشيئته ، و هذا تأكيد على تحقيق ذلك اليوم الرهيب الذي هو من عالم الغيب و كذا مفاتح الغيب الخمسة من الغيبيات التي تتحقق أمام الانسان و هي اقرب الى حواسه ، و هذه هي طريقة القرآن في تقريب المفهوم من الانسان الذي في الغالب لا يؤمن الا بالحواس و يزداد ايمانه بالمشاهدة و المعاينة ، كما انه لم يعهد للآية الاخيرة (1) رغم وجود أسباب النزول .

هذه بصفة عامة منهج المفسر في عرض السور ، و تفسيرها ، محاولا الجمع بين الاختصار الذي اشرنا اليه سابقا و بين التوضيح و التبسيط تماشيا مع قدرات فهم القراء الذين الف الكتاب ، و يتجلى التوضيح بصفة خاصة في طريقة استحابته و استخلاله لمصادر مساعده فهم شأنه شأن بقية المفسرين ، و في المبحث التالي سنحاول التعرض الى هذه المصادر المساعدة مع ايراد بعض النماذج في طريقة توظيفها .

---

1) ن . م . 4/772

## أ. تفسير القرآن بالقرآن:

الدارس لمنهجية التفسير منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يلاحظ بكل وضوح وجلاء أسلوب تفسير القرآن بالقرآن، واعتبره الباحثون النواة الأولى للتفسير (1)، ومن خلال دراساتهم للقرآن الكريم، وللقراءات استنبطوا قواعد أصبحت — بعد ذلك — من مجالات دراسة علوم القرآن ومن هذه القواعد حمل المجمل على المبين والعام على الخاص، والمطلق على المقيد ألخ . . . وعدوا بعض القراءات تفسيرا للقرآن وللناسخ والمنسوخ أثر في فهم كتاب الله واستنباط الأحكام منه .

والمفسر شأنه شأن المفسرين الذين تتلمذ في مدارسهم من خلال مطالعته لتفاسيرهم، وللمراجع المتعلقة بعلوم القرآن، اعتمد على هذا المصدر الأول في تفسيره واستعماله بطرق مختلفة سنورد بعضها فيما يلي :—

سنورد بعضها

### 1. دعم معنى الآية بآيات أخرى :

لتفسير قوله تعالى :" حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا " الآية 61 من سورة الأنعام يسوق المفسر في شرح هذه الآية بعض الآيات المشابهة لدعم معناها وبيان بعض ما ورد فيها مجملا، لاحظ ذلك فيما يلي :" ملك الموت وأعوانه وهذا كقوله تعالى " قل يتوفاكم ملك الموت " (2) وذلك عصر الارواح من الأجساد فاذا بلغت الحلقوم (3) قبضها الله فهذا كقوله تعالى :" يتوفى الأنفس حين موتها " (4)،(5).

### 2. حمل المجمل على المبين :

لبيان الحكم الذي تشير إليه الآية :" الا ما يتلى عليكم " الآية 01/المائدة ولا سيما المعنى الذي يشير اليه الاسم الموصول الوارد فيها يقول المفسر:" بعد في هذه السورة اذا نزل وهو قوله :" حرمت عليكم الميتة(6) ألخ " (7).

---

1) التفسير والمفسرون 1/41 يوافق الاستاذ جولد زيهر في نظريته هذه .
2) السجدة / 11 .
3) الواقعة / 83 فلولا اذا بلغت الحلقوم .
4) الزمر / من الآية 42 الله يتوفى ألخ . .
5) التيسير 2/296 .
6) المائدة / 03
7) التيسير 2/3 أنظر مثالا آخر مشابها في ن.م. 4/296 2 المجلد 1.

شا به آيتين في طريقة التعبير :

و يتجلّى هذا التشابه في طريقة التعبير من حيث الفرض و التقدير بين قوله تعالى : ' ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثمّ لا ينصرون "الآية 12 الحشر ، و قوله تعالى : "لئن اشركت ليحبطنّ عملك" الآية 65 من سورة الزمر .

و يوضّح المفسّر هذا التشابه بقوله : ". . ولئن نصّروهم بعد الاخبار بأنهم لا ينصروهم على سبيل الفرض أو التقدير كقوله تعالى : " لئن اشركت ألخ " (1).

لاستدلال بالآية لاثبات استعمال :

لاثبات جواز الزيادة في الاجابة عن السؤال في قوله تعالى : " نصر من اللّه وفتح قريب و بشّر المؤمنين "الآية 13 الصّف يقول المفسّر : " و ان الزيادة في الجواب على السؤال كثيرة كقوله تعالى :" هي عصاي أتوكؤ عليها و أهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى " (2) من الآية 18 من سورة طه .

وفي الآية التّالية : "يأيّها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة" الآية 09 من سورة الجمعة ، بين أنّ ( من ) بمعناها ( في ) و لاثبات هذا الاستعمال يسوق قوله تعالى : أروني ماذا خلقوا من الأرض" الآية 40 سورة فاطر ، أي في الأرض (3) و لاثبات أنّ السعي الوارد في قوله تعالى :" فاسعوا إلى ذكر الله " الآية 09 سورة الجمعة يفيد معنى المشي أنّ هذا الاستعمال وارد في القرآن يستشهد بقوله تعالى :" ولمّا بلغ معه السعي " الآية 102 من سورة الصّافات أي المشي (4).

و المفسّر كلّما أراد اثبات استعمال معيّن سواء كان لغويّا أو تعبيريّا أو في القواعد يأتي بنظيره من القرآن ، و لو كان الأمر متعلّقا باثبات وجهة نظر معينة فحسب تبنّاها هو أو غيره . في تفسير الآية التالية :" تؤمنون باللّه و رسوله و تجاهدون في سبيل اللّه "الآية 11 سورة الصّف يبيّن وجهة نظر الأخفش في إعراب المضارعين الواردين في الآية فيقول : "وقال الأخفش المضارعان خبران لفظا ، ومعنى مصدرهما بدل من تجارة أمّا على حذف حرف المصدر و رفع المضارع بعد حذفه " و لهذا الاحتمال الأوّل يسوق هذا المثال

---

(1) ن م . 160/6 .
(2) ن م . 208/6 .
(3) ن م . 212/6 .
(4) ن م . 215/6 .

من القرآن قائلا. % . . كما هو وجه قوله تعالى :" ومن آياته يريكم ألخ " (1) الآية 24 من سورة الروم .

5 . وجود علاقة معنوية بين الآيات :

يرى المفسر أن الآية 08 من سورة الأنبياء :" وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين" تتضمن الرد على القائلين :" مالهذا الرسول يأكل الطعام." (2) الآية 07 من سورة الفرقان .

وتظهر هذه العلاقة — أيضا — في وجود كلمة في الآية المفسرة توضحها آية أخرى فمثلا ليوضح المفسر هلاك المسرفين في قوله تعالى :" وأهلكنا المسرفين " الآية 09 من سورة الأنبياء ، يسوق الآية قائلا :" وأن للاسترفاق وأن المسرفين هم أصحاب النار"الآية 43 غافر . (3)

وعلى هذا النحو يوضح مدلول (الطيب) في قوله تعالى :" وهدوا الى الطيب" الآية 24 / الحج قائلا :" في الجنة وهو الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . .الى لغوب" (4) الآية 34 / فاطر .

6 . اثبات معنى :

نلاحظ المفسر يسوق قوله تعالى :" وهم في الغرفات آمنون " الآية 37 من سورة سبأ ، لاثبات أن (ال) للجنس في قوله تعالى :" أولئك يجزون الغرفة"(5) الآية 75 / الفرقان .

7 . التشابه في الدلالة:

يرى المفسر أن الآيتين التاليتين قوله تعالى :" فامطر علينا " ألخ الآية 32 / الأنفال وقوله تعالى :" فاتنا بما تعدنا " الآية 32 / هود متشابهتان في الدلالة مع قوله تعالى :" أفبعذابنا يستعجلون"(6) الآية 20 /الشعراء .

---

1) التيسير) 6/201 .
2) ن .م . 4/197 المجلد 1
3) ن .م . 4/ 197 المجلد 1
4) ن .م . 4/290، 291 المجلد 1
5) ن .م . 4/ المجلد 1 ( 481).
6) ن .م . 4/ 527 المجلد 1 .

8) التدرج في التشريع :

يبين المؤلف عند تفسير قوله تعالى : " انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام الخ " الآية 90 من سوره المائدة التدرج في تحريم الخمر الذي مر على ثلاث مراحل فيقول في ذلك : " كان تحريمها تدرجا فنزل قوله تعالى " يسئلونك عن الخمر و الميسر الخ " (1) فتركها بعض تحرجا من اثمها ، و بقي بعض على مافيهما فنزل : " لا تقربوا الصلاة و أنتم سكرى " (2) فتركها بعض و قال بعض نشربها و نقعد في بيوتنا حتى لا نضر أحدا و شربها بعض حين لا تضر بالصلاة ، حتى نزل : " إنما الخمر و الميسر الى فهل انتم منتهون" (3) .

9) التوفيق بين الآيتين :

يرى المفسر أن لا تناقض بين قوله تعالى : " انهم عن السمع لمعزولون " الآية 212 من سورة الشعراء ، وقوله تعالى : " و انا لمسنا السماء الى رصدا " (4) الآية 8 من سورة الجن . و يجري المقارنة بين قوله تعالى : " او اتيكم بشهاب قبس " الآية 7 من سورة النمل ، و قوله تعالى : " لعلي آتيكم " الآية 10 من سورة طه لمحاولة التوفيق بينهما يقول في ذلك : " لا تناقض بين الجزم هذا بالاتيان بالنار و بين ترجيه في قوله تعالى : " لعلي آتيكم لأن الراجي اذا قوى رجاءه جزم و لأنه بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بالخير و النار مما ظفر بأحدهما " (5) .

10) توضيح مفهوم:

كما يجري المفسر المقارنة بين آيتين ، قصد ازالة التباس في معنى أو مفهوم و في المثال التالي يتضح لنا ذلك ، يقول في تفسير قوله تعالى : " و هو في الآخرة هم الخاسرون " الآية 5 من سورة النمل ، " أشد خسرانا من فساق الموحدين لان دركته دون دركة المشركين كفا ما كان و أما قوله تعالى : " إن المنافقين في

---

1) 4/ 119 البقرة. (2/42)
2) 43 النساء .
3) التيسير ) 2/ 152.
4) ن .م. 4/ 523 المجلد 1.
5) ن .م. 4/ 542 المجلد 1.

الدرك الاسفل من النار (1) ، ففي النفاق باظهار الشرك فلا تهم و لا تقلد ."(2).

ب- النسخ و المنسوخ :

يرى الخوض في هذه المسألة التي أصبحت موضوع بحوث و دراسات مستقلة ، انما أريد أن ابين من خلال بعض النماذج كيف استغل المفسر هذا العلم لتفسير الآيات ، من حيث دراستها ، و تحليلها ، و استنباط الاحكام منها ، فمثلا ، يرى المفسر ان قوله تعالى : " يأيها الذين أمنوا لا تحلوا الى فضلا من ربهم و رضوانا " الآية 02 من سورة المائدة منسوخة بقوله تعالى : " اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم " الآية 05 من سورة التوبة ، و قوله تعالى : " فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " الآية 23 من سورة التوبة متعرضا الى القول الذي نفى نسخها .(3).

و يستحسن في الشرح بما نسخ لفظا و بقي حكما ، و من ذلك قوله في تفسير قوله تعالى من الآية 02 من سورة النور : " فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . . و في هذه السورة و سورة الاحزاب قولان الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم (4) نسخ لفظه لا حكمه " (5).

و لزيادة التوضيح نورد هذا المثال في شرح قوله تعالى : " و قتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم " الآية 190 من سورة البقرة يقول المفسر : " . . . و الآية تدل على أنه لا يجوز لهم قتال من لم يقاتلهم ، و هذا المفهوم منسوخ بما نزل بعده و هو قوله تعالى : " اقتلوا المشركين (6) و قوله : " و اقتلوهم حيث ثقفتموهم (7) ، فتكون الآيتان على ما زعموا ناسختين لآية نهي فيها عن القتال (8).

---

1) النساء / 145.
2) (التيسير) 4/541 المجلد 1.
3) ن م. 2/57.
4) رواه داود (أرجح الى روح المعاني) 18/79 المجلد 5.
5) (التيسير) 4/ 393 المجلد 1.
6) التوبة / 05.
7) البقرة / 191.
8) (التيسير) 1/254 و في ن م. 1/255 مثال آخر.

و في تفسير قوله تعالى : " و لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن " الآية 221 من سورة البقرة ، يتعرض المفسر الى اختلاف العلماء في نسخها أو حمل الخاص على العام قائلا : " و لو كتابيات ذميات جروا على تحريم الكتابيات الذميات كغيرهن ، ثم نزل نسخ تحريمهن لقوله تعالى : " و المحصنات من الذين أوتوا الكتاب(1) و بقيت الكتابيات المحاربات و سائر المشركات على التحريم و لو اقترنت الآيتان لقلت أن ذلك تخصيص للعموم لا كما شهر في المذهب(2) ، و عن الشافعية من أن ذلك تخصيص العام و من جواز تأخير دليل الخصوص على العموم و لو كانت بين العام أو الخاص" .

ثم يعرض المفسر محاولا الرد على الرأيين مستشهدا بآيات أخرى قائلا : " و لك أن تقول لا نسخ و لا تخصيص بل المشركات في الآية الكتابيات لأنه كثير في الآيات مقابلة المشركات بالكتابيات كقوله تعالى : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين " (3) و لو كان أهل الكتاب أيضا مشركين لقوله : " سبحانه عما يشركون (4)" (5) .

جـ القـــراءات :

و من فوائد الاختلاف في القراءات ، تيسير فهم القرآن و ادراك بعض معانيه بالاضافة الى المساعدة على استنباط الاحكام ، و ترجيح رأي ، و المفسر كغيره لم يفتهُ هذا المصدر في استغلاله في أوجه التفسير منها :

1) بيـــان معنـــى :

ليبيّن المفسر أن لام الجر في قوله تـ الى : واقع للكافرين " الآية 8 من سورة المعارج تفيد معنى (على) يقول : " أي واقع على الكافرين كما قرأ أبي" (6) .

2) ترجيـــح رأي و دعمـــه :

و بعد أن يسوق المعاني المختلفة لتفسير قوله تعالى : " ثم آتينا موسى الكتاب إلى . . . و هدى و رحمة" الآية 154 من سورة الانعام يقول : "و يجوز أن يراد تماما على كل من أراد الاحسان ، و يدل على إرادة جنس المحسن قراءة

---

1) المائدة / 5 .
2) يعني به المذهب الاباضي
3) البينة / 01
4) التوبة / 31 .
5) (التيسير) 1/305 .
6) (التيسير) 6/ 338

عبد الله بن مسعود على الذين احسنوا و قراءة الحسن على المحسنين" (1).

3)ـ اختلاف قراءتين في الاعراب:

لا يكتفي المفسر بتبيان هذا الاختلاف بل نجده يوضح علاقة هذا الاختلاف بالمعنى و في تفسير قوله تعالى : " و نصفه و ثلثه " الآية 20 من سورة المزمل مثال لذلك : " . . و يجاب عن التخالف بين قراءتنا بالجر و قراءته بالنصب و ثلثه عطفه على أدنى فإن حاصلها انك تقوم أقل من الثلثين ، و تقوم نصف الليل تارة ، و تقوم ثلث الليل أخرى" (2).

4) بيان سبب الاختلاف في القراءات:

ليبين المفسر سبب اختلاف القراءتين لكلمة ( معايش) في قوله تعالى : " و جعلنا لكم فيها معايش" الآية 10 من سورة الاعراف نجده يعود الى أصلها ، و يتعمق في المباحث اللغوية و في الاخير يصل إلى نتيجة لاحظ ذلك: " و وزنه مفعلة بكسر العين نقلت كسرة الياء و الى العين ، و الياء أصل فصحت في الجمع و لم تقلب همزة ، و ذلك الرواية الراجحة عن نافع (3) و لا روي عنه قلبها همزة شذوذا ، لان المعرب قد تشبه الاصل بالزائد اذا كان على صورته كما سمع شذوذا مصائب بالهمزة نص عليه ابن عقيل ، و قياسه مصاوب بالواو لان عين المصيبة و أصاب و صاب و أو أصلية قلبت ياء في مصيبة و الفاء في أصاب و صاب ، و ابن عقيل تلميذ أبي حيان حجة ، و قد نص على همزة مصائب شذوذا . . و . . صحيح ان قراءة مصائب بالهمزة شاذة خارجة عن السبعة و ليست عن نافع بل قرأ بها أبو جعفر و الاعرج فاما على الشذوذ ، و اما على الميم أصلي و الياء زائدة فصح قبلها همزة و وزنه فعلية(3) ،

---

1) ( التيسير) 2/ 462 .

2) ن .م . 6/ 393 .

3) ن .م . 2/ 492 .

) بيـــان ما يكـون مجمـلا فـي الاحكـام:

ليبيـن فـي الآية التالية ان الاخ أوالاخت من الام يستشهد المفسر
راءة أبيّ وسعد بن مالك(1) و سعيد بن أبي وقاص قائلا : " و له أخ أو أخت" الآية 12
ن سورة النساء ،" من الام كما قرأبـه أبي و قرأ سعد بن مالك و سعيد بن أبي وقاص أم
هو إجماع ، ، ، " (2).

و من هذه الأمثله نرى أن المفسر يوظف القراءات كثيره لتوضيح بعض المعاني
توجيح رأى أو حكم و في تفسيره أمثلة كثيرة تثبت ذلك و لا يخفى علينا أن القراءات تساعد
ى التفسير و تبين معانى و لا سيما القراءات الشاذة التى استغلها المفسرون لهذا الغرض(3).

) تفسيـــر الـقرآن بالسنـة:

السنه من المصادر الاساسيه التي استعان بها المفسرون فى تفاسيرهم باعتبار
ن أول مفسر للقرآن الكريم ، هو الذى كان لهُ الفضل في تبليغه ، و تطبيق تعليماته ، فجاءت
نته سواء منها القولية أو الفعلية أو التقريرية معبرة عن مضمون كتاب الله ، و مترجمة له
مفصلة لما جاء فيه مجملا ، ففي السنة التي تناقلها المحدثون قسم خاص بالتفسير.

و نجد لهذا القسم اثـرا واضحا في تفاسير المؤلف ، و يتجلى ذلك من
لال الأمثلة التى نسوقها من تفسيره الذي نحن بصدد دراسته ، فكما كان القرآن الكريم
سر بعضه بعضا مصدرا اساسيا فى تفسيره ، فان هذا القسم من السنة لا يقل أهمية منه ،
م قلة مادة هـذا المصـدر.

و يهدف المفسر من استشهاده بقسم التفسير من السنة الى بيان رأى
رسول صلى الله عليه و سلم فى مدلول آية أو كلمة أو حكم من الاحكام و ما الى ذلك لا حظ
لك فى تفسيره لقوله تعالى : " الا من شاء الله " الآية 87 من سورة النمل و قد جاء فيه "
ئل صلى الله عليه و سلم عن قوله تعالى الا من شاء الله فقال : هم الشهداء متقلدين
سيافهم حول العرش ، رواه أبو هريرة .(4).

---

1) لم يرد هذا الاسم فى تفسير الكشاف 1/ 234 و كذلك فى تفسير(روح المعانى) 4/ 230 ،
المجلد 2 و هو اسم سعد بن أبي وقاص.
2) ( التيسير) 1/ 591 قراءة سعد بن أبى وقاص( وله أخ أو أختمن أم) قراءة أبى " من الأم"
ارجع الى تفسير الكشاف 1/ 234 ،
3) و في هذا المعنى ما رواه مناع القطان مباحث في علوم القرآن ص/ 158 عن أبى عبيدة
من كتابه (فضائل القرآن).
4) ( التيسير) 4/ 595 المجلد 1.

في تفسير قوله تعالى : " فطرت الله التي فطر الناس عليها " (1) يقول مبينا شرح الرسول صلى الله عليه و سلم لكلمة الفطرة : " . . . فمن أنس عن رسول الله صلى الله عليه و سلم هي دين الاسلام " (2).

و لتحديد قيمة القنطار في قوله تعالى : " من النساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب . . . الى . . . و الحرث " الآية 14 من سورة آل عمران يقول المفسر " . . . و أخرج الحاكم عن أنس عنه صلى الله عليه و سلم القنطار ألف أوقية و مائتا أوقية و به قال معاذ و عبد الله بن عمرو أبو هريرة . . . " ( 3).

و قد يسوق الأحاديث النبوية التي تدخل في هذا القسم اى قسم التفسير و التي تبين اهتمام النبي صلى الله عليه و سلم بالقرآن و تدبره لبعض الآيات كما نلاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى : " و أن اتلوا القرآن " الآية 92 من سورة النمل يقول المفسر : " . . . كما روى أنه صلى الله عليه و سلم قام ليلة كرر في صلاته : " إن تعذبهم فإنهم عبادك (4) مستخرجا لمصابيحها حتى طلع الفجر " (5).

و من الأحاديث النبوية التي استشهد بها ، تلك التي تحرض الصحابة على التفاعل مع معاني القرآن و تدبره ، مثل قوله : " . . قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا فقال : " مالي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم " رواه جابر بن عبد الله و لفظ بن عمر من رواية الطبري ، و البزار ، و الدار قطني الخ . . (6) و هذا في معرض تفسير قوله تعالى : " فبأي آلاء ربكما تكذبان " الآية 13 من سورة الرحمن .

و من الاحاديث التي تندرج في هذا القسم ، أحاديث فضائل السور و الآيات و هذا النوع من الاحاديث نلاحظه في تفسيره ، و من أمثلة ذلك سورة الملك مستهل سورة الاخلاص لأحاديث في فضل هذه السورة مثل " . . و في الحديث من قرأها التي مرة محيت عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين فإن صاحبه من نام على

---

1) الروم / 30
2) (التيسير) 4/717 المجلد 2.
3) ن . م . 1/454 .
4) المائدة / 118 .
5) التيسير) 4/631 المجلد 1 .
6) ن . م . 6/38 .

ى يمينه و قرأها مائة مرة قال تعالى له : " ادخل الجنة من يمينك وإن رجلا أحبها
ال صلى الله عليه وسلم : حبكها أدخلك الجنة بفضله الخ . " (1).

و من استشهاده بأحاديث فضائل الآيات ، حديث فضل الآية الاخيرة من
ورة الاسراء يقول : " . . . و في مسند أحمد عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله
عليه و سلم أنه كان يقول : " آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك
ي الملك ، و لم يكن له ولي من الذل و كبره تكبيرا " (2) الآية 111 من سورة الاسراء .

و ما يدخل في هذا القسم تفسير الرسول صلى الله عليه و سلم لبعض
استشكل على الصحابة ، إما بطلب منهم أو لعرض التعليم ، و يتضح في مثل هذه الاحاديث
سلوبه صلى الله عليه و سلم في التفسير و التعليم ، لاحظ ذلك في هذا الحديث الذي
اقه المفسر لشرح كلمة الكوثر : " . . قال صلى الله عليه و سلم ما الكوثر ؟ قالوا الله و رسوله
لم ، قال هذا نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة الخ . . (3).

و من الاحاديث ما يتضمن أسباب النزول و سنتعرض لهذا النوع في مبحث
اص به ، أما القسم الداني من السنة يستعين به المفسر لدعم رأي أو زيادة توضيح نجده يسرد
أحيانا — أحاديث كثيرة في موضوع الآية أو السورة ، و من خلال الامثلة تتجلى لنا الاغراض
ي توظيف هذا القسم من السنة .

لبيان صرامة الرسول صلى الله عليه و سلم في تطبيق القرآن الكريم بعد
ول أحكامه ، يقول المفسر : " . . و يناسب أنه لا يجوز له ما فوق الاربع أن فيلان
سلم و تحته عشر فقال صلى الله عليه و سلم أمسك أربعا و فارق سائرهن " في تفسير قوله
الى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء . . . الى أو ما ملكت ايمانكم " الآية 03 من سورة النساء .

و في نفس السياق يتحدث المفسر عن بعض الاحكام المتعلقة بالزواج ،
لخطبة فيقول مستشهدا بفعل الرسول صلى الله عليه و سلم في جواز النظر الى بعض
زاء المرأة ، في الخطبة : " . . . و قد أمر الرسول صلى الله عليه و سلم رجلا

---

1) ن . م . 5/712 .
2) ن . م . 3/553
3) ن . م . 5/535 .

بالنظر" (1).

وعلى إثبات رأى الإباضيّة و الشافعيّة في تحديد سن البلوغ يسوق حديثا نبويا في معرض تفسير قوله تعالى: " و ابتلوا اليتمى حتى إذا بلغوا النكاح " الآية 06 من سورة النساء يقول المفسر: " . . حدّ النكاح و هو البلوغ باحدى علامات البلوغ فان لم تكن فخمس عشرة سنة عندنا و عند الشافعية لقوله صلى الله عليه و سلم: " إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله و ما عليه و أقيمت عليه الحدود " (2).

و إذا وجد في الآية ماله علاقة بحديث أو أحاديث سواء من حيث اللغة، أو الموضوع أو الاحكام، ساقها كشواهد أو لتوضيح فكرة او لدعم حكم، و في الامثلة التالية ما يدل على ذلك:

ففي شرح قوله تعالى: " و أنزل التوراة و الانجيل " الآية 03 آل عمران يحاول المفسر إثبات عربيه (التوراة و الانجيل) بقوله: " . . ألا ترى أنه لا يقال في الاعلام العجمية لموسى و لعيسى و النوح و نحو ذلك، و كذا العربية إلا للمسمح الأصل بلا قياس و ال فيهما للمح و لا يتعرض بالاسكندرية بال لأنه بياء النسب العربية . . و النبي صلى الله عليه و سلم قال: " اطلبوا العلم و لو بصين بدون ال و زاد الراوي ال العربي لا يزيده . . "(3).

وفي معرض تفسير قوله تعالى: " فاشهدوا عليهم" الآية 06 النساء يسرد حديثين لهما علاقة من حيث الموضوع بالآية لاحظ ذلك فيما يلي: " . . قال صلى الله عليه و سلم اتقوا مواقع التّهم، و قال صلى الله عليه و سلم من وجد لقطة فليشهد ذوي عدل و لا يكتم. (4).

و المفسّر يلجأ إلى دعم تفسيره بأحاديث في نفس الموضوع، و كتابة زاخر بأمثلة و أحيانا نلاحظ اطنابا كبيرا في هذه النا ية حتى يخال للقارئ أنه يتصفح كتابا في الحديث، و في تفسير قوله تعالى: " يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن " الآية 12 الحجرات خير مثال نجد المفسر يسرد سبعة أحاديث في موضوع

---

1) ن م. 1/674
2) ن م. 1/670.
3) م م. 1/439.
4) ن م. 1/680.

الآية وتخلّلها شرح بعض الجوانب، وذكر الحالات التي يجوز فيها ظنّ السّوء بالنّاس. (1) ومن المواطن التي يسوق فيها المفسّر الأحاديث آيات الأحكام، ومن أمثلة ذلك قوله :" .. قال عقبة بن عامر سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول : "إنّ أحقّ الشّروط أن يوفّى ما استحللتم به الفروج" ومن صهيب قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم يقول :" من أصدق امرأة صداقا وهو مجمع على أن لا يوافيها إياه ثم مات ولم يعطها أيّاه لقي اللّه عزّ وجلّ زانيا " (2) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى :" وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة " (4) النساء .

وقد يستشهد بحديث للمقارنة بين مدلول كلمة وردت فيه ومدلولها في الآية أو لغرض توضيح هذا المدلول فقط، لاحظ ذلك في قوله :" .. ورد حديث الطبراني قوله :" والحكم اتقوا اللّه تعالى فإنّ اللّه تعالى قاتح لكم وماتح " وهذا الحديث ساقه في تفسير قوله تعالى :" صنع اللّه الذي أتقن كلّ شيء " الآية 88 النّمل، غير أنّ المفسّر يعقّب على هذا الحديث بقوله :" إلّا أنّه يحتمل أن يكون ماتح في الحديث بمعنى منصف ". (3).

والمفسّر يمضي في مؤلّفه في توظيف هذا المصدر لأغراض مختلفة باعتباره المصدر الثّاني في التّشريع، بذكر السّند والمرجع تارة وبإهماله تارة أخرى، وقد يحشر الأحاديث التي تظهر له أنّها متناقضة مع موضوع الآية، أو يستبعد صدورها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم ولكن دون بلوغ درجة التّصحيح، المعروفة عند المحقّقين من المحدّثين .

وخلاصة القول أنّ المفسّر أولى أهمّية خاصّة لأحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم وجعلها أدلّة لإثبات بعض الأحكام ومصدرا لغويّا وفقهيا، ولم يغفل عن بيان فضائل السّور والآيات، وبل ذهب إلى أبعد من ذلك بحيث كان يستشهد ببعض الأحاديث في مواضيع علمية، منها مثلا فائدة العسل الطّبية إذ ساق هذا الحديث " وفي البخاري ومسلم والترمذي عن أبي سعيد الخدري أنّه جاء رجل الى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقال :" إنّ أخي استطلق بطنه فقال صلّى اللّه عليه وسلّم أسقه عسلا فسقاه، ثم جاء فقال إنّي سقيته عسلا فلم يزد إلّا استطلاقا فقال له ذلك،

---

1) ن.م. 5/ 430 — 432.
2) ن.م. 1/ 675.
3) ن.م. 4/ 593 المجلّد 2.

جاء الرابعه فقال : أسقيه عسلا فقال سقيته فلم يزد الا استطلاقا فقال صلى الله عليه وسلم صدق الله ، وكذب بطن أخيك . . . " (1) .

والاحاديث تحتمل جزءا كبيرا هي تفسيره ، يستشهد لزيادة توضيح الآيه ومعالجة موضوعها ، والامثلة السابقة تؤكد ما ذهبنا إليه ، ومن المصادر التي لها علاقة بالسنة آراء الصحابة والتابعين ، وسنبين فيما يلي كيف استدل المفسر هذا المصدر في تفسيره .

التفسير بآراء الصحابة :

يعود المفسر إلى آراء الصحابة لبيان معنى آية أو كلمة ، أو توضيح مقام فقهية استنبطوها عن طريق الاجتهاد ، وتدبر الآية ، وكان مرجعه الاساسي في ذلك عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه ، فلشرح كلمة الميزان في قوله تعالى : " وضع الميزان " الآيه 07 من سورة الرحمن يقول المفسر : . . . وعن ابن عباس المراد من الآية ما تعرف به القناد يوزنا أو كيلا أو ذرعا أو نحو ذلك(2) .

لبيان مدلول كلمة الصف في قوله تعالى : " والحب ذو العصف " الآية 12 الرحمن يرجع المفسر الى رأي الصحابي ابن عباس والتابعي الضحاك فيقول : " وفسره ابن عباس بالتبن وعن الضحاك أنه الخالة . "

ولا يقف المفسر عند هذا الحد بل يسوق آراء الصحابة في ميادين عديدة كرأي ابن عباس في تكوين الارض في قوله تعالى : " والارض وضعها للانام " الآية 10 من سورة الرحمن يقول : " . . ومن ابن عباس خلق الله تعالى الماء ثم الارض من زبدة والانام الانس والجن عند الحسن والحيوان كله في رواية عن ابن عباس (3) . "

وفي معرض تفسير قوله تعالى : " ولملئت منهم رعبا " الآية 18 الكهف يستشهد بحادثة عاشها ابن عباس ورواها سعيد بن جبير ويقول في ذلك " . . " عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف " (4) .

---

(1) ن . م 3/ 615
(2) ن . م 6/ 05
(3) ن . م 6/ 06
(4) ن . م 3/ 819

و في تفسير قوله تعالى : " إلّا أن يشاء الله" من " الآية 24 الكهف ينقل لنا آراء الصحابة في مدة الاستثناء قائلا : " . . قال ابن عباس يستثنى و لو بعد سنة أو أكثر أبدا ما لم يحنث لدليل الآية و عنه سنة و عنه شهر و عن سعيد بن جبير أربعة أشهر و عن الحسن و طاوس و عطاء حالف باقه و عن مجاهد سنتان . . " (1).

و هذه الامثلة المختلفة كافية للاستدلال على اعتماد المفسر على هذا المصدر و من بين المصادر الاساسية التي كان يرجع إليها المفسر لابراز معاني القرآن الكريم و التي لا يستغنى عنها ، أسباب النزول القرآن ، و لأهميتها أفردنا لها مبحثا خاصا .

## أسباب النزول :

من الوسائل المساعدة على فهم القرآن الكريم ، و ادراك معانيه و أحكامه أسباب النزول باعتبارها احداثا وقعت في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم عالجها القرآن الكريم ، فهي بمثابة نماذج من واقع المجتمع البشري و لذلك فان مدلول الآية و حكمها لا يختص بالحادثة التي نزلت بمناسبة نزولها بل يعتبر توجيهات و تشريعات صالحة لكل زمان و مكان ، و قد كان المفسر يشير إلى هذه الفكرة عقب ذكر أسباب النزول أو قبلها بسرد إحدى هذه العبارات : " كما عم اللفظ و لو كان سبب خاص " (2) أو العبارة التالية : " الآية على عموم لفظها و لو خص سبب النزول " (3) و في تفسير قوله تعالى : " ويل لكل أفاك أثيم " الآية 07 من سورة الجاثية يقول : " و الآية عامة لفظا و معنى و لو نزلت في أبي جهل " (4) و العبارة التي استحملها كثيرا هي " لان المعتبر عموم اللفظ لا خصوص سبب النزول " (5).

و من هنا نرى أن المفسر لا يهدف من وراء استشهاده ، بأسباب النزول سوى توضيح المعنى أو الحكم ، و لا يقصدها لذاتها ، و بالتالي يعتبرها وسيلة و ليست غاية في حد ذاتها و لذلك نجده في بعض المواضيع يمهد بها للآية أو السورة .

---

1) ن م . 3/ 530،529 .
2) ن م . 6/ 723
3) ن م . 5/ 456 .
4) ن م . 5/ 301 .
5) ن م . 5/ 222 .

وفي بعضها يسوقها في معرض التفسير : ومن خلال الأمثلة التالية يتضح لنا ذلك

1) تمهيدا لقوله تعالى : "وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها" الآية 11/ من سورة الجمعة يقول المفسر: " .. قال البخاري و مسلم و الترمذي عن جابر بن عبد الله بينما النبي صلى الله عليه و سلم يخطب يوم الجمعة قائما إذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا أنا منهم و أبو بكر و عمر فانزل الله تعالى :" وإذا رأوا تجارة ألخ .. الى آخر السورة " (1).

2) وفي معرض تفسير قوله تعالى :" والذين يرمون أزواجهم الى .. أن كان من الصادقين " الآية 06/ النور ، يستعرض المفسر جملة من روايات عن سبب نزولها منها قوله :" .. و نزلت آيات اللعان بسبب هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين تيب عليهم إذ رمى زوجه فلا عن بعد نزولها و قيل بسبب عاصم بن عدي و قيل بسبب عويمر بن نصر العجلاني .."(2).

لما نجري مقارنة بين المثالين السابقين نستنتج ما يلي :-

في المثال الأول :

أ. مهد للآية بسبب نزولها .

ب. ذكر سنده .

جـ. يصور حادثة كانت سببا في نزول الآية و تحريم المعاملة في وقت صلاة الجمعة.

في المثال الثاني :

أ. سرد سبب النزول خلال تفسيره للآية لغرض التوضيح .

ب. عدم ذكر السند مع استعمال صيغة التبعيض لتعدد الروايات.

جـ. تبيان الآية لطريقة اللعان بعد وقوع حادثة قذف الزوج .

3) يجمع المفسر بين الطريقتين السابقتين لتفسير قوله تعالى :" ولما ضرب ابن مريم " الآية 57/ الزخرف.

يقول المفسر:" .. لما قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم ، إنكم ما تعبدون من دون الله حصب جهنم" (3) قال عبد الله بن الزبعري قبل اسلامه : عيسى عبد صالح نبي، عندك و قد عبدته النصارى .... فقد رضينا أن نكون نحن

---

1) ن.م. 5/ 213.

2) ن.م. 4/ 374 المجلد 1.

3) الأنبياء / 98.

و الهتنا معهم في النار لا يكون ذلك فسكت و نزل : "إنّ الّذين سبقت لهم منّا الحسنى"(1) ألخ و هذه الآية (2) ، و قيل قال ما أجهلك بلغة قومك أنّ ما لمن لا يعقل و أظنّه موضوعا لأنّها تكون في القرءان أيضا للعاقل و تكون لهما ... و لما فرغ ابن الزبعرىّ من كلامه فرحت قريش بذلك ظنّا منهم أنّه حجّة فضحكوا و علت أصواتهم كما قال الله تعالى : " اذا قومك منه يصدّون "(3) الآية 57 الزّخرف .

في هذا المثال يستعين المفسّر بسبب النّزول لتفسير الآية الأولى مع ذكر الآيتين اللّتين تشتركان معها في سبب النّزول ، ثمّ اعتبر ذلك تمهيدا للجزء الثّاني من الآية الّتي بصدد شرحها ، و لا يفوت المفسّر نقد الرّواية الّتي لم يذكر سندها .

4) لتفسير سورتي الكافرين و الإخلاص ، يسرد في شرحه الآية الأولى أسباب نزوله هاتين السّورتين ففي السّورة الأولى يستعرض بعض الرّوايات و يعقّبها بقوله : " .. و على كلّ حال في ذلك نزلت السّورة أو كان ذلك جميعا فنزلت" (4) دون ذكر السّند بخلاف سورة الاخلاص يذكر المصادر الّتي استمدّ منها الرّوايات بأسانيدها لاحظ ذلك فيما يلي :

" .. ففي البخاريّ و التّرمذيّ عن أبيّ بن كعب أنّ المشركين قالوا للنّبي صلّى اللّه عليه و سلّم انسب لنا ربّك فأنزل اللّه تعالى قل هو اللّه أحد (5) ألخ " .. و في الطّبرانيّ و الطّبرانيّ .. "(6)

و خلاصة القول ، أنّ المفسّر كلّما أمكنه اعتماد هذا المصدر للتّوضيح ، و الشّرح و ابراز المعانيّ و ظّفه بالطّريقة الّتي أشرنا اليها سابقا ، و لا يكتفي في غالب الأحيان برواية واحدة ان تعدّدت الرّوايات مع نقد بعضها ، أو محاولة التّوفيق بينها .

و من المصادر الشّبيهة بهذا المصدر في استعراض أحداث واقعيّة تترجم الآيات أو السّور لكن مع خلاف بسيط يتمثّل في كون أسباب النّزول أحداثا وقعت في عهد الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم ، و عاشها عن كثب تصور جانبا من المجتمع الّذي عاش

---

1) الأنبياء / 101 .
2) أي ولمّا ضرب ابن مريم ألخ ..
3) التّيسير 5 / 259 .
4) ن م . 6 / 699 — 700
5) الإخلاص / 01
6) التّيسير 6 / 713 .

في أحضانه وتعامل معه ، وهذه الأحداث كانت أسبابا مباشرة لنزول الآية أو السورة بينما المصدر الثاني الذي هو القصص يعتبر أحداثا تاريخية مرّت على المجتمعات البشرية الماضية يستعرضها القرآن الكريم لغرض الاتعاظ ، وهو ما يفهم من قوله تعالى " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يومنون " الآية 111 / يوسف.

المصادر التاريخية :

أ. قصص الأنبياء.

من جملة المصادر التاريخية قصص الأنبياء التي كانت خير عون في تفسير القرآن من حيث أحياء التاريخ في شكل قصصي حيّ جذاب يشدّ القارئ ويوفّر فيه مؤدّيا الغرض المنشود من اشتمال القرآن عليه .

فاذا كان المفسّر أولى عناية خاصّة لهذا المصدر مستعينا به في تفسيره محاولا ربط أحداث القصص بالعودة إلى تفاصيل القرآن أو الى روايات مختلفة فإنّ افراقه أحيانا في تفاصيل لا تخدم الغرض بقدر ما تسيء إليه بتحويل وقائع هذه القصص إلى أحداث خياليّة لا يصدّقها العقل ولا المنطق مع أنّ القرآن واضح كلّ الوضوح في تصوير هذه القصص ، والهدف من سردها يجعل الباحث يؤاخذ المفسّر على ذلك ، وإن كان المتأمّل في الحقبة التاريخيّة التي عاش فيها المفسّر والمصادر التي استقى منها معلوماته ، يعذره ، ويخرج باحتمال أنّ المفسر يقصد من وراء ذلك إفادة قرّاء تلك الحقبة الذين يلهثون وراء التفاصيل والجزئيات ويبحثون عن الخوارق والأمثلة التالية تؤكّد ما ذهبنا اليه :

1) في سورة البقرة من الآية 30 الى الآية 38 يتتبع المفسّر قصّة خلق آدم كما أوردها القرآن مبرزا مضمون كلّ آية أو جزء منها على حدة حسبما يقتضيه المعنى (1).

غير أنّنا نلاحظ — أحيانا — يستطرد ، ويسرد بعض المسائل التي تزيد القصّة وضوحا وتمدّ القارئ ببعض التفاصيل منها مثلا : اختلاف المفسرين في الأسماء التي علّمها الله لآدم ، وفي أصل اسم آدم ، وما ورد فيه من اختلافات.

كما نلاحظ من جهة أخرى إغراقه في تفاصيل تجعل القصّة أقرب الى الخيال منها إلى الواقع ، لاحظ ذلك في المثال التالي الذي يبيّن فيه طريقة وسوسة الشيطان

---

1) التيسير 1/ 37 — 50.

لآدم وحوّاء :" . . فأسمعهما من خارج الباب أو دخل الجنّة متصوّرا في صورة دابّة من دوابّ الجنّة ولم تعرفه الملائكة ، أو دخل في فم الحيّة فمنه سمّها وكانت بقوائم على طولها من أحسن الدّوابّ فعوقبت بسلب القوائم وقيل تسوّرت الحائط وقيل وقف الدّلاوس ." ألخ (2) .

ومع ذلك قد تغني هذه التّفاصيل بعض الأفكار ، وتشد انتباه بعض القرّاء والمفسّرين أحيانا — ببعض آيات من سور أخرى لربط الأحداث أو توضيحها متبعين بذلك طريقة تفسير القرآن بالقرآن ، ومن أمثلة ذلك ذكره للكيفية التي أزلّ بها الشيطان آدم وحوّاء :" ابليس بقوله هل أدلّك على شجرة الخلد (2) ألخ . . وقوله ما نهيكما ربّكما ألخ (3) . . " (4) .

لا يسلم المفسّر بكل الآراء ، بل نجده — أحيانا — ينتقد ويفند بعضها ، ومن خلال هذا المثال الذي يحدد فيه جنّة آدم وحوّاء يتضح ذلك :" . . وهي جنّة فارس وكرمان أو في عدن أو فلسطين والصّحيح أنّها دار السّعداء ، وقيل جنّة في السّماء غيرها ولا دليل عليها ولا تعرف في السّماء جنّة" (5) .

واذا استعرضنا قصّة المائدة ، نلاحظ أنّ المفسّر يلمّ ببعض التّفاصيل التي لم يتعرض اليها القرآن لكونها لا تخدم الغرض المتمثل في العبرة والتّذكير لا غير ، وهذه الجزئيات والتّفاصيل اقتبسها أصحاب المغازي والمفسّرون من مصادر أهل الكتاب ، نتيجة ميل العقول الى الاستيفاء والاستقصاء (6) ، ومن طبيعة الانسان الفضولي تطلعه الى معرفة دقائق الأمور ، ورغبته في الحصول على اجابات عن التساؤلات ، وألاما الدّاعي الى تعرض المفسّر مثله مثل جميع المفسّرين الذين انتهجوا نفس الطّريقة — الى معرفة أطعمة المائدة ، وسرد مختلف الآراء المتضاربة — أحيانا — حول هذه الأطعمة ، وطيرانها بعد شبع القوم ألخ . . (7)

ونجده خلال سرده لبعض القصص مثل موقف ابراهيم من أبيه وقومه يعالج بعض المسائل العقائديّة أو اللغويّة كتعرضه الى نزاهة أجداد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عن عبادة الأصنام والأوثان ، ومدلول الاراءة لغويا ومجازيا ، وتفسير ملكوت ، ورأي الأباضيّة في عصمة الأنبياء منذ صغرهم ألخ . . (8) .

---

1) ن م . 1/46 ، 47 .
2) طه 120 .
3) الأعراف 20 .
4) التيسير 1/46 .
5) ن م . 1/45 .
6) التفسير والمفسّرون 1/61 .
7) التيسير 2/200 — 203 .
8) ن م . 2/315 — 325 .

ورغم اهتمام المفسر بالجانب القصصي ، بأستعراضه لأحداثها و جزئياتها نجده يشير من حين لآخر الى بعض العبر مثل قوله بعد تفسير قوله تعالى :" قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا " الآية 61 طه ما يلي :" . . لكن الرغبة في الرفعة و الدفع عن النفس يري الحق باطلا ، و ينسى النظر في العواقب." (1)

و يكتفي في كثير من المواضيع بحصر الغرض في تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي تشبيه عناد المشركين و آذاهم بفعل أقوام بأنبيائهم و رسلهم للتجلد والصبر في سبيل نشر الدعوة ، وفي تفسير قوله تعالى :" و هل اتيك حديث موسى" الآية 09/ طه مثال على ذلك إذ يقول :" تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما أوذي به موسى عليه السلام كغيره أنهم من أقوامهم ما عراك في اعلان بأن شأن الأنبياء القيام بالتوحيد و أموره و تحمل المشاق" (2).

أو يرى المفسر أن هذه القصص تمهيد للمشركين ، و وعيد لهم ، يقول في تفسير قوله تعالى :" ألم تر كيف فعل ربك بعاد " الآية 06 الفجر ، ما يلي :" ألم تعلم يا محمد أو من يصلح للخطاب ما فعل ربك بهم من العذاب ، و ثمود و فرعون لكفرهم فليخف قومك تحذيرا مثله على كفرهم " (3).

فاذا كان المفسر يرى في أسباب النزول العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاننا لا نراه يطبق هذه القاعدة على قصص الأنبياء التي تصور نماذج بشرية تنطبق على المجتمعات و على عينات انسانية في كل مكان و زمان ولم يستغل ذلك لأصلاح النفوس و المجتمعات عملا بقوله تعالى :" لقد كان في قصصهم عبرة" الآية 111/ يوسف ، بل أكتفى في كثير من الأحيان بسرد القصة متعرضا الى بعض جزئياتها ، و اذا أشار الى العبرة حصرها في نطاق ضيق لا يتجاوز عهد نزول القرآن الكريم .

---

1) ن.م. 4/ 132 المجلد 1
2) ن.م. 4/ 92 المجلد 1.
3) ن.م. 6/ 581.

لكن المفسّر لا يقتصر استفادته من التّاريخ على قصص الأنبياء ، بل نجده يستعين ببعض الأحداث التّاريخيّة عاشها الانسان في مراحل حياته على وجه الأرض ، وتختلف استفادته من هذه الأحداث تبعا لمضمون الآية ونوع الحادثة ، وفيما يلي نلقي أضواء على بعض أمثلة .

ب. الأحداث التّاريخيّة :

أهم ما يتميّز طريقة المفسّر في سرد الأحداث التّاريخيّة تعرضه الى الرّوايات المختلفة بما فيها الرّوايات الضّعيفة في بعض الأحيان ، وخير مثال على ذلك قصّة أصحاب الفيل .

نلاحظ في البداية يسرد القصّة بحذافيرها ، وبتفاصيلها متعرضا الى الاختلافات في تواريخها مثلا وأسباب وقوعها ، ثمّ يعيد سرد أحداثها خلال تفسيره للآيات دون الاشارة الى العبرة من هذه القصّة .(1)

وفي المثال الثّاني التّشبيه بالأوّل يذكر المفسّر مراحل بناء الكعبة واعادته وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " وأرنا مناسكنا " (2) الآية 128 / البقرة .

وفي تفسير قوله تعالى : " ومن أظلم ممّن منّع . . .أولئك " الآية 114 / البقرة يضرب أمثلة من تاريخ تخريب بيت المقدس واعاشة الفساد فيها ، ثمّ يذكر استيلاء الصّليبيين عليها ، وتحرير صلاح الدّين الأيّوبي لها مستدلا بذلك على اثبات رأي التّفسير قائلا : " . . وليس في الآية أنّه لا يدخلها أبدا بل فيها أنّه يتحقق هذا المقدار من عدم الدّخول الّا مع خوف فلا يرد ما ذكرت من دخول مساجد بلاد أخذوها ، ودخولهم المسجد الحرام وأخذهم الحجر الأسود ، ثمّ أنّه ردّ وكون المقدس في يد الافرنج أكثر من مائة سنة بحيث لا يدخله مسلم الّا خائفا حتّى نزعه منهم النّاصر صلاح الدّين الأيّوبي يوسف ."(3) "

---

1) ن م . 6/84 — 638 .
2) ن م . 1/153 — 159 .
3) التّيسير 1/142 ، 143 .

وقد يسوق حادثة تاريخية في تفسير آية لالعلاقة هذه الحادثة بالآية وانما لورودها فيها ومثال ذلك الحادثة اللاي اقتبسها من كتاب الأمالي لأبي علي القالي، الواقعة في عهد عمر بن عبد العزيز، والتي تصور تمكّن الكفر من صاحبه بسبب نشأته عليه تجعل من العسير التخلّي عنه، فقد قال أحد المحاورين اجابة عن سؤال صاحبه القائل: "قتلتما بقي معك من القرآن قال: لا شيء الا" هذه الآية ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين " (1) الآية 02 الحجر.

ومثل حادثة علي بن الحسين وجاريته (2) يرويها في تفسير قوله تعالى: " الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ.. الى والله يحب المحسنين " الآية 134 آل عمران، تبين هذه الحادثة وقع القرآن الكريم في نفوس أتباعه ومدى استجابتهم لتعاليمه، والعمل بمقتضاه.

وبحكم انتماء المفسّر المذهبيّ، نجده يفخر بأئمته، وكلّما وجد فرصة ذكرهم وأشاد بهم مثل قوله في معرض تفسير قوله تعالى " والذين جاؤوا من بعدهم " الآية 10 الحشر ما يلي: " .. فنقول هم ان شاء الله مثل جابر بن زيد وأبي عبيدة والربيع بن حبيب .." ثم يسرد أئمة الشرق المشهورين مع تناريخ ولا يتهم (3). على أنّ اعتزازه وافتخاره بالقادة والائمة لا يقتصر على أهل مذهبه بل نلاحظه يشيد بمواقف قادة المسلمين، ويتجلّى ذلك في سرده لحادثة وقعت في عهد يوسف بن تاشفين ويقول فيها: " .. لمّا جمع أدفنش لعنه الله عزّ وجلّ جموعا كثيرة لملاقاة أمير المومنين يوسف بن تاشفين الذي دخل الاندلس للجهاد قال معجبا بحاله: "أقاتل بهذا الجيش ربّ محمد والانس والجن والملائكة، ورأى في نومه أنّه ركب فيلا وفي يده طبل صغير يضرب فيه فلم يعرف قسّيسوه تأويلها فسأل موّحدا فاستعفاه، فأبى، فقال تهلكون لقوله تعالى: " ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل " (4) مع قوله فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير (5) فكانت الدائرة عليه كما عبّروفيها طعن طعنة أعرجته اعراجا لا زما له بقية عمره الى أن مات همّا

---

1) ن م 3/ 504.
2) ن م 1/ 590
3) ن م 6/ 156 مثال آخر في ن م 5/ 401 يشيد فيه بعبد الرحمن بن رستم وخلافته وفي ن م 5/ 451، 452 يعرّف بأئمة المذهب الاباضي.
4) الفيل: 01
5) المدثّر/ 08، 09، 10.

وحزنا لقتل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ابنه ولقتل عساكره الى جهنّم ودار الذّل " ( 1 ) .

ولا يفوت المفسّر نقل بعض الروّايات عن مواقف أشخاص وتصرّفاتهم مثل حادثة عمر بن العاص مع علي بن أبي طالب قائلا : " .. ولمّا قصده داهية العرب عمرو بن العاص للقتال بقهر معاوية له على ذلك تحرك الى جهة عليّ بصورة القتال فلما قصده ليقتله كشف عورته فأدبر عنه عليّ فذهب ونجا وقد امتثل معاوية " ( 2 )

كما نلاحظ اهتمام المفسّر بتبيّن الأحداث المأساوية التي فرقت المسلمين وشتتت شملهم ولا زال آثارها قائمة الى يومنا هذا تنهش جسم الأمة الاسلامية وهذه الأحداث تتمثل في ما يسمى بالفتنة الكبرى ، التي وقعت في عهد عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، ويحرص في سردها على تحليل الأحداث لاثبات موقف الرافضين للتحكيم وندم عليّ على قتال الخوارج ، وانفصال الاباضية عن بقية فرق الخوارج لتطرّفها وفي تفسير قوله تعالى : " وانّ طائفتان من المؤمنين .. الى أن الله يحب المقسطين " الآية 9 الحجرات ، مثال ذلك ( 3

واذا لاحظنا أن المفسر وظّف في غالب الأحيان التّاريخ في الشّرح والتوضيح وضرب أمثلة ، نلاحظ من جهة أخرى ميله أحيانا الى بعض الاستطرادات التي لا تخدم هذه الجوانب بقدر ما كانت حشواه والسياقا وراء بعض الأحداث التي تأثر بها المفسّر فذكره لأئمة المذهب الاباضي في مواضيع مختلفة وسرده لحادثة عمرو بن العاص وعلي وغيرها لا علاقة لها بمدلول الايات المشروحة ولا يمكن أن يفسر ذلك الا بغزارة معرفة المفسر ، وعدم اعتماده منهجية واضحة في توظيف هذا المصدر ، وارادة ازالة الالتباس عن بعض القضايا لا سيما تلك التي كانت من أسباب الخلافات بين المسلمين وتصدع وحدتهم .

---

1) التيسير 6/ 402، 403

2) التيسير 5/ 454 .

3) التيسير 5/ 474، 475 .

واذا كان هذا أسلوبه في استعمال هذا المصدر فما هو اسلوبه في توظيف الشّعر العربي وهذا ما سنراه في المبحث التالي .

الشّعر العربي :

تواتر عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّ شعر الدّيوان العرب ( 1 ) ، فكما كان الشّعر العربي الجاهلي بصفة خاصّة مصدرا للغة العربيّة ، وقواعدها فانّه كان ولا يزال من أهم مصادر تفسير القرآن الكريم باعتباره نزل بلغة العرب ، وأنّ هذا الشّعر يصوّر عادات العرب وبيئتهم التي هي بيئة نزول القرآن الكريم ، ومن هنا نرى ضرورة اطّلاع المفسّر على هذا المصدر والوقوف على معانيه ، وانطلاقا من ذلك نجد مفسرنا يرجع الى هذا المصدر مستعينا به لاستجلاء بعض المعاني ، ودعم أفكاره ، وتوضيح مسائل في اللّغة والقواعد العربيّة ، والعلوم البلاغيّة ويظهر من توظيفه لهذا المصدر امامه الواسع ، واطلاعه الواسع على الشّعر العربي في مختلف مراحله ، وتذوّقه له ، ولبيان طريقة توظيف المفسّر لهذا المصدر نسوق بعض الأمثلة :

1) اثبات استعمال لغوي :

أ . لتوضيح احدى مدلولات كلمة ( الرّقيم ) في قوله تعالى : " أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم " الآية 9 الكهف ، يستدل المفسّر ببيت شعري لأميّة بن أبي الصلت القائل : " وليس بها الا الرّقيم مجاورا .... وصيدهم والقوم في الكهف همّد ويعني به في هذا المعنى الكلب . ( 2 )

ب : يستشهد بالبيت التالي دون ذكر صاحبه لاثبات احدى الاستعمالات كلمة (صيحة) في تفسير قوله تعالى : " فأخذتهم الصيحة " الآية 41 المومنون ، وذلك بعد ان ذكر استعراض بعض معانيها يقول : " .. أو الصيحة انقلاب الزمان بالسوء قيل : صاح الزمان بآل برمك صيحة .... خرّوا لشدّتها على الأذقان ( 3 ) .

---

1) التفسير والمفسرون 1/ 53 .

2) التيسير 3/ 306 .

3) ن م . 4/ 342 المجلد 1 .

2) تدعيم فكرة :

أ . لتدعيم فكرة وردت في الآية : " وأنتم فيها خالدون " الآية 71 الزخرف وهي الخوف من زوال النّعمة ، وتأكيد دوامها في هذه الآية يقول المفسّر: " .. وفي الخلود تأكيد في المعنى لقوله " لا خوف عليكم " لأنّ زوال النّعمة ضرر مخوف وموجب لكلفة التّحفظ قال :

واذا نظرت فان بؤسا زائلا ..... للمرء خير من نعيم زائل . (2)

ب . للمقارنة بين تربيّة السامريّ و موسى عليه السلام في تفسير قوله تعالى : " وأضلّهم السامريّ " الآية 83 طه ، يستشهد المفسّر ببيتين قائلا :

اذا المرء لم يخلق سعيدا تحيّرت .... قلوب مربيّه وخاب المؤمّل

فموسى الذي ربّاه جبريل كافر .... وموسى الذي ربّاه فرعون مرسل (3)

ج . ليبيّن اعتقاد الكثرة بأنّ المصيبة اذا عمّت كانت أخف وقعا على صاحبها عند تفسير قوله تعالى : " انكم في العذاب مشتركون " الآية 39 الزّخرف يستشهد ببيتين للخنساء : "كما يزول بعض الهمّ اذا عمّت المصيبة وعموم البلوى يسلّي القلب في الدنيا قالت الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي .... على اخوانهم لقتلت نفسي

ولا يبكون مثل أخي ولكن .... أعزّي النفس عنه بالتأسّي " (4)

د . في تفسير قوله تعالى : " ليعلم ما يخفين من زينتهن " الآية 31 النور ، يتعرّض الى مبيحا يجوز للرّجال ارتداؤه مبيّنا أثر الثّياب في قيمة الانسان ، مستشهدا في ذلك ببيتين ملاحظ ذلك : " .. وأجيز الحرير للرجال في الحرب وكذا يسّن للرّجال التّزيين بلا اسراف قيل :

تجمّل بالثيّاب ولا تبالي .... فانّ العين قبل الاختبار

فلو جعل الثياب على حمار .... لقال النّاس يا لك من حمار (5)

---

1) الزخرف / 69 .
2) التيسير 5/ 267 .
3) ن م 4/ 150 المجلد 1 .
4) ن م التيسير 5/ 251 .
5) ن م 4/ 396 المجلد 1 .

ب . قضيـة الحجاب : من القضـايا التي اهتمّ بها الفقهاء والمفسّرون وبيّنوا أضرارَ التبرج وآثارهـا في المجتمع ، وليدعم المفسر الفكرة التي ترى الخطر في النظـر والتهاون فيه يسوق الأبيات التالية :

" كل الحوادث مبدأهـا من النظـر .... ومعظم النّار من مستصغـر الشرر

والمرء مـا دام ذا عيـن يقلبهـا .... في أعيـن العيـن موقـف على الخطر

كم نظـرة فعلت في قلب فاعلهـا .... فعـل السّهـام بلا قـوس ولا وتـر

يسترنا ناظراه ما ضرّ خاطـره .... لا مرحبـا بسرور عـاد بالضّـرر (1)

وهذا في معرض تفسير قوله تعالى : " وليضربن بخمورهن على جيوبهـن " من الآيـة 31 النـور .

واذا تصفّحنـا تفسيره الذي نحـن بصـدد دراسته تجد المفسر يدعم مضاميـن الآيات أو بعض أفكارها علاقـة بهـا أو تبناهـا هو بأبيات شعريّـة مستعينا بفذ فـي زيادة التوضيح وتقويـة الفكرة ويتجلى من ذلك تأثر المفسر بالشعر ونظرته اليـه واعتباره مصدرا مساعـدا على الفهـم والتأثيـر على القارئ .

3) تبيان مسألـة في قواعـد اللّغة والعلوم البلاغيّـة :

لا نريـد التحدّث عن أهمّيـة القواعـد في نظـر المفسر لأنّ ذلك سنخصص لـه مبحثا خاصا ، وانما نريد هنا أن نبيّن أن الشّعر العربي لا سيّما القديـم منه كان مصدرا أساسيا في تفسيره يستخدمه في اثبات استعمال معيّن في قواعد اللّغة ، وسيتضح لنا ذلك من الأمثلـة التاليـة:

أ . لاثبات جواز استعمال ان الشرطيّـة المدغمة في مم دون زيادة نون التوكيد يستشهد بالبيـت التالـي : قال الشاعـر :

" فامـا تريّني ولـي لمّـة ..... كأن الحوادث أولـى بهـا " ( 2 ) .

وذلـك في معرض تفسير قولـه تعالى : " فإمّـا نرينّك " الآية 77 غافـر .

ب . استشهـد بالبيت التالي القائـل :

" العـاطفـون تحيـن لا مـن عاطـف .... والمطعمـون زمان ما من مطعم " ( 3 )

---

1) ن م م 4/ 393 المجلد 1 .

2) ن م م 5/ 148 .

3) ن م م 5/ 03 .

لأدبات صحة من يرى التّاء في قوله تعالى : " ولات حين مناص" الآية 03 (ص) تابعة لحين و هو قول شاذ ، لأن المشهور أن (لا ت) فيها ( لا ) النافية و مذهب الجمهور أنها تعمل عمل (ليس) زيدت عليها تاء التأنيث مفتوحة فيكون حين خبرها منصوبا و اسمها محذوف تقديره (ولات الحين حين مناص) (1).

ج. استدّل بأبيات لأبي عبيدة اللّغوي ليبرهن صحّة جمع (حسم) على حواميم أي على وزن فواعيل على القياس بابدال الحاء واوا و يقول : " و حلفت بالسّبع التي تطوّلت " الى أن يقول :ـ

و بالحواميم اللّواتي سبعت * و بالمفصّل التي قد فصّلت "(2).

د. يحتمل في تفسير قوله تعالى : " القيا في جهنم كلّ كفّار عنيد "(ق) أنّ الخطاب الواحد بألف المثنّى ليبين جواز استعمال ذلك و الغرض منه يقول : " الألف ضمير الواحد خطابا له بخطاب الاثنين بدل خطابه بتكرير الفعل أي ألف كقوله : :

فأن تزجراني يابن عفان الزجر * وان تدعان أحسم عرضا مسلما (3)

هـ. لتبيان توظيفه للشعر في العلوم البلاغيّة نكتفي بهذا المثال لأنّ التّعرض لهذا المصدر سيتّم في مبحث خاصّ، ففي تفسير قوله تعالى : " مثل نوره كمشكوة " (4) يقول : . . . وفي الآية تشبيه الأعلى بالأدنى قال أبو تمّام يمدح المأمون :

أقدم عمرو في سماحة حاتم * وفي حلم أحنف في ذكاء ايـاس

فقيل له ان الخليفة فوق من مثّلته بهم فقال : :

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في النّدى و البأس

فالله قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة و النّبراس (5).

---

1) بهاء الدين عبد الله بن عقيل شرحه على الفيه بمالك 1 / 319 ويذهب أبو عبيد معمّر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن 2 / 176 مذهب جمهور النّحاة الذي أشرنا اليه مضيفا قوله هذا : " و بعض العرب تزيد فيها الهاء فتقول (لاه) فتزيد فيها هاء الوقف فاذا اتصلت صارت تا " .

2) التيسير 5 / 759 . 5 / 97 .

3) ن . م . 5 / 511 .

4) النور / 35 .

5) التيسير 4 / 423 هذه الأبيات امتدح بها الشاعر أحمد بن المعتصم أنظر شوقي ضيف الفن و مذاهبه في الشعر العربي ص 222، 223 .

4) الوعظ والإرشاد :

يهدف المفسّر أحيانا من توظيف الشّعر الى الوعظ والإرشاد والنّصح لا غير، لاحظ في ذلك من الأمثلة التالية :

أ. في تفسير قوله تعالى : " أماتو أحيا " الآية 44 من سورة النّجم يسوق المفسّر هذين البيتين لغرض الوعظ : " . . قال بعض :

ولدتك أمّك ياابن آدم باكيا * والنّاس حولك يضحكون سرورا
فاجهد لنفسك أن تكون اذا بكوا * في يوم موتك ضاحكا مسرورا . " (1)

ب. لإبراز فضل الأمّ في التّربية ، وحثّها في الطّاعة عند تفسير قوله تعالى : " وصاحبهما في الدنيا معروفا " من الآية 15 لقمان يسرد بعض الأبيات الشّعرية التّالية مستحسنا إيّاها : " وأما أحسن قول بعض :

لأمّك حق لو علمت كبير * كثير يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي * لها من حولها أنّة وزفير .(2)
وفي الوضع لو تدري عليها مشقّة * فمن قصص لها الفؤاد يطير" الخ . . .

ج. ليبيّن حظّ النّاس في هذه الدّنيا في أرزاقهم وأنّ الأمر في ذلك راجع الى حكمة اللّه ، وقدرته لا الى قوّة العبد وسعيه ، يستشهد المفسّر بأبيات في معرض تفسير قوله تعالى : " أولم يروا أنّ اللّه يبسط . . . لقوم يومنون " الآية 37 الرّوم .

يقول : " فكّد الأريب وطيب عيش الجاهل * قد أرشداك الى كامل حكيم وقيل

كم من أريب قد حرمه قلبه * مستكمل العقل مقلّ عديم
ومن جهول مكثر ماله * ذلك تقدير العزيز العليم " (3)

ومن هذه الأمثلة يتّضح لنا أثر الشّعر في نفس المفسّر والقارئ ، والدّور الذي كان يلعبه في الإرشاد والنّصح ومكانته بين المتلقّين ، واعتماد المرشد عليه لإقناع المخاطبين بفحوى معين الكلمة ، بينما نلاحظ تقلّص دوره في هذا المجال في الوقت الحاضر لرقيّ العقل البشريّ من التّأثر العاطفيّ الى التّفكير المنطقيّ

---

1) (التّيسير) 5/ 596 .
2) ن.م. 4/ 752 المجلّد 2 .
3) ن.م. 4/ 721 المجلّد 2 .

نظرا لتطور الحضارة ، ووسائل التقدم العلمي ،فقلما نسمع مرشدا أو مفسرا يستشهد بأبيات شعرية للتأثير في السامع أو القارئ ،اللهم الا من لا زال ينتهج الطريقة السلفية في القاء دروسه أو تأليفه ، فأحسن وسيلة للتأثير في الوقت الحاضر هي مخاطبة العقل ، ومحاولة الإقناع .

والشعر في نظر المفسر ومن نحا نحوه بمثابة المصدر القانوني الذي يعود اليه المحامي أو القاضي أثناء المقاضاة .

5) أغراض أخرى :

وتأثر القدماء بالشعر يجعلهم يعودون اليه ، ويحتجون به ولو على من لا يفهم هذا المصدر ، مثل النصارى ، فقد استشهد المفسر ببيت شعري لمجادلهم ردا على تهجمهم على القرآن الكريم بعد أن ضرب لهم أمثلة وبين جهلهم بطرق الجدال فيقول : " .. ولم أر أجهل بطرق الجدال من النصارى ،يعيبون القرآن بما هو ظاهر البطلان راجع عليهم ولا يستحيون فهم كناموسة نفخت على جبل عظيم لتزيله بنفختها وكأحمق بال في المحيط لينجسه وككلب عوى على البدر ليحطه من سمائه " .

" لو نبح البدر كلاب الورى ..... ما وصل النبح الى البدر " (1)

وذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل " الآية 03 سورة محمد .

وعند حديثه عن حادثة الافك ضمنها بعض ما قيل من أشعار تيسيرا عائشة رضي الله عنها ، من هذه الأشعار نسوق الابيات المقتبسة من ديوان حسان بن ثابت

" حصان رزان ما تزن بريبة .... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبا ..... نبي الهدى ذي المكرمات الفواضل " (2)

كما يسرد أبياتا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم منها :

" صلوا على المختار فهو شفيعكم .... في يوم يبعث كل طفل أشيبا "

وقيل

" يا أمة المصطفى يا أشرف الأمم هذا نبيكم المخصوص بالكرم (3) الخ

1) ن م 5/ 365 .
2) التيسير 4/ 375 المجلد 1
3) ن م 4/ 796 المجلد 2 .

وهذا في معرض تفسير أوّل آية من سورة الأحزاب .

واستشهد بأبيات تصف غزوات الرّسول صلى الله عليه وسلّم وتجسد الأحداث التي وقعت في عهده (1) .

ومن بين الأغراض التي يوظّف فيها المفسّر الشعر ، التضرع الى الله ودعاؤه لا سيّما اذا كانت الآية تشتمل على الدّعاء لا حظ ذلك في تفسير قوله تعالى : " وهيّئ لنا من أمرنا رشدا " الآية 10 الكهف يسوق المفسّر هذه الأبيات .

" يارب هيّئ لنا من مزننا رشدا .... واجعل معونتك الحسنى لنا مددا

ولا تكلنا الى تدبير أنفسنا .... فأنفس تعجز عن اصلاح ما فسدا " (2)

شعر من نظمه :

من المعلوم أنّ المفسّر قد نظم الشعر في أغراض مختلفة ، سيّما في مدح الرّسول صلى الله عليه وسلّم وفي المتون ، وقد يسوق في تفسيره أبياتا شعرية من نظمه مثلما فعل ذلك في تفسير قوله تعالى : " اعملوا آل داود شكرا " الآية 13 سبأ ، يقول متحدّثا عن نفسه : " .. وفي وصول هذه الآية أكلت ليلا خبز شعير بزيت وحده وهو معتادي فألهمني الله تعالى بيتا على ارتجال من المتقارب :

" وخبز الشّعير مع الزّيت كل .... ومن بعده الحمد للّه قل " (3)

والمفسّر ينظم أبياتا ليستشهد بها في مسألة وردت في القرآن الكريم مثل فعله في تفسير قوله تعالى : " استطعما أهلها " الآية 77 الكهف ، وتكرير كلمة أهل في هذه الآية التي ذكرت من قبل في نفس الآية اذا أتيا أهل القرية " أثار تساؤل المفسّرين وللاجابة عن ذلك يقول : " .. ولم أر من أجاب بالنظم فأجبت بأبيات على أنّه قد يوجد في الأسقاط ما لا يوجد في الأسفاط وهي :

" خذ الحكمة الغرّاء استطعما لما .... يلي صفة وجها لأهل اللّسان

ولو جيء بالضّمير لم يلف رابط .... من اللّفظ موجود ولا منفاني (4)

---

1) أنظر مثالا في ن م 4/ 827 ، 828 المجلد 2 .

2) ن م 3/ 809 .

3) ن م 4/ 909 المجلد 2

4) ن م 3/ 885 ويقول المفسر في ص 886 معترفا بوجود منظومة في المسألة : " ثم بعد مضي نحو خمسين عاما وجدت جوابا لبعضهم " ( ويسرد الأبيات ) .

ونلاحظه في تفسير قوله تعالى : " حتى اذا بلغ مطلع الشمس " الآية 90 الكهف ينظم بيتين يتنبأ فيهما بمستقبل وادي ميزاب قائلا : " ... والآن بدا لي أن أقول مميّا وعلم الغيب لله .

" لويل مضاب (1) عن ثمان وأربع .... سوى فرحة من مومن وجحود
كذا لاح لي والله بالغيب أعلم .... فهذا ساحل لمومن وكنود
ومضى في ذلك مقدار وبقي نحوعشرين " (2) .

فاذا لاحظنا من الأمثلة السابقة توظيف المفسر للشعر في عدّة أغراض مختلفة نلاحظ أيضا سرده لأبيات شعرية كثيرة في غرض واحد ولا يتطلب كلّ ذلك وان كانت هذه الملاحظة لا نعثر عليها الا نادرا ، فمثلا لتبيان غرض القرآن الكريم من تكرير ألفاظ وعبارات يقول : " وجاء التكرير في كلام العرب للتأكيد وللحكم الأخرى ، ومضى كلام في ذلك في سورة المرسلات ومن ذلك قول من لا يرضى كليبا بعد (3) أبيات على أن ليس .." الخ فيسرد عدّة أمثلة من شعراء مختلفين يبلغ مجموع الأبيات المستشهد بها ستين بيتا (4) كلها تدور حول غرض واحد من الاستشهاد بها .

ولا يقتصر المفسر على الشعر الاباضي والمعبر عن الأغراض النبيلة فاذا وجد المعنى يتطلب شعر المجون أو ما يشبه ذلك ساقه كمثال لغرض استنكار أو توضيح مسألة نلاحظ ذلك في المثالين التاليين :

أ . لتفسير قوله تعالى : "ما شاء ركبك كلا" 08 الانفطار يقول : " ردع عن الاغترار بكرمه تعلى فيجعل كرمه ذريعة الى المعاصي قبّح اللهّ قائلا :

" تكثر ما استطعت من الخطايا .... ستلقى في غد ربا غفورا
تعفّى ندامة كفيك ممّا .... تركت مخالفة الذنب السرورا (5)

ب . وفي تفسير قوله تعالى : " والشعراء يتبعهم الغاوون " الآية 224 الشعراء يشنّع بشعراء المجون قائلا : " ... قبّح الله الفرزدق وعمر بن ربيعة وأبا نوّاس

---

1) مضاب اسم وادي ميزاب منطقة تشمل الآن جزءا من ولاية غرداية بالجنوب الجزائري وتظم القرى السبع ( غرداية بالعطف ، بني يزقن بملكية بالقرارة بريان ) وهي مسقط رأس المفسر .
2) التيسير 3/ 903 .
3) والصحيح بعده .
4) التيسير 6/ من 506 — 509 .
5) ن م 6/ 518 و 519 .

وغيرهم ممّن يتشبّث بالشعر وذكر الفسق فهم داخلون في الآية لا من يروي شعرهم للعربيّة ، وقبّح اللّه من يرويه قاصدا مقصدهم " مرّ سليمان بن عبد الملك سمع قول الفرزدق :

" فبتّ بجانبي مصرعات .... وبتّ أفضّ أغلاق الختام .

فقال : " قد وجب عليك الحد ، فقال قد ردّ اللّه عنّي الحدّ بقوله : " انهم يقولون ما لا يفعلون " (1) الآية 226 الشّعراء ،

ولا يسلّم المفسر بكل رواية ، دون نقدها ، فقد تصدى لنقد بعضها انا لاحظ فيما عناصر تدّل على وضعه وفيها يلي مثال ذلك : " .. ولا يصّح ما نسب لامرئ القيس هكذا :

" أيتمنّى المرء في الصيف الشتاء .... فاذا جاء الشتاء أنكره

فهو لا يرضى بحال واحد .... قتل الانسان ما أكفره "

بل ذلك شعر موضوع اقتبس من الآية كقوله : " قتل الانسان " الخ (2) فاني لم أرّه في نسخ ديوانه ولا في شرحه .. " (3) .

رأينا ممّا تقدّم بأنّ المفسّر اتّخذ الشعر العربي مصدرا من مصادر تفسيره عملا بقول عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه : " عليكم بديوانكم لا تضلّوا ، قالوا ومنا ديواننا قال شعر الجاهلية فانّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم " (4) .

بذلك نرى أنه كان يعود الى الشعر العربي والقديم والشّعراء المولّدين الذين اشتهروا بأشعارهم الفصيحة والتي كانت مصدرا لتوّيد لاثبات مسألة لغوّية وتوضيحها أو مسألة في القواعد العربيّة أو البلاغية ، وفيما عدا ذلك يستشهد بجميع الشّعراء وقد يتولّى نظم الشعر كما رأينا ذلك من خلال الأمثلة ، مما يؤكد لنا غرام المفسّر بالشعر و تعلقه به وأهميته على الأقل في نظره من حيث أثره في القارئ أو السامع وهذا ما دفعه الى استغلاله كوسيلة للتأكيد في القارئ ، سيّما في مواضيع الوعظ والنصح .

---

1) ( التيسير ) 4/ 836 المجلد 2 .

2) عبس/ 17 .

3) التيسير 6/ 495 أنظر مثالا آخر في ن م 6/ 640 أبيات نسبت الى أبي طالب عمّ الرسول صلى اللّه عليه وسلم .

4) ( التفسير والمفسرون ) 1/ 74 نقلا من كتاب الموافقات للشاطبي 2/ 88 .

واذا كانت هذه هي الطريقة التي وظّف بها المفسّر الشعر، فكيف استعمل اللغة وقواعدها، وما هي الجوانب التي وظّف فيها هذين المصدرين، وهذا ما سنراه في المبحث التالي:

علوم اللغة:

نزول القرآن الكريم باللغة العربيّة يستوجب على دارسيه أن يفقهوا هذه اللّغة ويتطلعوا على أسرارها، وقواعدها، وعلومها بصفة عامّة، ليتسنى لهم ادراك معانيه، والاغتراف من مناهله (1)، كما أنّ القرآن نفسه كان مصدر اللّغة وعلومها، اذ هو المرجع الأساسي لها، فدارس اللّغة يجد القرآن خير مساعد لمعرفة دقائقها، وقواعدها، فكلّ واحد منهما يخدم الآخر غير أنّ القواعد وضعت أساسا لمساعدة متعلّمي اللّغة العربيّة على معرفتها والتحكم في أساليبها، اذ كان العرب يعرفون هذه اللّغة بالسّليقة ويرضعونها من ثدي أمّهاتهم، فلم يجدوا صعوبة كبيرة لفهم القرآن ومعايشة أحداثه، وأفكاره (2) فعندما اختلط العرب بالعجم وانتشر اللّحن أصبح الانسان المسلم بحاجة الى تعلّم قواعد اللّغة، وعلومها والاستعانة بها لفهم القرآن والغوص في أسراره ومكنوناته، واستجلاء كنوزه ودقائقه، وبل كان القرآن الكريم السّبب الرئيسي في وضع علوم العربيّة ويقول في ذلك شوقي ضيف: "... ولا نبالغ اذا قلنا أنّ كلّ ما كسبه العرب من معارف انّما كان بفضل ما قرّر فيهم القرآن من حبّ العلم كما قدّمنا في غير هذا الموضع وقد أخذوا يشتقون منه مباشرة علوما كثيرة" ويذكر من بين هذه العلوم:

"... علم نحوه واعرابه وعلم عامّة وخاصة ممّا هيّأ لظهور علوم البلاغة" (3)

وفي مثل هذا المعنى يقول عبد العزيز عتيق محدّدا أحد أهداف شغف الباحثين بالبلاغة العربية منذ صدر الاسلام" ... أما الهدف الخاص فكان هدفا دينيّا يرمي الى معرفة اعجاز كتاب الله .." (4).

---

1) منّاع القطان مباحث في علوم القرآن 283.
2) أحمد أمين (فجر الاسلام) ص 195 — 199) أبو عبيدة (مجاز القرآن) 1/ 33.
3) شوقي ضيف (تاريخ الأدب العربي) العصر الأموي 2/32.
4) عبد العزيز عتيق (علم المعاني) ص/ 35.

ولأهمية هذا المصدر استعان به المفسّر لتوضيح المعاني، وابرازالافكار ودعم الآراء، وتبيان الأحكام ولتداخل علوم اللّغة ارتأينا أن نعالجها في مبحث واحد، وقدرة المفسّر في هذه العلوم تظهر بوضوح في حسن توظيفها، وتعمّقه في مباحثها، ولكن هذا التّوظيف والتّعمق يختلفان تبعا لما يقتضيه مضمون الآية ومن خلال الأمثلة التي نسوقها ستتبين لنا الجوانب التي كان يوظّف فيها المفسّر هذه العلوم، على أنّ هذه الأمثلة تتناول جميع هذه الجوانب وانّما سنكتفي ببعضها لأنّ الالمام بها يتطلب بحثا مستقلا.

أ. ابراز المضمر والمحذوف:

يكتفي المفسر-أحيانا-بإزالة غموض آية أو جزء منها بأبراز المضمر أو المحذوف سواء كان ذلك معنى، أو مفردة، أو حالة اعراب، ولبيان الحالة الأولى نسوق هذا المثال في تفسير قوله تعالى: " وقلنا لهم لا تعدّوا في السّبت 154/ النّساء، (قلنا لهم) على لسان داود وعلى لسان موسى (في السّبت) بصيد الحوت فيه " (1).

وأمّا الحالة الثّانية تظهر في تفسير قوله تعالى: " انّه كان في أهله "، " حال حياته في الدنيا (مسرورا) (2) باللّذات والاستهزاء بالمسلمين وغيبتهم والنّقص منهم وسائر المعاصي معرضا عن التّقوى والآخرة" (3).

والحالة الثّالثة يبيّنها المثال التّالي: يقول المفسّر في تفسير قوله تعالى: " ومن لا يجب داعيّ الله " (4) الجواب محذوف أي يعذّبه وناب عنه قوله عزّ وجلّ" (5).

وفي قوله تعالى: " ما لهم من اللّه " من الآية 27/ يونس يقول المفسّر: " أي من عذاب الله على حذف مضاف ويجوز أن لا يقدر مضافا كما تقول جاء في كتاب من زيد ويتعلق بمحذوف من ضمير الاستقرار " (6).

---

1) (التّيسير) 1/ 849 أمثلة في ن.م. 1/ 291.
2) الانشقاق / 13
3) (التّيسير) 6/ 53
4) الأحقاف / 32
5) (التّيسير) 5/ 359.
6) ن.م. 3/ 35 لعلّ جائي.

والمفسّر يمضي على هذه الطّريقة في ابراز مضمر أو محذوف مقدّر لغرض توضيح المعنى وممّا يمكن الحاقه بهذا الجانب، بيان المدلول الّذي يعود اليه الضّمير حتى يسهّل على القارئ فهم المعنى ومتابعة سياق الآية، ونلحظ ذلك مثلا في قوله تعالى: " ليحكم " (1) يقول المفسّر: " اللّه كما قرئ لنحكم.."(2) وفي قوله تعالى: " ولا تقربوا " من الآية 152 سورة الأنعام يقول: " أيها الأوصياء والأولياء وغيرهم " (3) وهو ما يشير اليه واو الجماعة في الفعل المسبوق بلام النّاهية، وقبل ذلك يبرز المفسّر دلالة اسم الاشارة في قوله تعالى: " ذلكم " من الآية 151 سورة الأنعام قائلا: " أي ما ذكر من ترك الأشراك ومن الأحسان بالوالدين وترك قتل الأولاد وترك قرب الفواحش، وترك قتل النّفس الّتي حرّم اللّه " (4)

وممّا تقدم نلحظ أنّ المفسّر يتوخّى التّوضيح والبسط الّذي يعتبر احدى سمات تفسيره هذا قصد تحقيق غرضه من تأليف هذا الكتاب. والّا ما الغرض الّذي دعاه الى ابراز المضامين الّتي تعود اليها الضّمائر أو أسماء الاشارة، أو اتمام معنى يفهم من سياق الحديث ؟ ولا يفسّر ذلك الّا بقصد التّسهيل على القارئ والتّيسير عليه.

ب. توضيح معان:

ولتأكيد ميل المفسّر الى التّوضيح، نجده يستعمل اللّغة والقواعد والبلاغة لبسط المعاني المختلفة، ويسوق عدّة أوجه مبيّنا علاقتها بمعاني الآية أو الجزء المفسّر، ولشرح قوله تعالى: " فلا تجعلوا للّه أندادا " من الآية 22 البقرة يسوق معاني كلمة النّد وآستعمالاتها مبيّنا وجه الاختلاف بينها وبين كلمتي الشّكل والشّبه ثمّ يقول متعرّضا الى النّاحيّة البلاغيّة: ".. وفي تسميّة الأصنام أندادا استعارة تهكميّة" معلّلا ذلك بقوله: " لأنهم علموا أنّها عاجزة لا فضل لها ولا تشارك اللّه تعالى في شيء، كما يستعار أسد للجبان والتّبشير للوعيد، وحكمة ذلك

---

1) البقرة / 213.
2) (التّيسير) 1/ 291.
3) ن.م. 2/ 455.
4) ن.م. 2/ 454.

الاشارة الى أن عليهم ذنب من اعتقدها مشاركة له في صفاته وأفعاله ." (1)

وفي المثال التالي يتجلى لنا أسلوب المفسر في استغلال اللغة والقواعد للتوضيح والشرح ، واتخاذه ذلك وسائل لابراز المعنى ، والتعمق فيه فيقول في شرح قوله تعالى :" وباءوا بغضب من الله " من الآية 61 البقرة مستعرضا معنى كلمة ( باءوا ) وهي ( رجعوا أو احتملوا أو استحقوا أو أقروا أو لازموا حال كونهم ملازمين لغضب الله ، هو قضاءه الأزلي عليهم بالشقوة وتوابعها أو هو ذمه اياهم في الدنيا وعقابه في الآخرة ) (2) .

وهذه المعاني اللغوية واردة في المعاجم (3) على أن المعنى الراجح هو ( رجعوا ) في هذه الآية وان لم يشر المفسر الى ذلك الا أنه من عادته في الغالب تقديم الرأي الراجح على بقية الآراء .

أنظر اليه في هذا المثال كيف يستخدم القواعد في توضيح المعاني يقول مفسرا قوله تعالى :" في عمد " من الآية 09 الهمزة بعد تبيان ما قيل في مفردها ( جمع عمود عند الفراء وقال أبو عبيدة جمع عمد وقيل اسم جمع ) ثم يسترسل مبرزا حالة اعرابها " وهو متعلق بمحذوف خبر لمحذوف أي هم في عمد والظرفية مجازية لشدة الوثوق حتى كأنهم في داخل العمد " ويحتمل حالة اعراب أخرى لها :( .. أو بمحذوف حال من ( ها ) عليهم أو متعلق بموصدة وفي بمعنى الباء على هذا والاطباق عليهم تشديد وايئاس . ) (4)

ومثل هذا يقال في توظيف علوم البلاغة ، ينتهج نفس الطريقة واليك مثال على ذلك : يقول في قوله تعالى :" ويجعلون أصابعهم في آذانهم ) من الآية 19 البقرة ( أطراف أصابعهم على المجاز بالحذف أو سماها بأسم الأصابع لأنها بعضها والمجاز لغوي ، ونكتته التهويل بصورة جعل الأصابع الى أصولها ) (5).

---

1) ن.م. 1/ 25، 26.
2) ن.م. 1/ 77.
3) ارجع مثلا الى معجم ابن منظور ( لسان العرب) 1/ 36، 37 مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط 1/ 75.
4) ( التيسير ) 6/ 633.
5) ن.م. 1/ 20.

وفي نفس سياق المعنى ، راح يحلّل تشبيهات تصرفات المنافقين ، وموقفهم من القرآن والأسلام قائلا : " . . وحاصل التّشبيه بالصّيب المذكور أنّ القرآن شبيه بالمطر إذ هو سبب الحياة الدّنيا والقرآن سبب لحياة القلوب وأنّ الكفر شبيه بالظّلمات في مطلق الأعمال وعدم الأهتداء وفي مطلق الحيرة والوعيد عليه شبيه بالرّعد في الأرهاب والحجج شبيهة بالبرق في الظّهور والحسن وسدّ أذانهم عن سماع القرآن شبيه بسدّها عن الصّواعق وترك دينهم شبيه بالموت عندهم وذلك تشبيه بمفردات ومفردات ، أن شئت فتشبيه مجموع تمثيليّ " (1) أ.هـ. وذلك في معرض تفسيره للآيتين 19، 20 من سورة البقرة.

ونلاحظ أنّ المفسّر يتّخذ من علوم البلاغة لا سيّما علمي البيان والمعاني وسيلة لتبيان أغراض استعمال الأساليب اللّغويّة من ذلك مثلا يبيّن الغرض من استعمال أسلوب الأستفهام في الآية التّالية : " أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين كانوا من قبلهم " الآية 21 غافر ، ويقول في ذلك معلّلا نصب فعل ( ينظروا ) على أنّه جواب نفي التّفيّ ( لأن الأستفهام أنكار والأنكار بقي (2) دخل على نفي ) (3).

وفي قوله تعالى : " قالوا أدعوا . . " من الآية 50 غافر يبيّن غرض الأمر الّذي خرج عن معناه الأصلي الى معنى آخر محتملا وجهين : " . . ويجوز أن يكون قولهم أدعوا تهكّما بهم (4) ، وعلى كلّ حال المراد بقولهم أدعوا الاقناط الا الاطماع في الأجابة " (5).

ومن هنا نرى أنّ المفسّر يوظّف اللّغة وعلومها لزيادة التّوضيح وتعميق الفهم لا يسوقها لذاتها ، أو لأستعراض العضلات في هذه العلوم ، فنراه بذلك يجعلها تخدم التّفسير ، لا كما يوظّف النّحاة واللّغويّون القرآن لخدمة هذه العلوم ، لاحظه في هذا المثال البسيط كيف يبيّن الغرض من اضافة الجنّة الى المأوى فهو يرى أنّها : " اشارة الى أنّ الدّنيا ليست مأوى يتبوأ بل موضع الارتحال يرتحل منها الى ما هو المسكن الحقيق (6) . . . والجنّات

---

1) ن م. 21/1.
2) والصحيح نفي.
3) ( التّيسير ) 113/5.
4) تهكّم خزنة جهنّم على أهل النّار.
5) ( التّيسير ) 129/5.
6) الصّحيح الحقيقي.

كلّما جنّات المأوى ، وقد يرد لفظ جنّة المأوى لنوع منها يختصّ به نوع من المؤمنين . . . ثمّ يقارن في موضع آخر بين هذه الأضافة وقوله تعالى : "فمأويهم النّار" من الآية 20 السّجدة قائلا : "... ويجوز أن يعتبر في المأوى معنى ما يلجأ اليه للاستراحة كان لأهل الجنّة حقيقة ولأهل النّار تهكّما بهم على الاستعارة ومشاكلة لذكره في أهل الجنّة" (1)

وتأثّر المفسّر ببلاغة القرآن جعله يعترف في بعض المواضيع بهذا التّأثر اذ يقول مثلا في معرض تفسير قوله تعالى :" وما علمناه الشّعر . . " الآية 69 (يس) " . . . وله صلّى اللّه عليه وسلّم براهين تقويّة منها بلاغة القرآن التي لا تطاق وقد أدركت منها كثيرا بقدر طاقة المخلوق والحمد للّه وبعضها تتنوّر في قلبي ويعجز لساني عن بيانها ، الّا باطالة الكلام . . "(2)

وفي موضع آخر يقول في نفس المعنى :" . . والحمد للّه الرّحمن الرّحيم الذي منّ عليّ بأدلاء على تحقّق بلاغته ومشاهدتي لطرقها وادراكي لها ، ولا كلام يفوقه ولا يقرب من مساواته ، وكلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم دون كلام اللّه في البلاغة ، واطلاق البلاغة في كلام اللّه تعالى سبحانه مجاز." (3)

الشيء الملاحظ في اعترافه الأخير هو قدرته على ادراك بلاغة القرآن وأساليبها وترتيب هذه البلاغة في الدّرجة الأولى قبل بلاغة السّنّة ، فيعتبرها أحد أهمّ أوجه الأعجاز القرآنيّ اذ يقول :" . . لا طاقة لهم (أي العرب) بفصاحته وبلاغته كما لا طاقة لهم اخباره بالغيوب مع أنّه مخلوق مثلهم" ثمّ يمضي مبرهنا على خلق القرآن بقوله :" . . والأعجاز انّما هو بالحادث" (4)

نستنتج من قوله السابق أنّ القرآن في نظره يتجلّى في وجهين :-

1) الفصاحة والبلاغة .

2) الأخبار بالغيب ، بينما نرى أنّ منّاع القطّان يحدّد أوجه اعجاز القرآن في ثلاثة :

1) الأعجاز اللّغوي :

2) الأعجاز العلمي .

---

1) (التّيسير) 4/ 789 المجلّد 2

2) ن م . 4/ 1032 المجلّد 2 .

3) ن م . 3/ 48 .

4) ن م . 3/ 780 ونجد نفس المفهوم لأوجه الأعجاز في ن م . 5/ 562 .

3) الأعجاز التشريعي .(1)

غير أنّ المفسّر في كتابه ( شامل الأصل و الفرع ) يذهب في تحديد أوجه الاعجاز الى أبعد من ذلك اذ يرى أنّه :" معجز بنظمه و معجز أيضا بمعانيه " (2) .

و في كتابه (الذهب الخالص) يوضّح الأعجاز و يحدده في الأوجه التّالية: " و الاعجاز بالايجاز ، و البلاغة و البيان و الفصاحة ، و بعدم كلال قارئه و ملل مستمعه و بخرق العادة في نظمه ، و بالاخبار بالغيب ، و بالأخبار من مضى و بجمعه علوما لم يجمعها غيره من حلال و حرام ، و مواعظ و أمثال ، و بصرف الهمّة عن معارضته " ثم يعرّف المعجزة بقوله :" الأمر النّاقض للعادة الظّاهر على يد المتنبّئ ، زمان التّكليف مقرونا بالتّحدّي من دعوى الرّسالة على جهة الابتداء متضمّنا للتّصديق" و يعقّب على هذا التّعريف قائلا :" أولى من هذا أمر خارق للعادة مصدّق للمتنبئ حين اتيان النّبوءة معجز لمنكرها ، و التحدي دعوى الرّسالة ، فمن (3) في التّعريف الأوّل للبيان أو طلب المعارضة لشاهد الدّعوى" (4)

فمن هذا التعريف يمكن تلخيص رأي المفسّر في المعجزة بأنّها أمر خارق للعادة يساعد المتنبّئ على التّصديق به وقت نبوّته و يعجز منكره عن الأتيان بمثله ولذلك فأنّ أوجه الأعجاز التي حدّدها و التي لا تحمل الجديد ممّا هو معروف عن العلماء السّابقين (5) تتضمن معاني هذا التّعريف و التّعريف الذّي سبقه و الذّي لا يختلف عنه الّا من حيث الصّياغة ، لأنّ عجزه الأتيان بمثله يكون نتيجة للتّحدّي سواء كان هذا التّحدّي بدعوى صريحة أو ضمنية الأمر سيّان لأنّ من عادة المرء محاولة معارضة كلّ التّحديات حتّى و ان لم تكن هناك دعوى لهذه المعارضة و لا يكون أمر معجزا الّا اذا وقف أمامه المعارض عاجزا عن الأتيان بمثله .

و المفسّر يحاول تبيان بعض مواطن الأعجاز ، لا سيّما ما يتعلق منها بالفصاحة فنجده مثلا في تفسير قوله تعالى :" و لو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه آختلا فا

---

1) مباحث في علوم القرآن من ص 223 — 238 .
2) ( شامل الأصل و الفرع ) 1/48 .
3) فمن اشارة الى تعريف المعجزة " مقرونا بالتّحدّي من دعوى الرّسالة . "
4) الذّهب الخالص المذكرة بالطلسم الخالص ص 21 ، 22 .
5) صبري المتولّي منهج ابن تيميّة في تفسير القرآن الكريم ص 251 ، 252 .

كثيرا " الآية 82 النساء يقول واصفا القرآن : " . . . والقرآن كلّه على نهج واحد من الفصاحة" ثمّ يضرب أمثلة منفيا التخالف بين الآيات ويقول في ذلك : " . . ولا تخالف بين لا يسئل عن ذنبه (1) ولتسألنّهم (2) لأنّ المعنى يسئل في موطن دون آخر ولا يسأل استفهاما ويسأل توبيخا ، ولا بين الى ربّها ناظرة (3) ولا تدركه الأبصار (4) لأنّ المعنى ناظرة الى رحمته ولا بين حيّة (5) وجانّ (6) وثعبان (7) فانّها في العظم كالثّعبان ، وفي الخفّة كالجانّ وفي الخبث كالحيّة ، وغير ذلك من التّأويل ، ولا في النّسخ لأنّ المنسوخ موقوف لوقته عند اللّه لمصلحة كنفع دواء في وقت وغيره في آخر ونفعه لنوع وغيره لنوع " ويظهر أنّ المفسّر له فلسفي في معرفة تطابق الآيات ويفهم ذلك من قوله : " . . والحمد للّه الذي أنعم علينا بأدراك تطابق آيات القرآن وتجاوبها كلّها ممّا أشكل لبادئ الرّأي " (8).

وفيما عدا بعض الاشارات الى جوانب من الاعجاز ، نلاحظ المفسّر يبيّن مواطن الفصاحة ، وبعض وجوه الاعجاز الأخرى دون ذكر أنّ ذلك من وجوه الاعجاز القرآني ، مكتفيا ببيان الاسلوب أو المضمون ، وهذه الاشارات في معظم الحالات تكون في الآيات الدّالة على وجه من وجوه الاعجاز ، وقد ضربنا أمثلة على ذلك ، ولزيادة التّوضيح نسوق الأمثلة البيّنين وجها من وجوه الاعجاز يقول في تفسير قوله تعالى : " انّ هذا لسحر مبين " الآية 02 يونس ، " ظاهرو في وصفهم القرآن بالسّحر اقرار بأنّهم رأوا من القرآن أمرا خارقا للعادة من البلاغة والأخبار بالغيب مع عجزهم عن معارضته ولو لم يخرق العادة لم يسمّوه

---

1) الرّحمن / 39 .
2) الحجر / 92 .
3) القيامة / 23 .
4) الأنعام / 103 .
5) طه / 20 .
6) القصص / 31 .
7) الشّعراء / 32 .
8) ( التّيسير ) 1 / 769 .

سحرا "(1) ويعلق على عدم توافق الفواصل في الآيتين 42، 43 من سورة فصلت مع امكانية التوافق :" . . وذو عقاب للكافرين هكذا ولم يقل شديد مع أنه أنسب بقوله مجيد للإيماء الى أن تراكيب القرآن ليست كالأسجاع والخطب وأن حسنه ذاتي والنظر الى المعاني دون اللفظ كما يأتي فيه كثيرا ما يشبه الإيطاء (2) " (3) .

نستنتج مما تقدم أن المفسر يركز على المبنى لإبراز وجوه الإعجاز القرآني ، ويوظف ذلك لزيادة التوضيح ، وتعميق الفهم ، وبيان الجمال التعبيري في القرآن ، ومما يلاحظ أن المفسر يوظف علوم اللغة لخدمة التفسير .

وإن كنا نلاحظ أحيانا — أغراقه في استعراض أوجه أعرابية أو بلاغية أو لغوية مختلفة حتى ليخال للقارئ أنه يقرأ كتابا في موضوع غير التفسير ، وربما يعود ذلك الى تمكن المفسر ، وغزارة علمه ، والرغبة في الإفادة وتوسيع أفق القارئ في هذه العلوم التي يعتبرها القدماء مفاتيح فهم القرآن الكريم .

لاحظه مثلا في تفسير قوله تعالى :" . . ذواتا " من الآية 48 سورة الرحمن ، كيف يبين صيغ تثنيتها وجمعها ، ويضرب لذلك أمثلة غرضه زيادة التوضيح لكن الدارس يشعر وكأنه يقرأ كتابا في القواعد ، واليك هذا المثال :" صاحبتا تحت جنتان تثنيه ذات بمعنى صاحبة فإن ذات يثنى على ذاتا بلفظه وهو القياس كما يثنى على ذوا ويجمع ذو على ذوو ويثنى أيضا على ذواتا بردّه الى أصله لأن التثنية ترد الشيء الى أصله تحو رمى ورميا ودعا ودعوا ، وتقول العصا والعصوان والفتى والفتيان والأخ والأخوان ، وقد لا ترد تحو يدان والأصل يديان ، وقالوا أصل ذات ذوات حذفت الواو للتخفيف وللفرق بين الواحد والجمع وبسطته في النحو." (4)

وينتهج نفس الأسلوب لتبيان معاني " أفنان " من الآية 48 الرحمن اللغوية والمجازية مسندا بعض الروايات الى ابن عباس وعطاء متحولا الى صيغها في الجمع والمفرد . (5)

---

1) ن م . 05/8 .
2) الإيطاء ، تكرار القافية في الشعر لفظا ومعنى .
3) ( التيسير ) 179/5 .
4) ن م . 22/6 .
5) ( التيسير ) 22/6 .

ولكن رغم اختلاف المفسّر في الشّرح وايراد أوجه مختلفة سواء كانت لغويّة أو اعرابيّة أو بلاغيّة ، فانّه يحاول توظيف ذلك لبسط معاني الآية أو الجزء المفسّر وتقريبها من أذهان طائفة معيّنة من القرّاء التي ألّف كتابه لتيسير الفهم عليها ، ولاقناعها يستعمل المفسّر التحليل ، والاستدلال ، ولعلّ هذا الأسلوب ميزة المفسرين الذين يدافعون عن وجهة نظر معيّنة لغرض اقناع الطّرف الآخر ، ولكن المفسّر يحاول في جميع المسائل اقناع القارئ مستعملا كلّ الوسائل ، وهذا ما دعاه في كثير من الحالات الى الخوض في التفاصيل والجزئيّات ، وايراد شواهد والى نقد بعض الآراء وتفنيدها وان كان أصحابها علماء معتبرين مصادر وقاطعا في جانب معيّن ، ويذهب — أحيانا — الى أبعد من ذلك ، فيذكر أوجه جديدة في بعض المسائل .

علـــوم مختلفـــة :

انّ المتتبع للعلوم التي نشأت أو تطورت على أيدي علماء مسلمين ، يلاحظ تأثيرها بالقرآن الكريم ، والسّنة النّبويّة وأثبت هؤلاء العلماء العلاقة بين هذا وذلك ، وأبرزوا الأعجاز العلميّ في المصدرين التّشريعيين، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حاول بعضهم أن يجعل من القرآن الكريم كتاب علم في اختصاص معيّن وانّ كانت هذه النظرة ناتجة عن اعجاب هؤلاء ، بهذا الكتاب المنزّل وتقديرهم له ، والشّغف في اكتشاف مكنوناته ، الاّ أنّ في بعض الحالات بل في كثيرمنها بلغت درجة التّعسّف الى حدّ صرف أنظار القرّاء لهذه الدّراسات عن المهمات الأساسيّة التّربويّة التي جاء القرآن الكريم لتحقيقها في المجتمع البشريّ ،أضف الى ذلك اقحامه في النظريّات العلميّة المتناقضة ، وممّا زاد للطّين بلة ، خوض غير المختصين في هذه العلوم في ادلاء بدلائهم في تفسير الآيات التي لا يدرك أبعادها العلميّة الاّ ذوو الاختصاص ومحاولتهم استعراض عضلاتهم في ذلك ، ممّا أصبح كثير من تفاسير السّلف بحاجة الى التّنقيح والتحقيق ، وتفنيد النّظريات العلمية التي أثبت العلم الحديث خطأها .

ولئن كان هدف معظم المفسّرين فيما يبدو من استشهادهم بمثل هذه النظريات هو ابراز دلائل قدرة اللّه ، وعظمته ، ووحدانيته ، بالاضافة الى الأخذ بيد القارئ أو السّامع الى تدبرها ترسيخا لايمانه وعقيدته ، غير أنّ هذا المبرّر لا يعذر هؤلاء المفسّرين ، ولا سيّما وأنّهم يستشهدون بما كحقائق علميّة ثابتة ويذهب بعضهم الى تفنيد بعض المسائل التي أثبت علماء الاختصاص صحّتها ، فيتعب نفسه ناقدا لعلوم ليست من اختصاصه .(1)

ولعلّ مفهوم العالم في عصور الوسطى الذي يعني الانسان الملّم بجميع العلوم ، هو الذي أدّى بهؤلاء الى التّجاسر على الخوض في ميادين علميّة مختلفة والى التأليف فيها ، وانّ كانت بضاعتهم قليلة .

---

1) أنظر مثلا في كتاب روح المعاني 15/29 المجلّد 5 ، فيه يرد المصنّف بعنف على تفسيرات العلماء للحياة في القمر ، ومحاولتهم الوصول اليه متجاسرا على تفنيد تفسيراتهم وكأنّه خبير في الميدان .

ولا أريد بهذا انكار التّفسير العلميّ للقرآن كما هو شأن صاحب كتاب (التّفسير والمفسّرون) (2) ونقل ذلك ـ أيضا ـ عن الشاطبيّ، الّا أنّني أعتبر أنّ دور القرآن الأساسيّ هو توجيه حياة الانسان، وتربيته ليتربّع على عرش الخلافة في الأرض، وليتحمّل الرّسالة المنوطة به بأمانة، لذا أرى أنّ التّفسير العلميّ الّذي لا يخدم هذا الغرض، ولا ينشد هذه الحقيقة، محاولا جعل القرآن كتاب فنّ أو علم، يتعارض مع مقاصده، والأمر الذّاتيّ الّذي أريد تأكيده هو عدم التّعرض لهذا النّوع من التّفسير الّا من ذويّ الاختصاص أو على الأقل التزام الأمانة في نقل رأي عالم متخصص.

والمفسّر كغيره من بعض المفسّرين القدماء والمعاصرين لم ينسج من هذه الورطة، اذ نجده يخوض في مسائل علميّة يستمدها من مصادر مختلفة دون ذكر أسمائها، غير أنّ التّشابه الكبير الملحوظ بين تفسيره وتفسير (روح المعانيّ) للألوسيّ يجعل الدّارس يرجّح أنّه نقل كثيرا من المعلومات من هذا المصدر، مع محاولة الاختصار وانتقاء بعض المسائل، فمثلا في تفسير قوله تعالى: " انّ زلزلة السّاعة شيء عظيم" الآية 01 الحج، يذكر طريقة حدوث هذه الظاهرة الطّبيعيّة قائلا: " والمزلزل حقيقة هو اللّه جلّ وعلا في ذلك كلّه أو الملك، وفعله فعل اللّه سبحانه، والزّلزالة تكون بأمره ملكا موكلا على جبل قاف بتحريك عروق الأرض المتّصلة بجبل قاف، وتكون اذا أراد زلزلة أرض بأمره بتحريك عرق تلك الأرض" (2).

ونجد صاحب (روح المعانيّ) يحرف سبب وقوع الزّلازل بنفس التّحريف مع تغيير بسيط في الصّياغة، لاحظ ذلك: " وهو حركة الأرض العنيفة، وتحدث هذه الحركة بتحريك ملك بناء على ما روي أنّ في الأرض عروقا تنتهي الى جبل قاف وهي بيد ملك هناك فاذا أراد اللّه عزّ وجلّ أمرا أمر ه أن يحرك عرقا فاذا حرّكه زلزلت الأرض" (3)

---

1) (التّفسير والمفسّرون 3/157.
2) (التّيسير) 4/ 272، 273 المجلّد 1.
3) (روح المعانيّ) 17/ 111. المجلّد 06.

ما يلاحظ في تصريف هذا الأخير استعمال صيغة التّبعيض (بعّض) الدّالة على عدم تأكد المصنّف من صحّة الخبر بينما يظهر لنا من التّصريف الأوّل تصديق المفسّر للخبر وممّا يثبت ما ذهبنا اليه قوله في تصريف الفلاسفة لهذه الظّاهرة: " وزعمت الفلاسفة أنّ الزّلزلة باجتماع بخار بأحتها سه في بطن الأرض وفلذاه مع انتفاء منفذ فقد يكون منه خسف وأصوات ونار لشدة اشتعال البخار."

ويضيف قائلا: " ولئن صحّ فالله جامعه، ومخرجه ومزلزل به اذا شاء وبناسبه شدة الزّلزلة وكثرتها في الأرض الصّلبة بالنّسبة الى الرّخوة " (1) انّ العبارة الأخيرة دالّة على أنّ المفسّر لا يريد انكار تصريف الفلاسفة وتفنيده بقدر ما يريد اضافة الفضل لله، وصاحب (روح المعاني) ينقل تصريف الفلاسفة الذي لا يختلف عن التّصريف السّابق في شيء من حيث المعنى دون استعمال كلمة (زعمت) ومع دعم رأيهم بالحجّة الأخيرة الواردة في التّصريف والتي هي كثرة الزّلازل في الأرض الصّلبة، وشدّتها بالنسبة الى الأرض الرّخوة.

ويستمدّ دعمه هذا بقوله :" وممّا يستأنس به للقول..." (2) وممّا يؤكّد استقاء المفسّر لكثير من معلوماته من كتاب (روح المعاني) مجاراته في بعض الأحيان لآراء المصنّف، ونقدها أحيانا مع سرد نفس المعلومات وقد تجلّى لنا ذلك في المثال السّابق، أمّا نقده يمكن ملاحظته في المثال التّالي : في تفسير قوله تعالى :" من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشّاربين" الآية 66 النّحل .

يذكر الألوسي طريقة التّمثيل الخذائي عند الحيوان حسبما يعرفها من سماهم الحكماء أهل التّشريح ويؤيّد رأيهم بقوله :"... ويؤيّد ما ذكروه ما أخبرني به من أثق به من أنّه قد شاهد خروج الدّم من الضرع بعد اللّبن عند المبالغة في الحلب" (3).

---

1) (التّيسير) 4/ 273 المجلد 1.
2) (روح المعاني) 17/111. المجلد 6
3) ن.م. 14/ 173 المجلّد 5.

والمفسر من جهة يرد نفس المعلومات ،ولكنه يفنّد رأي الالوسي الأخيرفي اثبات ما ذهب اليه الحكماء : قائلا " ... وأما ما قيل من أن بعضهم يوشق به شاهد خروج الدم بعد اللّبن في مبالغة الحلب فلا دليل فيه لامكان أن يكون لحصول الجرح بالحلب الشديد " (1)

ومما تقدم يتبين لنا - مما لا مجال فيه للشك - بأن المفسر قد استفاد كثيرا من كتاب روح المعاني في هذا المجال ،على أنّه لا يسلم بكل رأي وارد فيه ، ومما يؤكد هذه الاستفادة التشابه الكبير في سرد معلومات علمية ومجاراة المفسر - أحيانا - لصاحب الكتاب في ارائه دون ذكر المصدر ، ولكن لا يعني هذا أن المفسر لم يطّلع على مصادر الاختصاص اذ ألفّ في الميدان العلمي مثل كتابه ( تحفة الحبفي أصل الطب ) ،كتاب جمع فيه بين الطّب النبوي وتجارب الاطّباء ، وهذا الجمع بين ما ورد في الآثار من معلومات مختلفة وبين آراء العلماء المختّصين ظاهرة واضحة في تفسيره ، محاولا تارة التوفيق بين النظّريتين المتناقضتين والمتعارضتين أو ترجيح نظرة على الأخرى ، كمثال على ذلك ، انظر كيف يحاول التّوفيق بين رأي الطب في العسل ، ورأي النبي صلى الله عليه وسلّم .

يرى الطّب أن العسل : " يزيد أصحاب الصّفراء وأصحاب الحرارة والاسهال ضرا " أما رأي النبي صلى اللّه عليه وسلّم يظهر في حديث الذي رواه أبو سعيد الخدري حين جاء رجل الى رسول الله (ص) يشكو استطلاق بطن أخيه فنصحه بسقيه العسل ثم يعقب المفسر على هذا الحديث قائلا : " ... أوفي أنّه ليس اسهالا حقيقيا فسقاه فبرئ ،وكأنه نشط من عقال علم الله جلّ وعلا انّ شفاء هذا الرّجل بالعسل ولوكان للرّجل اسهال وللعسل اسهال وأيضا أعانه على الاسهال حتى فرغ بدنه منه ، ومن الطّب المجمع عليه ترك الاسهال على حاله أو أعانته اذا كان تخم أو امتلاء أو هيضة وحسبه مضر ..." ثم يحاول التوفيق بين الآية و طبّ العسل بقوله : " ... والآية على الغالب والامكان وليس فيها أنه شفاء لكل داء في كل أحد وقيل أنها على العموم ..." (2)

---

(1) التيسير 3/ 608 .

(2) ن.م 3/ 612، 613 .

واذا تعارض النّص مع المعلومات ، أمّا يحاول أن يجد للنّص تفسيرا آخر ليضعه ويردّه ، لاحظ ذلك في المثال التّالي : في تفسير قوله تعالى :" والشّمس تجري لمستقرلها " الآية 38 يس يقول :" .. وجاء في أحاديث أنّها تسجد تحت العرش وهيّ تدل أنّ المستقر اسم مكان وأنّها تمسك عن الجري حال السّجود حتّى زعم بعض عن عكرمة أنّها تبيت اللّيل كلّه ساجدة ، وجاء أنّها تطلب اللّه في سجودها أن لا تطلع لأنّها تعبد من دون اللّه . ثمّ يستطرد الرّد على هذا القول :" .. وأنت خبير بأنّها تدور الى جهة الشّمال دائما اذا قربت وأنّه لا وقت هو ليل على الدّنيا كلّها فوقت واحد يكون ليلا على أهل موضع ونهارا على أهل موضع آخر والأوقات كلّها متتابعة كذلك ففي أيّ ليل من ليالي الدّنيا تسجد في ليل مضاب (1) أو في ليل عمان (2) وهكذا " ويحاول — بعد ذلك — ايجاد تفسير للحديث قائلا : " وانّما بالحديث وتحمل المراد ليل قائل ذلك صلّى اللّه عليه وسلّم وهو ليل مكّة أو المدينة أو ليل الخارج عن المعمورة ولو كان ذلك نهارا في أماكن كثيرة أو تسجد مع سير ، وقد قرأ ابن مسعود (والشّمس تجري لامستقرلها) أي تجري أبدا لا وقوف لها الى يوم القيامة " . (3)

والمفسّر لا يتوانى في رد بعض النّصوص المنسوبة الى الصّحابة أو التابعين اذا كانت المعلومات الواردة فيها متناقضة مع ما يراه علميّا أو واقعيّا فقد ردّ ما رواه :" الطّبرانيّ وابن المنذر عن ابن عبّاس رأنه خلق اللّه تعلى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ومن وراء ذلك جبلا محيطا بما يقال له قاف ، وخلق من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرّات ، وخلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ، ثمّ وراء ذلك جبلا يقال له قاف السّماء الدّنيّة مترفعة عليه حتّى عدّ سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة له جبل وذلك قوله تعلى :" والبحر يمده سبعة أبحر " (4) ثمّ يعقّب على هذه الرّواية بقوله :" . . . واللّه أعلم بصحة ذلك ، واللّه تعلى قادر على ما لا يحصى من ذلك ، وهب أنّه ذكره

---

1) وادي ميزاب تقدّم تعريفه .
2) سلطنة عمان ، دولة في الخليج العربيّ عاصمتها مسقط أحد ربوع المذهب الأباضيّ .
3) (التّيسير) 4/ 1010، 1011 المجلّد 2 .
4) لقمان / 27 .

كعب الأحبار رضي الله عنه لكن لعلّه أخذه من كتب الأسراء يبيّن وهو في نفسه ثقة، ويحث بأنّه اذا كان ثقة لم يرو الّا ما صحّ فيجاب بأنّه رواه ظانا أنّه صحيح مع أنّه ليس ممّا يقطع فيه العذر." (1)

ومن الأمثلة السّابقة يتضح لنا أنّ المفسّر جمع بين آراء من سمّاهم الأطباء أو فلاسفة أو علماء الهيئة أو حكماء وبين الأقوال المأثورة عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والصّحابة والتّابعين وغيرهم، على أنّه كثيرا ما يتحامل على الفلاسفة، وهذا لم يمنعه من تأييد آرائهم أحيانا وتفنيد بعض الأقوال المأثورة، وهذا التّحامل يظهر في استهلال أقوالهم بكلمة (زعمت) أو يعقب اسمهم — أحيانا — بهذا الدّعاء (قبّحهم الله).

والمفسّر كغيره من المنتمين الى مدرسة السّلف التي انتهجت طريقة التّفسير بالرّأي لم ينسج من الخوض في مسائل علميّة، والظّهور بمعرفة علوم لا يتجاوز فيها تحصيله معارف المبتدئين، ممّا كان يقبح في معلومات خاطئة وفي تفسيره كثير من الأمثلة نقتبس منها ما يلي: في تفسير قوله تعالى: " الشّمس والقمر بحسبان" الآية 05 الرّحمن يقول: ". . والشّمس تجري لمستقرّها وهو الظّاهر ولا يلتفت الى زعم من زعم أنّ المتحرّك هو الأرض" (2).

وهذا متناقض لمّا هو معروف في علم الفلك، الذّي أثبت حركة الأرض حول الشّمس (3) ممّا ينتج عنها الفصول الأربعة، وفي المثال التّالي نلاحظ كيف يبرهن على صغر النّجوم بالنّسبة لحجم الأرض، وينكر بذلك احدى الحقائق العلميّة: ". . وتسعها الأرض مع كثرتها وعظمها بأن يصغّرها الله تعالى أو ليست كبيرة كما في علم الهيئة بل هي كما ترى أو أكبر بقليل وهذا هو الصّواب، ألا ترى الى تقاربها وادراك العين لما يحصيه الله عزّ وجلّ ويجمعها مقدار من الأرض تحيط به العين" (4).

مع أنّ علماء الفلك أجمعوا على وجود كواكب أكبر بكثير من الأرض (5)، اكتفينا نلاحظ من جهة أخرى ينتقد بعض الرّوايات التّي لا يقبلها المنطق والعقل، ويردّها

---

1) (التّيسير) 4/ 764، 765.
2) ن.م. 5/ 04.
3) علي موسى، مختصر التّربية علم الفلك، مفاهيمه وأسسه ص/ 44، 45.
4) (التيسير) 6/ 501.
5) علم الفلك ص/ من 44 / 45.

بعضه من ترجيح ما جاءت به النّصوص التي آعتبرها صحيحة و يحاول ايجاد تفسيرات لها ، ففي المثال التّالي ، نجد المفسّر يورد ، بعض بعض الرّوايات ، بعد سرده لما جاء في الحديث أنّ بين كلّ أرض و أخرى خمسمائة عام فيقول مؤيّدا ذلك : " .. و جاء ذلك العدد و مقدار ما بين الأرضين منصّن ، فحديث أحمد و الترمذيّ الآ الغلظ ، و يعني به غلظ كلّ واحدة خمسمائة عام ، فيقول : " و ذلك هو الصّحيح و عليه الجمهور " ثمّ ينتقد الرّوايات الأخرى قائلا : " لا ما قيل أنّ في كلّ واحدة من السّت ما في هذه من آدم و نوح و جميع الأنبياء و جميع ما في هذه فيكون آختتامه صلّى اللّه عليه و سلّم يختم النّبوءة بآعتبار هذه الأرض و ذلك تغليط و قيل سبع أرضين متماسّة يحملهن ثور على صخرة الى آخر التّخاليط" (1)

و المفسّر يستغلّ مختلف العلوم التي تعرض لها لتبيان قدرة اللّه و دلائل وحدانيّته و عظمته ، بصرف النّظر من صحّتها أو خطئها فقد تعرّض لعلم الفلك في الآيات المشيرة الى ذلك ، كما تناول بالبحث مواضيع في الطّب و العلوم الطّبيعيّة ، ففي الطّب مثلا في تفسير قوله تعالى : " من قبل ان تنزّل التّورية" الآية 93 آل عمران يذكر رأيا يرى أنّ ما حرّم اسرائيل على نفسه يقتصر على الامتناع من تداوي عرق النّسا ثمّ يستفيض في تعريف هذا المرض ، و طريقة علاجه (2) و اذا وردت في آية قصيرة راح يذكر منافعها مثل الزّيتون و ما يشتّق منه من زيت و ما يفيده من النّاحية الطّبيّة يقول : " : كتحسن اللّون ، و تصفية الأخلاط و شدّ الأعصاب ، و فتح السّدد و اخراج الدّود و الأذرار و تفتيت الحصى و اصلاح الكلى ". ثم يبين طريقة الاستعمال فيقول : " .. شربا بالماء الحارّ" (3) ففي العلوم يبيّن أصل الانسان قائلا : " .. انّ أصلهم الذي تكونوا منه من تراب و هو آدم أو الأغذية التي تكوّنوا منها تراب " (4) موضحا بعض الصّفات الوراثيّة في تفسير قوله تعالى : " .. من نطفة أمشاج " الآية 2 الانسان فيقول : " ... ماء الرّجل أبيض غليظ و منه العصب و العظم و أنّ علا كان الشّبه له ، و ماء المرأة أصفر رقيق و منه اللّحم و الدّم و الشّعر فانّ علا (5) كان الشّبه لها ، فاذا آجتمعا في قعر الرّحم أخضرّ الخ .. " (6).

---

1) (التّيسير) 6 / 257 .
2) ن م . 1 / 546 . 547 .
3) ن م . 6 / 630 ففي سورة (المومنون) يبيّن منافع الزّيت و مضارها . ن م . 4 / 336 المجلّد 1 .
4) ن م . 4 / 276 المجلّد 1 ففي سورة (الانسان) الآية الأولى توضيح أكثر لهذه المسألة ،
5) ن م . 6 / 434 . عـــــــــلا
6) ن م . 6 / 435 ففي تفسير الآية بعض التّفاصيل في الموضوع .

من العلوم الانسانية التي عالجها المفسر علم النفس في تفسير قوله تعالى " وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة " الآية 78 الدال تعرض لقضية الادراك قائلا :" .. وأعلم أن النفس تدرك الكلي والجزئي باستعمال الحواس وبدونه ، والصحيح أن الادراك للعقل خاصة والحواس أبوابه ومعنى الحس المشترك أنه أدركت فيه الشيء الحواس والعقل معا بمرة وأنكره بعض المتكلمين" ثم تحدث عن عقل الجنين فقال :" والانسان اذا كان جنينا له عقل حيواني له به العلم بالاحساس بالجزئيات " (1)

وفي موضع آخر يرد على من يرى أن الصبي " لا يدرك في سبعة أيام من ولادته شيئا ، ولا يدرك راحة ولا ألما " فيقول :" ويرده بكاءه اذا أصابه ضر من جوع أو غيره وأنه عالم بنفسه " (2).

كما كان يستعين بعلم الجغرافيا للتعريف بالأمصار (3) والجبال (4) أي ما يدعى بالجغرافية الطبيعية ، تناول — أيضا — بالبحث الجغرافية السياسية فيبين مثلا استيلاء فرنسا على الجزائر وتقسيمها للمغرب الأقصى (5) الى عمالات وان كان هذا خارجا عن موضوع الآية التي يقول فيها تبارك وتعالى :" رب المشرقين ورب المغربين " الآية 17 الرحمن لاحظ ذلك فيما يلي :" ومن الأوسط الجزائر جزائر بني مزغنة أخذها فرنسة سنة ستة وأربعين ومائتين وألف وفي تقسيم فرنجة فرنسة وسائر الأفرنج أن المغرب الأقصى عمالة فاس ، عمالة مراكش ، وعمالة سوس ، وعمالة درعة وعمالة تفيلالت " (6).

ويمضي المفسر على هذا المنوال مستعينا بالعلوم المختلفة المعروفة عند المفسرين الذين تأثر بهم وتتلمذ على كتبهم ، مكتفيا — أحيانا — بسردها ومتدخلا حينا لنقدها بالطريقة التي أشرنا اليها سابقا ، وجامعا بين آراء العلماء وما تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف ، هدفه من ذلك توضيح ما تضمنته الآية ، أو ابراز عظمة الله وقدرته في مخلوقاته أو بيان غرض القرآن من ذكر بعض العناصر

---

1) ن.م. 3/524.
2) ن.م. 3/523.
3) ن.م. 3/564.
4) ن.م. 6/455.
5) المملكة المغربية حاليا.
6) ن.م. 6/10 ليستقيم النص يمكن صياغته على النحو التالي ( وفي تقسيم ... وسائر الافرنج المغرب الأقصى الى عمالة ... ).

وما ينتج عنها من فوائد وما يترتب عنها من مضار، مقتبسا مختلف الآراء، ومرجحا في معظم الحالات ما ورد في النصوص، فهو ممن أشرنا اليهم في مقدمة هذا المبحث.

وعلى غرار مدرسة التفسير بالرأي السلفية يغوص في علوم، بضاعته قليلة ومعلوماته عامة في حاجة الى التحقيق، ممّا كان يسرد بعض المعلومات الخاطئة أو ينتقد بعض الآراء الصحيحة جدّا لو نسبها الى أصحابها بذكر السند، أو المرجع الذي استمد منه هذه الآراء والمعلومات، ولا يعني هذا أنّه كان يجمع المعلومات، ويسردها دون نقدها والتعليق عليها وإبداء آرائه.

ومن خلال المبحث التالي سيتضح لنا أسلوبه في تناول المصادر المختلفة السابقة الذكر، والاستعانة بها في تفسيره.

## أسلوبه في التفسير:

رأينا فيما سبق أنّ المفسر توخى الايجاز والتوضيح في تفسيره قصد التيسير على القراء لا سيما طلبة هذا العلم، وقد كان يوجز في المواطن التي لا تحتاج الى العلماء للفهم، وعندما تقتضي الضرورة التوضيح نجده يطنب ويسرد مختلف الآراء منتهجا في ذلك أسلوب التحليل، والتحليل الذي يحتم عليه أن يتعرض للنقد قصد ترجيح رأي على آخر أو التوفيق بينهما أو تفنيدها، واذا لاحظنا أغراق المفسر أحيانا — في بعض التفاصيل والاستطرادات وهذا يتناقض مع منهجية التأليف التي تتطلب الالتزام بالموضوع، فانّنا نعزو ذلك الى تمكنه، وغزارة علمه، والرغبة في الافادة وتوسيع أفق القارىء في العلوم والفنون المختلفة التي استعان بها، وهذه الملاحظة تظهر أكثر وضوحا في الجوانب اللغوية والبلاغية، ومسائل الخلاف التي يحاول بكل طريقة اقناع القارىء بوجهة نظره منتهجا أسلوب التحليل والاستدلال بالشواهد وضرب أمثلة.

فاذا كان المفسر يحترم آراء من استمد منهم معلوماته، ويثق فيهم ولعل ذلك من العوامل التي جعلت تفسيره يتضمن بعض المعلومات التي لا أساس لها من الصحة أو بحاجة الى التحقيق، وقد أشرنا الى بعضها، وسنتعرض لأمثلة أخرى في محلها فانّه رغم ذلك نلحظه يتصدّى للنقد، ويستوي عنده جهابذة العلماء بغيرهم، ففي المثال التالي عند تفسير قوله تعالى: " يسأله من في السماوات والأرض " الآية 27 الرحمن يستعرض آراء كلّ من أبي صالح وابن عبّاس وابن جريج

ثمّ يعقّبها بقوله :" وأنا متعجّب من أين التّخصيص إلّا أن أريد التّمثيل والصّواب في كلّ حاجة .ودخل فيها سؤال دفع المضرار بل شملت الآية سؤال المحاصّي وهو محرم بمعنى أنّكم تحتاجون الى اللّه تعالى في كلّ شيء" (1)

ومن الملاحظ أنّ المفسّر يدعو في كثير من الحالات الى التّعميم ويرجّح الرّأي الّذي ينزع الى ذلك ، فمثلا في تفسير قوله تعالى :" والسّابقون السّابقون " الآية 10 الواقعة يستعرض عدّة آراء تخصّص معنى الآية فيختار منها رأي ابن كيسان وسعيد بن جبير لأنه فهم منهما التّعميم فيقول :" .. والعموم المذكور عن ابن كيسان وسعيد بن جبير أولى فلحمل غيره ممّا ذكر من الأقوال تمثيل" (2).

وفي المثال التالي لاحظ كيف ينتقد الزّمخشريّ رائد مدرسة التّفسير بالرّأي ، وذلك عند تفسير قوله :" وما صاحبكم بمجنون" الآية 22 التكوير قائلا :" .. ومن الخطأ أدعاء الزّمخشريّ فضل جبريل عليه السّلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم بمدح جبريل دونه " ، ثمّ يمضي في تبيان وجه الخطأ والرّدّ عليه :" وجه الخطأ أنّ مدح أحد دون أحد لا يدلّ على فضل من لم يمدح بل يحتمل العكس ، والمساواة ، أنّ المقام ليس مقام مدح له صلّى اللّه عليه وسلّم ومع أنّ المقام ليس لمدحه هو مدح له اذا أرسل اليه من هو أعزّ عليه فالمرسل اليه أفضل من المرسل ..." (3)

نلاحظ من الأمثلة السّابقة أنّ المفسّر لا يكتفي بردّ الرّأي أو اضعافه دون تبيان وجه الصّواب والخطأ ، وكما أنّ النقد لا يقتصر عنده على الجانب المحتوى فحسب بل يشمل جميع أوجه التّفسير ، ولقد مرّ بنا بعض أمثلة عند تعرّضنا لمصادر تفسيره في هذا الفصل ، ونؤكّد ذلك بالمثال التّالي الّذي ينتقد فيه قول الفرّاء في تفسير قوله تعالى :" فيهنّ " الآية 56 الرّحمن يقول :" أي في الجنّات والجمع باعتبار أنّ لكلّ خائف جنّتين أو لكلّ خائف من الانس جنّة ولكلّ خائف من الجنّ جنّة ، فهؤلاء جنّات.

---

1) التّيسير 5/14.
2) (التّيسير) 5/36، 37.
3) ن.م. 6/513.

وهذا يعني عن قول الفرّاء أنّ الضّمير المجتبين ، وأنّه كثيرا ما يعبر عن أثنين بما للجمع" (1)

وقد يكتفي في نقده بنفي الدّليل على أثبات قضية أو رأي ، وفي المثال التّالي يتّضح لنا ذلك يقول في تفسير قوله تعالى :" انّ اللّه اصطفيك " الآية 42 آل عمران وعن طريقة تبليغ الخبر الى مريم آبنة عمران يقول :" .. وقيل المعنى كلّموها بالهام وهو دعوى بلا دليل" (2) ومثل ذلك نلاحظ في تفسير قوله تعالى " فيكون طائرا بأذن اللّه " .. وانما استثنى ذلك ليتميز عمّا خلق اللّه لا على يد عيسى وهكذا قيل ولا حجّة له ، وظاهر القرآن يأباه لو ثبت لقد حوا فيه " (3).

كما ينتقد بعض الرّوايات الشّاذة التي لا يستسيغها المنطق ولا الواقع كقوله : " .. ولا يصّح ما قيل أنّه يصّلي ركعتين الأولى بتبارك الملك ، والثّانية بتنزيل السّجدة ويدعو بعدهما " (4). .. أي عيسى عليه السّلام ويقول في تفسير قوله تعالى :" وأمرأتي عاقر " الآية 40 آل عمران :" .. وأمّا ما قيل أنّه دعا فيه قبل بشارته بأربعين عاما أو ستّين فنسّي دعاءه فقال : " أنّى يكون لي ألخ .. فبعيد جدا ولا سيّما مع ظاهر التّعقيب.

وفي قوله عزّ وجلّ فعادته ألخ .." (5)

ومن الملاحظ أنّ المفسّر يحاول في ردّه ، ونقده اقناع القارئ منتهجا أسلوب التّحليل والاستدلال ، لاحظ مثلا كيف يردّ على قول مجاهد الذي يرى أنّ اللّه مسخ قلوب أصحاب السّبت ولم يمسخ صورهم "" قلت قوله فجعلنا منكما(6)" ردّ لقول مجاهد أنّهم لم يمسخوا صوّرا ولكن قلوبا ومثّلوا قردة ، اذ تحويل قلوبهم لا يظهر لكّل أحد حتّى يكون رادعا وموعظة ولو ظهر لم يتبين قبحه لجمهور النّاس بخلاف مسخ صوّرهم فانّه يظهر قبحها للموحد والمشرك والمطيع والعاصي" (7)

---

1) (التّيسير) 24/6.
2) ن.م. 493/1.
3) ن.م. 502/1.
4) ن.م. 504/1.
5) ن.م. 305/1.
6) 66/ البقرة.
7) (التّيسير) 34/1، 35.

ولتأكيد ما ذهبنا اليه نسوق هذا المثال الذي يرد فيه على من يرى أن الخطاب في قوله تعالى :" وان كنت في شك لمن يصلح للشك وفي :ممّا أنزلنا اليك (1) لرسول الله صلّى الله عليه و سلّم فيقول معلّلا و مستدلّا بأمثلة :"لأنه لا يجوز خطابا بأن في كلام واحد مثل أن تقول أكرمك و تريد بخطاب أكرم زيد وبخطاب الكاف عمر " (2).

والمفسّر في نقده تارة يرجّح رأيا أو يرده مع تبيان العلّة وتارة يرجّح رأيا على آراء موضحا السّبب ، ولذلك في كثير من المواضع شخصيته ويستعمل في ذلك عدّة صيغ ، فاذا شك في رأي أو رواية استخدم صيغة التبعيض ، وفي مظانّ الأحيان يبدأ بالرأي الرّاجح عنده حين يستعرض الآراء والأقوال ولو كانت مخالفة لرؤيته أو شاذّة في نظره ، ففي تفسير قوله تعالى :" أخرجنا لهم دابّة " الآية 82 النّمل ، يسرد أوصاف الدّابة التي يتكون شكلها من بعض الحيوانات ثمّ يعقّب على ذلك بقوله :" وأنا أذكر هذه الأمور كارها ليتروح اليها السّامع ولو لم أصدقها " ثمّ يمضي نقده قائلا" ومن البعد ما قيل أنها ترى من المغرب والمشرق مع أنّا لا نرى ما على المشرق من السّماء ، ولا نرى الشّمس والقمر والنّجوم اذا غربت " (3).

ولعلّ هذا ما يفسّر تضمين تفسيره لبعض الآثار التي يجوز ها التّحقيق ، دون التّعقيب عليها أو التّثبت من صحّتها ، ممّا دعا بعض الدّارسين الى مؤاخذته عليها (4) اضافة الى ذلك يهمل ذكر المصدر والسّند أحيانا ، ولتأكيد ما ذهبنا اليه نضرب هذه الأمثلة في تفسير قوله تعالى :" انّهم كانوا قبل ذلك مترفين " . الآية 45 الواقعة يستهلّ تفسير الآية بذكر معناها ، ثمّ يستعرض بعض أوجه تفسيرها قائلا :" تعليل جليّ أي عذابوا بذلك لأنّهم كانوا قد جعلهم الله مترفين أي تابعين لمواهم ، وذلك خذلان من الله تعالى ولهم اختيار ولا اجبار لهم " .

---

1) 94/ يونس.
2) (التّيسير) 3/ 110.
3) ن م. 4/ 591 ، 592 المجلّد 2.
4) (التّفسير ومناهجه عند علماء الأباضية) محاضرة ص 12 ، 13.

ثمّ ينتقل الى استعراض بعض أوجه التّفسير فيقول :" أولانّهم كانوا قد جعلهم اللّه تعلى متكبرين عن الحق ، أو لانّهم كانوا قد أبطرهم اللّه أي جعلهم بطرين بالنّعمة أو أبطرتهم النّعمة " ولكن شخصيّة المفسّر تأبى الاقتصار على سرد الاقوال دون التّصدّي لنقدها ، فلذلك نراه يعلّق على هذا الوجه الاخير من تفسير الآية قائلا :" ويبحث بأنّه ليس كلّ أهل النّار مكثرة لهم النّعم في الدّنيا والجواب بأنّ ذلك حكم على المجموع لا كلّية ضعيف ويبعد بحسب الظّاهر أن يراد كلّ أحد منعما عليه بنعمة البدن الصّحيح والعقل والحياة ونوع قلّة المال لا يستشكل بمن ليس كذلك لقلّة المرضى وأصحاب الآفات بالنّسبة " (1)

وشخصيّة المفسّر تظهر بجلاء في هذا النّص الّذي يعترف فيه ضمنيا بمقدرته على الاستدلال والتّحقيق ، ويرى أنّ ذلك لا يصدر الا من عالم مارس المعقول والمنقول ، ويعتزّ فيه بآجتماع شروط الاجتهاد لديه ودونك النّص الّذي موضوعه مسألة زيادة الايمان ونقصه " .. وليس كلّ عالم يحسن الاستدلال ، وانّما يحسنه من مارس المعقول والمنقول ، فتمسك بما قرّرته لك فانّك لا تجده مسطّرا على هذا التّحقيق في غير هذا الكتاب ، ثمّ خذ عنّي تحقيق آخر هو أنّ الايمان يجوز اطلاقه على مجرد التّوحيد وهو التّصديق كما يطلق على ذلك مع الاقرار والعمل وهو الايمان الكامل لا يدخل الجنّة الّا به ، فيشتق منه ذلك ممّا تجده مسطرا ، ولولا أنّه لا يجوز لي كتمان علم ظهر لي لآجتماع شروط النّظر ما فهمت بذلك ما يخالف غيري " (2).

وهذا النص الّذي سقته من كتابه ( هميان الزّاد ) يؤكّد آعتزاز المفسّر بشخصيّته وعلمه ، ومقدرته على التّحقيق والاستدلال ، وأنّ كان هذا الاعتراف فيما يبدو جاء في مرحلة مبكّرة من حياته وهي الّتي ألّف فيها تفسيره الاوّل السّابق الذّكر ، أمّا تفسيره الّذي نحن بصدد دراسته فلا تعثر فيه كثيرا

---

1) ( التّيسير ) 6 / 49 ، 50.
2) ( هميان الزاد ) 7 / 97 ، 98.

على هذه الاعترافات ، لأنّه قد أثبت — عمليا — جدارته ومقدرته على التأليف ، وفرض وجوده كعالم في عصره على الأقل في محيطه ، ولذلك نلاحظ في أسلوب تفسيره رزانة في التحليل ، والنقد ، وإن استعمل — أحيانا — العنف وكذلك نلاحظ التعمّق في الاستدلال والتحقيق ، غير أنّه رغم ذلك لم يتخلص من جمع بعض المسائل التي لا يستسيغها العقل ولا المنطق ، وحشا بها تفسيره .

ومن أمثلة ذلك تنبؤه بوقت نزول المسيح عليه السّلام وحدوث تغييرات في مسقط رأسه ويقول في ذلك : " .. وينزل ان شاء اللّه تعلى على ما ألهمت ورزقت على تمام أربعين عاما بعد ألف وثلثمائة وخمسة وعشرين الّا أنّ ابتداء الحساب انّ شاء اللّه يكون من الحادي عشر من ذي الحجّة من عام خمسة وعشرين وثلثمائة وألف وعند العشرين الأولى من الأربعين يتغيّر مضاب (1) والعلم للّه لا لغيره "(2)

وبعد سرده لدعاء عيسى عليه السّلام لمّا يريد تبرئة لأكمه والأبرص يذكر هذه الرّقيّة : " .. واذا قرئ هذا على المجنون وكتب وسقي له برئ باذن اللّه عزّ وجلّ ... " (3).

ولا غرو في ذلك لأنّ رأي المفسّر في الاستشفاء واضح في قوله : " .. ويجوز الاستشفاء بالقرآن تعليقا وغسلا ومسحا بالخالة ، وشربا ولو بفعل الانسان ذلك بنفسه " (4).

غير أنّ هي هذا التفسير كان أكثر دقّة وتحقيقا ، ففي هذه المسألة مثلا يقول في موضع آخر تعقيبا على حديث نبوي في الاستشفاء بالقرآن : " ... وليس على ظاهره من أنّ معنى الآية أنّ القرآن دواء لوجع الصّدر بل معناه أنّه دواء لدنس القلوب بنيّة المعاصي بل قياس منه صلّى اللّه عليه وسلّم للمرض الجسدي على المرض المعقول من الذنب " .

---

1) وادي ميزاب تقدم تعريفه .
2) ( التيسير ) 05/261 .
3) ن م . 1/ 503 .
4) ن م . 3/ 772 .

الى أن يقول :" بل قد يكون المرض المعنوي سببا للحسي فيقرأ القرآن ليزول المعنوي الذي هو سبب الحسي" (1) بينما نراه في كتابه ( هميان الزاد ) فارقا في سرد بعض الرقيات الشبيهة بالتمائم من أمثلة ذلك قوله عقب تفسير قوله تعالى :" . . وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم " الآية 10 الأنفال :" . . ومن كتب في بطاقة في السابع والعشرين من رمضان وما جعله الله الا بشرى الآية وجعلها تحت فص خاتم وحمله هو أو غيره لم يزل حامله مسرورا منصورا على عدوه (2)."

فاذا أجرينا مقارنة بسيطة بين تفكيره في تفسيره الأخير وتفسيره (التيسير) لاحظنا عمقه مع بروز بوادر الحركة الأصلاحية ، ولم يتخلص من بعض المآخذ التي ذكرناها أو سنتعرض لها في الفصول اللاحقة.

ونخلص الى القول بأن المفسر ، رغم تأثره بالحركة السلفية ، وبل بعض مفسريها الى درجة آقتفاء آثارهم في المادة والمنهجية ، لم يصرفه هذا التأثر عن ابراز شخصيته في الأدلاء بآرائه في بعض المسائل ، والرد على آراء الغير ، وتفنيدها أو ترجيح ما يراه صائبا منتهجا أسلوب التحليل والتعليل ، كما يتميز في تفسيره هذا بالعمق في التفكير ، ويتجلى ذلك من خلال معالجته لبعض القضايا التي تعرض لها ، وسيظهر هذا العمق أكثر في موقفه من بعض المسائل التي سنتناولها بالبحث في الفصل الثاني من هذا الباب.

---

1) ن م ، 3/66، 67 أنظر رأيه في القضية في ن م . 3/ 771.
2) ( هميان الزاد ) 7/ 127.

## الفصل الثاني

### موقفه من بعض المسائل

يتصور تفسيره وجهات نظر تجاه بعض أمهات المسائل ، المتعلقة بالأديان والمذاهب وموقفه من بعض العلماء ، وقضايا عصره ، ومعالجته لهذه المسائل تختلف باختلاف موقفه منها ، وانتمائه ، فنجده يتعاطف مع بعضها وينتقد بعض الآخر بشدة وعنف أحيانا ، ولكن المفسّر ينظر اليها من وجهة نظره الخاصة باعتباره عالما مجتهدا ، محاولا اقناع القارئ بهذه الوجهة ، ولا يعني هذا أنه تحرّر من انتمائه المذهبي لأن مثل هذا التحرر يتطلب مستوى فكريا وحضاريا نعتقد أنه لم يرق اليه بعد الفكر العربي ، لا سيما في ذلك العصر ثم أنه ليس من السهل التخلص من مخلفات وروثها الانسان واكتسبها وأصبحت جزءا من كيانه وشخصيته ، فكثيرا ما يدعي بالتزام الموضوعية وحرية التفكير ، لا يعدو أن يكون قناعا يخفي وراءه أغراضا يهدف صاحبها الى تحقيقها باسم هذه المواصفات وعلى هذا الأساس يمكننا تبيان موقف المفسّر من مذهبه .

### موقفه من المذهب الاباضي :

يتميز المذهب الاباضي كغيره من المذاهب الاسلامية ببعض الآراء في الأصول والفروع التي يختلف فيها عن غيره ، وان كان يتفق مع مذهب في مسألة ويختلف فيها مع آخر ، فيحاول المفسّر أن يبيّن هذا الاختلاف وهذا الاتفاق كلما لاحظ ذلك وكأني به يريد أن يثبت للقارئ ولا سيما لأولئك الذين أساؤوا فهم المذهب ومكانته بين المذاهب الاسلامية ولا يمكن تفسير ذلك بتحيز المفسّر الى مذهبه والدفاع عنه والتعصب المذهبي لسببين اثنين : أولهما أن الايمان بفكرة يقتضي من صاحبها الدفاع عنها وتبنيها بقوة لا سيما المسائل المتعلقة بالعقيدة والدين والا كان ايمانه بها سطحيا ، والسبب الثاني دعوة المفسّر الى وحدة المسلمين وتجاوز الخلافات المذهبية وهذه النقطة سنتناولها بالبحث في موقفه من المذاهب الأخرى .

انّ أول ما يسترعي الانتباه في اعتزاز المفسّر بمذهبه هو مدح أئمته والتّعريف بهم في مواضع مختلفة من تفسيره ولا سيّما اذا كانت الآية تختصّ بمدح قوم فمثلا عند تفسير قوله تعالى : " فسوف يأتي الله بقوم ألخ " المائدة 54 يقول مادحا للأئمة الرّستميين والقوم الفرس والمسلمون المبيّن أدرهم في الدّين كالامام عبد الرحمن ابن رستم والامام أفلح والامام عبد الوهاب والامام محمد لما نزلت الآية وفيهم نزل وأن تتحولوا يستبدل قوما غيركم (1) أيضا ضرب صلّى الله عليه وسلّم يده على كتف سلمان الفارسيّ فقال : "هذا وذووه أو قال : لو تعلق الدّين بالثّريا لنالته رجال من أبناء فارس" ثم يذكر حادثة وقعت في تونس(2) ، ويعرضها أمام المحكمة أصدرت الحكم التالي : " وحكم بأنّه من طعن في المزابيّين(3) يقتل شرعا أن لم يتب لأنّه طعن في الاسلام جملة ، ونحن كذلك نجمعها كلمة التّوحيد والميزابيّون يوفون بالقول والعمل " .(4)

ولا يجد المفسّر فرصة للاشادة بأئمة مذهبه الا انتهزها ، مبرزا مآثرهم فقد ذكر باعجاب وتقدير رفض سلطان زنجبار حمود بناء مقام الاباضيّة على قرار مقامات المذاهب الأخرى فقال في معرض تفسير قوله تعالى : " واتّخذوا من مقام ابراهيم مصلّى " من الآية 125 البقرة وقد قال أمير مكة للسّلطان حمود وهو سلطان زنجبار أمام أقامته بمكّة ابني مقاما لك وللاباضيّة أهل مذهبك فقال : "تفعل لأنّه خلاف الشّريعة ولأنّهم لا يقبلون ذلك عنّي ولا عنك ولا يقف فيه أحد منهم فلذلك ونحوه قلت فيه :ـ

حمّودنا بن محمّد وشيعته * ضلّ البريّة والحقّ شريعته . القصيدة"(5)

ويتجلّى من هذه الحادثة افتخار المفسّر بمذهبه واعتزازه بأتباعه الذّين يرفضون البدع.

ومن القضايا الأساسيّة التي بنّى عليها المذهب الاباضيّ ، لا سيّما في المعتقدات قضيّة التّأويل ، وقد أنكر عليه غيره اعتماده في تفسير بعض المسائل الاعتقاديّة ، فما رأي المفسّر في ذلك ؟ كيف يردّ على من أنكر التّأويل ؟ .

---

1) محمد / 38 .
2) دولة عربيّة في المغرب العربيّ بجوار الجزائر .
3) سكان ميزاب بالجنوب الجزائري ويطلق على أتباع المذهب الاباضيّ في تلك المنطقة .
4) التيسير 2/111 أنظر مثالا آخر في ن م . 1/ 829 .
5) ن م . 1/154 .

يقول المفسّر في تفسير قوله تعالى :" أمنتم من في السّماء " من الآية 16 الملك نفيًا للتشبيه :" ولا يزول الأشكال الّا بالتأويل" الى أن يقول :" وتأويل المتشابه هو الحق ويعقب ذلك بالرّدّ على من ينكر التّأويل قائلا :" وجمهور سلف قومنا (1) على ابقاء المتشابه بلاتأويل ويقول أنه على ظاهره الّا أنه بلا تكييف وهو جهالة وظلمة مع وجود العلم والنّور وكثيرًا ما أوّل ابن عباس وغيره من الصّحابة المتشابه ، فلو كان التأويل حراما أو مكروها لما فعلوه ، والتأويل تصحيح لقوله تعالى : " ليس كمثله شيء" (2) عمل به وفي تركه مع امكانه تقصير في الدّين وابقاء للمرتاب على ارتيابه وتقوية واعانة للتّشبيه وأمّا قوله صلّى اللّه عليه وسلّم :" آمنوا بمتشابهه" فليس فيه النّهي عن التّأويل بل أمر بالايمان ونهي عن انكاره وجعله من غير اللّه أو أمر بالوقف لمن لم يدرك التّأويل " ويختم كلامه بقوله :" وما لا ندرك معناه نقف بلا تأويل ونؤمن به " (3).

وفي موضع آخر من تفسيره (4) يرى أنّ التّأويل يطلق على التّفسير الصّحيح والتّفسير الباطل ، أو يكون المراد منه المعنى الأوّل ولكنّ في زعم المبتغين للفتنة (5).

وقد ذهب الدّارسون في قضية التّأويل مذاهب ، فمن هؤلاء من اعتبرها بدعة أول من فتح بابها الخوارج وأدّت الى نتائج عمليّة خطيرة (6) أمّا صاحب كتاب (التفسير والمفسرون) فبعد تبيانه للفرق بين التّفسير والتّأويل يعرّف الأوّل بقوله :" ما كان راجعا الى الرّواية " ويعرّف الثّاني بقوله :" ما كان راجعا الى الدّراية " (7) ومن هذا التّعريف يحكم صابر طعيمه على الاباضيّة بقوله :" وهكذا وقع الاباضيّة في نهج عقليّ اعملوا فيه تأويل النّصوص الشّرعية مخالفين بذلك مذهب جمهور المسلمين" (8)

---

1) يطلق هذا الأسم على الأشاعرة.
2) الشّورى / 11.
3) التّيسير 6 / 290.
4) عند تفسيره قوله تعالى :" وابتغاء تأويله " من الآية 7 آل عمران.
5) ن.م. 1 / 443.
6) آراء الخوارج الكلاميّة 1 / 103.
7) التّفسير والمفسّرون 1 / 19 — 22
8) صابر طعيمة الأباضيّة عقيدة ومذهب ص 99.

أمـا صاحب كتاب (مباحث في علوم القرآن) نـراه يفرق بين مفهوم التأويل عند الأوائل الذي يعني التفسير ومفهومه عند المتأخرين الذي هو :" صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به " وأطلق على هذا الأخير التأويل المذموم ويؤاخذ المتأخرين عليه قائلا :" انما لجأ إليه كثير من المتأخرين مبالغة منهم في تنزيه الله تعالى عن مماثلته للمخلوقين كما يزعمون ، وهذا زعم باطل أوقعهم في مثل ما هربوا منه أو أشد " ويمضي في شرح ذلك . (1)

ويفهم من القول الأخير أن تأويل المتشابه من آيات لا يقتصر على الاباضية والخوارج فقط أو غيرهم من المعتزلة ، وانما هو اتجاه المتأخرين .

وقد تعرضنا لهذه المسألة ، فرجوعنا اليها من باب المقارنة ليتجلى اتجاه المفسر في هذه المسألة التي هي أساس تفسير الآيات المتشابهة المتعلقة بمسائل عقائدية مثل انكار الرؤية ، والاستواء على العرش وغيرها ولا يعني هذا أننا سنتعرض لجميع ما يتميز به المذهب الاباضي من المسائل وانما سنكتفي بضرب أمثلة الغرض منها تبيان أسلوب معالجة المفسر لهذه المسائل ووجهة نظره منها .

فالآيات نفي رؤية الباري يوم القيامة في قوله تعالى :" وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " الآيتان 22 ، 23 من سورة القيامة يسوق أدلة لغوية وعقلية وعقلية ، ففي البداية يتعرض لصيغة الآية ، وللجانب اللغوي فيقول :" قدم بطريق الاهتمام والحصر ، وللفاصلة " أي شبه الجملة المشتمل على الجار والمجرور (الى ربها ) ثم يشرع في الرد قائلا:" المتبادر يفيد أنه ليس المعنى تنظر أبصارهم الى ذاته تعالى ، لأن مدعي الرؤية لا يقول ينظر الى ذاته فقط كما تقدم ، وان قيل التقديم ليس للحصر ، بقي أن النظر الى الذات ولو أقل من لحظة موجب للتحيز تعالى الله عنه " ويسوق — بعد ذلك — الأدلة التي تثبت أن النظر هنا بمعنى قد يفيد معنى الانتظار فيقول :" وناظرة خبرنا ن ومعناه منتظرة ومن تعدي النظر بمعنى الانتظار الى قولهم أنظر الى الله ثم اليك أي أنتظر فضل الله ثم فضلك وقول الشاعر :—

وجوه ناظرات يوم بدر * الى الرحمن يأتي بالفلاح

---

1) مباحث في علوم القرآن ص 186 — 188 .

وقول شاعر : ـ

سبحانه كل الخلائق ينظرون سبحانه

نظر الجحيم الى طلوع هلال .

وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة (1) قال الامام علي ناظرة تنتظر حتى يأذن لهم ربهم في دخول الجنة أو الى بعض النعمة . . . أو ثواب ربها أو رحمة ربها " إلى أن يقول : " وكل حذف أو تأويل ولو كان خلاف الأصل مقدم على عدمه إذا كان عدمه يؤدي الى التشبيه أو نحوه والتقدير والتأويل هما المناسبان لقوله تعالى ليس كمثله شيء (2) المتفق عليه ، ولكونه لا يتحيز ولا يتجه ولا يتجسم كما هو المتفق ، ولتنزهه عن الحلول كما هو المتفق عليه ولتنزهه عن الزمان كما هو المتفق عليه وذلك كله بالذات ، وما بالذات لا يتخلف بآختلاف الأزمنة ولتنزيهه عن اللون والطول والقصر والغلظة والرقة ورؤيته تنقض هذه الأصول كلها وتثبت فيه من المواضع الأخر والتجزء ولزمهم أن الله محسوس لخلقه وينتقل بعد ذلك الى الحديث عن كلام الله تعالى قائلا : " وهؤلاء قوم لا يخفى عليهم في بعض الأصول كما قالوا أن موسى سمع كلام الله النفسي القديم أثبتوا الكلام النفسي وأثبتوا له مسموع مع أنه غير صوت وقد أبطل هذا بعض حذاقهم وشنع على الغزالي والأشعري في قولهما سماع كلام الله الأزلي ، وقال اتفقوا على أنه لا يسمع غير الصوت وقد رجع إلينا من قال معنى سماع الكلام الأزلي أنه معلوم بسماعنا من الشرع أن الكلام النفسي ثابت قلنا أيضا لا نسلم بثبوت الكلام النفسي . "

ويعود ثانية للرد على من يثبت الرؤية قائلا : " . . ولا عاقل يترك ما هو توحيد الى ما يخالفه ووضعوا أحاديث منها أنه ينظر اليهم وينظرون اليه ولا يقطعون نظرهم حتى يحتجب عنهم ومنها أن أكرمهم على الله سبحانه من ينظر اليه صباحا ومساءا ولا يخفى عن مدعي الرؤية دعوى أنها ليست على المعتاد لأن حاصلها الانكشاف وهو منزه عنه ، ولا يضرهم الانتظار لأن ما هم

---

1) البقرة / من الآية 280 .
2) الشورى / 11 .

فيه من النّضرة نعمة عظيمة تتفضّى همّ الانتظار بل جعل اللّه الانتظار نعمة أخرى "(1).

ومن الملاحظ أنّ المفسّر يدافع بكلّ ما لديه من حجج عقليّة ونقليّة عن وجهة نظر الاباضيّة، لا سيّما في المسائل العقائدية، فاذا وجد من يميل من غيرهم الى آرائهم أو في وجهة نظره ما يقرب منها، جعل ذلك حجّة للخصم وتباهى به، وقد يعالج مع القضيّة الرّئيسية قضايا أخرى لها علاقة بها مثلما هو الشّأن في المثال السّابق اذ كان يتناول بالبحث قضيّة نفي الرّؤية والرّدّ على مفسّري الآية الكريمة حسب معناها اللّغوي دون تأويل، ولكنّه تطرّق في نفس الوقت الى قضيّتين أخريين ألا وهما: صفاته سبحانه وتعالى، وكلامه، وهما من القضايا الخلافيّة أيضا.

ومن تحمّس المفسّر لمذهبه، ودفاعه عن وجهات نظره، وانتهازه لكلّ فرصة لاثبات آرائه في قضايا مختلفة، فنأخذ على سبيل المثال قضيّة الرّؤية التي أشرنا اليها سابقا، نجده يتعرّض لها في عدّة مواضع، فقد أشار اليها في تفسير قوله تعالى: " هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب" من الآية 07 آل عمران (2)، كما ذكرها مع قضايا أخرى خلافيّة في قوله تعالى: " واختلفوا من بعد ما جاءهم البيّنات" من الآية 105 آل عمران (3)، وتصدّى للرّدّ على القائلين بالرّؤية في قوله عزّ وجلّ: " فأخذتهم الصّاعقة بظلمهم " من الآية 153 النّساء (4) وفي تفسيره أمثلة كثيرة (5).

ولزيادة التّوضيح نلاحظ كيف يستدلّ بقوله تعالى: " حتى نرى اللّه جهرة " من الآية 55 البقرة على كفر من يثبت الرّؤية فيقول: " والآية دليل على كفر (6) مجيز الرّؤية دنيا وأخرى، وذلك لأنّ اجازتها ولو في القلب إجازة لتكييفه وتكييفه ممتنع لأنّ فيه تشبيها وادراكه بالقلب تكييف لا يتصوّر بدونه، فلا يصحّ قولهم، بلا كيف، وتكييفه في القلب بلا تقدير أن يكيّفه لغيره هو من نفس المحذور " (7).

---

1) التّيسير 6/ 426، 427.
2) ن.م. 1/ 442.
3) ن.م. 1/ 561.
4) ن.م. 1/ 848.
5) أنظر أمثلة أخرى في ن.م. 5/ 579 — 4/ 993 المجلّد 2 — 1/ 372.
6) في اصطلاح الاباضيّة كفر نعمة على المسلم الفاسق.
7) التّيسير 1/ 68. إطلاق

نلاحظ في الأمثلة أن المفسر لا يكتفي بتبيان وجهة نظر المذهب الأباضي بل يتصدى للرد على مخالفيه ، واذا وجد عالما أو مذهبا يوافق الأباضية في رأي ذكره مثلما فعل عند تعرضه لمسألة الشفاعة في قوله تعالى :" ولا تقبل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون" الآية 48 البقرة يقول المفسر في هذا الصدد : " . . . والآية دليل لنا وللمعتزلة على أن لا شفاعة لأهل الكبائر لأن الآية ولو كانت في المشركين لكنها في وصف يوم من شأنه أنه لا شفاعة فيه بدفع العذاب عن مستحقه ، ولا مقام أو زمان من مقامات الموقف وأزمنته نص على ثبوتها للفساق ولا لشخص معين " (1).

وينتهج نفس الأسلوب لإثبات رأي الأباضية في نفي المغفرة للموحد المصر على المعصية في قوله تعالى :" لا ينفع نفسا ايمانها . . . أو كسبت في ايمانها خيرا" من الآية 158 الأنعام يقول المفسر :" وفي الآية دليل لنا وللمعتزلة على أن التوحيد المقرون بالمعصية المصر عليها لا ينفع . " الى أن يقول :" وهو مذهب المحدثين من قومنا أيضا " (2).

ومن دعم رأي مذهبه بذكر عالم من مذهب آخر يوافق المذهب الأباضي في في مسألة قوله في صفات الله :" . . قال ابن العربي الأندلسي المالكي ما بين من يقول صفاته غيره ومن يقول أن الله فقير (3) الا تحسين العبارة " (4).

نجد المفسر يؤول كل آية يفهم منها التشبيه ، ويحملها على المعنى المجازي فمثلا في قوله تعالى :" الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها "من الآية 02 الرعد يرد على قول مجاهد وعكرمة الذين نفيا الصفة وأثبتا العمد التي :" لا ترى وهي جبل قاف محيط بالدنيا بعد المحيط من زمرد أخضر اذ تبقى السموات أو يدعى أن أطرافها تحن كلهن على جبل قاف ولا ندري أصح

---

1) ن م . 59/1 .
2) ن م . 468/2، 469 .
3) آل عمران / من الآية 181 .
4) التيسير 404/3 .

أم لا والصواب أن الحمد فرض وجوبها هي القدرة، والقدرة لا ترى وإنما يرى أثرها فالحمد هي قدرة الله عز وجل وهي واحدة ذاتية وأما جمعها فتمثيل أو باعتبار تعدد متعلقاتها" (1).

ومن هذا المثال نستنتج أن المفسر يدافع عن آراء مذهبه ولا غرو في ذلك ما دام يعتبرها هي الصحيحة، والصواب، وهذا ديدان كل مفسر وبل كل محتفل لمذهب أو فكرة، ومن هنا نحكم أن تفسيره هذا يمثل تمثيلا صحيحا وجهة نظر المذهب الأباضي، وخاصة في ما يسمى بالأصول أو مسائل العقيدة، ومما يلاحظ اقتصاره — أحيانا — على عرض رأي مذهبه دون الرد على مخالفيه وعلى سبيل المثال في قوله تعالى: " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى " من الآية 28 الأنبياء يسرد رأيه في الشفاعة وهو رأي الأباضية قائلا: " أي ارتضاه الله عز وجل أن يشفعوا له وهو من يقول لا اله إلا الله واتبعه بالعمل الصالح ومات على غير كبيرة وشفاعتهم الاستغفار في الدنيا ويوم القيامة . . " (2).

ولم يقتصر المفسر على تبيان وجهة نظر مذهبه في المسائل العقائدية بل تناول — أيضا — بالبحث المسائل الشرعية الأخرى غير أنه كان في هذه المسائل أكثر تفتحا وتحررا بأعتبارها مسائل فرعية، ولكن هذا لم يمنعه من تأييد آراء مذهبه وبيان حججه فلاحظه مثلا كيف يعتقد في البداية حجة المذهب في تحريم المس قبل الأطعام في الظهار " . . قال الله تعلى في العتق والصوم من قبل أن يتماسا (3) ولم يقله في الأطعام فقيل المراد فيه أيضا من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد وذلك مذهبنا، وعندي أن الحمل على المقيد يكون اذا كان الأطلاق والتقييد في مسئلة واحدة نحو أطعم أهلك براحتي يشبعوا أطعمهم برا صبحا، وقيل يجوز المس قبل الأطعام اذ لم يقيد " ثم يعود لتأييد رأي مذهبه بقوله: " والأول قولنا وهو أحوط ونسب الثاني لمالك" (4).

---

1) ن.م. 3/ 408.
2) ن.م. 4/ 209 المجلد 1.
3) المجادلة / 3،4.
4) التيسير 6/ 113.

نلاحظ — أحيانا — تناقضا في بعض المعلومات، وإن كان ذلك قليلا، ونعزو هذا الاختلاف في المعلومات إلى: أولا عدم مراجعة المفسّر لما يكتبه، وذا نبّا الى زيادته في الاطلاع، ففي تفسير قوله تعالى :" قل قتال فيه كبير " من الآية 217 البقرة. يدلي المفسّر برأي مذهبه في قاعدة شرع من قبلنا فيقول :". . والمذهب أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا " ثم يعقّب عليه قائلا :" والذي عندي أن شرع لنا و وأنه يقدم على الاجتهاد ما لم ينافه القرآن أو الحديث أو الاجماع بدليل راجح و لا خلاف في أنه ليس شرعا لنا اذا صرّح في ذلك بخلافه ولا يصح أن شيئا شرع لمن قبلنا الا اذا ذكر عنهم في القرآن أو الحديث أو الاجماع أو رواه ثقة أسلم منهم كعبد الله بن سلام (1).

و يقول في موضع آخر بعد استعراضه لآراء حول نفس المسألة واردة في كتاب السموءالات:" . . وقيل لم نتعبد بشيء من شرائعهم الا ما لا يفسخ كالتوحيد ومحاسن الأخلاق وإليه يتوجه قوله تعلى فبهداهم اقتده (2) و بهذا القول يقول بعض أصحابنا " وبعد انتهائه من سرد ما جاء في كتاب السموءالات يضيف المفسّر قائلا :"والبعض الآخر من أصحابنا شرائع من قبلنا شرع لنا الا ما نسخ بالقرآن وغيره ومن التشرع بشرع من قبلنا قول صاحب الوضع (3) في الصوم فصل في صوم التطوّع روي أن رجلا جاء الى ابن عبّاس ألخ (4) " (5)

نلاحظ ممّا تقدم أن النص الاول يروي عن الاباضيّة عدم عملهم بقاعدة شرع من قبلنا شرع لنا بينما النص الثاني يذكر أن جماعة منهم تعمل بها، واذا رجعنا الى كتاب الاباضيّة نجد صاحبه يعتبرها قاعدة يعمل بها الاباضيّة و يقول في ذلك " شرع من كان قبلنا شرع لنا اذا لم ينسخ وقصه الله تبارك وتعالى أو رسوله عليه

---

1) ن.م. 1/293.
2) الأنعام / من الآية 90.
3) يحي بن أبي الخير الجناوني (أبو زكريا) النفوس مكتاب الوضح التعريف بكتاب الوضح و مؤلفه ابراهيم أطفيش أبو اسحاق.
4) يحي بن أبي الخير الجناوني الوضح من ص 162 — 167.
5) التيسير 2/341، 342.

السّلام عليها على جهة التّشريع" (1) واذا قارنّا هذا القول بقول المفسّر في النّص الأوّل ، نلاحظ سقوط الاجماع من هذا التّحريف الأخير ورواية ثقاة من أسلم من أهل الكتاب.

ولعلّ أطلسح في بداية الأمر على رأي المعارضين ثمّ أكتشف جماعة أخرى من علماء الأباضيّة يؤيّدون العمل بهذه القاعدة الشّرعيّة ، وإن كان المفسّر في المسائل الفرعيّة يبيّن آختلاف علماء مذهبه مثلما هو الشّأن في تفسير قوله تعالى :" وان يتفرقا " الآية 130 النّساء يقول :" بالطّلاق أو الفداء وهو طلاق خلافا لجابر ابن زيد اذ عدّه فرقة غير طلاق" (2).

وفي قوله تعالى :"ولن يجعل اللّه للكافرين على المومنين سبيلا" من الآية 141 النّساء يبيّن آختلاف جمهور علماء الأباضيّة مع أحد أئمتهم في حكم مال المؤمن اذا آستولى عليه الكافر فيقول :" ومذهب الجمهور من أصحابنا وغيرهم أنّ الكافر اذا آستولى على مال المؤمن لم يملكه ، فاذا قدّر عليه فهو للمومن ، وقال الرّبيع بن حبيب وبعض العلماء تجوز معاملة المشرك فيه وهبته وتملّكه منه بالغنم فيكون فيئا للمسلمين" (3).

ولا يتحرج في ردّ بعض النّصوص الواردة في مصادر الأباضيّة مثلما فعل في تفسير قوله تعالى :" وأزواجه أمّهتهم" الآية 06 الأحزاب ، فقد ردّ ما روي عن جابر بن زيد أنّه كان يسأل عائشة رضيّ اللّه عنها عن جماع النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم فيقول :" .. ولا يصحّ ما يروي عن جابر بن زيد أنّه خلا بعائشة رضيّ اللّه عنها أو لم يخل بها وأنّه سألها حاشاها وحاشاه عن كلّ ما بدا له حتّى سألها عن كيفيّة جماع النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم كيف يجسر على ذلك وكيف ترضى له هذا السؤال ولم تنهره عنه وكيف تجيبه مع نهيه صلّى اللّه عليه وسلّم عن أن يصف الرّجل أو المرأة ما فعل أحدهما مع الآخر في الجماع وان قيل سألها عن جماعه هكذا لا يقيد أنّه معها فجسارة أيضا حاشاه عنها ..." (4).

---

1) الأباضيّة ص 60.
2) التّيسير 1/ 328.
3) ن.م. 1/ 333.
4) ن.م. 4/ 303، 304 المجلّد 2.

هذه الحادثة وردت في كتب الأباضيّة وغيرهم (1) واذا تصفحنا الجامع الصّحيح للرّبيع بن حبيب نجد فيه أحاديث رواها جابر بن زيد عن عائشة في مسائل الجماع والاغتسال والحيض (2)، ومن هناك لا نستبعد حدوث هذه الواقعة، ثمّ أنّ حرص أعلام التّابعين على معرفة كلّ شاردة وواردة من سلوك رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم وحياته بآعتبار سنّته مصدر التّشريع، يجعلهم يسألون دون حرج أو خجل طلبا للمعرفة، وحفاظا على السّنة النّبويّة، ولكن نراه — من جهة أخرى — يدافع عن آراء مذهبه سائقا أدلّة قبل آستعراض الرّأي المخالف وأدلته والرّدّ عنه ونجد مثالا لذلك في تفسير قوله تعالى: " فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصّلوة" من الآية 101 النّساء يقول في قصر صلاة السّفر: ". . والقصر واجب فمن صلّى سفر تماما ولم يعدها قصرا هلك ولزمته المغلّظة ورخّص في المغلّظة كما ذكره الشّيخ موسى ابن عامر وكذلك قال بوجوب القصر أبو حنيفة كما قلنا ولنا قول عائشة رضي اللّه عنها فرضت الصّلاة ركعتين والمغرب ثلاثا وزاد اللّه في الحضر (3) على غير المغرب والفجر ركعتين فالتّقصير عزيمة وأبقى المغرب لأنّه وتر النّهار والفجر لأنّه يسّن فيه طول القراءة ولنا أيضا قول عمر صلاة السّفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلّى اللّه عليه وسلّم، وليس في نفي الجناح ما ينافي الوجوب، لأنّه دفع لما يتوهم أنّ القصر ذنب على حدّ ما في قوله عزّ وجلّ، لا جناح عليه أن يطّوف بهما (4) ثمّ ينتقل الى ذكر رأي الشّافعيّ الّذي يرى أنّ القصر رخصة لا عزيمة مع سوق أدلة ويفرغ — بعد ذلك — الى ردّها ونقدها . (5).

---

1) الرّبيع بن حبيب الجامع الصّحيح 4/04 مجلّد واحد، يحيّ محمد بكّوش فقه الأمام جابر ابن زيد 1/ 75، 76.

2) الجامع الصّحيح أنظر أمثلة في 1/ 29، 30.

3) رواه بهذا المعنى الرّبيع بن حبيب، النّسائيّ وروى مثله أحمد ومسلم وأبو داود والنسائيّ من ابن عباس.

4) البقرة / 158.

5) التّيسير 1/ 794، 795.

واذا كنّا قد لاحظنا بوضوح وقوف المفسّر مع آراء مذهبه وممّا يدّل على ذلك المثال السّابق، وتكراره فيه لقوله، و(لنا)، لكّنه لم يمنعه ذلك من مخالفته أو ترجيح رأي يراه صوابا مخالفا لأحد أئمّته، ولتأكيد ما ذهبنا اليه نسوق هذا المثال من تفسير قوله تعالى: "ليلا يكون للنّاس على اللّه حجّة بعد الرّسل" من الآية 165 النّساء يتعرض فيه لرأي الأباضيّة في حجّة اللّه على عباده قائلا: "والآية دليل على أنّ حجّة اللّه على عباده الكتب والرّسل والعقل وهذا مذهبنا" ثمّ يستعرض رأي المعتزلة والأشاعرة فيعود ثانية لتوضيح رأي الأباضيّة في القضيّة قائلا: "والمذهب أنّ عليه الحجّة بمعنى الحق عنده، والحكمة أن تحذيرهم بلا بيان لهم ظلم" ثمّ يعقّب على هذا القول: "الّا أنّي أقول حجّة اللّه في توحيده على خلقه أيضا العقل فانّه يدرك انفراد اللّه بالألوهيّة بعقله لدلائل المخلوقات فاذا أدرك الانفراد دعاه ذلك الى خدمة من أوجده وأنعم عليه فيذهب ولو كان في جزيرة لم يلق أحدا الى من يعلمه كيفيّة الخدمة، فيصح بهذا أن صاحب الجزيرة غير معذور ان لم يكن على دين نبيّ من الأنبياء والرّسل والكتب مبيّنة ومفصّلة لدلائل العقل" (2) وفي كتابه كشف الكرب يوضّح هذه المسألة أكثر ويبيّن الفرق بين رأيه ورأي مذهبه قائلا: "... مع ما ضمت اليه من أنّه اذا أدرك التّوحيد أداه الى شكر المنعم فيخرج لينظر بما يشكره به لكّن مذهبنا أنّ شكر المنعم وجب بالشّرع لا بالعقل" (3).

ومن هنا نلاحظ أنّ رأيه لا يختلف كثيرا عن رأي المعتزلة الّا من حيث بعض التّفاصيل، وان كان المفسّر ينتقدهم بشدة في هذه المسألة، وهذا ما سنراه في في مبحثه الخاص به.

---

1) يوسف عليّ يحي معمّر صاحب كتاب الأباضيّة أنّ "حجة اللّه تقوم على الخلق بالرّسل والكتب". ص 60.
2) التّيسير 1/863.
3) كشف الكرب 1/ 29.

ويقول ردّا على من يعتقد أنّ أصحاب الأخدود مؤمنون في تفسير قوله تعالى : " وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود " الآية 07 البروج :" بالاضمار واظهار المومنين فانّ الضّمير لا يرجع الى المومنين بل للكفّار الّذين هم أصحاب الأخدود ودعوى أنّ الضمير عائد الى الكفّار المعلومين من المقام ، وأنّ أصحاب الأخدود هم المومنون تكلّف بارد " ثمّ ينتقد في هذه المسألة صاحب العقيدة (1) قائلا:" وقول صاحب العقيدة رحمه اللّه أنّ أصحاب الأخدود من أهل الجنّة (2) و أنّهم المومنون والمقتولون بالنّار أخذ من الآية لا تفسير لها " (3).

ولا يفوت المفسّر ذكر اختلاف علماء الأباضيّة في بعض المسائل ، وقد يرجّح الرّأي الّذي يميل اليه أو يكتفي بعرض هذه الاختلافات وهو من خلال هذا المثال يتّضح لنا ذلك ، في تفسير قوله تعالى :" أو الطّفل الّذين لم يظهروا على عورات النّساء" من الآية 31 النّور يقول في حكم المراهق:" وفي المراهق في المذهب قولان : بعض يحكم عليه بحكم البالغ ، وبعض لا يحكم عليه به وهو الصّحيح ، وكذا قولان في الشّافعية والمسح أحوط " (4).

وميل المفسّر الى الحكم الأحوط ، اتّقاء للشّبهات من مميّزات المفسّر ، الّذي في معظم الأحيان — يختار الرّأي الّذي يحتاط في الحكم .

كما أنّه يبيّن الاختلافات في بعض المسائل بين علماء المشرق والمغرب واذا اختصّ أحدهما برأي في قضية ما ، نسبه اليه ، لاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى : "ومن خفّت موازينه " من الآية 09 الأعراف يقول : " وقال قومنا وأهل عمان من أصحابنا رحمهم اللّه الثّقل والخفة بكثرة الحسنات وقلّتها وان تساوت الحسنات والسّيئات فمن أصحاب الأعراف." (5).

---

1) يجهل كاتبها غير أنّ ناقلها من اللّغة البربريّة الى العربيّة هو أبو حفص عمرو بن جميع من القرن الثّامن الهجري ، وقام بشرحها كلّ من بدر الدّين أبي العبّاس أحمد بن سعيد الشّماخي ( ... ، 928هـ) وأبو سليمان داود بن ابراهيم الفلاتي ( ... ، 967 ) أنظر ترجمتها في مقدمة التّوحيد وشروحها ، مؤلف التّرجمة ابراهيم أبو اسحاق أطفيش من ص 02 — 10 ).

2) ن.م. ص/65 يذكر من بين أهل الولاية من الرّجال المعصومين أصحاب الأخدود .

3) التّيسير 6/548 .

4) ن.م . 4/395 المجلّد 1 .

5) ن.م. 2/430 أنظر مثالا آخر في ن.م. 1/741 ، ن.م. 2/537 ورأي المغاربة من علماء الأباضيّة يرون أن ما تشخص تائبا محيت سيّئاته وان ما تصرا بطلت حسناته .

ومن الملاحظ ـ أيضا ـ أنّه في كثير من الأحيان ـ عند آستعراضه لآراء المدارس الفقهية المختلفة في مسألة من المسائل يبدأ بذكر رأي مذهبه ، ثمّ ينتقل الى آستعراضه بقيّة الآراء ، وفي المثال التّالي ما يثبت ذلك : في تفسير قوله تعالى :" واذا ضربتم في الأرض " من الآية 101 النّساء يقول مبيّنا حدّ السّفر شرعا :" جاوزتم فرسخين ممّا اتّخذتموه وطنا ولو في الحوزة لحديث الرّبيع رحمه اللّه أنّه صلّى اللّه عليه وسلّم جاوز فرسخين من المدينة الى ذي الحليفة وقال أريد أن أعلّمكم حدّ السّفر (1) وقال مالك . . .ألخ " (2) ولكن لا يعني هذا أنّ المفسّر يلتزم بهذه القاعدة في جميع تفسيره فقد نجده ـ أحيانا ـ يؤجل ذكر رأي مذهبه الى النّهاية أو يذكره بين بقيّة الآراء لا سيّما اذا آتّفق مع مذهب آخر ، لاحظ في هذا المثال ، آخر ما يذكر فيه رأي المذهب الأباضيّ بعد آستعراضه للأصناف الّذين لا جزية لهم :" والمذهب أخذها من الأعمش " (3).

وقد يذكر ـ كما أسلفنا ـ رأي مذهبه في مسألة ما مع بقيّة المذاهب الأخرى المتفقة معه أو يكتفي بدمجه في رأي الجمهور ، وهذا ما سنراه حين تعرّضنا لموقفه من المذاهب الأخرى .

وقد تناول المفسّر بالبحث أهمّ القضايا الّتي يتميّز بها المذهب الأباضيّ لا سيّما العقائديّة ، والأمثلة السّابقة كافيّة لتصور وجهة نظر المفسّر منها ، وطريقة تناولها .

ومن المسائل الّتي تعرّض لها المفسّر والّتي يراها بعض الدّارسين السّبب المباشر لظهور المذهب الأباضيّ ، المسائل السّياسيّة ، وعليه ترتكز مبادؤه في نظر هؤلاء ، ومن أهم هذه المسائل فكرة الأمامة الّتي تبلور مفهومها بعد الفتنة الكبرى الّتي كان يشير اليها المفسّر كلّما وجد آية لها علاقة بالخلافة أو الأمامة محاولا تبيان رأي مذهبه في هذا الخلاف الّذي آنعكست آثاره السّلبية على وحدة المسلمين ، وأحدثت في مجتمعهم تصدعا ، وفي المثال التّالي يبيّن لنا المفسّر وجهة نظر مذهبه من هذه

---

1) ما جاء في كتاب الجامع الصّحيح للرّبيع بن حبيب 4/ 0 9 مجلّد واحد ، قال أنس بن مالك أنّ رسول اللّه ( ص ) صلّى الظهر بالمدينة وصلّى العصر بذي الحليفة ركعتين وبينهما في القياس والتقدير خمسة أميال الى ستة أ هـ.

2) التّيسير 1/ 794 أنظر مثالا آخر في ن.م. 5/ 338، 339.

3) ن.م. 2/ 888.

الأحداث الأحداث التي تعتبر مفترق الطرق في تاريخ المسلمين وذلك في تفسيره قوله تعالى : " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " من الآية 46 الأنفال يستهل حديثه بآستعراض الأحداث في عهد عثمان بن عفان ويرى أنها تمثل جذور خلاف المسلمين متحدثا عن تصرفات الخليفة وحاشيته ثم يعقب على ذلك بقوله :" وآجتماع هذه الأمور ونحوها مسقطة لأن يقال فيه فعل ذلك لمصلحة شرعية اقتضاها الحال " ثم ينتقل الى عهد علي بن أبي طالب مبرزا ندمه على قتل أهل النهروان (1) فيقول : "وقد ندم علي بن أبي طالب على قتل من قتل وقال :" انهم أصحاب القرآن والتوراة والأنجيل ، الا أنه لم يكمل ندمه " ويبين — اثر ذلك — رأي أنصاره الذين آنشقوا عنه وقاتلهم فيقول :" وقد قالوا لا تنزع منك اسم الأمامة وقد ثبتت لك ولو كرهه معاوية " ثم يدعم رأيهم بتأييد عمر بن عبد العزيز لهم قائلا :" وقد ارتضا هم الأئمة عمر بن عبد العزيز وأثبت الأمامة لعلي " ويختم كلامه بقول المسعودي :" ارتقى الأمر بأصحاب معاوية الى أن جعلوا لعن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير ويلعنونه على المنابر" (2).

وفي موضع آخر من تفسيره راح يثبت رأي مؤيدي أمامة علي ، وآستنكارهم للتحكيم على أساس: " أن الأمامة استحقها هو ولا يجوز لمعاوية منازعته فيها ، ولا لعلي تركها " (3).

انطلاقا من موقف الأباضية من هذه الحادثة يبين المفسر رأيهم في الامامة في تفسير قوله تعالى :" فمن نكث فانما ينكث على نفسه " الآية 10 الفتح ومن آستعراضه لجملة من آراء المذاهب يستخلص منها رأي الأباضية الذي يشتمل على مبدئين ، الأول :" والآية تدل على وجوب الأمامة الكبرى ونصح الناس وكل اية أوجبت الإقامة الحدل (4)، واقامة الدين فهي موجبة بالأمامة فهي من القرآن استنباطا وكذا في الأحاديث " الى أن يقول :" وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بآتباع الأئمة ماداموا على الحق فوجوبها بشرع".

---

1) أنظر الواقعة بشيء من التفصيل في شذرات الذهب لابن العماد 1/50 ، 51 .
2) التيسير 2/1 79 ، 79.2 .
3) ن.م. 5/ 475 .
4) لأقامة الحدل .

أمّا المبدأ الثّاني يتمثل في شروط الأمامة فيقول في ذلك :" ويجب أن يكون واحد (1) لئلّا يختلفا فيكون الفساد ، ولا يجب أن يكون الامام أفضل القوم" ثمّ يضيف قائلا :" ويكون الامام من قريش اذا وجد وصلح لا امامة (2) والّا فمن غيرهم ولا يجب أن يكون من بني هاشم " ومن شروطه حسب رأيه :" ولا يكون الأمام بدويا أو عبدا أو طفلا أو مجانا أو أعمى أو أصم أو أبكم أو لا رأي له وان لمّ يجدوا الّا بدّويا تصبوه " وقد أشار من قبل الى أحد أسباب عزله في رأي الأباضيّة وهو :" وينعزل بالفسق اذا أصرّ عليه (3)" وكعادته يدعّم رأيهم بعالم كمن مذهب آخر يتبنّى نفس الفكرة فيقول :" وذكر ابن العربيّ أنّه اذا كان الامام لا ينظر في أحوال النّاس ولا يمشي فيهم بالعدل فقد أزال نفسه من الامامة في نفس الأمر دون الظّاهر واختار أنّه اذا فسق انعزل فيما فسق فيه لأنّه لم يحكم فيه بما أنزل اللّه تعالى ".(4).

من خلال ما تقدم يتجلّى لنا بوضوح انتماء المفسّر الى المذهب الأباضيّ وتعبيره عن وجهة نظر هذه المدرسة الأسلاميّة معتزا بأئمّته ، وموءيدا لآرائه السّياسيّة والعقائديّة والتّشريعيّة ، وان لاحظنا جرأته ، ونزاهته العلميّة وتناول بعض المسائل ولا دّل على ذلك من مخالفته لبعض آراء مذهبه في التشريع ، ولا غرابة في ذلك لأنّه أفتى بعدم جواز عمل المجتهد بخبر رأيه الّا أن ضاق الوقت عن الاجتهاد في مسألة ، وأجاز ذلك بشرط ذكر السّند والمصدر وان كان مخالفا لرأيه (5).

فهذا هو موقفه من المذهب الأباضيّ ، فما هو موقفه من المذاهب الأسلاميّة الأخرى ؟.

---

1) واحدا .
2) للأمامة .
3) أصر .
4) التّيسير 5/414 ، 415 .
5) كشف الكرب 1/84 .

موقفه من المذاهب الأسلامية :

اذا وقف المفسر تجاه مذهبه أو حزبه أو رأيه موقف مدافع ، لا تعصبا له ، انما كان ذلك عن اقتناع ، لأنه تشرب مبادئه ، وأصبح يعتقد صحتها اعتقادا جازما في هذه الحالة لا يمكن اتهامه بالتعصب والتشدد ، لا سيما اذا كان منفتحا على بقية الآراء ، وهذا ما ينطبق على المفسر ، اذ نجده ، يدعم دفاعه عن مذهبه بأدلة و حجج ، مثله مثل سائر المفسرين السلفيين ، يتصرف للمذاهب الأسلامية الأخرى ، ويدعو الى وحدة الأمة الأسلامية ، وتجاوز الخلافات ففي تفسير قوله تعالى : " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " من الآية 46 الأنفال يقول :

" . . . والنزاع لا ن فشا في أهل التوحيد ، فملكهم أهل الشرك ، ولو رجعوا الى مذهبنا في الأصول أو فصلوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن وكانوا يدا واحدة لغلبوا على أهل الشرك" (1) ، واذا لاحظنا دعوته الى الرجوع الى المسائل المذهب الاباضي الأصولية ، لاعتقاده بصحتها ، لأنه يرى :" في كل مذهب راجح ومرجوح وأكثر مسائلنا في راجحات والحمد لله وكلها حق في الأصول" الفروع لكن نزاهته ، واذ عانه للحق جعله يرى أن :" اذا ترجح قول غيرنا في مسألة من الفروع على قولنا بأدلة أو ذكروا مسألة لا بأس بها ولم تذكر في المذهب جاز ذكرها " ويرد على من يتعصب للمذهب ويكر عليه استشادته عن المذاهب الأخرى والرجوع الى مسائلها اذا كانت صحيحة قائلا :" ومن العجيب أن تكون المسألة حقا فتترك لأنها جاءت من مخالف هذا غلو وأذكروا قوله تعالى : في غير أهل القبلة ، ولا يجرمنكم شنآن قوم " (2).

ويستنكر على من يرى مسائل الغير مرجوحة قائلا :" ومن أين لك أن تريد مسائلهم كلها ؟" الى أن يقول :" وقد علمت أن الغلو حرام " (3).

---

1) أ محمد بن يوسف أطفيش (التيسير ) 2/791 .
2) المائدة/ 08 .
3) كشف الكرب 1/90، 91 ـ 95 .

ويذهب المفسر الى أبعد ذلك ، اذ يستحسن الدعوة الى الرجوع الى السنة لاستنباط منها الأحكام ، وحرق كتب الفروع ، وورد ذلك في تفسيره للآية الأولى من سورة الحجرات حيث يقول : " وقد أمر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع وردّ الناس الى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها ، وكتب بذلك وهو في المغرب الأقصى الى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والحدوة فلت ذلك حسن ولولا أنه لا يقدر الطلبة كلهم على الاستنباط وليس يوجد في كل قطر طالب يستنبط فقد يتعطل أمر العامة بذلك ، وليس يوجد في كل موطن مجتهد .."(1)

استحسانه لهذه الدعوة دال على ايمانه بتقارب المسلمين ، والمذاهب ، وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على تحرره من التعصب المذهبي السائد في عصر الانحطاط ، وهذه الفكرة تعتبر سابقة لأوانها في ذلك العصر .

واذا قلنا التحرر لا يعني ذلك — بعد المفسر للفكرة المذهبية ، وانما نقصد منه تحرره للمذاهب الاسلامية المختلفة دون عقدة نقص ، فنجده يسرد آراءها وكأننا نقرأ كتابا في الفقه المقارن ، حتى لا نكون مبالغين حين نقول في الفقه المقارن ، ومن غير الانصاف الحكم عليه بالتعصب اذا أخذنا بعين الاعتبار عصره ، وأفكاره التي أشرنا اليها سابقا (2) ، على الرغم من ظهور بوادر الحركة الاصلاحية التي لم تتبلور أفكارها على الأقل في المغرب العربي ، ومن خلال دراستنا لموقفه من المذاهب الاسلامية المختلفة تتجلى رؤيته أكثر وضوحا .

موقفه من الأشاعرة :

يبدو للدارس من أول وهلة أن المفسر أولى اهتماما خاصا لآراء المذاهب الأربعة ، ومنها لمعتقدات الأشعرية ، وذلك بتعرضه لها في المسائل الخلافية وغيرها ، ويشار اليها في غير رؤيته الخالصة الذكر من المذاهب ، ويؤكد هذه الرؤية في حديثه عن الاعتقاد من كتب الحديث قائلا : " . . . وما خالفونا فيه أولته ، وان كان هو الحق أبقيته وصححته ولا حرج من خالفنا في الأصول " (3).

---

1) التيسير 5/453 ، 459.
2) التفسير والمفسرون 2/323.
3) التيسير 4/800 المجلد 2.

ومن هذا ينتقد هذه المدرسة في مسائل الأصول ، وأحيانا يكون انتقاده عليها يدخل من ايمان المفسر بمسائل الأباضية الأصولية واعتقاده بصحتها ونظرته هذه رابطة - أيضا - من ايمانه أن الحق في الأصول مع واحد وغيره مخطئ بينما الحق في الفروع مع واحد فقط ، وقد يخطئ الباقون ولا اثم على المخطئ (1) ، وهو رأي المنتصبالأباضي في هذه القضية ، ولا عجب - اذن - اذا وجدناه ينتقد آراء غيره في الأصول ويخطئها ، ويدعو الى اعتقاد آراء مذهبه ، ولذلك نجده يستنكر الخلاف في الأصول قائلا :" في تفسير قوله تعالى :" ولا تكونوا كالذين تفرقوا . . " الآية 105 آل عمران" وكالقائلين في هذه الآية الأباضية بما لا يجوز الخلاف في نفيه كرؤية الباري ، وكون صفات غيره ، واثبات الجوارح بلا كيف" ولكنه يجيز الخلاف في الفروع ويتجلى ذلك في قوله :" . . وأما الاختلاف فيما يجوز فيه من الفروع للمجتهدين من الصحابة ومن بعدهم فلا بأس به بل موجودة" ( 2 ) ولكننا لا نجد تفسيرا لقوله :"وقوما يفسدون جمعتهم برفع الأيدي وأخذ الأيمن على الشمال لأحاديث وضعها أوائلهم أو غيرهم وهب أنها صحت عنه صلى الله عليه وسلم لكن ذلك لداع مثل أن يقع سلاح من قابضة للشمال هل صح أنه أدام صلى الله عليه وسلم ذلك كما يديمه هؤلاء ولو أدامه لشهر ولم يختلف (3) فيه وكذا يفسدون سائر صلواتهم" (4) فاذا أجاز المفسر - كما رأينا سابقا - الاختلاف في الفروع فلا يمكن الحكم على فساد الصلاة برفع الأيدي والقبض للشمال الا اذا تحقق عدم صحة الأحاديث الواردة في الموضوع ، ويتطلب ذلك دراسة تسلط على هذه الأحاديث مقاييس التحقيق لمعرفة مدى صحتها أو ضعفها ، وربما حكمه هذا صادر على استنكاره لذلك لا غير فلعل أقسى حكم أصدره في حق مخالفي المذهب الأباضي كان في قوله تعالى :" والآية (5) دليل على كفر مجيز الرؤية دنيا وأخرى ، وذلك لأن اجازتها ولو في القلب

---

1) كشف الكرب 1/34 .
2) التيسير 1/561 ، 562 .
3) يكون الصحيح : ولو أدامه لشهر لم يختلف فيه .
4) ن م . 6/215 .
5) البقرة / 56 .

اجازة لتكييفه ، وتكييفه ممتنع لأن فيه تشبيه ، وادراكه بالقلب تكييف لا يتصور بدونه فلا يصح قولهم بلا كيف وتكييفه في القلب بلا تقدير أن يكيفه لغيره ، ومن نفس المحذور" (1) ويرد في موضع آخر ردّا على من يفسر الآية الكريمة " ثم استوى على العرش " الآية 3 يونس على ظاهرها " مع القول بلا كيف أنه دخول في التأنيسة بعد ورود النص ، ويمضي في تفنيد هذا الاعتقاد ، واثبات عدم امكانية ذلك (2) وقد تعرض لهذه المسألة في سورة الأعراف بتفصيل أكثر ومما ورد فيها قوله " ومن فسر الاستواء بظاهره كفر" (3) والمفسر في مناقشته لأفكار مخالفيه يستعرض آراءهم وحججهم ثم يتصدى للرد عليها ، وتفنيدها ، لاحظ ذلك مثلا في تفسيره قوله تعالى :" لقد رأى من آيات ربه الكبرى " الآية 18 النجم فهذه يسرد أحاديث رواها السيوطي عن الرؤية ثم يناقشها محاولا تفسيرها تفسيرا ينفي الرؤية ، أو يحتمل وضعها ويمضي رده بقوله :" . . وحجج اثبات الرؤية والتأويل اليها ، وحجج خلق الفاعل فعله (4) وحجج المجبرة (5) واهية متكلفات كما هو شأن العاجز شبيهة بقصد العناد " ثم يذكر ما روي عن أحمد بن حنبل :" أنه سئل عن الرؤية قال :" رآه ، رآه رآه حتى يقطع نفسه عنادا وعجزا وذلك نهاية الافتراء أو قال يراه ، يراه يراه وذلك في الآخرة "(6).

ويسوق في كثير من الحالات حجج خصومهم وردودهم بغية تفنيدها : أنظر في المثال التالي كيف يسفه هذه الحجج بقوله :" . . ولقولهما هذا تخاليط تؤدي الى التشبيه يردها المبتدئ المعتقد بأنه لا يشبه شيء ولا يشبه شيئا فيتهكمون ويقولون بلا كيف كقولهم ناداه بكلامه القديم الذي لا صوت فيه وقولهم بالتخلي له بما شاء حتى سمع كلامه بصوت ، ومن وجبت مخالفته للحوادث سبحانه تعالى وجب أن لا تحسه الحوادث بأذن ولا عين ولا يخبرها والا ناقض المخالفة " (7).

---

1) ن م . 1/ 63 .
2) ن م . 3/ 05 ، 06 .
3) ن م . 2/ 545، 546 .
4) مذهب المعتزلة والامامية أنظر محمد جواد مغنية صالم الفلسفة الاسلامية ص146، 147
5) قول جهم بن صفوان ( 128هـ) وأتباعه ويدعون الجبرية .
5) التيسير 5/ 573 ، 579 .
7) ن م . 4/ 623 المجلد 02 .

وفي بعض المواضيع يقتصر على سرد آرائهم دون التعليق عليها لاحظ ذلك في هذا المثال الذي تعرض فيه لقضية مرتكب الكبائر، فبعد استعراضه لرأي الأباضية في القضية يقول : " .. والأشاعرة أجازوا العفو عن الكبائر في غير الشرك بلا توبة وسموها الصغائر وهذا تغيير لما قبله أو يراد بما قبله الكبائر وبهذا الصغائر " (1) وذلك في معرض تفسيره لقوله تعالى :" ويعفو عن السيئات " الآية 24 الشورى .

ومما تقدم نستنتج أن المفسر يفند آراء الأشاعرة المخالفة لمذهبه في الأصول ، ويحكم عليها بالبطلان محاولا ردها وابطالها ، مع احتمال وضع الأحاديث المعتمدة أو تأويلها بما يتفق مع أصوليها وكان ودّه كما سبق ذكره عنيفا وشديدا أحيانا يدل على استنكاره لهذه الآراء والتي يراها مخالفة للصواب ، وعلى اعتقاده الجازم بصحة آراء مذهبه .

غير أن رؤيته في الفروع تختلف كل الاختلاف ، فقد جعل من تأليفه في الفقه والتفسير كتبا لمعرفة آراء الأباضية والمذاهب الأربعة ، وبل يتعداها أحيانا الى بقية المذاهب الاسلامية ، وقد وردت فيها أسماء أئمة المذاهب الأربعة وأعلامهم ومختلف آرائهم مع آراء المذهب الأباضي ، وليبين أسبقية نشأة المذهب الأباضي على المذاهب الأربعة يستعرض تواريخ ولادة أئمتهم في تفسيره لقوله تعالى : " كل حزب بما لديهم فرحون " الآية 53 الروم مبينا ، وقبل ذلك أشار الى أن المسلمين كانوا :" لا يعرفون الا القرآن والسنة والاجماع والاجتهاد لمن تأهل له " ثم ينتقل الى بيان نشأة المذاهب قائلا :" ثم كانت المذاهب والتقليد ، وانما ظهر بعضها في أواخر القرن الثاني ، فان عمر مالك عام واحد حين مات امامنا جابر بن زيد اذ مات عام ستة وتسعين ومالك ولد عام خمسة وتسعين ومات عام مائة وتسع وسبعون وعمر أبي حنيفة حين مات جابر خمسة عشر عاما لأنه ولد عام ثمانين من الهجرة ومات عام مائة وخمسين ، ولا وجود للشافعي وأحمد في زمان جابر لأن الشافعي ولد سنة مائة وخمسين ومات سنة أربع ومائتين وأحمد سنة مائة وأربع وستين ومات عام مائتين وواحد وأربعين " ويسترسل .. اثر ذلك في الحديث عن تاريخ انتشار بعض هذه المذاهب ، وما تلقي أئمتهم من الاضطهاد ثم ينتهي

---

(1) ن م . 5 / 233 .

حديثه بقوله :" فأين الاتفاق على هؤلاء الأربعة ".(1)

واذا وجد اتفاقا في مسألة بين الاباضية وأحمد هذه المذاهب ، ذكرهما معا مثلما فعل في تفسير قوله تعالى :" ويتركهم من عذاب اليم " الآية 31 الأحقاف حيث يذكر اتفاق الاباضية ومالك بن أنس في اعتقادهما أن لا قرار للمكلف بعد البعث الا الجنة والنار والجن يثاب أو يعذب كالانسان ولا فرق بينهما (2).

كما يذكر مثل هذا الاتفاق مع المعتقدات الاشعرية ويردها لا لذلك في تفسير قوله تعالى :" لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " الآية 165 النساء اذ يقول :" والآية دليل على أن حجة الله على عباده الكتب والرسل والعقل ، وهذا مذهبنا ومذهب الاشاعرة" (3).

ومن خلال دراسته للمذاهب الاربعة واطلاعه الواسع عليها ، يستنتج أن :" أبي حنيفة وهو عالم كثر الوفاق بينه وبيننا معشر الاباضية الوهبية في المسائل" (4) ولعل هذا التقارب بين المذهبين ناتج عن تشابه العوامل المحيطة بهما في بيئة حضرية ، وفي خضم التيارات عقائدية ، وجدال في علم الكلام ، والعامل الثاني الناشئ من الاول وهو ادخالهما الى مدرسة الدراية.

ونراه في هذا المثال كيف يرجح بين المذهب الاباضي والمذاهب الاربعة في مسألة السعي في الحج مستعرضا آراءها وأدلتها مرجحا رأي الاباضية وأبي حنيفة وذلك في تفسير قوله تعالى :" فمن حج البيت أو اعتمر " الآية 158 البقرة يقول المفسر :" .. ولا حجة فيه لمن قال بأنه غير واجب لأحاديث الوجوب وهذا مذهبنا ومذهب أبي حنيفة وان لم يسع لزمته شاة وقيل بدنة ، وقال مالك والشافعي يبطل الحج بتركه للحديث وقال أحمد سنة غير واجبة ويرده الحديث" ويمضي في استعراض أدلتهم الى أن يقول :" ولنا الحديث دليل للوجوب ولا دليل للشافعي ومالك على أنه ركن يبطل الحج بتركه " (5).

---

1) ن . م . 4/340 المجلد 2 .
2) ن . م . 5/358 أنظر مثلا الآخر يذكر فيه اتفاق الاباضية مع الشافعي في ن . م . / 1/388 ، 388 وفي ن . م . 6/242 ـ 255 ، وفي د . م . 1/262 أيضا يشير الى اتفاق الاباضية مع أبي حنيفة .
3) ن . م . 1/368 .
4) ن . م . 1/326 .
5) ن . م . 1/199 .

وبهذه الطريقة يتعرض المفسر في المسائل الفقهية خصوصا لآراء علماء الأباضية والمذاهب الأربعة، تارة يجمع بين الأباضية وأحد هذه المذاهب أو أكثر وتارة أخرى يكتفي بذكر رأي مذهب واحد اذا أنفرد برأي في مسألة ما ففيما فيه وقد يجمع بين رأي بعض الأباضية وغيرهم مثلما فعل في هذا المثال الذي تحدث فيه عن مدة قضاء رمضان: " وذكر بعض أصحابنا وشهوره وبعض قومنا (1) أنه ان بدأ من أول الشهر أتمه زاد على رمضان أو نقص" (2).

بينما نجده في هذا المثال يذكر الشافعي الذي أنفرد برأي في القتل قائلا: " .. عمم الشافعي القتل بمثل ما قتل به محتجا بالآية كقتل بمحدد وخنق وحرق وتجويع وتغريق حتى لو أغرقه في عذب لم يغرقه في ملح." (3). وذلك في تفسير قوله تعالى: " فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم " الآية 194 البقرة.

ويسلك نفس الطريقة مع بقية أئمة المذاهب الأخرى أو غيرهم، كما تناول بالبحث الحالات المعروفة عن أئمة هذه المذاهب في بعض المسائل، أو التي تكون بين علماء المذهب الواحد على قرار ما رأيناه في معالجته للمذهب الأباضي، فلاحظ ذلك في المثالين التاليين.

في تفسير قوله تعالى: " فما استيسر من الهدي، فمن لم يجد ... في الحج " الآية 196 البقرة يستعرض آراء المذاهب في وقت ذبح الهدي قائلا: " .. وقال الحنفية اذا جاء يوم النحر لم يجز الا الذبح، ومذهبنا ترجيح تأخير ذبح هدي المتعة الى يوم النحر والمشهور عند أبي حنيفة أنه بين الأصلال من العمرة والاحرام بالحج وأجازه بعد الاحرام به، وقال الشافعي يذبح بعد الاحرام بالحج، وعن أبي حنيفة أنه يذبح يوم النحر فقط ويذبح في الحرم فقط.." (4)

---

1) يطلق هذا الاسم على المذاهب الأربعة.
2) ن م. 232/1.
3) ن م. 252/1.
4) ن م. 267/1.

وفي تفسير الآية " وسبحة اذا رجعتم " يسرد الآراء المختلفة في وقت صيام هذه الأيام قائلا : " ومذهب أبي حنيفة في مكة وقال الشافعي اذا وصلتم أهلكم وله قول كقولنا وقول أبي حنيفة ومن ابن عباس اذا بلغتم أمصاركم وحكم ساوي الاقامة بمكة حكم واصل أهله . . . وقال مالك يجوز صيامها في أيام التشريق" ويرد على القول الأخير " ويزعم أن فيه حديثا ." (1)

نستخلص ممّا تقدم أن للمفسّر اطلاعا واسعا على مسائل الأشاعرة العقائدية والأحكام الفقهية في المذاهب الأربعة ، يتجلّى ذلك بوضوح في تفسيره ، وبل في معظم كتبه الفقهية ، وقد كان يفنّد مسائل معظم الفلاسفة في الأصول جملة ، بينما يعتبرها في الفروع آراء لها قيمتها ، يستعرضها مع أراء الأباضية ، ويأتي به يريد التقريب بينهما ، ولا يغفل عن الاستشهاد بأدلتها النقلية والعقلية ، ورد ما يراه يستدعي الرّد ، وكان — أحيانا — عنيفا لا سيما في المسائل الأصولية ، ومن هنا كان تفسيره شاملا لآراء هذه المدارس الأسلامية الفقهية واتجاهاتها ، محاولا ابراز المدرسة الأباضية كمدرسة لها كلمتها في التفسير والفقه ، ولا تختلف عن غيرها .

موقفه من الشيعة :

إنّ موقفه من الشيعة يختلف تمام الاختلاف عن موقفه من الأشاعرة وهذا الاختلاف يتجلّى في الرّد عليهم ، الى درجة تكذيبهم في بعض المسائل لا سيما في قضية الخلافة ، وما وضعوا من الأحاديث في هذا الموضوع ، وانتقادهم لآرائهم في بعض مسائل أخرى .

ففي قضية الخلافة يردّ دعواهم في أن عليا أستحق بالخلافة بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيقول في تفسير قوله تعالى : " كما استخلف الذين الخ . . . " الآية 55 / النور : " والآية حجّة على صحّة خلافة الأئمة الثلاثة والرابع علي وهو نفسه مقرّ بامامة الثلاثة قبله ومن ذلك أنه استشاره عمر في قتال فارس بنفسه الخ . . "(2)

---

1) ن . م . 1/263 .
2) ن م . 4/ 423 المجلّد 1 .

وفي موضع آخر يرد زعم الشيعة المنحرفة المعتقدة أن عليًا أحق بالرسالة من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى الطريق الذي يرى الرأي السابق في الخلافة قائلا: " . . . وزعمت بعض الشيعة أنه هذا المعنى على الناس وأن عليًا هو الامام بعد الآية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رسول الله وأن عليًا هو الرسول، وأنه هو المراد بلفظ الرسول في الآية وأن المعنى انما وليكم الله ومن اتصف بالرسالة والايمان واقامة الصلاة الخ . . . وبعض الشيعة أنه الامام بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبو بكر ولا غيره وأنه المراد بقوله الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون" ثم يعوق أن تنتهي ويقتدوا (1) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى: " انما وليكم الله ورسوله والذين . . الخ " الآية 55 / المائدة.

وأستنكر له نفوذهم في الصحابة دفعه الى اعتبارهم ممن فرقوا دينهم مثلهم مثل أصحاب الديانات السابقة ويتجلى ذلك من تفسير قوله تعالى: " ان الذين فرقوا دينهم " 159 / الأنعام ويقول ضاربا أمثلة: " . . وأن عليًا أولى بالامامة، وأن الامامة في أولاده الا الحسين بن علي بن الحسين بن علي لأنه لم يخرج أبا بكر وعمر، وكذبت الشيعة فانه لم ينفعهما أحد تبلسه أيضا من أولاد علي " (2).

ويرى أن الغلو أدى بهم الى تقديس آل البيت، ووضع أحاديث في شأنهم واعتبارهم أن بعض الآيات نزلت في مدحهم ومن ذلك ما نقرأه في تفسير قوله تعالى: " الذين اصطفينا من عبادنا " 32 / فاطر.

وزعمت الشيعة أنهم آل البيت والصحيح أنهم الأمة أو علماؤها، فيدخل متقدو آل البيت أولا." (3).

ومن الأمثلة في وضع أحاديث للاشادة بعلي وآل البيت قوله في تفسير الآية 32 / طه: " انك كنت بنا بصيرا ".

---

1) ن م. 2/ 112، 113.
2) ن م. 3/ 472، 473.
3) ن م. 4/ 973 المجلد 2.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم اشرح لي صدري وأن تيسّر لي أمري وتحلّ عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي عليّا أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيرا ونذكرك كثيرا انّك كنت بنا بصيرا وقد حديث رتبه أسماء بنت عميس فيما ذكره ابن مردويّة والخطيب وابن عساكر وأطنّه موضوعا وضعته الشيعة ليستدلّوا به على أنّ عليّا أولى بالامامة من الصدّيق وعمر وعثمان وينعوا الى ما يروا من قوله صلّى الله عليه وسلّم له أنت منّي بمنزلة هرون من موسى والمراد بحلّ عقدته عليه الصلاة والسلام دوام فصاحته والّا فلا رتة له الآن أراد رتة ولده الحسن كما مرّ" (2).

وبلغ به الشك في مثل هذه الاحاديث التي رواها الشيعة الى حدّ تحذير القارئ منها في قوله :" .. واذا جاءك حديث في أهل البيت وفي سنده شيعي فاذا حذرك فانهم يكذبون " (3).

ومن القضايا التي تعرض لها المفسّر منتقدا فيها الشيعة، ولا سيّما الامامية قضايا في التشريع منها مثلا الميراث، لاحظناه في هذا المقام كيف يردّ بعض علماء الامامية في تفسير قوله تعالى :" وللنساء نصيب ممّا ترك .. أو أكثر" الآية 07 النساء." .. وقبح الله الامامية اذ خصّوا الابن الكبير بالفرس والدرع والسيف والمصحف والخاتم والثوب البدنيّ من تركه الميّت بلا عوض عند أكثرهم وهو مخالف لكلام الله تعالى كما تقدم توريث النساء من العقار" (3)

وممّا ينسب الى الامامية قولهم بجواز الوصيّة للمشرك إن كان أبا أو أمّا أو ولدا (4)، ويقول عن الشيعة في مسألة أمهات المؤمنين :" .. وزعم الشيعة أنهم صلّى الله عليه وسلّم أمر عليّا أن يطلّق من شاء منهن بعد موته وأنه طلق عائشة يوم الجمل، وذلك كذب عليه صلّى الله عليه وسلّم وعن علي" (5) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى :" وأزواجه أمهاتهم" 06/ الأحزاب.

---

1) ن م. 4/ 103، 109، لعلّ الصحيح ، بعوله .
2) ن م. 3/ 137.
3) ن م. 1/ 631.
4) ن م. 4/ 305 المجلّد 2.
5) ن م. 4/ 304 المجلّد 2.

وكان في مسائل أخرى يسرد آراءهم مع بقية المدارس الفقهيّة الأخرى ومن ذلك قال: " وأجازت الإماميّة من الشيعة شهادة العبد المسلم البالغ العدل" الى أن يقول بعد ذكر بعض العلماء الذين يتفقون معهم " وهو مردود " (1).

ومن هذه الأمثلة يتّضح لنا موقف المفسّر الواضح من هذه المدرسة الذي يدّل على رفضه لأفكارها التي يراها مخالفة لاجماع المسلمين، ولا سيّما في مسألة الخلافة التي كانت مصدر افتراق المسلمين إلى شيع ومذاهب.

وأمّا في القضايا الأخرى التي لا يظهر تناقضها الصريح مع مدلول الآية ويشتمّ منها رائحة تأييد اتجاهاتهم وأفكارهم مثل بعض الأحاديث أو تأويل بعض الآيات فمثل هذه القضايا يذكرها على أساس أنّها قضايا اجتهاديّة تمثّل وجهة نظر تلك المدرسة.

موقفه من المعتزلة:

لعلّ حكم صاحب كتاب " التفسير والمفسرون " على تأثر المفسّر بآراء المعتزلة ومجاراتهم في بعض عقائدهم (2) يعود الى عدم أطلاعه الواسع على عقائد الإباضيّة التي تتفق مع هذه المدرسة في بعض المسائل (3) كما تختلف معها في مسائل أخرى، وهذا الحكم ينطبق على جميع المدارس الإسلاميّة التي تكوّن مجموعة المذاهب المعتدلة والمتفقة على الثوابت والمبادىء الأساسيّة، فموقف المفسّر من هذه المدرسة نابع من هذا الاختلاف والاتّفاق، فعندما يتعرض لمسائل الخلاف ينتقد بشدة هذه المدرسة، ويردّ بعض آرائها ويظهر ذلك في الأمثلة التالية: —

1) خلق الأفعال أو حرية الإنسان:

يعالج هذه المسألة في تفسير قوله تعالى: " ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعا " الآية 99 / يونس، مبتدأ شرح الآية بتبيان وجهة نظر جمهور العلماء ثمّ تعرض لرأي القدرية والمعتزلة قائلا: " .. قول القدريّة أن المراد مشيئة الالجاء وهم المعتزلة (4) اذ زعموا "أن أفعال العباد مخلوقة لهم لا لله، وأنهم القادرون عليها " وبعد استشهاده بحديث القدريّة مجوس الأمة، وأعتبار علماء ما وراء النهر هذه الفرقة شرّا من المجوس يضيف قائلا: " لأن كلّ فاعل عندهم خالق

---

1) ن.م. 1/ 421.
2) التفسير والمفسرون 3/336.
3) آراء الخوارج الكلامية 1/ 133، 184.
4) يعزو أحمد أمين تسمية المعتزلة القدرية وأعتبارهم فرقة واحدة لاتفاقهم على هذه المسألة وهذا ما جعل المفسّر يطلق على المعتزلة القدرية فجر الإسلام / 287.

لفعله حتي الدّواب " (1).

وفي معرض تفسير قوله تعالى :" . . فتبارك اللّه أحسن الخالقين " 14 / المومنون يقول ردّا على المعتزلة :" . . زعم المعتزلة أنهم خلقوا أفعالهم و معنى حسن خلقه للأشياء اتقانه أو انتفاء القبح في فعله و هو تعالى يخلق القبيح و الحسن لا كما قالت المعتزلة أنّه لا يخلق المعاصي (2).

2) التّحسين و التّقبيح العقليان : (3)

يرى من الفكر الاعتزالي بأهمية العقل في ادراك الحسن و القبيح ، ولو بدون أن يسترشد بشريعة الهيّة تضع له الضّوابط ، و تبيّن له الخير و الشّر ، و المفسّر ينتقد هذه المدرسة في نظريتهم هذه في عدّة مواضع من تفسيره منها قوله :" . . و لا نقول بالتّقبيح و التّحسين العقليين كما قالت المعتزلة أنّ العقل يدرك الأمور الشّرعيّة كلّها بلا كتاب و لا رسول ، انّما الكتب و الرّسل للتّشبيه ، و أنّ معنى الآية لم يبق على اللّه حجّة و ان لم يرسل الرّسل و الكتب ، فقد نصّت الأشعريّة على أنّه لا حجّة عليه أيضا لأنّ له أن يفعل في خلقه ما شاء و المعتزلة بهذا أولى لأنّ العقل عندهم وحده حجّة" و ذلك في معرض تفسير قوله تعالى : " لئلا يكون على اللّه حجّة" الآية 165/ النّساء (4).

و قد ندّد المفسّر بأعتقادهم في هذه المسألة في بعض المواضع و شبّههم بتصرفات ابليس من ذلك قوله في تفسير الآية 12 / الأعراف " قال ما منعك ألّا تسجد إذ آمرتك" ، يقول المفسّر :" و في جوابه إشارة الى أنّ من شأنه الخلق من النّار لا يحسن السّجود لمن ليس منها فكيف يومر و المعتزلة اخوانه في التّحسين والتّقبيح العقليين (5) في التّكليف " (6).

---

1) التّيسير 3/114

2) ن .م . 4/333

3) نقل عمّار طالبي في كتابه آراء الخوارج 1/156 — 159 عن أصحاب المقالات اعتبار الخوارج بما فيهم الاباضية من القائلين بالتّحسين و التّقبيح العقليين ، و يؤكّد هذا الرّأي عند حديثه عن الخوارج و المعتزلة ن .م . 134 .

4) ن .م . 1/363 .

5) العقليين .

6) ن .م . 2/496 .

3) مسائل مختلفة :

ومما نسب المفسّر الى الفكر الاعتزالي انكاره للحساب وورد ذلك في تفسير قوله تعالى : " يحاسبكم به اللّه " البقرة / 284 حيث يقول : " وأنكرت المعتزلة والرّوافض (1) الحساب ويردّه عليهم القرآن والسّنة وتأويلهم تكلّف " (2).

وأورد صاحب تفسير ( روح البيان ) نفس الفكرة عن المعتزلة والرّوافض في تفسير نفس الآية قائلا : " أي يجازيكم يوم القيامة وهو حجّة على منكري الحساب من المعتزلة والرّوافض. " (3)

إنّ المتأمّل في هذا الحكم على المعتزلة الذّين يؤمنون بالوعد والوعيد ويبنون عليها بعض مبادئهم ، ويقولون بخلود الفاسق في النّار ويعتقدون بمبدأ العدل يرتاب منه ، ويدعوه الى التّحقيق في ذلك ولعلّ اعتماد هؤلاء العقل دعاهم الى انكار محاسبة ما توسوس به النّفوس أو يعزم عليه الانسان من المعاصي فهذا مجرد احتمال ، لكن ما لا يتقبّله المنطق هو انكارهم للحساب جملة ، ولعلّ هذا الحكم ناتج عن سوء فهم بعض النّصوص وتفسيرها بغير حقيقتها .

وهذه الظاهرة أدّت في كثير من الأحيان الى اتّهام فرقة من الفرق بمسألة ربّما تعتقد نقيضها ، ولا عجب في ذلك سيّما اذا صدر هذا التّصرف من علماء عصر كثر فيه الجدل ، ومادام يصدر من باحثين معاصرين وفي رسائل جامعيّة مثل ما ورد في كتاب ( آراء الخوارج الكلاميّة ) الذّي اعترف بتمسّك الأباضيّة بالسّنة والاجماع الى درجة تكفير من ينكر أحدهما ولكن في موضع آخر من الكتاب يشار القائلين بانكار الخوارج للسّنة ويسوق لذلك دليلا من أحد كتب مفسّرنا قائلا : " ولكن ينبغي أن نعترف بصواب بعض ما أشار اليه البغداديّ الذّي زعم أنّ الخوارج أنكرت جميع السّنن لأنّها تكفّر مخالفيها من الرّواة ، وذلك لأنّ الأباضيّة التي وصلتنا بعض مؤلفاتها تقرر عدم الأخذ بقول المخالف لهم ، ولا يحسن عندهم النّقل وان كان ثقة عالما .

---

1) الرّوافض والرّافضة فرقة من الشّيعة رفضوا خلافة الخليفتين أبي بكر وعمر ، وجعلوا الامامة بعد الرسول صلّى الله عليه وسلّم لعلّي .
2) التّيسير 1/ 480 .
3) اسماعيل حقّي البروسويّ ( روح البيان ) 3/444 المجلّد 1 .

التحكم الا اذا كان ما ينقله حقا " (1)

اعتمد في دقته للرأيين على كتاب ( شامل الأصل والفرع ) للمفسر ، واذا أمعنا النظر فيهما نلاحظ تناقضا بينهما ، فمن جهة يعترف بتمسك الاباضية بالسنة والاجماع ومن جهة أخرى يستدل بما يؤيد رأي القائلين بأنكار السنة ، واذا اجهد الباحث نفسه قليلا وتصفح المصدر الذي أستقى منه معلوماته ، وأمعن النظر أكثر في النص انتهائي ، لتوصل الى نتيجتين :

1) يريد من قوله الثاني التشديد في قبول الروايات من المخالفين ، وتحري الصحة وهذا ما يدعو اليه كل المحدثين الذين يشددون تنقية السنة من الشوائب والوضع .

2) يجد في مصدره نفسه أحاديث كثيرة استشهد بها في مواضع عدة تلفة ، استمد مادتها من كتب الصحاح ، وباعترافه أنه استفاد من هذه الكتب لوضع كتابه في الحديث ( جامع الشمل ) و ( وفاء الضمانة ) وقد أشرنا الى ذلك في هذه الدراسة .

ولذا فمن الانصاف وتحري الموضوعية العلمية وانشاد الحقيقة أن لا نسلم بالتحكم الموجهة الى الخصم في ظروف سادت فيه العداوة والبغضاء بين الفرق الاسلامية الا بعد التحقيق في صحتها ، والعودة في ذلك الى مصادرها وهذا ما دعا ابراهيم أبو اسحاق الى القول : " .. ولا أظن أن المعتزلة مع ما بلغوا اليه من العلوم وتبحروا في الفلسفة حتى قيل لهم حكماء الاسلامية يقولون بخلق الأفعال على معنى الايجاد والابداع " الى أن يقول : " ثم ان المعروف المذهبية تدفع الكثير الى الافتراء على الخصم تشويها للسمعة وكيدا في مبالغة في الكفاية وما يدرينا أن ما نراه منسوبا الى كثير من الفرق الاسلامية من قبيل الدعاية الفاجرة المجرمة مادمنا لم نقف على نصوصها في كتبهم وانما يمليها الخصم لخصمه وازداد يقيني في هذا بما أراه لهؤلاء القوم من الأباطيل التي يعزونها لأصحابنا رحمهم الله "(2).

---

1) آراء الخوارج الكلامية 1/161 ـ 163 .
2) مجلة المنهاج العدد 3 ، 4 ص 30 ، 31 .

وما يقصّ في عصر البحث العلميّ من افتراءات على الخصم لا سيّما في المجال العقائديّ والفكريّ يجعلنا نشاطر هذه الفكرة، وندعو الى التأكد من الأخبار التي تبلغ الأسماع، فقد يكون هذا الافتراء عن نيّة سيئة مبيتة أو سوء فهم النص، وله دم تفسيره في نطاق الظروف المحيطة بالقائل، ولكن هذه الأسباب نوثاب من انكار المعتزلة للحساب.

ويواصل المفسّر تفنيد بعض اعتقادات المعتزلة وآرائهم من جملة هذه الاعتقادات النابعة من ايمانهم بمبدأ العدل، وقولهم بالواجب على الله في قبول التوبة من التائب ويردّ عليهم المفسّر قائلا: "... وان تاب في بعض المعاصي وأصرّ على بعض صحّت توبته من ذلك البعض فلا يعاقب في الآخرة الا على ما أصرّ عليه وأكثر المعتزلة على أنها غير صحيحة، وقبول التوبة غير واجب على الله عزّ وجلّ ولا واجب على الله عزّ وجلّ عند المعتزلة" (1).

ومن هنا نستنتج الخلاف بينهم وبين الأباضيّة في مسألة الوعد والوعيد والمتمثل في الوجوب على الله تحقيقهما في دار المدرسة الأولى، وفي دار المدرسة الثانية، وجوب على الله ولكنه صادق في وعده ووعيده، بينما يقول الأشاعرة: "لا يجب على الله شيء وله أن يعاقب المطيع ويثيب العاصي." (2)

وعملا بمبدأ الوجوب على الله يرى المفسّر أنّ المعتزلة والامامية (3) من الشيعة يقولان بوجوب نصب الامامة على الله تعالى (4) ولكنّ صاحب كتاب (معالم الفلسفة الاسلاميّة) يفرّق بين رأي المعتزلة والامامية بقوله أنّ المدرسة الأولى ترى بوجوب نصب الامام على المسلمين بحكم العقل والثانية ترى أنّ وجوب نصبه على الله بحكم النقل. (5)

---

1) التيسير 5/212.
2) معالم الفلسفة الاسلاميّة ص 223 علي يحي معمر — الأباضيّة ص 57.
3) الامامية.
4) ن م. 5/414.
5) معالم الفلسفة ص 138، 139.

وعند استعراضه لرأي الخوارج في تنصيم لوجوب نصب الأمام يؤيد المفسر ما ذهب اليه المعتزلة قائلا: " والأصح من المعتزلة " ويستطرد قائلا : " والحق وجوب نصب الأمام اذا أمكن " ثم ينتقل الى تبيان أسباب ذلك ولخصها في القاعدة الفقهية القائلة : " وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب" (1)

ويرى المفسر أن المعتزلة اعتمدوا هذا المبدأ في تفسيرهم للآيات وتأويلها من ذلك مثلا قوله في تفسير قوله تعالى : " قال هذا صراط علي " 41/ الحجر. " . . . وأبقى المعتزلة (علي ) على ظاهرها من الوجوب لأنهم أوجبوا على الله الأصلح " وقبل هذه الآية أي في تفسير قوله تعالى :"لأزينن لهم في الأرض" الى المخلصين " 39،40/ الحجر .

يستعرض آراءهم المختلفة في هذه المسألة انطلاقا من تأويلهم للاغواء وتفسيرها بالغي اعتقادا منهم بأنه لا يجوز أن يحدث الله الضلال، ثم يفرغ جام ذلك للرد عليهم(2).

وقد بلغ في رده أحيانا درجة العنف والشدة ، الى أن جعلهم اغواء للشيطان في تفسير قوله تعالى : " قال أنا خير منه " 12/ الأعراف، لاحظ ذلك في قوله : " . . فكيف يومر والمعتزلة اغواءهم في التحسين والتقبيح العقليين في التكليف" (3) .

غير أنه يجاريهم في بعض المسائل دون التصريح بذلك ، لقد سبق أن أشرنا في مسألة حجية الله على عباده معقبا على رأي الأباضية : " الا أني أقول حجة الله في توحيده على خلقه - أيضا - العقل فانه يدرك انفراد الله بالالوهية بعقله لدلائل المخلوقات ، فاذا أدرك الانفراد دعاه ذلك الى خدمة من أوجده وأنعم عليه ، فيذهب ولو كان في جزيرة لم يفق أحدا الى من يعلمه كيفية الخدمة فيصح بهذا أن صاحب الجزيرة غير معذور وان لم يكن (4) على نبي من الأنبياء والرسل والكتب مبينة ومفصلة لدلائل العقل" (5).

---

1) التيسير 5/414 .
2) ن م. 3/523،524 .
3) ن م. 2/436 العقليين .
4) لعل الصحيح :" غير معذور وان لم يكن " بحذف الواو.
5) ن م. 1/ 363 .

واذا تأملنا النص وأمعنّا النظر فيه لا نجد فرقا كبيرا بين ما ذهب اليه المعتزلة في أن العقل هو الحجة ، وبين قدرة العقل في نظر المفسّر على ادراك خالقه و البحث عن طرق خدمته ، ففي الحالتين العقل هو الحجة .

هذا هو موقف المفسّر من مسائل الخلاف ، أمّا موقفه من المسائل المتفقة عليها بين المدرستين و المختلفة فيها من بقيّة المدارس الفقهيّة الاسلاميّة يذكر توافقهما بأعتزاز مبيّنا قوة دلالتهما ، وخروجهما وفق هذه المسائل مرتكب الكبيرة ، الخلود في النار ، نفي رؤية الباري في الآخرة ، تأويل ما يفيد التشبيه ، الشفاعة الخ . . .

ولعلّ اتفاق المدرستين في كثير من المسائل العقائديّة يعود الى انتمائهما الى اتجاه الدراية ، وعدم تمسك المدرسة الاباضيّة بحرفيّة النص وظاهره بالاضافة الى الظروف و المحيط التي نشأ فيهما . ومهما يكن من أمر فانّ التشابه الملحوظ بين المدرستين جعل بعض الدارسين يخلطون بينهما ، ودعا كما أسلفنا صاحب كتاب ( التفسير و المفسرون ) الى اتهام المفسّر بمجاراة أفكار المدرسة الاعتزاليّة و تأييدها ، فانّ كنّا قد لاحظنا ميله الى بعض هذه الأفكار فانّ ذلك لم يؤدّ به الى الخروج عن معتقدات مذهبه .

موقفه من الخوارج :

تعرّضنا في تمهيد هذه الدراسة الى الآراء المختلفة في نسبة الاباضيّة الى الخوارج ولا نريد الخوض في هذه القضيّة مرّة أخرى ، وانّما يكفينا استخلاص رأي المفسّر في هذه المسألة من خلال اعتراضاته على آرائهم ، التي خالفوا فيها المدرسة الاباضيّة ومن ابراز هذه الآراء والذي كان في نظر المفسّر هو الحدّ الفاصل بين هذه المدرسة وفرق الخوارج ، تحليلهم دماء المسلمين وأموالهم بالذهب (الذنب) ويقول المفسّر في ذلك : " ولمّا قالت الصفريّة والبدعيّة والأزارقة بتحليل الدماء والأموال بالذهب خرج عنهم الاباضيّة الوهبيّة .

الذنب

يفهم من هذا النّص أنّ الأباضيّة كانوا فرقة من الخوارج ثمّ انفصلوا عنهم وأصبح هذا الاسم — في نظر المفسّر على الأقل — لا يطلق إلاّ على الفرق الثّلاثة المذكورة في النّص السّابق، ومن هنا كان مفهوم الخوارج في بداية الأمر يعني الخروج عن صفّ عليّ ورفض التّحكيم، ويتّضح ذلك من قوله :" .. وقد ندم على اشتغاله بقتال الخوارج عنه " (1) أي عليّ، ثمّ تغيّر هذا المفهوم وأصبح يطلق على الفرق الثّلاثة ويحمل دلالة دينيّة، بعد غلوّها في الحكم على الموحّدين بالشّرك، وهذه المسألة تعتبر أساس الخلاف بين الأباضيّة وهذه الفرق، ولذا كلّما فسّر آية لها علاقة بهذه المسألة ردّ على الخوارج ومن ذلك مثلا قوله في تفسير الآية 48/ النّساء" إنّ اللّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" اثر تعرضه لاختلاف الآراء في مرتكب الكبيرة يقول :" ... والآية حجّة على الخوارج اذ قالوا أنّ كلّ ذنب شرك أو كلّ كبيرة شرك وهم الصّفريّة والنّجديّة والأزارقة.." (2).

وفي تفسير قوله تعالى :" ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للّذين آمنوا الخ " 10/الحشر يندد بالفرق الّتي تتهم الصّحابة فيقول :" .. وذلك كالصّفريّة والنّجديّة والأزارقة القائلين بتشريك عليّ وكلّ من فعل كبيرة ويحلّ دم الفاعل لها وماله " ولكن المفسّر يجيز " أن يقال الحقّ مع فلان من الصّحابة أو غيرهم لا مع فلان وأنّ فعل كذا غير صواب، وأنّ فعل كذا كبيرة يستحقّ فاعلها العقاب" (3).

وقد يسوق بعض آرائهم في المسائل الفقهيّة الّتي انفردوا بها أو اختلفوا فيها مع غيرهم ومن أمثلة ذلك رأيهم في المقدار الّذي يقام الحدّ على السّارق فيقول في تفسير الآية 38/ المائدة :" والسّارق والسّارقة " " وأبن عبّاس في القليل والكثير بلا حدود قال الخوارج :" كما روي عنهم عدم قولهم بالحرز (4).

---

1) التّيسير 475/5.
2) ن م. 741/1 مثال آخر في ن م. 223/1.
3) ن م. 117/3.
4) ن م. 30/2.

يتجلّى من خلال ما تقدم من الأمثلة أن المفسّر لم يحرّ أمتصا ما كبيرا بهذه الفرق بأعتبارها خارجة عن اجماع المسلمين لتولهم بتشريك متترف الكبيرة ، وفي رسالة ألفها في الرّدّ على الصّفريّة والأزارقة آستجابة لبعض علماء عمان تظهر آعتراضاته أكثر على هذه الفرق ، وآستنكاره الشّديد لعدا وتهم للأمّة الأسلاميّة .

موقفه من التّصوف :

أنّ الدّراسات الأباضيّة التي آطلعنا عليها لم تتحدث عن وجود نزعة التّصوف في هذا المذهب (1) ولعلّ ذلك راجع الى أصولهم في العقيدة ، والخوف من التّقول على الله ، وهو أحد الأسباب التي أدت كما رأينا الى قلّة التّفسير عندهم ولذلك نجد أنّ المفسّر يحمل حملة عنيفة على هذا التّيار الفلسفي الذي تزعمه ابن عربي ، وهذه الحملة تظهر في التّنديد بأفكارهم والبراءة منهم ، على أنه يكتفي في بعض الأحيان بسرد آرائهم كعادته دون التّعليق ، لاحظ ذلك في تفسير قوله تعالى :" هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن " 03 / الحديد . .

" ومن التّصوف قول البعيد الأوّل بشرح القلوب والآخر بغفران الذّنوب والظّاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب" (2) كما يفنّد آراءهم مثل قوله في تفسير الآية 27 النّساء" ثمّ يتوبون من قريب " " زعم أهل التّصوف والمعاملة أنه هو ما قبل أن تتصوّد النّفس السّوء ويكون لها كالطّبيعة فيتعذر الرّجوع وليس مراد هم مع القبول بل البعد " (3).

ويظهر من المثال التّالي توغّل هؤلاء في الاشارات الخفيّة التي تعتبر ضربا من الوهم ، وتعميلا للنّص القرآني مفاهيم بعيدة كلّ البعد عن مقاصده ، ومعانيه يقول المفسّر في نهاية تفسير قوله تعالى :" وخسف القمر ، وجمع الشّمس والقمر" 08 ، 09 / القيامة " فالقمر الرّوح والشّمس مكان لحضيرة القدس ، والملائكة الأطوار وان لم يضرب هذا فاضرب به وجوه الصّوفيّة الخارجة عن طريق الجنيد

---

1) يذكر أبو اسحاق في مقدمة كتاب شامل الأصل والفروع أنّ الأباضية لم يتأثروا بأفكار الباطنيّة ، ويعزو ذلك الى تمسّك أهله بالكتاب والسّنة .
2) التّيسير / 6 / 72 .
3) ن م . 2/ 696 لعلّ الصّحيح فيتعذر .

تبجحهم الله عزّ وجلّ." (1)

يفهم من النصوص السابقة أنّ المفسّر يقف من أفكار الجنيد موقفا يختلف عن موقفه المتشدّد والمعارض لأفكار التصوّف، والرّافض لها، ومن هذا المثال يتضح لنا موقفه أكثر من أفكار التصوّف المتطرفة ففي تفسيره للآية الأولى من سورة الانسان يقول :" وزعم بعض الصوفية أنّ هل للنّفي وأن المعنى لا أوّل للزمان ولا للانسان يوجد ويفنى بلا أوّل لذلك وهذا اشراك ولا أدان موحدا بقوله وهو نفي للأزل من الله واثبات للقدماء مع الله ولكل الزوايا قد لم تصح " (2).

ويبلغ به الحدّ في تفسير السورة الآية 21 / الانسان الى البراءة من هذه الأشارات الصوفية قائلا :" . . . وتبرأ الى الله تعلى بتفسير الأساور بالأساور وارتفيض على أهل الجنة بحسب أعمالهم كتفاوت الذهب والفضة ومن تفسير الشراب الطهور بتبدل ربانيّ مسكر ونحو ذلك ممّا يخالف الظاهر " (3).

ومهما يكن موقف المفسّر من هذا الاتجاه، فانّ الدارس لردوده يتأكد من محاربته لأفكاره ولا سيّما تلك التي تتناقض مع صريح الآية أو اجماع جمهور المفسّرين، غير أنّه — مع ذلك — يحترم بعض العلماء المشتهرين بهذه النزعة مثل ابن العربي ويتعجّب من بعض أفكاره الصوفية ويبدو ذلك من قوله : "وقد ذكر ابن العربي في الفتوحات المكيّة أنّه اجتمع مع سيدنا ابراهيم عليه السلام فسأله عن خطيئته المذكورة في قوله تعالى :" والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (4) قال اضافني العرض الى نفسي حيث قلت :" واذا مرضت فهو يشفين(4) ، وانه كان يقول بذلك قبل أن يسأل ابراهيم ، وهذا رجل عجيب في كلامه هو جامع للظاهر والباطن وهو مع ذلك محقق" .

---

1) ن م. 6/ 422.
2) ن م. 6/ 435.
3) ن م. 6/ 446، 447.
4) الشعراء / 82.
5) الشعراء / 80.

ويندد ببعض آدعاءات المتصوفين ، كقولهم برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة فيقول مجيبا من آستفساره عن مدى صحة ذلك : " إنه لا يعلم الكذب عنه ، كذبوه وآزجروه وابرؤوا منه " (1) .

ونستنتج ممّا تقدم أن موقف المفسر من الصوفية المغالية في عمل القرآن معاني باطنية تتعارض مع صريح أسلوبه ، ومضامينه موقف معارض ومندد ، لكن موقفه من آرائهم الأخرى ، لا تختلف عن مواقفه من جميع المسائل الخلافية الأخرى التي لا تتعارض مع أصول العقيدة الأباضية .

موقفه من بعض الفرق الأخرى :

وقد كان المفسر يشير الى بعض الفرق الأخرى المنتسبة الى الاسلام وينتقد آراءها ومن هذه الفرق القدرية ، ففي تفسير قوله تعالى : " إنا كل شيء خلقناه بقدر " 49 / القمر ، يرد على هذه الفرقة مبتدئا بأدلة عقلية صحة القدر ، مستشهدا بأحاديث نبوية تندد بهذه الفرقة بالمرجئة ومن هذه الأحاديث : " .. صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجئة والقدرية نزل فيهما إن المجرمين ... إنا بقدر (2) رواه ابن عباس " وفي الأخير يبين رأي القدرية معللا سبب تسميتهم في الحديث بخصماء الرحمن قائلا : " سماهم خصماء الرحمن لأنهم ينفون قدرة الله على أفعالهم فقالوا : إنهم خلقوا أفعالهم لم يخلقها الله ، وقالوا لا يقدر أن يخلق المعصية ويعذب عليها فاعلها ، ولا يعلمها حتى تقع .. " (3) .

ومن آراء القدرية قولهم : " أن الحرام يرزقه الانسان نفسه بينما الحلال رزق من الله فيقول المفسر ردا على هذا الاعتقاد : " فان الحرام أيضا رزق من الله تعلى يعاقب الانسان على تناوله " (4) .

---

1) كشف الكرب 1/105 ، 106 .
2) القمر / 47 ـ 49 .
3) التيسير 5/621 ، 622 .
4) ن م . 3/40 .

أمّا المرجئة يعتقدها في مفهومها للايمان ، اذ ترى أنّ المعصية لا تضر مع الايمان ، كما لا تنفع الطّاعة مع الكفر ، ولذلك ترى أنّ كلّ مسلم مؤمن تحرم عليه النّار ، ومن الآيات التي يستشهدون بها لاثبات هذا الاعتقاد قوله تعالى : " انّ العذاب على من كذّب وتولّى " 48/طه يقول المفسّر ردّا عليهم : " فلا دليل في الآية للمرجئة القائلين أنّ الموحّد الفاسق لا يدخل النّار" (1).

وهذا الاعتقاد منهم كان في نظر أحمد أمين . ردّ فعل لغلو الخوارج والشّيعة ، واعتبر هذه الفرقة في بداية نشأتها حزبا سياسيّا ، وقف من الفتن والخلافات في عهد الصّحابة موقفا محايدا ، غير أنّه ما فتئ أن أصبح يبحث في الأمور اللاّهوتيّة ، فتبلورت معتقداته المبنيّة أساسا على موقفهم السّياسي السّابق الذّكر. (2)

ومن بين المذاهب التي انتقد آراءها المذهب الظّاهري الذّي يرى تجديد الوضوء في كلّ صلاة ويقول المفسّر في ذلك :" فبطل قول الظّاهريّة أنّه ينتقض بدخول وقت الصّلاة بعد الأوّل ، وأنّ لكلّ صلاة طهارة ويردّه صلاته صلّى اللّه عليه وسلّم الخمس بوضوء واحد وصلاة الأمّة كلّ صلاة بوضوء بعده صلّى اللّه عليه وسلّم ندبا ولم يثبت (3) الخبر عن الامام علي أنّه يفعل ذلك ولا يثبت ما قيل أنّ الآية (4) على ظاهرها من أنّ لكلّ صلاة طهارة ثمّ نسخ هذا التّجدد لأنّ سورة المائدة من آخر ما نزل فلم ينزل بعدها ناسخ من قرآن ولا جاءت سنّة متواترة " ثمّ يستشهد بالأحاديث النّبويّة (5).

ويمضي المفسّر بهذه الطّريقة يناقش آراء بعض الفرق ، ويعتقدها مبيّنا أوجه الخطأ مستدلا — كعادته — بحجج عقليّة ونقليّة .

---

1) ن م . 21/4 المجلّد 1
2) فجر الاسلام ص 279 — 282 .
3) لم يثبت .
4) المائدة / 06
5) التّيسير 27/2 ، 28 .

ونخلص الى القول أنّ المفسّر تناول بالبحث في تفسيره آراء المدارس الاسلاميّة والفرق المنتسبة الى الاسلام مقارنا بينها مع سوق حججهم، وعند تعرّضه لتفنيدها، وانتقادها يدعم آراءه بأدلة محاولا اقناع القارئ بصحتها، وخطأ وجهات نظر الخصم، مستعملا — أحيانا — أسلوب الصنف الذي يدل على استنكار المفسّر لمعتقدات المخالف، واعتقاده ببطلانها تماشيا مع أسلوب النقد اللاذع السائد في كتب التفسير التي تتلمذ عليها.

هذه هي وجهة نظر المفسّر نحو هذه المدارس والفرق، وموقفه منها وأسلوبه في مواجهتها فما هو رأيه — يا ترى — من مسألة الاسرائيليات؟.

موقفه من الاسرائيليات:

إنّ طبيعة الانسان مجبولة على حبّ الاستطلاع، ومعرفة أسرار الكون، وما يلف حوله من الغيبيات، ولعلّ هذا العامل يعتبر رئيسيا ولا نقول وحيدا لنقل المعلومات من أهل الكتاب قصد اشباع هذا الميل ولم يكن أنذاك من هو أعلم ببعض التفاصيل التي تغاضى عنها القرآن الكريم من علماء أهل الكتاب، وقد كانوا مصدر هذه المعلومات لا سيّما أولئك الذين أعلنوا اسلامهم.

ولا نريد في هذه التوطئة التعرض لرأي الشرع في ذلك لأنّ الكثير من الدارسين تناولوا هذه المسألة بالبحث والتفصيل، غير أننا نريد أن نبيّن أن المفسّر لم ينفرد بذلك، بل هو متأثّر بمن سبقه في هذا المجال، كما لا نكثر خوضه في الاسرائيليات التي يستسيغها العقل ويتقبلها الشرع، وفي ما لا يجد لها الدارس تفسيرا، إلاكونها من الحشو، ونقل معلومات لا تمت بصلة لمقاصد القرآن، وان كان في تفسيره الذي نحن بصدد دراسته أكثر تحقيقا ودقّة من سابقه، وقد أشار فيه — كما أسلفنا — الى تعمده لنقل معلومات: "ليتروح اليها السامع" على حدّ تعبيره وذكره لهذه المعلومات كما قال: "عن كره" (1) ونعزو ذلك الى رغبته في جعل تفسيره شاملا جامعا لما ورد في التفاسير السابقة.

والملاحظة الثانية هي استعماله للأخبار الاسرائيليات في كثير من الحالات بصيغة التبخيس التي تدلّ على عدم تأكّده من صحتها، لاحظ ذلك: —

---

1) ن.م. 4/591، 592.

مثلا في الحوار الذي جرى بين الله عزّ وجلّ والعناصر التي شاركت في حادثة بدء الخليقة في تفسير قوله تعالى :" وناديهما ألم أنهكما عن ألخ . . " 22/الاعراف " ويقال ناداه ربّه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك فقال أطعمتني حوّاء وقال لحوّاء لم أطعمته قالت ، أمرتني الحيّة ، وقال للحيّة لم أمرتها ، قالت أمرني ابليس فقال : أمّا أنت يا حوّاء فلأدمينّك كلّ شهر ، كما أدميت الشجرة ، وأمّا أنت يا حيّة فاقطع أرجلك فتمشين على وجهك وليشدخنّ رأسك كلّ من لقيك ، وأمّا أنت يا ابليس فملعون " (1).

والقارئ للقصص القرآنيّة في تفسيره كثيرا ما يعثر على مثل هذه النماذج المشبعة بالقصص الخياليّة المسروجة التي لا تترك مجالا للشك على أنها من صناعة خيال القصاصين أو من الاسرائيليّات ، فهي قصة محبوكة بشكل أشبه بالمسرح أو الرواية لاشتمالها على الحوار.

وقد يشير في بعض المواضيع — وإن كان ذلك قليلا — الى أنها من الاسرائيليّات وهذا ما نلاحظه مثلا في تفسير قوله تعالى :" فأنجيناه والذين معه في الفلك" 64/ الاعراف ، فبعد أن يصف سفينة نوح يقول :" وهذا من الاسماء بآيات" (2) . كما ينتقد الروايات التي يشتمّ منها رائحة الكذب والمبالغة ولكن هذا لا يمنعه من ذكرها ، ففي تفسير قوله تعالى :" وبعثنا منهم أثني عشر نقيبا" 12 /المائدة يقول منتقدا قصة عوج بن عنق :" ولا يصح ما قيل من أنهم لقوا رجلا اسمه عوج بن عنق من الجبّارين وأن طوله ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعا ، وأنه يحتجز بالسحاب ويشرب منه ، ويتناول الحوت من قعر البحر فيرفعه الى عين الشمس فيشويه فيأكله ، وأن ماء الطوفان ما جاز ركبتيه وقيل كعبيه وأنه عاش ثلاثة آلاف سنة . . " إلى آخر أوصاف هذا العملاق ، ويتصدّى لإثر ذلك — للنقد ومنه قوله :" . . وكيف يقوى على حرّها مع أنها تنضج الحوت في بده مع أن حرّها منتشر في الجوانب لا كحرّ النار . . " ويقول :" وكيف يبقى وينجو من الغرق وهو كافر وقد قال الله عزّ وجلّ :" وجعلنا ذرّيته هم الباقين"(3).(4)

---

1) ن م . 506/2 .
2) ن م . 561/2 .
3) الصافات / 77 .
4) ن م . 56/2 ، 39 .

و يرفض أيضا بعض الروايات التي يشتم منها رائحة طعن في نبي أو رسول، أو يحاول حملها على وجه اذا احتمل صحتها مثل قوله في تفسير الآية 83/الأنبياء، من الضر" فبعد ذكر مرض أيوب قائلا :" . . . وتساقط الدود في جسده و تقيح واحدة فيردها و يقول كلي رزقك " يرد على ذلك فيقول :" قلت : لا يصح هذا بل لا يجوز فكيف يفعله " وبعد سرده لما جرى بين فرعون و شعيب، و امتناع أيوب من اعانة شعيب على فرعون و ما أصيب به من ابتلاء فيختم هذه الحادثة قائلا: " والله أعلم بصحة ذلك " (1).

اذا كان المفسر يذكر المبالغات في الوصف و العدد الوارد في القصص مما تجعل القارئ يقف منها موقفا متحفظا، فانه يعترف بعدم احاطته لها قائلا : وفي نفسي من اكثار العدد في القصص بعض الانكسار" و هذا في تفسير قوله تعالى : " فاذا حبالهم و عصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى " 66/طه ثم يصف حيل السحرة حسب رواية الأخباريين قائلا :" ذكر الاخباريون أنهم جعلوا في العصي و الحبال زئبقا فامتزت لحرارة الشمس كأنها تسعى و من غرائب أهل القصص أنهم حفروا تحتها الأرض و جعلوا النار تحتها " ثم يتصدى للرد عليهم قائلا: "ثم لا تحرق الحبال و ان قويت النار لا تحرق العصي الخفاف و ان كانت الحبال و العصي قليلا أمكن ذلك بأمساك النار بحيث توجد حرارتها في الزئبق و لا تحرق وكيف ذلك و قد قيل أخذت ميلا في ميل ان صح " (2)

و مما يلحق بهذا الموضوع شغف المفسر بذكر أسماء الملوك و المدن و الانبياء و الرسل و أصلها، فمن أغرب ما ذكر في هذا الصدد أسماء ملوك مدين التي هي : " أبو جاد و هوز و حطي و كلمن و سعفص و قرشت" (3) و هذه الأسماء توافق الأبجدية و من أمثلة تعريفه لأسماء الأنبياء تعريفه بنبي الله شعيب في تفسير قوله :" أخاهم شعيبا" 85 / الأعراف و مما يقول في نسبه :" هو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم و قيل شعيب ابن نويب بن مدين و قيل شعيب بن يثرون بن مدين و بعض يقول ميكائيل بدل ميكيل و قيل هو ابن يشجر بن لاوي بن يعقوب و هو تصحيف .

---

1) ن م. 4/243، 250 أنظر مثلا الآخر في ن م. 6/355، ومثلا آخر في ن م. 2/532.

2) ن م. 4/136.

3) ن م 2/531، 532.

شعب بفتح و اسكان اسم جبل أو بكسر فاء فكان و هو الطريق في الجبل و الصحيح أنه مرتجل و أسماء الأنبياء لا تصغر بعد الوضع و أما قبله هكذا فجائز" ألخ (1)

و في تفسير كثير من الأمثلة ، و لا يمر بآسم الا مرة به ، و آستعرض الآراء المتعلقة في نسبه ، محاولا أن يجد له أصلا على النحو الذي رأيناه آنفا .

و مما يسترعي الانتباه — أحيانا — نسبة الرواية الى من عرف باسلامه من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار و وهب بن منبه ، و آبن جريج بآعتبارهم لا أقطاب الروايات الاسرائيلية (2) .

و لهؤلاء مكانة مشرقة عند المفسر ، و يفهم ذلك من الترحم عليهم ، و الاعتزاز باسلامهم و تكذيب الروايات المنسوبة إليهم إذا اشتم منها رائحة الوضع ، و هذا ما نلاحظه في تفسير الآية الأولى من سورة النمل اذ يستهل الرواية المنسوبة الى كعب الأحبار بقوله : " و زعموا من كعب الأحبار أن ابليس وصل ذلك الصوت فقال : " " ألق ما على ظهرك من النار و الجن ، و الحيوان ، و الشجر ، و الدواب و الجن فهمت ذلك فأدخل دابة في منخرها ، و ضجت الى الله تعالى فأخرجها فهي كلما أرادت الالقاء عادت الدابة فهي تنظر إليها و الله أعلم بصحة ذلك" (3)

و من الملاحظ أن هذه الرواية تبدو في نظره غير صحيحة و على الأقل يشك في صحتها و في نسبتها الى كعب الأحبار و يفهم ذلك من قوله : ( زعموا ) و ( الله أعلم بصحة ذلك ) ، و هذا موقفه في معظم الأحيان من الاسرائيليات اذا لم يتحقق من صحتها أو كذبها خشية انكار الصحيح من الأخبار ، و تصديق الكاذب منها عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم " و قد يكتفي — أحيانا — بسرد ما روي عنه مثل قوله في تفسير الآية 44/الرحمن : " و يطوفون بينها و بين حميم — ان " مصورا حالة أهل جهنم قائلا : " و من كعب الأحبار يساقون الى واد فيه دم و قيح أهل النار بالأغلال فيغمسون فيه و يخرجون و قد أحدث الله عز و جل قوة و يردون إلى النار" (4) .

---

1) ن م . 2/532 .
2) التفسير و المفسرون 1/183 .
3) التبصير 6/237 ، 238 .
4) ن م . 6/20 .

كما نقل عن عبدالله بن سلام الذي يعتبر في نظره أوثق من ذكرنا هم سابقا، وان لم يصرح بذلك وانما يستشف من ذكره في مواطن مدح أهل الكتاب الذين تمسكوا بالحق، أو يستثنيه من تصرفات أهل الكتاب تجاه الرسالة المحمدية، فمن المثال الثاني يتضح لنا ذلك، يقول في تفسير الآية 159/ الأعراف :" ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " ناريا المثال لهؤلاء بقوله :" كعبد الله بن سلام" (1).

وقد نقل عنه بعض الأخبار مثل قوله :" وعن عبدالله بن سلام مكتوب في التوراة أن صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه، وفي البيت، قيل موضع قبر عيسى عليه السلام" وهذا في معرض تفسير قوله تعالى :" اسمه أحمد" 06/ الصف.

ولعل هذه الأمثلة كافية لإثبات نقل المفسر من هؤلاء الذين اعتبروا مصادر الروايات الإسرائيلية وموثقيه منهم.

الخوض ونخلص الى القول بأن المفسر لم يسلم — كغيره من كثير من المفسرين — من الخوض في الإسرائيليات، غير أنه في تفسيره هذا كان أكثر تصحيحا ونقدا الروايات، وان اكتفى بسرد بعضها دون الادلاء برأيه أو استعمال صيغة التبليغ الدالة على شكه في صحة الرواية، وبل قد نلاحظ تجاوب المفسر مع الأحداث التي تصورها هذه الروايات، ويعوقها كمعلومات مساعدة على ابراز معنى الآية أو الوحدة ويمكن تفسير ذلك بخوفه من تكذيب الصحيح وثقته فيما ينقله من المصادر المتطلقة، وقد ينقلها لمجرد اثراء تفسيره، ويترك الحكم للقارئ، وهذا ما يلاحظه الدارس في بعض النماذج من تفسيره.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره من أوصاف الموت والطريقة التي قتله بها داود فيصفه بأنه :" جبار من العمالقة من ولد عمليق بن عاد في بيضته ثلاثمائة رطل حديد وآلة حديد وقيل طوله . . ".

---

1) ن م. 564/2 مثال آخر في ن م. 630/2.

ويقول في طريقة قتل داود جالوت : " . . ومرّ الى جالوت داود على ثلاثة أحجار واحد بعد واحد كل يقول : يا داود تقتل جالوت بي فحلّمن ، وقيل قال له الأوّل احملني فأنّي حجر هرون والثّاني احملني فأنّي حجر موسى والثّالث احملني فأنّي حجرك الّذي تقتل بي جالوت وحلّمن في مخلاته وصارت حجرا " ثمّ يتّصل الطّريقة الّتي أصابت بها الأحجار الثّلاثة جالوت قائلا : " ولعلّ الثّالث هو الّذي يتّصل بجالوت ويخرقه والآخران متّصلان به كما . . " الخ (1).

الآخران

واذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه القصّة الّتي أوردنا جزءا منها فقد نستنتجها : —

اخراق 1) اخراق المفسّر في ابراز التّفاصيل الّتي أغفلها عنها القرآن الكريم .

2) تفاعل المفسّر مع مثل هذه التّفاصيل ويظهر ذلك من محاولته لايجاد اتّصال طريقة اصابة الاحجار الثّلاثة جالوت واستحواذه لمختلف الرّوايات مع اتّصال بعضها بعضها بصيغة التّبعيض.

وبهذه الطّريقة تعرض المفسّر للاسرائيليّات ، معتمدا تارة أسلوب النّقد ، والتّشكيك في الرّواية ومكذّبا . . تارة أخرى — بسردها وتقلها كمآثر المعلومات المساعدة على التّشريح والتّوضيح ، وفي الحالتين لم يشذّ المفسّر عن جمهور المفسّرين وموقفه هذا يترجم نوعيّة ثقافته في هذا المجال والّتي لم تتعدّ حدود ثقافة السّلفيّين من المفسّرين ، ولكن رغم ذلك فقد ظهرت في تفسيره بوادر الحركة الأصلاحيّة وتتمثّل في موقفه من بعض قضايا عصره ومجتمعه .

بوادر الحركة الأصلاحيّة في تفسيره :

من أهمّ القضايا الّتي عالجتها الحركة الاصلاحيّة ، والتي كانت أحد أسباب نشأتها مجابهة حركة التّنصير الّتي أخذت تغزو العالم الأسلاميّ فوقفت بكلّ حزم تردّ هجماتها الشّرسة على الاسلام والمسلمين ، فتفطّن المفسّر الى مكائدها ، فتصدّى لمجابهتها والرّدّ عليها كلّما تجرّأت على الطّعن في مقوّمات المسلمين : يقول المفسّر ردّا على النّصارى وآستهزاء بهم : " . . ولم أر أجهل بطرق الجدال من النّصارى يحيون القرآن بما هو ظاهر البطلان راجع عليهم ، ولا يستحيون فهم كناموسة نفخت(2)

---

1) ن م . 1/365 .

2) والصحيح نفخت.

على جبل عظيم لتزيله بفتحها وكأحمق بال في المحيط ليجسه و كلب عوى على البدر ليحطمه من سمائه ، لو نبح البدر كلاب الورى * ما وصل النبح الى البدر وينكرون المحسوسات والبديهيات (1) ويدّعون وقوع المحالات كلّما زادوا جد (2) زادوا آفتضاحا لا تبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه " ثم يهاجم اليهود قائلا :" وبقا ربهم اليهود الا أن ذمّهم دعاهم الى الّذين فتروا به بخلاف علماء الاسلام ومحجوجهم فكما قيل :—

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

وما أرى النّصارى مع المسلمين الا كما ينبغي أن جاهلا جادل عالما فعجز وبعق في وجه العالم وقال : " أفحمت حجتك أيها العالم " (3) ، فمن الملاحظ أنه يستعمل في الرّد عليهم أسلوبين :—

1) نقل المناظرات التي جرت بينهم و بين بعض علماء المسلمين .

2) الاستشهاد بما جاء في الأنجيل .

ومن أمثلة الأسلوب الأول قوله في تفسير الآية 31/ الزّخرف :" قل أن كان للرّحمن ولد ، فأنا أول العابدين " " .. قال أحمد بن قاسم الأندلسي الحجري جاء في نصراني بورقة كتبها وقال في الهمام من الله أنه أراد أن يجعل في الأرض انسانا مخليفته فيها وهو عيسى وكتب ذلك في ورقة مبتهجا به ، فقلت له فيبغي اذا لعيسى أن يجعل انسانا يكون خليفته بعد موته وكذا بعد فافتضح النّصراني وبقي بورقته في يده متحيّرا . . "(4).

ولتبين رأي النّصارى في ادعائهم أن عيسى روح من الله قال :" . . وأما أن يقولوا انه جزء من روح الله أو هي روح الله كلها فلا يصح لعاقل لأن الله جل وعلا لا يتجزأ أو لا يتصف بالتّروح ولا بالحلول ، فلو كان ذلك لبقي الله بلا روح أو بروح ناقصة بأنقاص ما صار منها الى عيسى في زعمهم ان زعموه وذلك من صفات الخلق ولم يخصّ عيسى بذلك " ثم يستشهد في ردّه من الأنجيل

---

1) لعلّ الصحيح البديهيات .

2) بيداء .

3) التيسير 5/ 365 ، 366 .

4) ن م . 5/ 271 .

والتوراة قائلا : ففي أنجيل لوقا قال : يسوع لتلاميذه أن أباكم السماوي يعطي روح القدس وهو في بطن أمه وفي التوراة قال الله تعلى لموسى عليه السلام اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك وفيها وفي حق يوسف عليه السلام يقول الملك: " هل رأيت مثل هذا الفتى الذي روح الله عز وجل جال (1) فيه وفيه أن روح الله حلت على دانيال وغير ذلك " ويسوق اثر ذلك بعض المناظرات قائلا : " وناظر بعض النصارى بعض أكابر المسلمين بأن في القرآن ما يشهد أن عيسى جزء من الله تعلى وتلا قوله تعلى : " روح منه (2) فعارضه المسلم بقوله تعلى : "وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه (3) فليزم أن تكون الأشياء جزء منه وهو محال باتفاق فأسلم النصراني والمسلم هو علي بن الحسين الواقدي " . (4)

وقد ألف المفسر رسالة في الرد على أنجليزي سماها ( قذى العين على أهل الغبن ) أشار اليها في تفسير قوله تعالى : " ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون "78/آل عمران (5) ، كما تعرض في تفسير ملكائد الحركة التنصيرية ،منها مثلا محاولة تحريف القرآن لكن يرى أنها باءت بالفشل (6) .

ويظهر من كلامه في تفسير قوله تعالى : "كل حزب بما لديهم فرحون " 53/المومنون، أنه نال حظوة لدى علماء المسلمين في عصره مما كانوا يوجهون اليه أسئلة ويشيدون بمؤلفاته ومواقفه ،فبعد استعراضه لتواريخ ظهور المذاهب الاسلامية وانتشارها يقول : " وسبب ميل علماء مصر إلى مع تخالف المذهب وتباعد البلاد أنه أشكلت عليهم مسألة في الربا وأرسلوا الي سؤالا في مضاب وجاد لهم انجليزي وأرسلوا إلي سؤالا فأجبت لهم بما استحسنوا وأيضا اطلعوا على (شرح النيل) وغيره مما طبع في مصر من تآليفي " ويبدو أنه كان على اتصال بعلماء عصره منهم عبد الحق الذي ذكره في النص السابق وقال فيه : أنه " دخل تونس وأمرهم أن يسألوا الفقير صاحب هذا التفسير في كل ما أشكل وكذا عالم قبله مثله في مصر " (7) .

---

1) الصحيح حل فيه .
2) النساء / 171 .
3) الجاثية / 13 .
4) التيسير 1/868، 869 .
5) ن م . 531 .
6) ن م . 20/392 .
7) ن م . 40/348، 349 والصحيح تآليفي

وكان يساند الحركة الأصلاحيّة ، ويدعو الى توحيد كلمة المسلمين بتجاوز الخلافات المذهبيّة لمواجهة جبهة الشّرك التي تتآمر على المسلمين الذّين انصرفوا عن الجهاد ويصور ذلك في تفسير قوله تعالى :" ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم" 46/ الأنفال " .. والنّزاع فها في أهل التّوحيد فطكم أهل الشّرك ولو رجعوا الى مذهبا في الأصول أو أغضّوا عن مسائل الخلاف كأن لم تكن ، وكانوا يدًا واحدة لغلبوا على أهل الشّرك ، وأهل الشّرك مشغولون بالاحتيال فيما يملكون به غيرهم " ثمّ ينتقل الى استعراض حالة المسلمين قائلا :" وأهل التّوحيد بعضهم مع بعض لعوء لاء ، وبعضهم بطّال مع بعض ، وبعضهم يعبد الله عزّ وجلّ ولا يشتغل بالدّعاء عليهم ، وبعضهم مكبّ على التأليف ، ولا يحسن الّا ما كان على طريق الشّيخ عبده والشّيخ مصطفى بن اسماعيل والشيخ قاسم بن سعيد ولذلك قلت اكتب على التّأليف اذ لم نجد بنا فارغًا ولا من بعم نغزو" (1)

نجد و وتبدو من هذا التّعريض سلامة رؤيته في الجهاد ومحاولة أهل الشّرك ، والدّعوة الى وحدة المسلمين ، ومساندة الحركة الاصلاحيّة بالاستعانة بآراء المصلحين وطرقهم في التأليف.

وقد عبّر في تفسيره عن كرهه للنّصارى الذّين يمثلون التّيار الاستعماريّ الصليبيّ للعالم الاسلاميّ ويجلّى ذلك في الدّعاء عليهم بالخزي في تفسير آخر سورة المائدة :" ومنه خزيّ النّصارى وتعذيبهم دنيا وآخرى واذايتهم المسلمين فيهما ونصرهم فيهما " (2).

وأمّا تأييده للحركة الاسلاميّة ، وموقفه من نصرتها تظهر في قوله :" فاكثروا الطّواف و القراءة وادعوا الله عزّ وجلّ بنصر الأسلاميين يسدّدهم الله لا اله الّا هو ربّ العرش العظيم ، ياحيّ يا قيوم ياذا الجلال و الاكرام " (3) وذلك في معرض تفسير قوله تعالى :"واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة " 82/ النّمل .

---

1) ن م . 2/ 791 ، 792 .
2) ن م . 2/ 209 .
3) ن م . 4/ 592 المجلّد 2 .

ورغم سيطرة المشركين ، وظهورهم بقوة فإن عزّة الاسلام في نظر المفسّر ومبادئه تستقطب أنصارا ، وتستميلهم الى الدّخول في حوزته بآعتناقه ، ويذكر ذلك في تفسير قوله تعالى :" ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى " 82 / المائدة فيقول :" والى الآن يسلمون عام ألف وثلاثمائة وأحد عشر" (1) .

اذا كانت الحركة الاصلاحيّة قد واجهت هجومات النّصارى ودافعت عن القيم الاسلاميّة ، فهي ترى أنّ داء العالم الاسلامي يكمن في الآفات الاجتماعية وآنتشار البدع التي كانت تغذيها حركة التّنصير العالمية ، ولذلك لم يغفل المفسّر من هذا الجانب ، فقد تصدّى في تفسيره الى محاربة بعض المظاهر المشينة الناتجة عن تفشي الجهل والأميّة منها التقرب بالذبائح الى الجنّ ، والاعتقادات الفاسدة ، فقد عبّر عن آستنكاره لها في تفسيره لقوله تعالى :" أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين" 14 سبأ يقول المفسّر :" . . وفي الحديث لتتبعنّ سنن من قبلكم حتّى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه أو ركبوا متن ضبّاة لركبتموه ففي هذه الأمّة من يميل الى ذلك ، بل يتقرب اليهم بالذبائح " (2) وفي تفسير قوله تعالى :" وأنه كان رجال من الانس . . . فزادوهم رهقا " 06 / الجنّ ، يستعرض هذه المعتقدات الفاسدة في الجنّ قائلا :" ومن العياذة بالجنّ القاء الملح والرّماد حيث عثر الانسان أو أصيب بضرّ ظنّا أن ذلك من الجنّ ، ومن العيّاذة بهم ذبح شاة في نفس الموضع الذي يريدون حفر البير فيه أو في دار أريد الحفر فيها للبير (3) وكلّ ذلك حرام ، لأنّ قصدهم التّملّق الى الجنّ بالقاء الملح والرّماد فهو كالذّبح لهم وكذا القاء التّمر أو نحوه لهم بدار أو بآبار " (4).

وكان في مواضع من تفسيره يبيّن موقفه من بعض البدع ، ويدعو الى التّخلّي عنها من ذلك مثلا قوله في تفسير الآية 23 / نوح :" رب آغفر لي . . " الخ " وآعلم أنه

---

1) ن م . 144/2 .
2) ن م . 911/4 المجلّد 2 .
3) ن م . لعلّ المصيب من البدع .
4) ن م . 870/5 .

جرت عادة بني مذاب اذا قرأوا آيات و سور مخصوصات آخرهن سورة النّاس أن يبسملوا و يقرأوا ربّ اغفر لي و لوالديّ ألخ . . قلت لهم انّ أصحابنا كرهوا قراءة البسملة وسط قراءة القرآن و ابدأ(1) بها في غير أوّل سورة في قراءة القرآن فتركوها و قال جاهل : انّ قولنا ربّ اغفر لي و لوالديّ ألخ السورة ليس قرآنا قوله لا تدعونا به دعاء و هذا كفر شرك لانّه يتضمن من القرآن و قد يعتبر قوله لا تدعونا به تأويلا فيكون بذا قرآنا" (2) .

كما عبّر عن بعض التّصرفات النّاتجة عن الجهالة ، والّتي كانت من مخلفات الفتن في صدر الاسلام مثل لعن ما لتّيمة وطائفة من بيتي عليّ و معاويّة و عثمان في مآذنهم و يقول في ذلك :" و أي داع لهم الى استمرارهم على ما يوهم لعن الصّحابة و الجهر به في الآذان و لا يوجد ذلك في بلد من بلاد الاسلام و لا في بلاد الشّرك " (3).

و من القضايا الّتي عالجها المفسّر ، قضيّة الاجتهاد الّتي تحدث عنها معتبرا كلّ مجتهد مأجورا و ان أخطأ ، شريطة أن يقصد في اجتهاده الحقّ لا اتباع الهوى (4) و هذا يعتبر دعوة صريحة الى استعمال هذا المصدر التّشريعيّ و تقريب وجهات نظر الفقهاء .

كما دعا الى تطوير أسلوب الوعظ و الذّكر و نقرأ ذلك في تفسير قوله تعالى : " و ذكّر فانّ الذّكرى تنفع المؤمنين " 55/الذّاريات ، حيث يقول :" و ينبغي للنّاس ألّا يطيلوا فيملوا فتذهب بركة العلم " الى أن يقول :" و ينبغي لمن يطيل أن يذكّر لهم في مجلسه ما يتبسّمون به ترويحا لهم " ثمّ ينتقل للتّحدث عمّا ينبغي أن يفعله النّاصح قائلا :" و ينبغي للمتصح أن يقول للواعظ أو المعلّم كلّما حدّثه بحديث أن يقول له صدقت أو أحسنت ليكون راغبا و لا بدّ من حذر الرّياء"(5) و يريد بذلك أن يكون تجاوب بين المعلّم و المتعلّم ، و يراعي الأوّل طاقة الثّاني .

و من تمسّك المفسّر بانتمائه العربيّ الاسلاميّ ، اعتزازه بلغته البربريّة ، و شعوره بكيانه المغربيّ ، استنكاره لوجود كلمات أعجميّة في القرآن و يقول في ذلك

---

1) و الصّحيح البدء .
2) ن م . 6/ 365 .
3) ن م . 5/ 434 .
4) ن م . 1/ 214 .
5) ن م . 5/ 546 .

مثلا في تفسير الآية 30 / ص : " انه أواب " يقول : " ومن العجيب أن يوجد للكلمة معنى صحيح في العربية ويحملوها على العجمية مثل أن يقول : " الأواب في الآية لفظ حبشي معناه المسيح " . (1).

ويبدو افتخاره بلغته البربرية من الاستعانة بها في الشرح كقوله مثلا : " في تفسير الآية 35 /المدثر " انها لأحدى الكبر " تقول بلغتنا البربرية فلان واحد منهم اذا عظم آخر تباله مثلا" (2).

وفي تفسير قوله تعالى : " الذين اتبعوه في ساعة العسرة" 117 التوبة يتجلى شعوره بانتصاره المغربي في اعتبار مؤلفته ضمن مؤلفات المغاربة : " ويقول في ذلك : " كمواهب القسطلاني ودلائل القسالبي وشرحي على نونية المديح والسهيلي والقاضي عياض" (3).

هذه بعض بوادر الحركة الاصلاحية ، وقضايا الساعة في تفسيره ، واكتفينا بنقل بعض العينات ، التي تدل على معايشة المفسر لأحداث عصره ، ورغبته في اصلاح مجتمعه ، ولكن رغم ذلك لم يبلغ تفسيره درجة تفاسير الحركة الأصلاحية التي تهدف الى التأثير في البنية الاجتماعية ومعالجة آفاتها باتخاذ القرآن مصدرا لذلك بجانب السنة النبوية ومصادر التشريع الأسلامية وان كنا قد لاحظنا دعوة المفسر الى جمع شتات المسلمين ، ونبذ الخلافات وعيا منه بالخطر المحدق أمته ومساهمته في اصلاح المجتمع ومحاربة البدع الضالة ودعوته الى تطوير أساليب الوعظ والارشاد الخ . . .

فهذا بعض ما وقفنا عليه من بعض قضايا عصره في تفسيره ، ومواقفه من أهم المسائل الواردة فيه .

---

1) ن م . 10/5 .
2) ن م . 412/6 .
3) ن م . 1086/2 .

## — الباب الثّـالـــث —

**الفصل الثّالث:** مكـانة تفسيره بين بعض التّفاسير .

مدخـل .

ليس من السّهل على الدّارس أن يتّبين مكانة تفسيرنا بين عدد كبير من التّفاسير التي تزخر بها المكتبات العالميّة ، مهما حاول أن يصفها ، و يتفحّصها ، وكلّ ما نرى في بعض الدّراسات من مقارنات بين تفسير و تفاسير أخر ، فهو في اعتقادنا مجرد محاولات لا تتعدّى بعض الجوانب .

و من هذا المنظور ارتأينا اجراء مقارنة بين التّفسير الذي نحن بصدد دراسته و ثلاثة تفاسير :

أولها : يمثل مدرسة المفسر ، وقد عاصر صاحبه و تأثر به ، وقد بيّنا ذلك في مبحث المصادر و رأينا أن هذا التأثير قد بلغ درجة نقل بعض الأفكار و العبارات بحذافيرها ، و هذا التّفسير هو ( روح المعاني ) للألوسي .

ثانيها : يمثل أحد التّفاسير الجزائريّة ، وأن يفصل بينها فاصل زمني كبير ، غير أنهما يشتركان في الانتماء الى شعب واحد ، و بيئة واحدة ، و نرمي من هذه المقارنة الى تبيان مميزات كلّ واحد منهما ، و أوجه الاختلاف و التّشابه و هذا التّفسير هو ( جواهر الحسان ) للثّعالبي .

ثالثها : يمثل مدرسة الاصلاح التي عاصرها المفسّر ، وعاش بعض أحداثها ، و من خلال المقارنة نحاول التّوصل الى ابراز أوجه التّشابه و الاختلاف بينهما مبيّنين من أسباب ذلك و هذا التّفسير هو ( المنار ) لمحمد عبده و رشيد رضا .

و دراستنا هذه لا تتعدّى مقارنة أهمّ الجوانب ، مكتفين في كلّ تفسير بما يتميّز به ، وفقا للمنهجية التي آتبعها مؤلّفه ، و لا نغفل عن ذكر الأسباب كلّما أمكن ، حتّى نصل الى تصوّر واضح لمكانة تفسيره بين هذه التّفاسير الثّلاثة التي تمثل في نظرنا — مدرسة التّفسير بالرّأي ، ومدرسة التّفسير بالمأثور ، ومدرسة التّفسير الاصلاحيّة و ذلك على التّوالي .

وأوّل سؤال يتبادر الى أذهاننا ، ونحن نريد اجراء مقارنة بين تفسير أمّحمد أطفيش وتفسير الألوسي هو ما هي أوجه التّشابه والاختلاف في منهجيّة هذين التّفسيرين طالما أنّنا حكمنا على تأثر الأوّل بالثّاني ؟

المقارنة بين منهجيّة ( التّيسير ) ومنهجيّة ( روح المعاني ).

لا نرى اختلافا كبيرا بين التّفسيرين من حيث المنهجيّة العامّة ، طالما أنّهما ينتميان الى مدرسة واحدة ، ألا وهي مدرسة التّفسير بالرّأي ، فكلّ منهما يسلك المنهج التّاريخي النّقدي الذي يعتمد آراء المفسّرين السّابقين وغيرهم من العلماء ، ثمّ يعقّبها بالنّقد وابداء آرائه الخاصّة ، أو ترجيح أحد الآراء المعتمدة ، لذلك يقول محمّد حسين الذّهبي في وصف ( روح المعاني ) : " فهو جامع لخلاصة ما سبق من التّفاسير " ويضيف قائلا : "ينصب نفسه حكما عدلا بينها ، ويجعل من نفسه نقادا مدقّقا ، ثمّ يبدي رأيه جهرا فيما ينقل " (1).

وقد رأينا أنّ الحكم نفسه ينطبق — إلى حدّ ما — على كتاب ( التّيسير ) ومن هنا نرى أنّ التّباين بينهما يظهر أكثر وضوحا في وجهات النّظر تجاه بعض المسائل ، ويعود ذلك الى اختلافهما في البيئة ، والانتماء المذهبي .

موقفهما من المخالفين :

فاذا كان صاحب كتاب ( التّيسير ) ينتقد بعنف وحدّة — أحيانا — آراء المخالفين للمدرسة الاباضيّة المعتقدية على وجه خاصّ ، ويحاول تفنيدها واثبات صحّة آراء مدرسته ، مقرّا بذلك على انكاره للاختلافات في الأصول ومجيزا اياها في الفروع فانّ صاحب كتاب ( روح المعاني ) يذهب نفس المذهب ، منتصرا الى آراء السّلف في العقيدة رافضا كل الأفكار المخالفة لهم ولأهل السّنّة ، ويعتبر الاختلاف في الأصول مذموما حيث يقول : " ثمّ انّ الاختلاف المذموم محمول كما قيل على الاختلاف في الأصول دون الفروع ، ويؤخذ هنا التّخصيص من التّشبيه " وذلك في تفسير قوله تعالى : " ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا واختلفوا .. " 105 /آل عمران .

غير أنّه يحصر الاختلاف المحمود والجائز في اختلاف الصّحابة والمجتهدين المعتدّ بهم ، قائلا : " فالحق الّذي لا محيد عنه أنّ المراد اختلاف الصّحابة رضي اللّه تعالى عنهم ومن شاركهم في الاجتهاد كالمجتهدين المعتدّ بهم من علماء الدّين ليسوا

---

1) التّفسير والمفسّرون 1/356 .

بمبتدعين، وكون ذلك رحمة لخصماء الأمة ومن ليس في درجتهم، ممّا لا ينبغي أن يتنطع فيه كبشان ولا يتنازع فيه اثنان." (1)

ولعلّه يقصد بالمبتدعين المبتدعين كلّ المخالفين لآراء أهل السّنّة، لأنّ هذا اللّقب يطلقه — في الغالب — على الفرق المخالفة (2) وهذه نظرة ضيّقة بالمقارنة بنظرة أحمد أطفيش الّذي لم يخصّص فرقة في جوازه للاختلاف في الفروع ويلاحظ هذا من قوله :" . . وأمّا الاختلاف فيما يجوز فيه من الفروع للمجتهدين من الصّحابة ومن بعدهم فلا بأس به بل هو رحمة" (3).

ويظهر ميل الألوسيّ الى آراء السّلف في العقيدة بوضوح في انكساره للتأويل ودعوته الى الايمان بظاهر الآية ونستشف ذلك من قوله في تفسير الآية 16 / الملك" أأمنتم من في السّماء" معقبا على بعض الآراء :" وأنا أقول في التّأويل اتّباع الظّنّ وقول في اللّه عزّ وجلّ بغير علم والا لا تجد ما يذكرونه من المعنى فيه مع أنّ الأمر ليس كذلك، حيث يذكرون من التّأويل شيء واحد (4) وجوها من الاحتمالات وفيما عليه السّلف سلامة من ذلك ويكفي هذا في كونه أحسن المسالك.

"وما عليّ اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظنّ الجهل علما لي" (5)

بخلاف أحمد أطفيش الّذي يدعو الى تأويل كلّ آية يؤدّي معناها الى التّشبيه ويرى ذلك . . كما رأينا — واجبا.

ولكن الألوسيّ . . مع ذلك — يؤيّد آراء أهل السّنة، ويتبنّاها، ويدافع عنها محاولا ردّ كلّ الآراء المخالفة لها، شأنه — في ذلك — شأن أحمد أطفيش في دفاعه عن آراء الأباضيّة واثبات آرائهم، وهذا المثال يوضّح ذلك.

ففي تفسير قوله تعالى :" ويعفو عن السّيئات" 25 / الشّورى يتعرّض في بداية الأمر لرأي مذهبه قائلا :" صغائرها وكبائرها لمن يشاء من غير اشتراط شيء كالتّوبة للكبائر واجتنابها للصّغائر . ." ثمّ يتعرّض لرأي المعتزلة الّذي يشترط التّوبة في الكبائر واجتنابها للعفو عن الصّغائر بأعتبار هذه الآية تعميما بعد تخصيص فيقول ردّا عليهم

---

1) روح المعاني 4/ 23 — 25 المجلّد 2.
2) أنظر مثلا في ن م. 1/ 263 المجلّد 1.
3) التّيسير 1/ 562.
4) لعلّ الصّحيح (تأويل شيء واحد).
5) روح المعاني 39 / 13 ، 19 المجلّد 10.

وتدعيما للرأي السابق :" والظاهر مع أهل السّنة إذ لا دلالة في النّظم الجليل على تخصيص السّيئات ، نعم المراد بما غير الشّرك بالاجماع." (1)

فاذا كان المفسّران يتفقان في الرّدّ على مخالفي المدرسة الاباضيّة وأهل السّنة في المسائل المشتركة بينهما الاّ أنّهما يختلفان — أحيانا — في وجهات النّظر في فصم هذه المسائل وعلى سبيل المثال في تفسير قوله تعالى :" ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون " 44/المائدة.

يرى الألوسيّ أنّ المؤمن الفاسق — في نظر الخوارج — كافر ويقول في ذلك :" واحتجت الخوارج بهذه الآية على أنّ الفاسق كافر غير مومن " (2) بينما نجد أمحمد أطفيش يفرق بين مفهوم الكافر في رأي الاباضيّة والخوارج قائلا :" واستدلت الصفريّة بالآية على شرك فاعل الكبيرة وأخطاوا لعمرك اللّه لأنّ الكفر في الآية ليس شركا على الاطلاق بل معنى عام قابل للشّرك " ويتّضح رأيه أكثر في هذه المسألة في قوله :" على أنّ الكفر كفر نعمة أو كفر شرك على التّشبيه لا الحقيقة تغليظا عليهم " (3) .

واذا أمعنّا النّظر بعد هذا الاختلاف الظاهريّ في الفهم نلاحظ اتّفاق المفسّرين في وجهة النّظر في هذه المسألة على الرّغم من محاولة اثبات كلّ منهما لرأي مذهبه ومعتقده . (4).

فاذا كان مفهوم الكفر عند أهل السّنة حسب ردّ أمحمّد أطفيش محصورا في الشّرك(5) فانّ ما يفهم من كلام الألوسيّ أنّ هناك رأيا يرى :" المراد من الأخيرين منهما الكفر — أيضا — بعض المحققين ، وذلك بحملهما على الفسق والظّالم الكاملين . ."(6).

يجعلنا لا نرى هناك فرقا بين مفهوم الكفر عند هؤلاء والاباضيّة ، اذا أريد به كفر نعمة .

---

1) ن م . 36/25 المجلّد 09 .
2) ن م . 145/6 المجلّد 2 .
3) التّيسير 93/2 ، 94 .
4) روح المعاني 145/6 ، 146 المجلّد 2 ، التّيسير 93/2، 94.
5) التيسير 94/2.
6) روح المعاني 146/6 المجلّد 2.

ويظهر أيضا ـ اتفاق المفسّرين في التّحذير من أخبار الشّيعة ، فيقول الألوسيّ :" أخبار الشّيعة من أهل البيت أو هنّ من بيت العنكبوت وأنّه أو هنّ البيوت" (1) ، وممّا يؤكّد ذلك قوله :" وكلّ ما يروونه في ذلك كذب صريح وفيه القول بالرّجعة التي لا ينهض لهم عليها دليل :" وورد هذا النّقد في اعتبارهم الدّابّة المذكورة في قوله تعالى : " واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة " 82/ النّمل هي عليّ بن أبي طالب ، وهذا قول بالرّجعة .(2)

وكما انتقدا بشدّة آراء المذاهب المخالفة ، استعملا ـ أيضا ـ العنف في الرّدّ على أئمّتهم ، وهذا المثال يبيّن ذلك ، ففي تفسير قوله تعالى :" وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه " 43/ الأعراف يقول الألوسيّ ردّا على الزّمخشريّ :" .. فاعرف المعتزلة في الدنيا المهتدي بنفسه على قول اللّه تعالى حكاية عن قول الموحّدين في مقعد صدق ( وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه ) واختر لنفسك أيّ الفريقين تقتدي به ولا أراك أيّها العاقل تعدل بما نسبّه اللّه تعالى به قول ضالّ يتذبذب مع هواه وتعصبه ، ولمّا رأى الزّمخشريّ هذه الآية كافحة في وجوه قومه فسّر الهدى باللّطف الذي يسببه بخلق العبد الاهتداء لنفسه وهو لعمري كلام من حرّم اللطف نسأل اللّه تعالى العفو والعافية"

وبهذه الطريقة ، ومن هذه الوجهة يستعرض المفسّران آراء مذهبهما ويلتصران اليهما بكلّ ما لديهما من حجج عقليّة ونقليّة ، مفنّدين آراء مخالفيهما وحججهم ، ومحاولين الرّدّ عليهم ، وهما بذلك ينصّبان نفسيهما مدافعين عن وجهة نظر معيّنة ، نشأ عليها ، وتشرّبا مبادئها حتّى أصبحت جزءا من كيانهما وعقيدتهما ، وينظران اليها على أنّها الحقّ الذي لا محيد عنه ، وتمثّل في نظر كلّ واحد منهما العقيدة الصّحيحة وغيرها ضالّة وزائغة عن الحقّ ، ورغم أنّ الاختلاف في المسائل العقائديّة كان من عهد الصّحابة ، والتّابعين الأوائل ، ولا أدلّ على ذلك من أنّ كلّ واحد منهما يستدلّ على صحّة عقيدته ببعض هؤلاء ولعلّ ما ينسب الى السّلف والخلف من باب التّغليب فقط ، أو مجرد دعاية للكثرة ومذهب ولكن مع ذلك نرى أنّ هذا الدّفاع لا يعتبر تعصّبا ، اذا صدر عن اقتناع وايمان راسخ بصحّة ما ذهبا اليه لأنّ طبيعة العقيدة تتطلّب ذلك .

---

1) ن م . 33/11 المجلّد 4 .
2) ن م . 22/20 المجلّد 10 .
3) ن م . 121/03 المجلّد 03 .

ولكن نظرتهما الى مسائل الفروع تختلف كلّ الاختلاف ، فيكتفيان فيها باستعراض الآراء المختلفة وترجيح الرّأي الذّي يراه كلّ واحد منهما صائبا ، وفي الغالب يقع الاختيار على رأي مذهبه ، فمثلا في مقدار عدد المصلّين الذّين تصحّ بهم صلاة الجمعة في تفسير قوله تعالى :" فاسعوا الى ذكر اللّه " الآية 09/الجمعة يرجّح الالوسّي رأي أبي حنيفة قائلا :" وأنا أقول أرجحها مذهب الامام أبي حنيفة " ثمّ يعضد في تدعيم رأيه بقوله :" وقد رجحه المزني وهو من كبار الآخذين عن الشّافعيّ ، وهو اختيار الجلال السّيوطيّ ، ووجه اختياره مع ذكر أدلّة أكثر الأقوال بما لها وعليها مذكور في رسالة له مسمّاها ( ضوء الشّمعة في عدد الجمعة ) ، ولولا مزيد التّطويل لذكرنا خلاصتها ، ومن أراد ذلك فليرجع اليها ليظهر له بنورها حقيقة الحال ." (1)

فاذا قارنّا بينه وبين أمحمد أطفيّش لاحظنا اكثار الاوّل من ذكر المصادر التّي يستمدّ منها هذه الآراء ، بينما الثّاني يكتفي في معظم الحالات ، بسردها ، وفي بعض المسائل يكتشف الدّارس تشابه هذه الآراء المختلفة المنسوبة الى أئمّة المذاهب أو غيرهم من العلماء ، ممّا يجعله يحتمل اعتماد أمحمد أطفيّش تفسير الالوسّي مصدرا ، ولا يعني هذا أنّه كان يساير في جميع آرائه أو ينقل ذلك عنه حرفيّا دون اضافات ، ومن هذا المثال يتّضح لنا ما ذهبنا اليه : ففي تفسير قوله تعالى :" فاسعوا الى ذكر اللّه "الآية 9/الجمعة يتّفق المفسّران في سرد الآراء المختلفة في تقدير عدد المصلّين المشترط لصحّة صلاة الجمعة كما يتّفقان في رفض قول الشّافعيّ الذّي يشترط شخصا واحدا ، غير أنّ الالوسّي يذكر المصدر الذّي استقى منه القول الاخير والذّي هو ( شرح المهذّب ) ، وأمّا أمحمد أطفيّش فقد اقتصر على ردّ هذا الرّأي ، لكنّه من جهة أخرى يبين الفرق بين رأيي الشّافعيّ القديم والجديد في الفتيا قائلا :" وهو جديد الشّافعيّ وهو في مصر اذ هرب اليها وقد يفعله ما له في بغداد قبل الهروب" كما أنّه يحاول ايجاد احتمال لنقض أبي القاسم للبيع المنعقد بين أسرته والمطّار أثناء صلاة الجمعة قائلا :" قلت لعلّه انتقض لأنّ البائع قد لزمته الجمعة ، ولو لم تلزم النّساء والعبد والأطفال من أهله "(2) بينما الالوسّي قد اكتفى بسرد الحادثة مع بيان ما تفيد هذه الحادثة قائلا :" وظاهره حرمة البيع اذا نودي للصّلاة على غير من تجب عليه أيضا " (3).

---

1) ن م . 28/102 ، 103 المجلّد 10 ، أنظر مذهبه الآخر حول ترجيح رأي مذهبه في مسألة جواز الاستعانة بالكفّار في قتال المشركين وهو مذهب أبي حنيفة في ن م . 3/120 المجلّد 1 .
2) التّيسير 6/216 .
3) روح المعاني 28/102 ، 103 المجلّد 10 .

ومن هنا لا يستبعد أن يكون (روح المعاني) مصدر أمحمد أطفيش في اقتباس آراء المدارس الفقهية المختلفة ، هذه الآراء التي تعتبر احدى ميزات التفسيرين ، وان كان تفسير أمحمد أطفيش يزيد على الأول في ابراز آراء المدرسة الأباضية الفقهية ، ومكانتها بين بقية المدارس الأخرى بأدلتها وحججها ، ووجهة نظرها .

وجهة نظرهما من الاسرائيليات:

أول ما يلاحظ الباحث من آختلاف بين أمحمد أطفيش والألوسي في هذه المسألة ، ذكر هذا الأخير — في معظم الأحيان — للمصادر التي آعتمدها في استيقاء المعلومات ، بخلاف آمحمد أطفيش الذي يستغني — في كثير من الحالات عن ذكرها ويتثقفان في نقد بعض الروايات وتفنيدها ، والمثال التالي يبين طريقة الألوسي في نقل الأخبار ونقدها .

ففي تفسير قوله تعالى :" اهبطوا بعضكم لبعض عدو" 24 / الأعراف ، يقول بعد نقل رواية الأجهوري عن الغزالي التي تعزو نزول آدم من الجنة الى البحث عن مكان لقضاء حاجته نتيجة أكله من الشجرة المحرمة ، فيقول معقبا على هذه الرواية :" وأنا لا أرى لهذا الخبر صحة" (1)

غير أنه قد يكتفي بسرد الرواية مع آستعمالها بصيغة التبعيض دون ذكر المصدر مثلما فعل في روايته لكيفية نزول المائدة ومحتوياتها ، وقد آستعملها بقوله :" روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام . . " (2) وذلك في تفسير قوله تعالى :" لا أعذبه أحدا من العالمين" 115 / المائدة .

ومن هنا نرى أن الاختلاف الوحيد بين المفسرين هو مدى ذكر المصادر المعتمدة في هذه المسألة ، فقد كان الألوسي يذكر هذه المصادر أكثر من نظيره .

---

1) ن م . 102/03 المجلد 03 .
2) ن م . 63/07 المجلد 03 .

وجهة نظرهما من التّفسير الاشاريّ والتّصوّف.

ولعلّ أوّل ما يلفت نظرنا ونحن نتصفّح المفسّرين، موقف الألوسيّ المؤيّد للتّفسير الاشاريّ والتّصوّف، وموقف أمحمد أطفيّش الرّافض لهما، وقد يتجلّى موقف الألوسيّ مثلا في تفسير قوله تعالى: " انّ آية ملكه " 248/البقرة يقول المفسّر: انّ آية ملكه عليهم وخلافته من قبل الرّب فيكم أن يأتيكم تابوت الصدر فيه سكينة أي طمأنينة من ربّكم وهي الطّمأنينة بالايمان والانس بالله تعالى الخ.." (1)

بينما يرفض أمحمد أطفيّش التّفسير قائلا: " أو التّابوت القلب والسّكينة ما في القلب من العلم والاخلاص واتيانه مصير القلب كذلك بعد أن لم يكن وهو ضعيف لأنّه لا يلائم أنّه آية ملك طالوت لخفائه " (2).

والألوسيّ يصرّح بموقفه المؤيد جهارة في قوله: " وأمّا كلام السّادة الصّوفيّة في القرآن، فهو من باب الاشارات الى دقائق تنكشف على أرباب السّلوك، ويمكن التّطبيق بينها وبين الظّاهر المراد، وذلك من كمال الايمان ومحض العرفان" ثمّ يمضي في قوله مدافعا عن هذا الاتجاه انكار جمع لظاهر الآية الذي يؤدّي الى نفي الشّريعة بالكلية، ويبرّيء الصّوفيّة عن هذا الاعتقاد، ويختم قوله: " فلا ينبغي لمن له أدنى مسكة من عقل بل أدنى ذرّة من ايمان أن يتكلّم باشتمال القرآن على بواطن يفيضها المبدأ الفياض على بواطن من شاء من عباده.." ويعتبر انكار ذلك قصورا في العقل ويقول في هذا الشّأن: " فالانصاف كلّ الانصاف التّسليم للسّادة الصّوفيّة الذين هم مركز للدّائرة المحمديّة ما هم عليه واتّهام ذهنك السّقيم فيما لم يصل اليه لكدورة الحوائل " (3).

ويذهب به الأمر الى أبعد من ذلك، اذ يبرّر انكارهم للخلود في النّار" مبني على مشرب آخر وتجلّ لم ينكشف لنا والكثير منهم قد بنى كلامه على اصطلاحات ورموز واشارات قد حال بيننا وبين فهمها الحوائل الدّنيويّة والعلائق النّفسانيّة" (4).

---

1) ن م. 175/03 المجلّد 1
2) ن م. التّيسير 360/1، 361.
3) روح المعاني 07/1، 08 المجلّد 01.
4) ن م. 142/1 المجلّد 01.

و يوءّ من ببعض الخوارق التي تعتقدها الصّوفيّة ، و يتحامل على من ينكرها لاحظ ذلك في قوله : " كما يحكي عن بعض الأولياء تقدّست أسرارهم ، أنّهم يرون في وقت واحد في عدّة مواضع ، و ما ذلك إلّا لقوّة تجرّد أنفسهم و غاية تقدّسها ، فتمثل و تظهر في موضع و بدنها في موضع آخر . . . و هذا أمر مقرّر عند السّادة الصّوفيّة مشهور فيما بينهم و هو غير طيّ المسافة و انكسار من يتكر كلا منهما عليهم مكابرة لا تصدر إلّا من جاهل أو معاند "(1)

من هذه الأمثلة يتجلّى للقارئ موقف الألوسيّ و ايمانه بالتّفسير الأشاريّ و آنسياقه وراء أفكار المتّصوفين ، حتّى ليخال له أنّه أمام تفسير يمثل هذا الاتّجاه لكثرة ما ورد فيه من أفكار مدرسة التّفسير الاشاريّ و النّزعة الصّوفية ، و قد رأينا موقف أحمد أطفيش الرّافض لهذا النّوع ، و تحامله على نزعة التّصوّف ، و الوراءة من بعض أفكارهم المتطرفة و قد آستحمل في نقده لها بعض العبارات الدّالة على استنكاره لهذه النّزعة مثل : زعم أهل التّصوّف - و ان لم يحبك هذا فاضرب به وجوه الصّوفيّة . ألخ (2) ، غير أنّه - مع ذلك - يبدي احتراما لآراء بعضهم مثل الجنيد و آبن العربيّ ، و يؤمن بصحة كرامات الأولياء و هذا المثال يؤكّد ذلك : " ففي تفسير قوله تعالى : " و تحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا . . " 07/النّحل و يقول المفسّر : " . . فلا تنافي كرامات الأولياء و لا تبطلها في طيّ مسافات الأرض فيصلون المواضع البعيدة في زمان قريب بقرينة الوجود و مشاهدته " (3).

و يتّجلى ممّا تقدّم اختلاف وجهة نظر المفسّرين من التّفسير الأشاريّ و مذهب التّصوّف ، مع تقاسمهما في الايمان بكرامات الأولياء ، و الاعتراف بفضل علماء التّصوّف في خدمة العلم ، و آستنكارهما لما آبتدعته الصّوفية من عادات مخالفة للشّرع ، و من اعتقادات باطلة .(4)

و لعلّ ما يمتاز به ( روح المعاني ) عن ( التّيسير ) آشتماله على آراء مدرسة التّفسير الأشاريّ و أفكار المتّصوفين ، بحيث يتيح للقارئ فرصة الأطلاع على هذا الاتّجاه بكلّ ما فيه من محاسن و مساوئ ، غير أنّه من الأنصاف مؤاخذة الألوسيّ على آنسياقه وراء النّزعة الصّوفيّة و ايمانه بأفكارها الى درجة آعتبارها أمورا و رموزا يعجز

---

1) ن م . 13/23 ، 14 المجلّد 03 .
2) أرجع الى هذا البحث ص
3) التّيسير 3/553 .
4) أنظر رأي الألوسيّ في ذلك في تفسيره روح المعاني 18/20 و 70/21 المجلّد 07 .

شخصيّا عن فهمها وقد تحول دون تعبيره بـ" بيننا وبين فهمها الحواجز الدّنيويّة والعلائق النّفسانيّة" (1) وما مسألة أنكارهم للخلود في النّار الا دليل على ذلك .

المسائل العلميّة واللّغويّة :

لا يلاحظ الدّارس اختلافا كبيرا في هذه المسائل بين المفسّرين ، ففي المسائل العلمية لا تتعدّى معرفتهما حدود عصور الانحطاط ، فهما ينسبانها الى أهل الهيئة أو الفلاسفة مع التّشكيك في أقوالهم أحيانا ، وهذا ما يفهم مثلا من تعليقهم على قول أهل الهيئة بوجود مسافات شاسعة بين الكواكب تقدّر بملايين الفراسخ كما هو الحال بين كوكب الشّمس والأرض ، فيختم الألوسيّ هذا الخبر بقوله : " الى آخر ما زعموا " (2) وذلك في تفسير قوله : " زيّنا السّماء الدّنيا بمصابيح " 05/ الملك :

كما يذهبان الى التّوفيق بين العلم والأثر ، اذا وجدا تناقضا بينهما ، وخير مثال على ذلك ما جاء في الأثر أن الشّمس تسجد تحت العرش ، وما يعرف عنها فلكيا ، يقول الألوسيّ : " .. والتي يخطر بالبال في حلّ ذلك الاشكال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ، أنّ الشّمس وكذا سائر الكواكب مدركة عاقلة كما يشير الى ذلك قوله تعالى الآية : " كلّ في فلك يسبحون " (3) حيث جيء بالفعل مسندا الى ضمير جمع العقلاء ، وقوله تعالى : " انّي رأيت أحد عشر كوكبا والشّمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " (4).

لنحو ما ذكر يدلّ وعليه ظاهر ما روي عن أبي ذرّ من أنّها تسجد وتستأذن ، فانّ المتبادر من الاستئذان ما يكون بلسان القال دون لسان الحال .

وقد يستنجد الألوسيّ بأفكار الصّوفيّة لتفسير الظّواهر الكونيّة مثل قوله :

" ... فيمكن أن يقال أنّ للشّمس نفسا مثل تلك الأنفس القدسيّة ، وانّما تنسلخ عن الجرم المشاهد والمعروف مع بقاء نوع من التّعلّق لها به ، فتخرج الى العرش فتسجد تحته بلا واسطة وتستقر هناك وتستأذن ولا ينافي ذلك سير هذا الجرم المعروف ، وعدم سكونه حسبما يدّعيه أهل الهيئة وغيرهم .." غير أنّه يرجّح القول الأوّل ويبقى

---

1) ن م . 1/142 المجلّد 01 .
2) ن م . 29/09 المجلّد 10 .
3) 40/ يس .
4) 04/ يوسف .

الذّاتيّ مجرد احتمال .(1) ، ويرى أنّ الحكم على الظّواهر اللّغويّة يتمّ حسب الحالات التّي تظهر ما لم يثبت دليل قطعيّ خلاف ذلك :" حينئذ نميل الى التّأويل وبا بسه واسع"(2).

وطريقة الألوسيّ في الاستعانة بالعلوم لابراز مضامين الآيات الكريمة لا تختلف ـ كما رأينا ـ عن طريقة أحمد أطفيش الا من حيث لجوء الأوّل الى أفكار الصّوفيّة، واختلافهما في الايمان ببعض المسائل ، وجرأة الذّاتيّ على نقدها ، وقد تعرضنا لذلك في الفصل الذّاتيّ من هذا الباب.

أمّا المسائل اللّغويّة ، فكادت وجهات نظرهما تكون متّفقة في طريقة توظيف هذه المسائل في التّفسير ، وانّ كان هذا لا يمنع من ملاحظة اختلاف هذه الوجهات في تفسير هذه المسائل واستقلال كلّ منهما برأيه الخاصّ، وبل نجد أحمد أطفيش يعارض الألوسيّ في مواقفه من أبي حيّان في المسائل اللّغويّة ، ويستنكر موقف بعض البغداديّين من بينهم فيما يبدو الألوسيّ ويقول في ذلك :" ورد عليّ تفسير قبل هذه السّورة بمقدار البغداديّ يكثر فيه الرّدّ على أبي حيّان ، ولي همّة في الجواب عنه ، لكن لي أشغال"(3) وبل يرى أنّ ردّهم على أبي حيان لا يقصد به الّا الرّدّ وكأنّي به يريد أن يتّهمهم بنصب العداء له ، وهذا ما يفهم من قوله :" وما مراده الّا الرّدّ على الأمام أبي حيّان ، ولو أنصف لهذا الأمام لكان أولى ،(4) ولعلّ استعماله لضمير المفرد الغائب اشارة الى الألوسيّ الذّي يلاحظ الدّارس في كتابه ردودا كثيرة على أبي حيّان (5) وبلغ الأمر بالمفسّر الى درجة اتّهام المعارضين بتعمّد أخطاء أبي حيّان ، والتّجاوز عن حسناته ، ويقول في ذلك :" وأبى بعض المشارقة البغداديين اذا رأوا لأبي حيّان حسنة دفنها أو بغى لها جوابا ، أو رأى سيّئة أشاعها ، ومتى شاء أغتنم منه الفائدة" (6).

ولعلّ هذا المثال يجلي لنا ضرورة عن الخلافات بين المشارقة والمغاربة ، وانتصار كلّ مفسّر لعلماء منطقته ، كما يتجلّى منه اختلاف المفسّرين في وجهات نظرهما تجاه بعض المسائل اللّغويّة والنّحويّة ، لكن أسلوب استغلال هذا المصدر في التّفسير لا نلاحظ

---

1) روح المعانيّ 13/23 ، 14 المجلّد 02.
2) ن.م. 100/27 المجلّد 09.
3) التّيسير 49/06.
4) ن.م. 153/3.
5) روح المعانيّ 160/30 المجلّد 10 ، 144/27 المجلّد 09.
6) التّيسير 535/6.

فيه اختلافا يذكر، و نفس الحكم ينطبق على المسائل العلمية التي تعكس ثقافة كل مفسر لكنها ثقافة لا تعدو أن تكون العاما ببعض المعارف العامة في علم الفلك و الطبيعة و الفلسفة، بمفهومها المعروف في عصور الانحطاط، و ان كانت لا تخلو من بعض المعلومات المعاصرة للمفسرين. (1)

و نخلص الى القول بأن المفسرين يمثلان المدرسة السلفية في التفسير و ينتميان الي مدرسة الدراية، و يمثل كل واحد منهما وجهة نظر انتمائه العقائدي والمذهبي و الدفاع عنها بكل ما أوتي من أدلة و حجج، مع محاولة تفنيد أدلة خصمه، و هذه نظرة ليست غريبة عن التفاسير التي ظهرت بعد تبلور المدارس الاسلامية.

المقارنة بين (التيسير) و (جواهر الحسان).

يمثل تفسير (جواهر الحسان) لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (733، 784هـ 373، 875 هـ) مدرسة التفسير بالمأثور، و يرجع الى القرن التاسع الهجري بينما تفسير (التيسير) يعتبر حديثا بالمقارنة بسابقه، و يمثل مدرسة التفسير بالدراية، و رغم هذا الفاصل الزمني، و اختلاف منهجية التفسير لا يلاحظ الدارس اختلافا كبيرا من حيث طريقة التأليف و المحتوى، و هذا راجع الى المصادر المعتمدة في التفسيرين، التي لا تتعدى أمهات التفاسير المعروفة، في هذا العلم و هذا لا يعني اتفاق وجهات نظر المفسرين في رؤيتهما للمسائل المختلفة.

كما أن هذا لا يمنع من وجود اختلاف واضح و بين في منهجيتهما في التفسير و هذا الاختلاف يظهر في الجوانب التالية :-

1) طريقة الاستفادة من المصادر:

فاذا كان الثعالبي قد اعتمد في مؤلفه تفسير ابن عطية، مما دعا عبد الوهاب زايد الى اعتباره مختصر هذا الأخير (2)، و قد اعترف المفسر نفسه بذلك في مقدمة مؤلفه قائلا: " فقد ضمنته بحمد الله الجم مما أشتمل عليه تفسير ابن عطية"

---

1) أنظر أمثلة في روح المعاني 145/28 المجلد 10، 100/27 المجلد 09، 93/29، 94 المجلد 30 (كروية الأرض) يطلق على أهل الآراء المعاصرة (فلاسفة العصر) أهل الهيئة الجديدة الحكماء الجديدة الخ.. أنظر أمثلة في التيسير 6/09 تقسيم الفرنسيين للمغرب العربي و تاريخ استيلائهم على الجزائر العاصمة.

2) عبد الوهاب بعبد الوهاب زايد منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ص 294.

لكنّه أضاف اليه — على حدّ قوله — فوائد كثيرة من المصادر الأخرى ، ويفهم ذلك من قوله : " وزدته فوائد جمّة من غيره من كتب الأئمّة وثقات أعلام هذه الأمّة" كما ضمّنه — أيضا — بعض آرائه الخاصّة وكان يرمز اليها بحرف (ت) وقد التزم في قوله الأمانة العلمية ، والنّقل الحرفيّ لآراء غيره خوفا من الخطأ ويقول في ذلك :"وكل ما نقلت عنه من المفسّرين شيئا فمن تأليفه نقلت وعلى لفظه صاحبه عوّلت ، ولم أنقل شيئا ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزّلل ، وانّما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها اليه . . " .

وبالفعل يلاحظ الدّارس ، فعلا في الغالب — ذكر السّند والمصدر وقد أولى أهمّية لهذا الجانب ممّا دعاه الى توجيه القارئ لتصحيح ما أشكل عليه الى المصادر التي آعتمدها وتجنب استخدام رأيه في ذلك ، ويفهم هذا من قوله :" ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الأمّهات المنقول منها ، فليصلحه منها ، ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزّلل من حيث لا يشعر " .(1)

وهذه النصوص تدّل دلالة واضحة على آهتمام المفسّر بالتّحقيق ، والتزامه بالأمانة العلميّة في النّقل ، ونسبة الرّأي الى صاحبه ، وهذه الميزة لا نجدها في كتاب ( التّيسير ) المشتمل بدوره على آراء أعلام التّفسير وأئمّة الفقه ، والتّاريخ ، وعلوم أخرى ، لكن صاحبه لم يبلغ درجة تحقيق النّص التي بلغها صاحب كتاب ( الجواهر ) . ممّا يستدعي من الدّارس — في حالة تحقيق النّصوص — الرّجوع الى كتب التّفسير والمصادر الأخرى ، وتكبّد عناء البحث ، بينما لا يجد في ذلك صعوبة كبيرة في كتاب ( الجواهر ) ، وقد يحتمل الدّارس اعتماد أمحمّد أطفيّش في نقل بعض الآراء على مراجع أخرى غير مصادرها مثل ما لاحظنا ذلك في بعض المسائل التي لا نستبعد نقلها من كتاب ( روح المعاني ) .

ولكنّ ( التّيسير ) يتفوّق على ( الجواهر ) في آشتماله على معلومات مختلفة ويعتبر موسوعة في التّفسير بالمقارنة به ، اذ يحتوي على آراء مختلفة الاتّجاهات في هذا العلم ، وتبرز فيه شخصية المفسّر بوضوح ، بينما لا يعدو كتاب ( الجواهر ) أن يكون مختصرا لكتاب ابن عطيّة مع اضافات أخرى ، وتدخلات المؤلّف القليلة ممّا دعا محمّد حسين الذّهبيّ الى القول : " انّ الثعالبيّ في تفسيره هذا ليس له بعد الجمع والتّرتيب الّا عمل قليل ، وأثر فكري ضئيل "(2)

---

1) الجواهر 1/07،03 .
2) التّفسير والمفسّرون 1/250 .

ففي المسائل الفقهية كثيرا ما يقتصر على آراء المذهب المالكي ، محاولا الانتصار له وان تحداه لا يتجاوز — في أغلب الأحيان — مذاهب أهل السنة ، والعقيدة الأشعرية أو السلفية، وان ساق آراء غيرهما قصد بذلك الرد عليها وتفنيدها ، مثلما نلاحظ في مسألة رؤية الباري ، فبعد استعراضه لآراء أهل السنة في القضية وأدلتهم وحججهم العقلية والنقلية ، راح يرد على ابن عطية قوله تعقبا على قول مجاهد وغيره : "ان الله عز وجل قال له : " يا موسى لن تراني (1) ولكن سأتجلى للجبل وهو أقوى منك وأشد فان استقر وأطاق الصبر لرميتي فسيمكنك أنت رؤيتي " فقال ابن عطية : " فعلى هذا انما جعل الله الجبل مثالا " ثم يقول ردا على ذلك : " قلت وقول (ع) (2) ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا أنه لا يراه موسى أبدا ولا في الآخرة قول مرجوح لم يتفطن له رحمه الله ، والحق الذي شك فيه أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد " واثر ذلك يرد على الزمخشري : " وذكر الزمخشري في (أنموذجه) أن لن لتأبيد النفي وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستدل بما ينفي عن (لن) التأبيد " (3).

ويبلغ به الحد الى التحذير من مطالعة تفسير الزمخشري مجاراة لآراء شيوخه ويقول في ذلك : " وحذر الشيخ ابن أبي حمزة من النظر في تفسير الزمخشري ، ونبه على عدم جواز مطالعته لوجوه نبّه عليها وبه أقول وقد أدركت جماعة من مشائخي الورعين الخائفين يجتنبون النظر في تفسير الزمخشري ومن خاف على نفسه احتاط لها " (4)

والعامل الذي دفعه الى اتخاذ هذا الموقف المعادي لتفسير الزمخشري تمسكه بالعقيدة الأشعرية وآراء أهل السنة ، ولا سيما المذهب المالكي وهذا المثال يؤكد لنا ذلك ، فيقول في آية اللعان (5) : " ومشهور المذهب أن نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولا يحتاج معها الى تفريق حاكم وتحريم اللعان أبدي باتفاق فيما أعلم من مذهب مالك " (6).

واذا قارنا هذا الموقف بموقف أحمد بن يوسف أطفيش وجدنا هذا الأخير أكثر تفتحا على المذاهب والفرق ، لا من حيث تناول آرائها ، ولا من حيث الاستفادة من أدلتها .

---

1) 143 / الأعراف
2) يرمز بحرف الحين (ع) لابن عطية .
3) الجواهر 2/ 68 / 69 .
4) ن م . 5/ 191 .
5) النور/ 09
6) الجواهر 3/ 172 .

2) أسلوب الاختصـــار:

يظهر أسلوب الثّعالبيّ في الاختصـــار في عدّة جوانب منها خاصّـة :ـ

أ . عدم تعرّضه لاختلاف الفقهـاء من مسائل الفروع الّا نادرا ، اذ يكتفي ـ في معظم المسائل ـ بآراء علمـاء المذهب المالكيّ ، واذا تعرّض لغيرها ، لا يتجاوز في ذلك المذاهب الأربعة المعروفة .(1) بينما نجد كتابه (التّيسير) أكثر شموليّة لآراء المدارس الاسلاميّة بما فيها المدرسة الاباضيّة ، غير انّ كليهما يلتزم الاختصار فاذا كان الاوّل يبدو اختصاره فيما تقدّم ذكره ، فانّ الثّاني يستغني عن ذكر المراجع والسّند ـ وأحيانا ـ الأدلّـة .(2)

وكلاهما يحيل القارئ في بعض المسائل على كتب الفقه فمثلا يقول الثّعالبيّ في نهاية تفسير آية الظّهار ما يلي :" وفروع الظّهار مستوفاة في كتب الفقه فلا نطيل بذكرها ".(3) ويقول أحمد أطفيش في بعض مسائل الوراثة :" وبسطت المسئلة في شرح النّيل وشرح الدّعائم" (4) وممّا يلاحظ أنّ هذا الأخير كثيرا ما يحيل القارئ على مؤلّفاتـه .

ب. يتجنّب التّكرار وهذه سمة بارزة في كتاب (الجواهر) وقد أشار المفسّر الى ذلك قائلا :" وقد وقد استوعبت فيه بحمد اللّه ممّـا قاله ابن عطيّة وأسقطت كثيرا من التّكرار وما كان من الشّواذ في غايـة الوهي ."(5).

ففي قضية الرؤية مثلا في تفسير قوله تعالى :" وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة" 23/ القيامة يقول المفسّر :" وقد تقدّم استيعابنا الكلام على هذه المسألـة وما في ذلك من صحيح الأحاديث" وذلك بعد أن ساق رأي أهل السّنة .(6)

ويلحق به الاختصار الى درجة الاستغناء عن تفسير بعض الآيات ، أو الاقتصار على تذليل الصّعوبات اللّغويّة تحاشيا للتّكرار والاطالة ، ففي آخر تفسير قوله تعالى :" يخافون عن أمره " 63/النّور يقول :" وباقي الآية بيّن والحمد للّه " (7)

---

1) أنظر أمثلة في الجواهر 1/ 185 ـ 133 (مسائل الحـــج)
2) أنظر أمثلة في (التّيسيـــر) 1/260 ـ 273 (مسائل الحج).
3) الجواهر 4/331.
4) التّيسير 1/693.
5) الجواهر 4/692.
6) ن.م. 4/522.
7) ن.م. 3/199.

وفي تفسير قوله تعالى :" والسّماء ذات البروج " 1/ البروج يقول :" هي المنازل التي عرفها العرب وقد تقدّم الكلام عليها " (1).

يصف المفسّر كتابه بقوله :" كفاية للمبتدئ يستغني به عن المطوّلات" (2)، ولعلّ هذا الوصف يصدق الى حدّ بعيد على مؤلّفه ، كما أنّ وصف أحمد أطفيش لكتابه (التّيسير) بقوله :" لتوفيقوا فيه لأنّه غير طويل بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطوّلات" (3) يدلّ على مدى التزام صاحبه بالاختصار لكنّه يلجأ الى التّكرار ولا سيّما في مسائل الخلاف رغبة منه في تثبيت آرائه في ذهن القارئ ، وقد ضربنا مثالا على مسألة الرّؤية التي تعرّض لها في عدّة مواضع من تفسيره ، كان بامكانه الاقتصار على توضيحها في موضع واحد ، ولكن لا يعني هذا أنّ هذه الملاحظة تنطبق على جميع المسائل الواردة في تفسيره ، وقد يشير الى أنّ بعضها قد سبق شرحها مثل قوله في تفسير :" ووجدك " 93/الضحى ، "مثل ما مرّ " (4) ، والمفسّر لا يؤمن بالتّكرار في القرآن من أجل التّكرار ، لذلك يحاول أن يجد في تفسيره للآيات المتشابهة عدّة أوجه ، وقد أشار في سورة (الكافرون) الى انكاره للتّكرار من أجل التّكرار قائلا :" وعلى كلّ وجه لا تكرير في الآية" (5) ، وقد يحاول زيادة بعض الاضافات التي لها علاقة بسياق الآية مثل تفسير قوله تعالى :" اذا السّماء انفطرت" 82/ الانفطار، يقول :"كلّها فللافراد بعد بتأويل الجماعة أو السّماء الدّنيا (انفطرت) مطاوع فطرها أي شقّها فانشقت لنزول الملائكة يوم تشقّق السّماء بالغمام و نزّل الملائكة تنزيلا"(6)" (7).

وقوله :" اذا السّماء انشقت" 84/ الانشقاق ، يقول المفسّر :" مطاوع شق، توجهت ارادة اللّه الى شقّها فانشقّت ومثله انفطرت أي انشقت بالغمام ، كما قال اللّه سبحانه وتعالى :" يوم تشقّق السّماء بالغمام " يسلّطه عليها فتشقّق به ، وقيل تشقّق لهول يوم القيامة ، لقوله تعلى :" وانشقت السّماء فهي يومئذ واهية" (8) ولا مانع أن يكون الهول هو تسلّط الغمام فذلك قول واحد . . " (9).

---

1) ن م. 4/593.
2) ن م. 4/153.
3) كشف الكروب 1/96.
4) التّيسير 6/620.
5) ن م. 6/701.
6) الفرقان / 25.
7) التّيسير 6/515.
8) الحاقة / 16.
9) التّيسير 6/535.

ولعلّ حرص المفسّر على جعل كتابه شاملا وجامعا مع محاولة الاختصار هو الذي فرض عليه هذه الطريقة في التأليف.

ج. يختصر المفسّر في سرد الروايات الأسرائيليّة، ويختارها يراه مساعدا على الشرح، والذي دعاه الى ذلك — أيضا — شكّه في صحّتها لضعف سندها ولعدم سنده، فبعد سرده للأسلوب الذي قاتل به داود جالوت وهو شبيه بما ذكره أحمد أطفيش يقول: المفسّر: "وقد أكثر الناس في قصص هذه الآية، وذلك كلّه لبين الأسانيد، فلذلك انتقيت منه ما تنفكّ به الآية، ويعلم به مناقل النازلة." (1)

وقد يستغني من بعض التفاصيل قصد الاختصار مثلما فعل في وصف مائدة بني اسرائيل التي يعقب وصفها بقوله: " وأكثر الناس في قصص المائدة ممّا رأيت اختصاره لعدم سنده " (2)

واذا قارنّا بينه وبين أحمد أطفيش، نجد هذا الأخير لا يتحرج من سرد الروايات المختلفة على أنّه كان يستعمل معظمها بصيغة التبغيض أو يشير الى أنّها من الأسرائيليّات وهذا لم يمنعه من خوضه — أحيانا — في هذه المسألة ويتفوق في هذا الجانب على كتاب الثعالبي، لكونه يشتمل على الروايات المختلفة التي تساعد الدارس والباحث على الاطلاع عليها، غير أنّ الثعالبي كان أكثر تحقيقا واحترازا من الخوض في هذه المسألة التي عابها معظم المحققين، وأخذوا عليها الخائضين فيها.

ونخلص الى القول بأنّ كلّ تفسير من هذين التفسيرين يحمل مميّزات خاصّة، لا يستغني منها القارئ المغربي بصفة عامّة والجزائري بصفة خاصّة، فالجواهر يمثّل أفكار أهل السنّة ولا سيما المذهب السائد في هذه الرقعة من العالم الاسلامي تجتاه بعض المسائل الواردة في القرآن الكريم منها ما أشرنا اليها، ومنها وجهة نظر هذه المدرسة من التصوف. (3) كما أنّه يعتبر مختصرا لتفسير ابن عطيّة مع ما يتضمن من آراء مفسّرين وعلماء الى المؤلّف ولا يخلو من بعض أفكاره فهو من هذه الناحية يمثّل وجهة نظر المفسّر العقائدية والفقهيّة السائدة في تلك الحقبة التاريخية، بالاضافة الى بعض المعلومات التي استغنينا عن الاشارة

---

1) الجواهر / 1/ 238، 239.
2) ن.م. 1/ 597.
3) يرى عمّار طالبي أنّ وجهة نظر المفسّر من هذه القضية، لا تختلف عن وجهة نظر السنّية فلا يذهب مذهب الحلول أو الخصوص أو مذهب وحدة الوجود للمزيد من التفصيل، ارجع الى الجواهر المقدمة بقلم عمّار طالبي 1/ أ — س.

اليها لأنّها لا تختلف كثيرا عمّا ورد في كتب التّفاسير ، وممّا يمتاز به هذا التّفسير تحقيق النّصوص ونقدها ، والحرص على ذكر السّند والمصدر ، فلا يبذل الباحث جهدا كبيرا لمعرفة مصادر المعلومات التي أوردها في تفسيره وهذه الميزة لا نجدها في كتاب ( التّيسير ) الذّي يمثّل بدوره وجهة نظر مدرسة اسلاميّة الحقا عقديّة ألا وهي المدرسة الاباضيّة ، بالاضافة الى اعتباره دراسة شبه مقارنة لآرائها وآراء مدارس اسلاميّة أخرى ، وبل ووجهات نظر بعض الفرق ، فهذا التّفسير يمتاز بدوره عن الأوّل بنوع من الشّموليّة وغزارة المعلومات سواء كان ذلك في المسائل الدّينيّة أو اللّغويّة أو العلميّة أو غيرها .

أمّا فيما عدا ذلك فلا نلاحظ اختلافا يذكر بين التّفسيرين ، لا من حيث المنهجيّة التي طغت عليها النّاحية التّاريخيّة ، ولا من حيث بعض المضامين ، وما يشد انتباه الدّارس لهذين التّفسيرين نزعتهما المغاربيّة التي تظهر في اعتماد مصادر علماء هذه المنطقة وترجيح آرائهم في كثير من المسائل ، أو على الأقل اثبات وجود هذه المصادر في تفسيريهما ، وقد ذكر الثّعالبيّ آراء ابن العربيّ ، وعبد الحقّ الخزرجيّ أو البجاويّ (1) ، كما ذكر أمعمّد أطفيّش هود بن محكم الهواريّ ، وابن العربيّ والشّماخيّ وغيرهم ممّن أثرنا اليهم في البحث .

وآخر ما يمكن ملاحظته ، تيسّم عسار طالبي بتحقيق ( الجواهر ) وتخريجه في طبعة مشوّقة تيسّر على القارئ دراسته وترغبه في ذلك ، وبقاء كتاب ( التّيسير ) على حالة طبعته الحجريّة المليئة بالأخطاء ، وان كانت وزارة التّراث القوميّ والثّقافة بسلطنة عمّان قامت بمبادرة طبعه ، لكن دون تحقيقه واعادة ترتيبه .

---

(1) ن م . 1 / ل .

المقارنة بين التّيسير والمنار:

من المعلوم أنّ لـ أمحمّد أطفيّش قد عاصر الحركة الأصلاحيّة، التّي تزعمها جمال الدّين الأفغانيّ ومحمّد عبده من بعده، وهذه المعاصرة تقتضي من المفسّر أن يتأثر بها، ويؤثر فيها ولا سيّما وهو يمثّل أحد الدّعاة الى معاداة الحركة الأستعماريّة وتوحيد كلمة المسلمين كما بيّنا ذلك في المبحث الخاصّ بتعريفه، وانّ كنّا لا ننفي هذا التأثير نفيًا كليّا فانّنا لا ندّعي بأنّه بلغ درجة التّي بلغها أولئك الدّعاة المصلحين وهذا في نظرنا يعود الى سببين رئيسيين:

1) ثقافة المفسّر التّي تختلف عن ثقافة تلاميذه محمّد عبده ورشيد رضا، هذه الأخيرة تحمل سيمات النّهضة الثّقافيّة العربيّة، وبداية عصر الأنبعاث، بينما ثقافة أمحمّد أطفيش هي ثقافة سلفيّة محضة.

2) اطلاع محمّد عبده وتلميذه رشيد رضا على الثّقافة الأوروبية ونهضتها، ومعايشتها لبوادر الحركة التّحريريّة في العالم، بينما أمحمّد أطفيش عاش في بيئة عرفت حركة استعماريّة شرسة، ولم يكن أطلاعه على النّهضة الأوروبيّة الحديثة ومعايشته لأحداث حركة التّحرير كاف ليتأثر بها، ويتحرّر من الثّقافة السّلفيّة القديمة، وبما ضد حركة الأصلاح غير أنّه قد أشاد بمؤلفات هذه الحركة مستنكرا غيرها التّي لا تدعو الى الانعتاق من الاستعمار(1) كما تفسير بعض اعترافاته الى أنّه كان على اتّصال بمحمّد عبده عن طريق المراسلة.

ولهذه الأسباب، فانّ تفسيره يختلف عن تفسير (المنار) الذّي ألفه رشيد رضا، مدوّنا فيه أقوال أستاذه محمّد عبده، ونظرا للطّريقة التّي تمّ بها تدوين هذه الأقوال، وانتماء كلّ منهما الى مدرسة الأصلاح ومحاولة رشيد رضا محاكاة منهجيّة أستاذه مع تغيير بسيط(2)، فانّنا نرى مقارنة هذا التّفسير من حيث كونه يمثّل وجهة نظر المدرسة الأصلاحيّة بالتّيسير لبيان أوجه الأختلاف والتّشابه بينهما.

---

1) التّيسير 2/791.
2) التّفسير والمفسّرون 3/243.

1) الثـورة على التّقليـد :

أوّل ما يلفت انتباه الدّارس لتفسير (المنار) ثورة مؤلفيه على التقليد الأعمى، واعتماد مبدأ حرية التّفكير منهجا في تفسير القرآن، وهذا ما دعاهما الى محاولة فهم الآية أولا وادراك أبعادها ومعانيها قبل الرّجوع الى كتب التّفسير خشية التّأثر بغيرهما (1). وهذه المنهجية أملاها عليهما الهدف الأساسي الذّي حدّداه من نزول القرآن الكريم ويتمثّل فيما يلي :" والتّفسير الذّي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد النّاس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدّنيا وحياتهم الآخرة، فانّ هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له أو وسيلة لتحصيله " (2).
ولذلك فهم يريان أنّ :" أكثر ما كتب في التّفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية السّامية " (3).

فالدّارس من خلال ما تقدّم يتصور منهجيّة جديدة كلّ الجدّة في تفسير (المنار) تختلف عن منهجية سابقيهما، تبتعد عن الأفكار في مباحث تحجب القارئ عن مقاصد القرآن الأساسيّة، غير أنّه يفاجأ عند مطالعته للمنار التّباين الواضح بين ما أقرّاه في المقدّمة وبين المنهجيّة المتبعة في هذا التّفسير، التّي أدّت بهما الى ما حذّرا منه واستنكراه لا سيما ما كان من تأليف رشيد رضا، ولكن هذا الأخير يعلّل ذلك في المقدّمة بقوله : " وهذا انّني لمّا استقللت بالعمل بعد وفاته (4) خالفت منهجه رحمه اللّه تعالى بالتّوسع فيما يتعلق بالآية من السّنّة الصّحيحة سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللّغويّة أو المسائل الخلافيّة بين العلماء وفي الاكثار من شواهد الآيات في السّور المختلفة، وفي بعض الأستطرادات لتحقيق مسائل تشتدّ حاجة المسلمين الى تحقيقها، بما يثبتهم بهذا يقينهم في هذا العصر، أو يقوّي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحلّ بعض المشكلات التّي أعالجها (5) بما يطمئن به القلب وتسكن اليه النّفس" لكنّه ينصح القارئ بقراءة الفصول الأستطرادية الطّويلة مستقلّة عن التّفسير (6).

---

1) ن م. 3/224 حـ 2 44.
2) المنار 1/17 مقدمة التّفسير.
3) ن م. 1/07 مقدمة رشيد رضا.
4) وفاة أستاذه محمد عبده.
5) لعلّ الصّحيح (أعالجها).
6) المنار 1/16 مقدمة رشيد رضا.

ومحمد عبده لا ينكر هو الآخر استعماله ببعض علوم البلاغة واللّغة وقواعدها وقواعد الأصول (بقدر ما يحتمله المعنى) (1).

ومن هنا نستنتج أنّ (المنار) لم يلج — كثيره — من بعض المسائل التي تجعل التّفسير يبتعد عن مقاصده، وتقحمه في خلافات لغويّة ونحويّة، وكلاميّة وفقهيّة إلخ.. هي من اختصاص مؤلّفات هذه الفنون والعلوم، كما تجعل من العسير التزام الموضوعيّة، والتّحرر من الدّفاع عن وجهة نظر معيّنة في المسائل المذكورة آنفا، والتي لا تخلو من التأثيرات الموروثة والمكتسبة من انتماء المفسّر، وتربيته ودراسته، وكتاب (المنار) لا يختلف عن (التّيسير) في هذا الجانب، فقد تعرّض مؤلّفاه لهذه المسائل كما لاحظنا ذلك في (التّيسير)، واذا كان الأمر كذلك فأين تظهر ثورته على التّقليد؟.

تظهر هذه الثورة في بعض المفاهيم منها :-

اعتبار القرآن مصدر هداية النّاس وارشادهم لما فيه خيرهم دنياهم وآخرتهم، وينبغي لذلك أن يكون :" أصلا يحمل عليه المذاهب والآراء في الدّين، لا أن تكون المذاهب أصلا والقرآن هو الذي يحمل عليها، ويوجه بالتّأويل والتّحريف اليها ."(2)

ومن الملاحظ أنّ الفكرة الأخيرة بحاجة الى النّظر، اذ كلّ مذهب يرى أنّه استمدّ أفكاره ومعتقداته من القرآن والسّنة، فهي مطابقة لما جاء فيهما، واذا لجأ الى تأويل آية كان ذلك في نظره — تأويلا يقتضيه معنى هذه الآية، ومن باب حمل المتشابه على المحكم ولذلك فانّ هذا المفهوم يحتاج الى أدلّة تثبت صحّة تجاهل تفسير معيّن أو مذهب خاصّ الّا ما هو معروف من الفرق الضّالة التي أجمع المسلمون على زيغها وانحرافها عن الأصول الثّابتة، ويلحق بهذا المفهوم الاعتقاد بمذهب السّلف الذي تمسّك محمد عبده، ورشيد رضا الأوّل في قوله نقلا عنه :" . . وأنا على طريقة السّلف في وجوب التّسليم والتّفويض فيما يتعلّق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب" والثّاني في قوله :"(أقول) أنا مؤلّف هذا التفسير انني ولله الحمد على طريقة السّلف وهدي هم عليها أحيا وعليها أموت ان شاء الله

---

1) ن م. 12/1 مقدمة التّفسير.
2) ن م. 70/1، 71.

تعالى :" وكأنّ المذاهب الأخرى تذكر آراء السّلف مع أنّها تستدلّ بها في صحّة عقائدها ، ومن المغالطة — اذن — اعتقاد بأنّ هناك مذهبا سلفيّا محضا ، ولكن رشيد تمسّكهما بمذهب السّلف الذّي يتجنّب التّأويل — على حدّ تعبيرهما — فانّهما يجمعان بين طريقتي السّلف والخلف في بحثهما للمسائل ويبرّر محمّد عبده ذلك بقوله :" وانّنا نسير في فهم الآيات على كلا الطريقتين لأنّه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها ، لأنّ اللّه عزّ وجلّ لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى " ويضيف رشيد رضا غرضا آخر ألا وهو تخطئة الآراء المخالفة لمذهب السّلف وتفنيدها ، والجمع بين النّقل والعقل (1) ، ولكن محمّد عبده كان أكثر تحرّرا من تلميذه ، ويظهر ذلك من دعوته الى توحيد المسلمين وتجاوز الخلافات المذهبيّة مهما كانت في الأصول أو الفروع بآعتبار هذه المذاهب :" مجتهدة بكتاب وسنّة واجماع وما يشبه ذلك والنّصوص فيها متعارضة من الأطراف" ويحاول ايجاد عدّة احتمالات لتفسير حديث ( ستفترق أمتي )،لأبعاد الفرق الاسلاميّة عن الفرقة الهالكة ، ويقول في آخر بحثه لهذا الموضوع :" وممّا يسرّني ما جاء في حديث آخر أنّ الهالك منهم واحدة" (2) وذلك في تفسير قوله تعالى :" انّ الّذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا .." 159/ الأنعام .

ويرى رشيد رضا أنّ هذا الحكم قد صدر منه :" أيّام اشتغاله بعلم الكلام في الأزهر ممتازا باستقلال الفكر وعدم التّقليد والبراءة من التّعصب والحرص على جمع كلمة المسلمين ، ولكنّه كان ينقصه سعة الاطّلاع على كتب الحديث" وبعد دراسته لمذاهب المتكلمين والفلاسفة والصّوفيّة ، هداه اللّه الى مذهب السّلف.(3)

فهذه النظرة الوحيدويّة للمسلمين بتجاوز الخلافات المذهبيّة دعوة نادى بها — كما رأينا — أحمد أدلفيش في تفسيره قوله تعالى : " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " 46/ الأنفال (4) ، غير أنّ التّحرر من النّزعة المذهبيّة يتجلّى في ( المنار) أكثر من ( التيسير ) من حيث طريقة مناقشة آراء المذاهب الأخرى التي تعتمد الاقناع والدّليل منهجا ، ومن حيث مخالفة المذهب في بعض المعتقدات منها مثلا قضيّة الوعيد في أكل الرّبا مما جاء

---

1) ن م . 1/252، 253
2) ن م . 3/221، 222 .
3) ن م . 3/222 .
4) التّيسير 2/791 .

فيها :" . . وما الوعيد بالخلود هنا الّا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد ، وليس هناك شبهة في اللّفظ على ارادة الاستحلال ، ومن العجيب أن يجعل الرّازيّ الآية هناك حجّة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة في النّار ، انتصارا لأشياعه الأشاعرة ، وغير من هذا التّأويل تأويل بعضهم للخلود بطول المكث . . " (1) وجاء فيه ـ أيضا ـ استنكار المؤلّف لموقف أهل السّنة من أئمّة الجور ، فبعد الاشادة بمحاربتهم واعتبارهم فدائيّين يقول :" وجمهور أهل السّنة يوجبون في هذه المسألة الى قاعدة تعارض درء المفاسد وجلب المصالح ، وقاعدة ارتكاب أخفّ الضّررين في مقاومة الظّلم وأهله لئلا يفضي الى فتنة التّفرّق والشّقاق ، ولكنّهم أيّدوا الظّالمين وأطاعوهم بشيعة هذه القواعد حتّى ضاع الاسلام وشرعه وتضضضع كلّ ملك لأهله ، لأنّهم لم يحكموا تحكيمها وتطبيقها " (2).

ونظرة أ محمّد أطفيّش الى المسألتين السّابقتين مستوحاة من آنتماءه المذهبيّ ، نجده يؤ من بخلود الفاسق في النّار اذا لم يتب (3) ويتجلّى موقفه من أئمة الجور في قضية التحكيم وقتال الفئة الباغية (4) ودعوة الى عزل الامام الفاسق إن أصر على فسقه . (5)

فاذا كان هناك تقارب بين وجهات نظار التّفسيرين من مسألتي الخلود في النّار ومحاربة أئمّة الجور ، فانّ رؤية صاحبي (المنار) مستوحاة من موقفهما تجاه حالة المسلمين واستقراءهما لنصوص القرآن بينما وجهة نظار (التّيسير) مستمدّة أصلا من مبادئ المذهب الأباضيّ وان كان هذا لا يعني اتّفاق وجهات نظارهما تمام الاتّفاق .

ومن اثار ثورتهما على التّقليد نقد الآثار الموضوعيّة من الأحاديث والرّوايات الأسرائيليّة ، وهذا النّقد يعود الى نظرتهما لهذه الآثار ، والتّي ترى أنّ الصّحيح منها قليل :" وأكثر التّفسير المأثور وقد سرى الى الرّواة من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب كما قال الحافظ بن كثير :" وقد مسّت هذه الرّوايات تصحيح الرّسل وأثر الحم

---

1) المنار 3/ 98، 99.
2) ن م . 3/ 224، 225.
3) التّيسير 3/ 34.
4) ن م . 5/ 474، 475 ـ 2/ 791، 792.
5) ن م . 5/ 415.

وأمورا لغيبٌ (1)، ويرى محمّد عبده أنّ هؤلاء المفسّرين أخذوا — ما سمحوه — عن أهل الكتاب: " من غير تفريق بين غثّ وسمين، ولا تنقيح لما يخالف الشّرع ولا يطابق العقل " (2) كما يعود الى مفهومهما لمقاصد القرآن، والاعتماد على نصوصه في الفهم، وآعتباره المصدر الأوّل في التّشريع، فلا عجب — اذن — اذا ناقش محمّد عبده أحاديث واردة في الصّحيحين البخاريّ ومسلم، وأنكر منها ما يخالف غرض القرآن أو نصّه، وهذا ما دعا محمّد حسين الذّهبي الى القول: " فهو لا يثق بصحّة الحديث رغم رواية الشّيخين له ويقول: " فلا ما نسمع عندهم من عدم صحّة ما يرويه البخاريّ " الى أن يقول ردّا عليه: " وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السّنة للكتاب في منزلة المبيّن من المبيّن " (3)، ويبدو أنّ في هذا الحكم شيئا من القساوة على محمّد عبده الذي لم ينكر السّنة الصّحيحة ولم يستخفّ بها، انّما كان يحمل بعض الأحاديث على معان توافق أغراض القرآن من ذلك مثلا ما جاء في تفسير (المنار) ردّا على أولئك الذين يرون أنّ حوّاء خلقت من ضلع آدم: " .. وحديث أبي هريرة في الصّحيحين " فانّ المرأة خلقت من ضلع " على حدّ " خلق الانسان من عجل " (4) بدليل قوله: " فان ذهبت تقيمه كسرته، وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنّساء " أي لا تحاولوا تقويم النّساء بالشّدة." وذلك في تفسير قوله تعالى: " ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة .." 19/ الأعراف. (5)

وقد تحرّز صاحب (التّيسير) — أيضا — لنقد بعض الأحاديث بالتّشكيك في صحّتها يقول: "اذا صحّ الحديث" أو بنقد سنده كقوله: " وفي سنده أبو هدبّة وقد جرّب عليه الكذب" (6) أو بقوله: " ولا ندري أصحّ الحديث أم لم يصحّ وعلى صحّته فهو تمثيل لما سيكون" (7) والأحاديث التي تعارض وجهة نظر مذهبه يحاول حملها على معان موافقة لها أن احتمل صحّتها أو يردّها مثل قوله في رفع الأيدي في الصّلاة والقبض: " لأحاديث وضعها أوائلهم أو غيرهم، وهب أنّها صحّت عنه صلّى اللّه عليه وسلّم لكن فعل ذلك لداع مثل أن يقع سلاح من تأبّطه للشّرّ " (8).

---

1) المنار 1/ 97، 98.
2) ن م. 1/ 13 مقدّمة التّفسير.
3) التّفسير والمفسّرون 3/ 241 المجلّد 2.
4) 37 / الأنبياء.
5) المنار 8/ 346.
6) التّيسير 4/ 457، 453 المجلّد 1.
7) ن م. 4/ 223 المجلّد 1.
8) ن م. 6/ 214، 215.

فقد اعتبر بعض الدّارسين ذلك النّقد و تمحيص الحديث وردّ ما يخالف صريح القرآن من باب انكار السّنّة كما ذهب الى ذلك محمّد حسين الذّهبيّ ، و هذا الاتّجاه في تحقيق الحديث ، أو على الأقل من السّنّة ناتج — في نظرنا — عن التّشبث المفرط بالسّنة صحيحها و ضعيفها حتّى أصبحت لدى بعض الفقهاء و المفسّرين مقدّمة على القرآن ، و مقاصده و لا سيّما ما ورد في الصّحيحين ، و ان كان هناك تعارض واضح بين القرآن و السّنّة أو بين السّنّة و الواقع و المنطق ، فاذا حاول بعض المحقّقين التّوفيق بينهما مع تقديم النّص القرآنيّ على السّنّة ، ثارت ثائرتهم و اتّهموهم بانكار السّنّة أو تفسيرها على هواهم ، و تصرّف هؤلاء المحقّقين — في نظرنا — يعتبر دعوة منهم الى اعادة النّظر في تمحيص السّنّة ، و انتقاء الصّحيح منها ، و اعادة تفسيرها مع ما تقتضيه معاني القرآن و أغراضه ، و لا يعني هذا أن ردّ حديث أو أحاديث تعارض رأيا ما أو مذهبا في مسألة من باب التّحقيق الذّي أشرنا اليه ، لغرض الرّدّ و انّما يكون ذلك بأدلّة صحيحة باعتماد المنهجية التّي سطّرها دارسو السّنّة مع الاستعانة بالمناهج الحديثة في دراسة النّصوص ، فيتساوى في ذلك جميع كتب الحديث ، لتخلص الى باقة من السّنّة الصّحيحة تكون مصدر فهم القرآن ، و تطبيق تعاليمه .

و ممّا تقدّم يمكن استخلاص أنّ ثورة ( المنار ) على التّقليد أدّت الى ظهور مفاهيم جديدة في تفسير القرآن على ضوء الواقع ، و دعوة الى تجديد منهجيّة التّفسير ، لكن رغم ذلك لم يتخلّص من الأسر في بعض المسائل التّي عالجتها التّفاسير السّابقة ، و التّي كانت من أبرز أوجه التّشابه بينه و بين ( التّيسير ) الّا أنّه قد تناولها بطريقة أكثر تحرّرا منه ، و لو تقيّد مفسّراه بالملاحظة و المنهجيّة التّي رسمها في المقدمة ، لخرج تفسيرهما من المألوف ، و لكان أكثر تحقيقا للهدف الذّي حدّداه و المتمثّل في كون القرآن كتاب هداية و ارشاد .

و على التّفسير أن يكون في خدمة الغرض لا كتابا جافّا مبعدا عن اللّه و عن كتابه وهو ما يقصد به حلّ الألفاظ و اعراب الجمل و بيان ما ترمي اليه تلك العبارات و الارشادات عن النّكت الفنّية ، و هذا لا ينبغي أن يسمى تفسيرا ، و انّما هو ضرب من التّمرين في الفنون كالنّحو و المعاني و غيرهما .. " (1).

---

1) المنار 1/24 مقدمة التّفسير .

واذا قارنّا بين التّفسيرين في الرّوايات الأسرائيليّة وجدنا فرقا واضحا بينهما يظهر في اعتماد (التّيسير) على هذا المصدر في شرح بعض المسائل في القصص والغيبيّات وبيانها، بينما يتجنّب (المنار) الخوض في هذه المسائل بأعتبار أنّ قصص القرآن تهدف الى العبرة لا الى الجانب التّاريخيّ الذي هو ليس من مهمّة الدّين (1) ويحذّر محمّد عبده من هذه القصص قائلا: " وقد قلت لكم غير مرّة أنّه يجب الاحتراس في قصص بني اسرائيل وغيرهم من الأنبياء، وعدم الثّقة بما زاد عن القرآن من أقوال المؤرّخين والمفسّرين.." الى أن يقول: " فنحن نحذر المفسّرين الذين حشدوا كتب التّفسير بالقصص التي لا يوثق بها لحسن قصدهم، لكنّنا لا نقول على ذلك بل ننهى عنه ونقف عند نصوص القرآن لا نتعدّاها، وانّما نوضحها بما يوافقها اذا صحّت روايته " (2)، لكن مع كلّ هذا الحذر والتّحذير نجد رشيد رضا يساق وراء بعض الرّوايات التي ينقلها من التّفاسير السّابقة، أو من التّوراة والأنجيل محاولا التّعليق على بعضها. (3)

ولذلك فانّه رغم دعوة المفسّرين الى الأستفادة من عبر قصص القرآن، والأكتفاء بما ورد فيها، فانّ تفسيرها لم يخل من الرّوايات الأسرائيلية.

الدعوة الى اصلاح المجتمع في التّفسيرين:

انّ أبرز ما يميّز تفسير (المنار) هو دعوته التّربوية الى اصلاح حال المسلمين بالقضاء على البدع والتّقليد في العقيدة، والعبادات والسّلوك والمعاملات والتّحذير من مكائد الأستعمار والأخذ بأسباب الحضارة فهذه الدّعوة كانت احدى المبادىء الأساسية للحركة الأصلاحيّة نجد أثرها واضحا في تفسير (المنار) انطلاقه من ثورته على التّقليد والمقلّدين سواء في فهم القرآن وتفسيره، أو في اتّباع الأئمّة دون استخدام العقل الرّجوع الى القرآن والسّنّة لأستلهام التّشريع والهداية، ويظهر ذلك ممّا جاء فيه: " أنّ المسائل الدّينية المحضة وهي العقائد والعبادات تؤخذ من نصوص القرآن وبيان السّنّة لها، بالقول والعمل، على الوجه الذي كان عليه الصّدر الأوّل من الصّحابة، فما أجمعوا عليه فلا عذر لأحد في مخالفته، وما اختلفوا فيه يظهر في دلائله ويرجع بعضه على بعض.." ويضيف قائلا: " ولا يلتفت الى الشّذوذ ولا يجوز بحال من الأحوال احداث عبادة جديدة أو الأتيان بعبادة مأثورة على غير الوجه الذي كان

---

1) ن م. 1/279.
2) ن م. 1/347.
3) أنظر مثلا في ن م. 1/347، 343 وقصّة المائدة في ن م. 07/256، 257.

عليه النبيّ (ص) و جمهور أصحابه (رض) لا بقياس، و لا بدعوى اجماع لمن بعدهم ، ولا لمصلحة، و لا بغير ذلك من العلل و النّظريّات و ذلك في تفسير قوله تعالى :" يا أيها الّذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم . . " 101/المائدة (1).

و في تفسير قوله تعالى :" و قالت اليهود عزير بن اللّه . . . و لو كره المشركون " 30 ــ 33/ التّوبة يستنكر على مقلّدي شيوخ المذاهب ، و الاعراض عن الكتاب و السّنّة و لا سيّما أولئك الّذين يتّبعون " مشايخ الطّرق في بدعهم و ضلالهم " و يستطرد قائلا: " و يوجد فيهم في هذا الزّمان من هم مثل من ذكر الرّازيّ و من هم شرّ منهم " .(2)

و هذه الحملة الّتي شنّها على التّقليد و المقلّدين هي ميزة هذا التّفسير ، و تبيّن لنا مدى تحمّس محمّد عبده و رشيد رضا الى التّجديد ، و القضاء على أسباب تخلّف المسلمين و الاقتداء بالسّلف الصّالح من عهد الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم و الخلفاء الرّاشدين ، كما يشيدان بالحضارة الغربية الاسلاميّة في عصر ازدهارها .

و التّقليد في نظرهم قسمان تقليد الآباء و المشايخ المشهورين ، و تقليد أوروبا في قوانينها المخالفة للشّريعة الاسلاميّة و يفهم هذا من قوله :" فهما ضلالتان ــ ضلالة التّقليد و التّعصّبية للآباء و الأجداد ، و لا تزال تكأة أكثر الضّالين في أصل الدّين و في فهمه و في الاهتداء به ــ و ضلالة الغلوّ في الحريّة الشخصيّة الّتي لم تكن فتنتها في زمن ما أشدّ و أعمّ في هذا الزّمن ، بما بثّ الافرنج الفاتنون المفتونون لدعوتها في كلّ الأمم . . " و قد قال من قبل :" و من عجيب أمر حكومتنا المصريّة أنّها تقلّد الافرنج في نظام التّعليم و في اطلاق الحريّة الشّخصيّة" (3).

و قد كانت مباحثه تدور حول هاتين المسألتين في معظم ما تناوله في اصلاح المجتمع و الحكم ، و ما هو السّبيل الى تحقيق ذلك في نظره ؟

لا يسترجع المجتمع الاسلاميّ مجده الّا بالرّجوع الى ما كان عليه السّلف الاوّلين الّذين كانوا يهتدون بالقرآن و السّنّة المبيّنة له ، و الاستفادة من حضارة أوربا مثلما استفادوا هم

---

1) ن م . 193/7 .
2) ن م . 368/10 .
3) ن م . 530/8 و 531 .

من الحضارة الإسلاميّة ، وبل مباراتهم في العلوم والفنون . (1)

فيهاجم بشدة دعاة التقليد والمقلدين ، وما ينشرونه من دعايات توهم العامّة أنّ دعوة التجديد الى الاستقلال في فهم الكتاب والسنّة والاهتداء بهما هي الخروج من الإسلام .

كما دعا الى التحرّر من الاستدمار بكل الوسائل المتاحة للمسلمين تحت راية الجامعة الإسلاميّة ، ويرى التقاعس عن ذلك خيانة ، وقد وجّه في هذا الغرض نداء بعد أن استعرض مكائد الغرب وغزوهم البلدان الإسلاميّة ومحاولة انشاء التفرقة بين المسلمين ومساعدتهم لليهود على قيام دولتهم في فلسطين وجاء ذلك في تفسير قوله تعالى :" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . " 29/التوبة (2).

وان قارنّا ذلك بوجهة نظر أحمد أطفيش ، لا نجد في تفسيره سوى بعض اللمحات التي تدعو الى وحدة المسلمين ، وقتال النصارى ، وتجنب البدع (3) ، وقد أشرنا الى بعضها في الفصل الثاني من هذا الباب ، وقد كان يتابع باهتمام — فيما يبدو — حروب المسلمين مع أوروبا ، ولذلك كان يدعو للخلافة العثمانيّة بالنصر . (4)

وهذا الاختلاف في رأينا ، يعود الى الأسباب التي ذكرناها في مدخل هذا المبحث والى هدف كلّ واحد من تفسيره ، فقد ألّف أحمد أطفيش تفسيره لملء الفراغ الذي عرفه المذهب الإباضي في هذا العلم ومساعدة طلبته على دراسته ، بينما كان يهدف محمّد عبده ورشيد رضا من تأليفه الى معالجة القضايا المعاصرة لهما ، ابتغاء تحقيق الأهداف السالفة الذكر ، وان كان هذا لا يمنع أن يكون غرضهما — أيضا — هو التعليم ويعدو ذلك من المباحث التي أضافها رشيد رضا في تفسيره ، فهو بذلك يجمع بين غرضي الإصلاح والتعليم .

3) توظيف العلوم الحديثة :

انّ توظيف العلوم في التفسير ظاهرة تعود الى عصر ظهور التفسير على شكله المعروف ، ولا نبالغ حين نقول بأن عصر الصحابة والتابعين قد عرف هذه الظاهرة وتدلّ على ذلك ما ورد في الآثار من آرائهم في بعض الظواهر الكونيّة ، الا أنّ التفسير لم يعرف

---

1) ن م . 11/253 ، 254 ( دحض شبهة في اقامة حجّة ) .
2) ن م . 10/306 — 321 ، 8/226 — 232 .
3) التيسير 5/370 .
4) ن م . 4/592 المجلّد 02 .

التّوظيف بمعناه الحقيقيّ الّا في الصور المتأخرة ، و يعزو صاحب ( المنار ) ذلك الى تفسير الفخر الرازيّ . (1)

غير أنّ ما ورد في هذه التّفاسير من جملتها كتاب ( التّيسير ) لا بدّ و أن يكون علوما عامّة ، بحاجة الى التّحقيق ، و لم تخضع — أغلبها — للتّحقيق العلميّ و التّجربة و هو من تراث الأمم السّابقة منها العرب بمعرفتهم ممزوج بما أضافه علماؤهم بآستقراء بعضها ، بينما نجد بصمات العلوم الحديثة و الاختراعات واضحة في ( المنار ) و قد وظّفها لضرب أمثلة لتوضيح بعض المفاهيم الغامضة ، مثل ضربه لمثل تطوّر الهاتف لتقريب احتمال وصول العلماء الى اختراع جهاز ينقل الصّورة و الصّوت عملا بقياس ما يكون على ما كان بعد العلم بوحدة الوسائل ، و هذا المثال ضربه للتّصديق بالغيب و قدرة الخالق و ذلك في تفسير قوله تعالى :" و اذ قال ربّك للملائكة . . " 30 / البقرة (2) ، أو يوظّف هذه العلوم لتوضيح الآية ، و افادة القارئ بمعلومات جديدة لها علاقة بها على غرار من سبقه لكن بآستعمال العلوم الحديثة ، مثل تحريفه للغازات الموجودة في الهواء و تحريفه بتركيباتها ، و فوائدها و مضارها و معلومات أخرى حول الرّياح ألخ . . و ذلك في تفسير قوله تعالى :" و هو الّذي يرسل الرّياح نشرا . . . النّعوم يشكرون " 56 ، 57 / الأعراف (3) .

و يحثّ القارئ لهذه المعلومات في ( المنار ) بآطلاع صاحبه على بعض العلوم الّتي عرف كيف يستغلّها في تفسيره ، و ان كان قد وصل به الأمر — أحيانا — الى الخروج عن مقاصد القرآن ، و هو ما عاب عليه المفسّرين الّذين سبقوه .

و اذا استثنينا المسائل الّتي ذكرناها و الّتي تبيّن أوجه الاختلاف و التّشابه بين التّفسيرين في مجال التّجديد و التّقليد ، لا نلاحظ في المسائل الأخرى فرقا كبيرا بين التّفسيرين ، الّا من حيث توظيف أمّحمد أطفيّش الأوسع لعلوم قواعد اللّغة و البلاغة و الآثار الأدبيّة بالمقارنة بنظيره .

و خلاصة القول أنّ ( المنار ) يختلف عن ( التّيسير ) من حيث معالجته لمسائل العصر و كانت خطوة رائدة خطاها مؤلّفاه نحو التّجديد ، و الثّورة على التّقليد ، و جعل القرآن كتاب هداية ، و تشريع ، و اصلاح و ان كانا لم يتخلّصا تمام التّخلص — لا سيما رشيد رضا — من التأثيرات المذهبيّة و العقائدية .

---

1) المنار 1 / 07 مقدمة رشيد رضا .
2) ن م . 1 / 256 .
3) ن م . 08 / 432 — 439 .

ومن المنهجيّة التّي سلكها من سبقهما ، والتّي كانت موضوع نقدهما ، فلو اختار في تأليفه منهجيّة تتلاءم والهدف الّذي حدّداه، لكان لتفسيره ما تأثير أكبر على المجتمع الإسلاميّ ، ولعلّ من الأسباب التّي جعلت هذا التّفسير يحيد عن الغاية التّي رسمها له محمّد عبده على وجه الخصوص ، تأثّر رشيد رضا ببعض المصلحين السّابقين ، الّذين عاشوا في ظروف تختلف كلّ الاختلاف عن ظروفه مثل ابن القيّم وابن تيميّة (1) والشّوكانيّ وغيرهم ، على الرّغم من محاولة تجنّبه لمطالعة كتب التّفاسير السّابقة خوفا من التّأثّر بها إلاّ بعد أن يحدّد فهمه للآية .

ومع ذلك فإنّ هذا التّفسير قد سجّل تقدّما واضحا بالمقارنة بتفسير (التّيسير) الّذي تقيّد فيه صاحبه بمنهجيّة من سبقه من المفسّرين متأثّرا بهم ومقتفيا آثارهم ، مع وجود بعض أفكار التّجديد فيه ، وكان يجمع بين النّقل والعقل في معالجة بعض المسائل العقائديّة والغيبيّة ، التّي وإن عالجها نظيره بنفس الطّريقة ، لكنّ ما كان يلجأ مؤلّفه إلى حسم النّزاع باللّجوء إلى الحلّ السّهل وهو ما كان عليه السّلف في حدّ تعبيره المتمثّل في " الأيمان بظواهرها (2). مع تنزيه اللّه تعالى عمّا يوهمه ذلك الظّاهر ، وتفويض الأمر فيه إلى اللّه تعالى " (3) ، وكان مع إيمانه بمذهب السّلف يلجأ إلى التّأويلات التّي يريدها دفعا لحجج المتكلّمين والفلاسفة معتمدا خصوصا على مؤلّفات ابن تيمية وابن القيّم ، فهذه المنهجيّة — في رأينا — تتنافى مع طبيعة الإسلام والعقيدة التّي تستدعي استخدام العقل بجانب النقل للوصول إلى الاقتناع ، وتجنّب التّقليد الأعمى ، وإلاّ ما استطاع أن يصارع التّيارات الفلسفيّة والفكريّة المختلفة ، والقرآن نفسه يدعو إلى استخدام العقل ، وترع المحجّة بالحجّة والتّأويل لا يتنافى مع تفويض الأمر إلى اللّه بعد البحث والاقتناع وهذا — في نظرنا — من شيمة المحقّق البصير والنّزيه .

---

1) ومن اعترافاته بهذا التأثّر قوله : " أنّني لم يطمئنّ قلبي بمذهب السّلف تفصيلا إلاّ بممارسة هذه الكتب " مشيرا إلى مؤلّفات ابن تيمية وابن القيّم ، المنار 1/253 .
2) الصفات تعود على صفات اللّه .
3) المنار 3/196 .

# الخاتمة

## — الخاتمـــــة —

ما يمكن استنتاجه من هذا البحث ، اعتبارا محمد بن يوسف أطفيش مفسرا كسائر مفسري مدرسة السلف ، التي استغلت المصادر المعروفة لديها لتفسير القرآن الكريم واستجلاء ما فيه ، ولذلك جاءت هذه التفاسير تحمل مميزات مشتركة كثيرة حتى لايكاد يفرق الدارس بينها ، وقد لاحظنا هذا التشابه بين تفاسير أحمد بن يوسف أطفيش وتفاسير أخرى الناتج عن التأثير، وهذه سمة مشتركة بين معظم تفاسير هذه المدرسة ، التي هي تكرار لما سبق أو تلخيص لها ، أو جمع لآراء السابقين ، والتفسير الذي درسناه تطغى عليه الميزة الأخيرة ، فمن الصعب تحديد اتجاه المفسر لجمعه لشتى المعارف من فقه ، وحديث ، وعلم كلام ، وأدب ، وقواعد ، وتاريخ ، ونحوها .

فاذا كنا قد صنفنا تفسيره في اتجاه معين وأنهيناه بمنهجية محددة ، فذلك من باب مراعاة هدف المفسر من تأليفه من جهة ومن باب اعتبار الميزة الغالبة عليه من جهة أخرى ، ولهذا صنفنا تفسيره " التيسير " في صنف " التفسير التعليمي " الذي خاض فيه المفسر في مسائل مختلفة مستمدا من ذلك افادة دارس هذا العلم ، غير أن الطابع المميز لهذا التفسير هو تصويره لوجهة نظر الاباضية في مسائل مختلفة ، لا سيما العقائدية فهو بذلك يمثل تفسيرا لاحدى المدارس الاسلامية ، وقد تعمد المفسر فيه الدفاع عن هذه المدرسة وابراز فضلها وحجيتها وأدلتها لاثبات صحة آرائها ، كما حاول تفنيد أدلة مخالفيهم ، مستعملا — أحيانا — بعض عبارات العنف ، عزونا ذلك الى عاملين :

1) ايمان المفسر بصحة هذه الآراء ، وهذه عادة كل مدافع عن فكرة مؤمن بها ، لا سيما في المسائل العقائدية والدينية التي تتطلب الايمان الراسخ واليقين الصادق .

2) تعرض هذه المدرسة الى اتهامات ، وهجومات استهدف منها تهميشها وابعادها عن الخط الاسلامي والجماعة المسلمة ورميها بالزيغ والضلال وما الى ذلك من نعوت .

ومقابل ذلك رأيناه يدعو صراحة الى توحيد كلمة المسلمين ، وتجاوز الخلافات ، كما دعا — عمليا — الى ذلك بعرض آراء المدارس الأخرى مع بيان أدلتها ، والاستفادة منها .

ولا يخلو تفسيره من بعض آرائه الخاصة في بعض المسائل الدينية أو العلمية أو الاجتماعية ، التي تبرز من خلالها شخصيته ، غير أن ذلك قليل بالمقارنة بتفاسير المدرسة الاصلاحية المعاصرة ، أو التي عرفت فيما بعد تطورا واضحا في المضمون والمنهجية .

.../...

فهذا ما يمكن استنتاجه وملاحظته من خلال دراسة مضامين تفسيره ، أمّا من حيث المنهجية التي سلكها فيه ، فقد لاحظنا بوضوح طغيان منهجية التفسير بالدّراية ، وتتجلّى خاصّة في تأويله للآيات التي يفهم منها التّشبيه ، واستعمال أسلوب الاستدلال والتعليل والقياس غير أنّه كان يعتمد من حين لآخر منهجية التفسير بالمأثور .

ومما لاحظناه - أيضا - عدم اعتنائه كثيرا بذكر المصدر والسند ، وإغفاله - أحيانا - في سرد بعض الروايات الضعيفة أو غير الموثوق في صحتها متعمدا - تارة - لنقدها ، وتاركا الحكم عليها للقارئ تارة أخرى .

وهذا يعود الى دقة المفسّر ورغبته في جمع المعلومات واحترازه من تكذيب الرّوايات التي قد تكون صادقة .

ورغم المآخذ الملحوظة في تفسيره فإنه شأن معظم مفسّري مدرسة التفسير بالرأي السّلفيّة ، فإن تفسيره يعتبر دائرة معارف لآراء أشهر المفسّرين السابقين ، الذي جمع فيه وجهات نظر معظم المدارس الاسلاميّة وكذا بعض الفرق ، مع ابراز وجهة نظر الاباضيّة .

من هذا تظهر أهميته بين كتب التفاسير في العالم الاسلامي ، وتعتبر - أيضا - بالنسبة للمدرسة الاباضية مرجعا لا يستغني عنه باحث ودارس لهذه المدرسة ، وقد غطّى فراغا واضحا عرفته مكتبة هذه المدرسة للأسباب التي ورد ذكرها في هذا البحث ، ولعلّ أهميّة هذا المرجع تستمدها من هذا العامل ، ولولاه لأخذنا المفسّر على التّمسك بطريقة السّلف في التفسير ، وابتعاده عن معالجة واقعه وخوضه في مسائل لا تخدم مقاصد القرآن الكريم لكنه يعتبر من جهة نبلة في احياء التراث ودراسته يعطي صورة ولو متأخرة عن وجهة نظر الاباضيّة في العصور السابقة ، غير أنّ المفسّر لو خصّص أحد تفاسيره ، لا سيما الأخير لاصلاح الفرد والمجتمع تحقيقا لما جاء في قوله تعالى : " وإنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم " الآية 09 / الاسراء ، لكانت مساهمته أكثر فائدة في هذا المجال ، وان كان تحقيق هذا الغرض ليس أمرا سهلا ، اذا أخذنا بعين الاعتبار التأثيرات المختلفة في المفسّر وخوفه من التّقوّل على الله ، وصعوبة التّخلص من المعتقدات وهذا ما رأيناه في تفسير " المنار " الذي حاول فيه صاحباه التحرّر من ذلك ولكنهما لم يفلحا ، مما جعلهما ، لا سيما رشيد رضا يتخليان عن المنهجيّة التي سطراها في المقدّمة .

.../...

ومن هنا نخلص الى القول بأن تغيير منهجية التفسير أصبح ضرورة ملحة ، بغية تحقيق أهداف القرآن الكريم في هداية البشرية و تجسيد تعاليمه في الحياة عملا بقوله تعالى :" اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ، و لا تتبعوا من دونه أولياء" الآية 03 / الأعراف.

وحتى لا تبقى التفاسير مجرد معارف لها صلة بالتراث أكثر من صلتها بحياة الانسان و مساعدته على الاستنارة بالقرآن الكريم في كل زمان و مكان مصداقا لقوله تعالى :" هذا بصائر للناس و هدى و رحمة لقوم يوقنون " الاية 20 /الجاثية .

# الفهارس


القرآن الكريم

الأحاديث النبوية

الأعلام

البلدان والأماكن

المذاهب والفرق والأمم

المصادر والمراجع

الموضوعات

## — فهرس القرآن الكريم —


| السورة | الآية | رقم الآيات | الصفحة |
|---|---|---|---|
| البقرة (2) | . هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب | 02 ، 03 | 100 |
| | . أو كصيب من السماء ..... قدير | 19 ، 20 | 179 ، 180 |
| | . يا أيها الناس اعبدوا ربكم ... | 21 | 92 |
| | . فلا تجعلوا لله أندادا ..... | 22 | 178 . |
| | . وبشر الذين آمنوا وعملوا .... | 25 | 117 |
| | . واذ قال ربك للملائكة ..... | 30 ، 38 | 161 ، 279 |
| | . ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ .. | 48 | 207 |
| | . حتى نرى الله جهرة ..... | 55 | 206 |
| | . ثم بعثناكم من بعد موتكم .... | 56 | 219 |
| | . وباءوا بغضب من الله ... | 61 | 179 |
| | . فجعلناها نكالا ..... | 66 | 196 |
| | . ومن أظلم ممن منع مساجد الله | 114 | 164 |
| | . واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات | 124 | 35 |
| | . فأتمهن قال اني جاعلك .... | | |
| | . واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .. | 125 | 202 |
| | . وأرنا مناسكنا ... | 128 | 164 |
| | . فمن حج البيت أو اعتمر ... | 158 | 222 |
| | . وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم | 190 | 149 |
| | . واقتلوهم حيث ثقفتموهم .. | 191 | 149 |
| | . فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه | 194 | 223 |
| | . فما استيسر من الهدي | | |
| | . فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ... | 196 | 132 ، 223 |
| | . ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . | 213 | 178 |
| | . قل قتال فيه كبير .... | 217 | 209 |
| | . يسألونك عن الخمر والميسر ... | 219 | 148 |
| | . ولا تنكحوا المشركات ... | 221 | 150 |
| | . وعلى الوارث مثل ذلك .... | 233 | 128 |
| | . ان آية ملكه ..... | 248 | 258 |

| السورة | الآيـــــــــة | رقم الآيـــات | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|
| | . ومن لم يطعمه فانه مني ... | 249 | 132 |
| | . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة | 280 | 205 |
| | . يأيها الذين أمنوا اذا تداينتم .. | 282 | 141 |
| | . يحاسبكم به اللـــه ... | 284 | 229 |
| آل عمران ( 3) | . وأنزل الثورية والانجيل .... | 03 | 155 |
| | . هو الذي أنزل عليك الكتاب منه .. | 07 | 203، 206 |
| | . انك أنت الوهـاب | 08 | 126 |
| | . من النساء والبنين والقناطير المقنطرة | 14 | 153 |
| | . فنادته الملائكة وهو قائم | 39 | 196 |
| | . وامرأتـي عاقـر | 40 | 196 |
| | . ان الله اصطفاك وطهرك .. | 42 | 196 |
| | . أنّي يكون لي ولـد ... | 47 | 196 |
| | . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون | 78 | 246 |
| | . من قبل أن تنزل الثورية | 93 | 192 |
| | . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم ... | 105 | 206، 219، 252 |
| | . ولو آمن أهل الكتاب ... | 110 | 139 |
| | . الذين ينفقون في السراء والضراء . | 134 | 165 |
| النساء ( 4) | . فانكحوا ما طاب لكم من النساء .. | 03 | 154 |
| | . وآتوا النساء صدقاتهن ... | 04 | 156 |
| | . وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح | 06 | 155 |
| | . وللنساء نصيب مما ترك الوالدان . | 07 | 226 |
| | . وله أخ أو أخـت ... | 12 | 152 |
| | . ثم يتوبون من قريـب ... | 17 | 235 |
| | . يأيها الذين أمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكـارى | 43 | 148 |
| | ان الله لا يغفر أن يشرك بـه ... | 48 | 234 |

| السورة | الآية | رقم الآيات | الصفحة |
|---|---|---|---|
| | . ولو كان من عند غير الله لوجد وافيه واذا ضربتم في الأرض .. | 82 | 182 ، 183 |
| | . فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة | 101 | 211 ، 214 |
| | . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء | 116 | 130 |
| | . وان يتفرقا يغن الله كلا ... | 130 | 210 |
| | . ولن يجعل الله للكافرين على المومنين | 141 | 210 |
| | . ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار | 145 | 149 |
| | . فأخذتهم الصاعقة بظلمهم .. | 153 | 206 |
| | . وقلنا لهم لا تعدوا في السبت .. | 154 | 177 |
| | . لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل | 165 | 212، 222، 228 |
| | . وروح منه ... | 171 | 246 |
| المائدة ( 5 ) | . ومن لم يحكم بما أنزل الله .. | 46 | 02 |
| | . الا ما يتلى عليكم .. | 01 | 145 |
| | . يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر .. | 30 | 84، 149 ، 217 |
| | . حرمت عليكم الميتة والدم .. | 03 | 145 |
| | . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب | 05 | 150 |
| | . ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا | 09 | 110 |
| | . وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا . | 12 | 240 |
| | . والسارق والسارقة ... | 33 | 234 |
| | . ومن لم يحكم بما أنزل الله | 44 | 254 |
| | . فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه | 54 | 202 |
| | . انما وليكم الله ورسوله .. | 55 | 225 |
| | . ولتجدن أقربهم مودة .. | 82 | 248 |
| | . يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر | 90 | 148 |
| | . يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم .. | 101 | 277 |
| | . لا أعذبه أحدا من العالمين .. | 115 | 257 |

| السورة | الآيـــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|
| | . ان تعذبهم فانهم عبادك .. | 118 | 153 |
| الأنعام (6) | . حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته | 61 | 145 |
| | . فبهداهم اقتده | 90 | 209 |
| | . لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار | 103 | 183 |
| | . ولو شاء الله ما أشركوا ... | 107 | 120 |
| | . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره | 125 | 139 |
| | . للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا . | | |
| | . ويستخلف من بعدكم ما يشاء .. | 133 | 143 |
| | . ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .. | 151 | 178 |
| | . ولا تقربوا مال اليتيم .. | 152 | 178 |
| | . ثم اتينا موسى الكتاب تماما | 154 | 150 |
| | . لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا | 158 | 207 |
| | . ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا | 159 | 116، 117، 225، 272 |
| الأعراف (7) | . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا | 09 | 213 |
| | . وجعلنا لكم فيها معايش | 10 | 151 |
| | . قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال أنا خير منه .. | 12 | 228، 232 |
| | . ويا آدم اسكن أنت .. | 19 | 274 |
| | . وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة | 20 | 162 |
| | . وناديهما ربهما ألم انهكما | 22 | 240 |
| | . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو | 24 | 257 |
| | . وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله | 43 | 255 |
| | . وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي ... لقوم يذكرون .. | 57، 58 | 279 |
| | . فأنجيناه والذين معه في الفلك | 64 | 240 |
| | . والى مدين أخاهم شعيبا | 85 | 241 |

| السـورة | الآيـة | رقم الآيات | الصفحـة |
|---|---|---|---|
| | . قال لن ترانـي ... | 143 | 264 |
| | . ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون ... | 159 | 243 |
| | . ولله الأسماء الحسنى | 180 | 130 |
| | . اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم | 03 | 283 |
| الانفـال (8) | . وما النصر الا من عند الله .. | 10 | 200 |
| | واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا | 31 | 121 |
| | . فامطر علينا حجارة من السماء | 32 | 147 |
| | . اذ يريكهم الله في منامك قليلا .. | 43 | 120 |
| | . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم | 46 | 215، 217، 247، 272 |
| | . ورئاء الناس ... | 47 | 119 |
| | . حتى يغيروا ما بأنفسهم .. | 53 | 118 |
| | . يأيها النبيء حسبك الله ومن اتبعك من المومنين | 64 | 123 |
| التوبـة (9) | . فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم | 05 | 149 |
| | . يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعدعامهم هذا | 28 | 118، 149 |
| | . قاتلوا الذين لا يومنون بالله ... | 29 | 278 |
| | . وقالت اليهود عزيرابن الله و قالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم- ولو كره المشركون ... | 30، 33 | 150، 277 |
| | . ان عدة الشهور عند الله اثنى عشرشهرا | 36 | 118 |
| | . الا تنصروه فقد نصره الله .... | 40 | 132 |
| | . وما هم منكـم ..... | 56 | 118 |
| | . المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر و ينهون عن المعروف | 67 | 118 |
| | — . والذين اتبعوهم باحسان .. | 100 | 132 |

| السورة | الآيـــــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|
| | . الذين اتبعوه في ساعة العسرة . . | 117 | 250 |
| | . وما كان المؤمنون لينفروا كافّة . | 122 | 129 |
| | . ولو أرادوا الخروج لاعدّوا له عدة | 46 | 02 الهامش 04 |
| يونس ( 10) | . ان هذا لسحر مبين . . . | 02 | 183 |
| | . ثمّ استوى على العرش . . | 03 | 220 |
| | . ما لهم من الله من عاصم . | 27 | 177 |
| | . فماذا بعد الحق الا الضلال . | 32 | 85 |
| | . أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع | 35 | 85 |
| | . فان كنت في شك مما أنزلنا اليك | 94 | 197 |
| | . ولو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلهم جميعا | 99 | 227 |
| هود ( 11) | . فاتنا بما تعدنا . . . | 32 | 147 |
| يوسف( 12) | . انّي رأيت أحد عشر كوكبا . . | 04 | 260 |
| | . وجاؤا على قميصه بدم كذب . . | 18 | 120 |
| | . لقد كان في قصصهم عبرة . . يومنون | 111 | 161 ، 163 |
| الرعد ( 13) | . الله الذي رفع السموات بغير عمد | 02 | 207 |
| الحجر( 15) | . ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين | 02 | 165 |
| | . لأزيّنن لهم في الأرض . منهم مخلصين | 39، 40 | 232 |
| | . قال هذا صراط علي مستقيم . | 41 | 232 |
| ـــــــ | . فوربك لنسألنهم أجمعين . . | 92 | 183 |
| النحل ( 16) | . وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس . . . | 07 | 259 |
| | . من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا | 66 | 88 |
| | . وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة | 78 | 193 |
| الاسراء ( 17) | . انّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم | 09 | 282 |
| | . ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر | 30 | 140 |
| | . ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في | 39 | 142 |

| السورة | الآيـــــــــــة | رقم الآيـات | الصفحـــة |
|---|---|---|---|
| | جهنـم ملوما مدحورا | | |
| | . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا | 111 | 154 |
| الكهف ( 18) | أم حسبت أنّ أصحاب الكهف و الرقيم .. | 09 | 167 |
| | . وهـيّئ لنا من أمرنا رشـــدا | 10 | 173 |
| | . ولملئت منهـم رعبـا .. | 18 | 157 |
| | . الا أن يشاء اللهـ.... | 24 | 153 |
| | . حتى اذا أتيا أهل القرية استطعما أهلها | 77 | 173 |
| | . حتى اذا بلغ مطلع الشمس | 90 | 174 |
| | . الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب | 01 | مقدمـة أ |
| مريم ( 19) | . هل تعلم له سميـــا ... | 65 | 124 |
| طـه ( 20) | . و هل اتيك حديث موسى .. | 09 | 163 |
| | . لعلّي ءاتيكـم .. | 10 | 148 |
| | . قال هي عصاي أتوكّؤا عليها و أهش بها على غنمي ، ولي فيها مآرب أخرى .. | 18 | 146 |
| | . فاذا هي حيّة تسعى .. | 20 | 183 |
| | . قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا | 61 | 163 |
| | . فأوجس في نفسه ... أنت الأعلى | 67، 68 | 36 |
| | . وأضلهـم السامريّ .. | 85 | 168 |
| | . هل أدلك على شجرة الخلد .. | 120 | 162 |
| الانبياء ( 21) | . وما جعلناهم جسدا الا يأكلون الطعام | 08 | 147 |
| | . وأهلكنا المسرفين ... | 09 | 147 |
| | . ولا يشفعون الا لمن ارتضى | 28 | 208 |
| | . خلـق الانسان من عجل ... | 37 | 274 |
| | . أني مسّني الضّر .. | 83 | 241 |
| | . انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم | 98 | 159 |
| | . ان الذين سبقت لهم منا الحسنى .. | 101 | 160 |

| السورة | الآيـــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|
| الحج ( 22) | . ان زلزلة الساعة شيء عظيم . . . | 01 | 137 |
| | . وهدوا الى الطيب من القول . . | 24 | 147 |
| المومنون ( 23) | . ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . . . | 14 | 36، 228 |
| | . فأخذتهم الصيحة بالحق . . | 41 | 167 |
| | . كل حزب بما لديهم فرحون . . | 53 | 221، 246 |
| النور ( 24) | . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة . . . | 02 | 36، 149 |
| | . والذين يرمون أزواجهم . . الصادقين | 06 | 159 |
| | . والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين . . | 09 | 264 |
| | . وليضربن بخمورهن على جيوبهن . . ليعلم ما يخفين من زينتهن . . | 31 | 169، 213 |
| | . مثل نوره كمشكوة . . . . | 35 | 170 |
| | . كما استخلف الذين من قبلهم . . | 55 | 224 |
| | . فليحذر الذين يخالفون عن أمره . . | 63 | 265 |
| الفرقان ( 25) | . ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق . . | 07 | 147 |
| | . ونزّل الملائكة تنزيلا . . . | 25 | 266 |
| | . أولئك يجزون الغرفة . . | 75 | 147 |
| الشعراء ( 26) | . فاذا هي ثعبان مبين . . | 32 | 183 |
| | . واذا مرضت فهو يشفين . . . | 80 | 236 |
| | . والذي أطمع أن يغفرلي خطيئتي يوم الدين | 82 | 236 |
| | . أفبعذابنا يستعجلون . . | 204 | 147 |
| | . انهم عن السمع لمعزولون . . | 212 | 148 |
| | . والشعراء يتبعهم الغاوون . . | 224 | 174 |
| | . وانهم يقولون ما لا يفعلون . . | 226 | 175 |
| النمل ( 27) | . وهم في الآخرة هم الأخسرون . . | 05 | 148 |
| | . أو اتيكم بشهاب قبس | 07 | 148 |
| | . واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من .. | 82 | 197، 247، 255 |

| السورة | الآيـــــــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــة |
|---|---|---|---|
| | الأرض ... | | |
| | . الا من شاء اللـــه | 87 | 152 |
| | .صنع الله الذي أتقن كل شيء .. | 88 | 156 |
| | . وأن اتلوا القرآن .... | 92 | 153 |
| القصص (28) | . كـأنهـــا جانّ ... | 31 | 182 |
| الروم (30) | . ومن آياته يريكم ... | 24 | 147 |
| | . فطرت الله التي فطر الناس عليها . | 30 | 153 |
| | . أولم يروا أنّ الله يبسط الرزق .. لقوم يومنون ... | 37 | 171 |
| لقمان (31) | . ومن كفر فان الله غني حميد | 12 | 143 |
| | . وصاحبهما في الدنيا معروفا .. | 15 | 171 |
| | . والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر. | 27 | 190 |
| | . يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا ... ولا يغرّنكم بالله الغرور . | 33 | 144 |
| | . ان الله عنده علم الساعة .... | 34 | 144 |
| السجدة (32) | . قل يتوفاكم ملك الموت .. | 11 | 145 |
| | .فمأواهم ، فمأواهم النّار .. | 20 | 181 |
| الأحزاب (33) | . وما جعل أدعياءكم أبناءكم ... | 04 | 125 |
| | . وأزواجه أمهاتهم ... | 06 | 210، 226 |
| | . يا أيها الذين أمنوا اتقوالله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم ... | 70 ، 71 | 140، 141 |
| سبأ (34) | . اعملوا آل داوود شكرا .. | 13 | 173 |
| | . فلما خرّ تبينت الجن أن لوكانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين . | 14 | 130، 248 |
| | . وقال الذين استضعفوا .. | 33 | 141 |
| | . وهم في الغرفات آمنون .. | 37 | 147 |

| السورة | الآيـــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــة |
|---|---|---|---|
| فاطر ( 35) | . الذين اصطفينا من عبادنـا .. | 32 | 225 |
| | . الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن | 34 | 147 |
| | . أروني مـاذا خلقوا من الأرض | 40 | 146 |
| يـس ( 36) | . لقد حق القول على أكثرهم ... | 07 | 138 |
| | . والشمس تجري لمستقر لها | 38 | 190 ، 191 |
| | . وكل في فلك يسبحون .. | 40 | 260 |
| | . وما علمناه الشعر وما ينبغي له .. | 69 | 181 |
| الصافات ( 37) | . وجعلنا ذريته هم الباقين ... | 77 | 240 |
| | . فلمـا بلغ معه السعي .... | 102 | 146 |
| | . سبحان ربك رب العزة عما .. والحمد للّه ربّ العالمين . | 180 ـ 182 | 138 |
| ص ( 38) | . ولات حين مناص .. | 03 | 170 |
| | . انـه أوّاب .. | 30 | 250 |
| الزمر ( 39) | . اللّه يتوفى الانفس حين موتها .. | 42 | 145 |
| | . لـئـن اشركت ليحبطنّ عملك .. | 65 | 146 |
| غافر ( 40) | . أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عقبة الذين كانوا من قبلهم ... | 21 | 180 |
| | . وان المسرفين هم أصحاب النار | 43 | 147 |
| | . قالوا فـادعوا .. | 50 | 180 |
| | . فاما نرينك بعض الذي .. | 77 | 169 |
| فصلت ( 41) | . لا ياتيه الباطل من بين يديه .. و ذو عقاب أليم .. | 42 ، 43 | 184 |
| الشورى ( 42) | .. ليس كمثله شيء .. | 11 | 203 ، 205 |
| | . ويعفوا عن السيئات و يعلم ما يفعلون | 25 | 221 ، 253 |
| الزخرف ( 43) | . انكم في العذاب مشتركون .. | 39 | 168 |
| | . ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه | 57 | 159 ، 160 |

| السورة | الآيـــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــة |
|---|---|---|---|
| | يصـدون .... | | |
| | . يا عبادي لا خوف عليكم .. | 68 | 168 |
| | . وأنتم فيها خالدون ... | 71 | 168 |
| | . قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين | 81 | 245 |
| الجاثية ( 45) | . ويل لكل أفاك أثيم .. | 07 | 158 |
| | . وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منـه ... | 13 | 246 |
| | . هذا بصائر للناس وهدى ورحمة . | 20 | 283 |
| الأحقاف ( 46) | . وبشرى للمحسنين .. | 12 | 143 |
| | . ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا | 13 | 143 |
| | . ويجركم من عذاب أليم ... | 31 | 222 |
| | . ومن لم يجب داعي الله ... | 32 | 177 |
| محمّد ( 47) | . ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل | 03 | 172 |
| | . وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكـم .... | 38 | 202 |
| الفتح ( 48) | . فمن نكث فانما ينكث على نفسه .. | 10 | 215 |
| الحجرات ( 49) | . يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسولـه .. | 01 | 218 |
| | . وان طائفتين من المومنين اقتتلوا فاصلحوا | 09 | 166 |
| | . يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن | 12 | 155 |
| ق ( 50) | . رجـع بعيـد ... | 03 | 142 |
| | . القيا في جهنم كل كفار عنيد .. | 24 | 170 |
| الذاريات ( 51) | . وذكر فان الذكرى تنفع المومنين .. | 55 | 249 |
| النجم ( 53) | . لقد رأى من آيته ربه الكبرى .. | 18 | 220 |
| | . وانـه هو أمات وأحيـا .. | 44 | 171 |
| القمر ( 54) | . ان المجرمين في ضلل وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر | 47 و 49 | 237 |

| السورة | الآيـــــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|
| الرحمن ( 55) | . الشمس و القمر بحسبان . . . | 05 | 191 |
| | . ووضع الميزان . . . | 07 | 155 |
| | . الا تطغوا في الميزان . . . . . | 09،08 | 139 |
| | . والارض وضعها للانام . . . | 10 | 155 |
| | . والحب ذو العصف والريحان . . | 12 | 155 |
| | . فبأي آلاء ربكما تكذبان . . . . | 13 | 153 |
| | . رب المشرقين ورب المغربين . | 17 | 193 |
| | . و يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام | 27 | 99 |
| | . يسأله من في السماوات والارض كل يوم | 29 | 194 |
| | . فيومئذ لا يسأل عن ذنبه . . . | 39 | 183 |
| | . يطوفون بينها وبين حميم آن . . | 44 | 242 |
| | . ذواتا أفنان . . . . | 48 | 184 |
| | . فيهن قاصرات الطرف . . . | 56 | 195 |
| الواقعة ( 56) | . والسابقون السابقون . . . | 10 | 195 |
| | . لا بارد ولا كريم . . . . | 44 | 121 |
| | . انهم كانوا قبل ذلك مترفين . . . . | 45 | 197 |
| | . أفرايتم ما تحرثون . . . . | 63 | 124 |
| | . أم نحن الزارعون . . . . | 64 | 124 |
| | . فلولا اذا بلغت الحلقوم . . . . | 83 | 145 |
| | . فسبح باسم ربك العظيم . . . | 96 | 138 |
| الحديد ( 57) | . هو الاول والآخر و الظاهر و الباطن | 03 | 235 |
| المجادلة ( 58) | . قد سمع الله قول التي تجادلك . . | 01 | 141 |
| | . و للكافرين عذاب أليم . . . | 04 | 143 |
| | . ان الذين يحادون الله و رسوله . . | 05 | 143 |
| | . الم تر الى الذين نهوا عن النجوى | 08 | 142 |
| الحشر ( 59) | . فاعتبروا يأولي الابصار . . . | 02 | 84 |
| | . والذين جاءوا من بعدهم يقولون | 10 | 234 |
| | . ولئن نصروهم ليولن الادبار | 12 | 146 |

| السورة | الآيـــــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــــة |
|---|---|---|---|
| الصف( 61) | ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون | 03 | 143 |
| | ، ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد | 06 | 243 ، 133 |
| | ، تؤمنون بالله ورسوله و تجاهدون في سبيل الله ... | 11 | 146 |
| | ، نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين | 13 | 146 |
| الجمعة( 62) | ، يأيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله | 09 | 256، 146 |
| | ، واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك .. | 11 | 159 |
| الملك ( 67) | . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح | 05 | 260 |
| | ، أمنتم من في السماء أن يخسف ، | 16 | 258، 203 |
| القلم ( 68) | ، ن والقلم وما يسطرون | 01 | 242 |
| الحاقة( 69) | ، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية | 16 | 266 |
| المعارج ( 70) | ، سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس | 01، 02 | 150 |
| نوح ( 71) | . رب اغفر لي ولوالدي ، ... | 28 | 248 |
| الجن ( 72) | ، وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا | 06 | 248 |
| | . وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا و شهبا وانا كنا . نقعد منها مقاعد للسمع | 08، 09 | 148 |
| المزمل ( 73) | . ونصفه وثلثه ... | 20 | 151 |
| المدثر( 74) | . فاذا نقر في الناقور فذلك . يومئذ يوم عسير | 08 — 10 | 165 |
| | . انها لاحدى الكبر ... | 35 | 250 |
| | . وما تذكرون الا أن يشاء الله | 56 | 137 |
| القيامة ( 75) | . وخسف القمر وجمع الشمس والقمر | 08، 09 | 235 |
| | . وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة | 22، 23 | 265، 204، 183 |

| السورة | الآيـــــــــــة | رقم الآيات | الصفحـــة |
|---|---|---|---|
| الانسان ( 76) | . هل أتى على الانسان حين من الدهر<br>. من نطفـة أمشـاج ...<br>. عاليهـم ثياب سندس ... | 01<br>02<br>21 | 236 ،22 ،121<br>192<br>236 |
| عبس ( 80) | . قتل الانسان ما أكفره ... | 17 | 175 ، 133 |
| التكوير ( 81) | . وما صاحبكم بمجنون ... | 22 | 195 |
| الانفطار ( 82) | . اذا السماء انفطرت ..<br>. ما شاء ركبك ... | 01<br>08 | 266<br>174 |
| المطففين ( 83) | . اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ... | 13 | 143 |
| الانشقاق ( 84) | . اذا السماء انشقت ....<br>. انـه كان في أهله مسرورا ... | 01<br>13 | 266<br>177 |
| البروج ( 85) | . والسماء ذات البروج ....<br>. وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود | 01<br>07 | 266<br>213 |
| الأعلى ( 87) | . اسم ربك الأعلى .... | 01 | 124 |
| الغاشية ( 88) | . تصلى نارا حامية . لا يسمن ولا يغني من جوع . | 04 — 07 | 139 |
| الفجـر ( 89) | . ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ! ! | 06 ، 07 | 163 |
| الليل ( 92) | . فأما من طغى .. فسنيسره لليسرى | 05 — 10 | 139 |
| الضحى ( 93) | . ووجدك عائـــلا ... | 08 | 266 |
| البينة ( 98) | . لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين .. | 01 | 150 |
| الهمزة ( 104) | . فـي عمـد ممددة .... | 09 | 179 |
| الفيل ( 105) | . الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل | 01 | 165 |
| الاخلاص ( 112) | . قل هو الله أحـــد . | 01 | 160 |

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا | الجامع الصغير 1/04<br>جامع الشمل 1/128 | 15 |
| اتقوا الله تعالى فان الله تعالى فاتح لكم صالح | أخرجه الطبراني والحاكم | 156 |
| اتقوا مواقع التهم . | الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 1/145 ( مواضع) قال لا أصل له الشوكاني الفوائد المجموعة /251 . | 155 |
| أجر المجتهد | جامع الشمل 2/166<br>شرح السنة 10/115<br>مسلم 12/ 13المجلد 6 | 249 |
| اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة . . . | نيل الأوطار 5/ 42<br>رواه البيهقي عن أنس . | 155 |
| أسقه عسلا . | بخاري 10/139<br>ترمذي 8/135 ،136<br>حديث حسن صحيح<br>المستدرك 4/402 صحيح على شرط مسلم . | 156 ، 189 |
| اشرق تبيرا اشرق تبيرا | رواه أسماء بنت عميس | 226 |
| اللهم اني اسألك مما سألك . . . | | |
| أصبح من عبادي مومن وكافر . . | بخاري 2/522<br>الربيع الجامع 1/ 13،17<br>مسلم 2/ 59 — 60 | 127 الهامش/ 05 |
| أطلبوا العلم ولو بصين . . | الربيع الجامع 01/09 .<br>الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 413 قال :<br>( حديث باطل)<br>اللآلي 1/ 139 | 155 |
| اعلم أبا مسعود فان الله أقدر عليك . . . | الربيع — الجامع — 2/65<br>مسلم 11/130 المجلد 11 | 126 |
| افترقت اليهود . . . | الجامع الصغير/ 48<br>سلسلة الاحاديث الصحيحة 1/ رقم الحديث 203 .<br>ابن ماجه 2/1322 . | 127 ، 116 |

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| افترقت المجوس ... | انفرد به أبو يعقوب | 117 |
| أمر الرسول صلى الله عليه وسلم عليا بتطليق من شاء من زوجاته بعد موته . | اعتراف عائشة يوم الجمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي على أهله . أخرجه الطبراني اللآلي 1/ 360 . | 226 |
| . أمسك أربعا وفارق سائرهن .. | شرح السنة 9/ 89<br>الموطأ / 173<br>المستدرك 2/ 192 ، 193 | 154 |
| . أمنوا بمتشابهه | بخاري 8/ 209 ، 210<br>ابن حجر روى البخاري حديثا في هذا المعنى . | 203 |
| . إن أحق الشروط أن يوفي ما استحللتم به الفروج | بخاري 5/ 323 ، الجامع الصغير 1/ 87 .<br>النسائي 6/ 93 ابن ماجه 1/ 623 .<br>وفاء الضمانة 3/ 109 . | 156 |
| . أنت مني بمنزلة هرون من موسى .. | مسلم 15/ 174<br>ترمذي 13/ 175<br>بخاري 07/ 71<br>ابن ماجه 1/ 45 . | 226 |
| . إن كل ابن آدم يفنى إلا عجم الذنب ... | الربيع الجامع 2/ 71 .<br>شرح السنة 14/ 392 ، 15/ 122<br>بخاري 3/ 551 ، 552<br>مسلم 18 / 91 ، 92 . | 127 ، 128 |
| . إن لكل صلاة طهارة .. | رواه في هذا المعنى البخوي شرح السنة 1/ 447<br>ترمذي 1/ 77 ، 78 | 238 |
| — ب —<br>. بين كل أرض وأخرى خمسمائة عام . | ترمذي 12/ 183<br>حديث غريب | 192 |
| . بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير المدينة ... | بخاري 2/ 422<br>أحمد 5/ 85<br>أبو داود 34 | 159 |

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| ت — | | |
| تفسير قوله تعالى :" إلا من شاء الله " | وفاء الوفاء 3/ 78<br>منهاج الصالحين 712. | 152 |
| تفسير قوله تعالى :" فطرت الله ..." | بخاري 08/ 512. | 153 |
| تفسير قوله تعالى :" القسطاس ..." | المستدرك 2/ 178 حديث صحيح على شرط الشيخين<br>ابن ماجه 2/ رقم الحديث 1207. | 153 |
| تكرير الرسول صلى الله عليه وسلم في صلاته لقوله تعالى :"إن تعذبهم ..." | شرح السنة 4/ 26<br>المستدرك 1/ 241 | 153 |
| ث — | | |
| ابن الفدية (المروق من الدين) | الربيع الجامع 1/ 12<br>مسلم 7/ 169 — 174<br>المجلد 4 .<br>شرح السنة 10/ 226<br>سنن أبي داود 9/ 284<br>ابن ماجة 1/ 59<br>نيل الأوطار 11/ 157. | 01 |
| ج — | | |
| جاوز الفرسخين من المدينة الى ذي الحليفة.. | الربيع — الجامع — 4/ 09 | 126 ، 214 |
| ح — | | |
| حبكها أدخلك الجنة. | شرح السنة 4/ 475 .<br>المستدرك 1/ 240 صحيح على شرط مسلم<br>ترمذي 11/ 27. | 154 |
| د — | | |
| ذي الخويصرة. | بخاري 12/ 290<br>شرح السنة 10/ 225. | 04 |

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| — ر —<br>• رؤية الباري . | الربيع الجامع 1/ 17، 18<br>بخاري 13/ 419، 420<br>مسلم 3/ 25 — 29<br>شرح السنة 2/224 المجلد 2 .<br>ابن ماجة 1/ 63 — 73 | 205، 220، 265 |
| • رفع الايدي والقبض في الصلاة .. | بخاري 1/218، 219، 224<br>شرح السنة 3/20، 21، 26، 29، 30، 33 . | 219 |
| — ز —<br>• الزلزال | أحمد 3/ 310 | 187 |
| — س —<br>• سبب نزول سورة الاخلاص . | الربيع الجامع 3/ 14<br>المستدرك 2/ 540<br>صحيح الاسناد | 160 |
| • سبب نزول قوله تعالى :" ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى . | نسب هذه الرواية الالوسي الى ابن عباس روح المعاني 23 / 25 . | 142 |
| • سبب نزول قوله تعالى :"إن الذين سبقت لهم منا الحسنى . | رواه ابن مردوية والواحدي عن ابن عباس روح المعاني 17/95 . | 159، 160 |
| • سبب نزول آية اللعان . | المستدرك 2/ 202 صحيح على شرط البخاري<br>الربيع الجامع 2/ 42<br>بخاري 08/ 443، 449<br>مسلم 10/ 119، 134<br>المجلد 5<br>وفاء الخفاجة 2/177<br>ابن ماجة 1/ 669<br>سنن أبي داود 1/ 351 . | 159 |

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| • سجود الرسول صلّى اللّه عليه وسلّم في قوله تعالى :" وا ذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون" | بخاري 2/ 556 | 126 |
| • سجود الشمس تحت العرش | بخاري 6/ 297<br>وفاء الضمانة 3/ 364<br>شرح السنة 15/ 94.<br>مسلم 2/ 195 ، 196. | 189 |
| — ش — | | |
| • الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من اللّه ... | مسلم شرح النووي 11/ 191 المجلد 06.<br>بخاري ابن حجر 12/ 143<br>المستدرك 2/ 415 صحيح<br>الاسناد ابن ماجة 2/ 853 | 149 |
| — ص — | | |
| • صلاته بسورتي (الكافرون) و (الاخلاص) في سنة الفجر. | شرح السنة 3/ 455<br>ترمذي 2/ 210<br>ابن ماجة 1/ 363 | 137 |
| • صلاته بوضوء واحد | بخاري 1/ 315 ، 316<br>مسلم 3/ 177 المجلد 2<br>شرح السنة 1/ 443<br>ترمذي 1 / 79 ، 80<br>ابن ماجة 1/ 170 | 238 |
| • صلّى الظهر بالمدينة. | الربيع الجامع 4/ 09<br>بخاري 2/ 569<br>3/ 407<br>مسلم 5/ 191 ، 192 المجلد 3. | 126 |
| • صنفان من أمتي ليس لهما في الاسلام نصيب. | ترمذي 03/ 316 حديث غريب حسن صحيح<br>ابن ماجة 1/ 24 | 237 |
| — ف — | | |
| • فضل تلاوة سبحان ربك رب العزة... | ابن ماجة أدب 56<br>الترمذي دعوات 57 ، 65<br>الدرامي صلاة 90. | 138 |

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| — ق — | | |
| . قرأ اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربي الاعلى . | شرح السنة 3/104<br>المستدرك 2/521 حديث صحيح على شرط الشيخين . | 124 |
| . القدرية خصماء الرحمن . | | 237 |
| . القدرية مجوس الأمة . | الربيع الجامع 3/10<br>شرح السنة 1/ 152<br>سنن أبي داود 2/270<br>ابن ماجة 1/ 35<br>الجامع الصغير 1/03 . | 227 |
| — ك — | | |
| . كل ابن آدم ( انظر ان كل ابن ...) | | |
| — ل — | | |
| . لا أخاف على أمتي الا ثلاث خلال ... | أخرجه الطبراني في معجمه الكبير . | 126 |
| . لتتبعن سنن من قبلكم ... | بخاري 6/ 495 ،<br>13/ 300<br>مسلم 16/9 21 ،200<br>المجلد 08<br>شرح السنة 14/ 392<br>ابن ماجة 2/ رقم الحديث 1322 | 248 |
| . لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .. | بخاري 5/291<br>أحمد 4/ 136<br>شرح السنة 1/ 268 .<br>سنن أبي داود 2/ 124 | 242 |
| . لو تعلق الدين بالثريا لنا له رجال من أبناء فارس . | مسلم 16/100 ،101<br>المجلد 08 .<br>شرح السنة 14/ 200 . | 202 |
| . لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت .. | أخرجه البزار ، وابن جرير ، وابن مردوية ، وأبو نعيم ، والبيهقي وابن حيان | 124 |

.../...

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| | روح المعاني 27/ 148 | |
| — م — | | |
| . ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد | بخاري 08/517. طبقات بن سعد 3/ 29 | 125 |
| . ما الكوثر ؟... قال هذا نهر ... | وفاء الضمانة 1/ 163 رواه أنس. | 154 |
| . مالي أسمح الجن أحسن ... | ترمذي 42/177 رواه بهذا المعنى في المستدرك 2/ 473 | 153 |
| . من أصدق امرأة صداقا و هو مجمع ... | رواه الطبراني منحاج الصالحين / 335 | 156 |
| . من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه .. | الجامع الصغير 2/178 الالباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 1/304 ضعفه . | 137 |
| . من قرأها مائتي مرة محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا... | جامع الشمل 1/ 168 ترمذي 11/ 25 الالباني ، سلسلة الأحاديث الضعيفة 1/ 314 . | 153 |
| . من لم تنهه صلاته ... | الربيع الجامع 4/ 15 الجامع الصغير / 131 الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة 1/14 باطل | 127 |
| . من نام على يمينه وقرأ مائه ... | ترمذي 11/25 حديث غريب. | 153 ، 154 |
| . من وجد لقطة .. | شرح السنة 3/315 نيل الاوطار 5/ 333 سنن أبي داود 1/ 270 ابن ماجة 2/337 | 155 |
| — ن — | | |
| . النظر الى الخطيبة .. | مسلم 09/209 ، 210 المجلد 5، ترمذي 4/305 المستدرك 2/165 نيل الاوطار 6/109 ، 110 | 154 |

.../...

| مطلع الحديث أو موضوعه | مصدره | الصفحة |
|---|---|---|
| | ابن ماجة 1/ 599 ، 600 | |
| . نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعليم سورة يوسف للنساء . | | 136 |
| — و — | | |
| . وتر الرسول صلى الله عليه وسلم بسورة الاعلى | .ترمذي 2/ 247 ، 248<br>سنن النسائي 3/ 244 ، 246<br>المستدرك 2/ 520 صحيح على شرط الشيخين<br>سنن أبي داود 1/ 225<br>ابن ماجة 1/ 370 ، 371 | 133 |
| . وجوب السعي .. | بخاري 3/ 497 ، 498<br>مسلم 09/ 20 — 23<br>المبلد 05<br>نيل الاوطار 5/ 50<br>ابن ماجة 2/ 994 ، 995 . | 222 |

## — فهـــرس الأعـــلام —


— أ —

— آدم 122، 127، 128، 161، 162، 171، 192، 240، 257، 274.

— ابراهيم النبي عليه السلام 162، 202، 236.

— ابراهيم بن بكير حفار 70

— ابراهيم وحقي ) بن درويش همان الأرضوي ( 1195هـ / 1781م) 73

— ابراهيم محمد طلاي 101، 108، 109، 111، 11.

— ابراهيم بن يوسف بن عيسى أطفيش( نحو 1310 هـ، 1893م) عالم أباضي، له معرفة بالكيمياء، أخو المفسّر، معجم أعلام الجزائر/ 19. 56، 57.

— أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية من بني النجار. 160

— الأجهوري = علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علي أبو الارشاد نور الدين الاجهوري ( 967، 1066هـ)( 1560، 1656م). 257

— أحمد أمين ( 1886 م — 1974م) 238

— أحمد بن حمد الخليلي مفتي سلطنة عمان حاليا، وعالم اباضي. 31، 37، 107، 108.

— أحمد بن قاسم الاندلسي الحجري. 245

— أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي ( 164 — 240هـ) ( 780 — 855م) 124، 154، 192، 220، 221، 222.

— أحنف بن قيس زعيم بني تميم البصرة في العصر الأموي وكان يشتهر بحلمه، الفن ومذاهبه في الشعر العربي /222. 170

— الأخفش — سعيد بن مسعدة أبو الحسن الملقب بالأخفش (211أو 215). 146

— ابن الأزرق — نافع بن الأزرق امام فرقة الازارقة من الخوارج. 02


.../...

ـ الادفنش ملك قشتالة (ألفنس السادس = 165

ـ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد أطفيش( 1305 ـ 06، 10، 11، 13، 70، 71،
1385هـ) ( 1838 ـ 1965م) عالم اباضي أديب 79، 88، 89، 93، 94، 99، 101،
من كبار العاملين في سبيل وحدة المسلمين، معجم 111، 112، 230.
أعلام الجزائر / 19.

ـ أسماء بنت عميس 226

ـ اسماعيل الجيطالي = اسماعيل بن موسى الجيطالي 129
النفوسي ( 750هـ) أبو طاهر عالم اباضي من تأليفه ،
القواعد ، القناطر، شرح النونية ، قواعد الاسلام/1
حـ ـ ز .

ـ الأشعري ـ علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم ، 205.
أبو الحسن الاشعري ( 260 ـ 324هـ) (874 ـ
936م).

ـ الأعرج = عبد الرحمن بن هرمز أبو داود المدني 151
مولى محمد بن ربيعة ( 117هـ)

ـ أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أبو 23، 24.
سعيد ثالث الأئمة الرستميين من الاباضيّة في مدينة
تيهرت(240هـ ـ 854م) معجم أعلام الجزائر/147.

ـ الألوسي = محمد بن عبد الله بن محمود بن 116، 119، 121، 124،
درويش الحسني الالوسي، شهاب الدين أبو الثناء 131، 137، 138، 189،
(1217 ـ 1270هـ) ( 1802 ـ 1854م). 251، 252، 253، 254،
255، 256، 257، 258،
259، 260، 261،

ـ امرؤ القيس( 500 ـ 540م) 133، 175.

ـ أمية بن أبي الصلت الثقفي ( 624م). 167

ـ أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد النّجاري 126، 153.
الخزرجي
الانصاري ( أبو ثمامة أو أبو حمزة) ( 10ق هـ ـ 93هـ)
( 612 ـ 712م).

ـ أيوب النبي عليه السلام . 241.


.../...

— اياس بن معاوية قاضي البصرة وكان يشتهر بذكائه الفذ ومذاهبه في الشعر الحربي/222. 170

— ب —

— بابكر بن الحاج مسعود. 70

— البارودي = سليمان بن عبد الله البارودي (1237 — 1359هـ)(1870 — 1940م) للعالم والمجاهد الليبي من مؤلفاته: الأزهار الرياضية في تاريخ الوستميين كتاب سليمان البارودي باشا في أطوار حياته /أبو اليقظان ابراهيم 20، 24، 71، 74، 79.

— البخاري = محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (194 — 259هـ) (810 — 870م). 125، 127، 156، 159، 160، 274.

— البرادي = أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (من أهل القرن التاسع الهجري) من مؤلفاته " الجواهر المنتقاة في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات" أراء الخوارج 2/281، 232. 08، 20، 22، 23، 27، 28، 34، 35.

— برغش بن سعيد سلطان زنجبار في عهد المفسر. 90، 91.

— البزار = أبو بكر أحمد بن عمر البزار البصري (291 أو 292هـ/ 904م). 153

— البغدادي = أبو منصور عبد القاهر بن الطاهر (429هـ/1038م). 229.

— البغوي = حسن بن مسعود بن محمد الملقب بابن الفراء ويلقب بمحي السنة (516هـ/1222م). 124

— أبو بكر الصديق الصحابي 05، 12، 117، 159، 225، 226.

— بكير بن الحاج قاسم. 70

— البيضاوي = عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي، أبو سعيد (685هـ/1286م) 72، 85، 102، 115، 116، 118، 119.

— البيهقي = مسعود بن علي بن أحمد بن الحسن الصواني البيهقي أبو المحاسن (544هـ/1149م). 124، 126، 127.


.../...

— بيوض = ابراهيم بن عمر بن بابه بن ابراهيم بن حمو الملقب بيوض ( 1316 — 1400هـ)(1899—1980م) عالم اباضي ، مفسر ، مجاهد ، معجم المفسرين 1/17، 13. 30، 37، 70، 102، 116.

— ت —

— الترمذي = أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السالمي الترمذي (209هـ — 279هـ). 125، 126، 156، 159، 160، 192.

— أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي أبو تمام ( 180 — 220هـ) ( 796 — 843م). 170

— ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد النميري (661 — 728هـ) ( 1263 — 1328م). 16، 134، 280.

— ث —

— ابن الثدية = رجل خارجي اختلف في اسمه وجاء وصفه في حديث رواه البخاري : " آيتهم رجل احدى يديه — أو قال — ثدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة" للمزيد من التفاصيل ارجع الى فتح الباري 12/290 — 297 .باب من ترك قتال الخوارج لأراء الخوارج 1/35 — 46 . نشأة الخوارج 01

— ج —

— أبو جاد = من أسماء العرب العاربة نزلوا بعدنان الفهرست /57. 241.

— جابر بن زيد الأزدي البصري ، أبو الشعثاء 05، 08، 15، 16، 17، 33، 34، 35، 60، 85، 128، 165، 210، 221.

— جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري السلمي الصحابي ( 78هـ). 153، 159.

— الجاحظ = عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ( أبو عثمان) ( 163 — 255هـ) ( 780 — 869م). 18، 27.


.../...

— جالوت (المذكور في القرآن الكريم) 243، 244، 267.

— جبريل عليه السلام 160، 195.

— ابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الاموي بالولاء (80 — 150هـ) (699 — 767م) 194، 242.

— ابن جرير الطبري = محمد بن جرير بن يزيد الطبري (224 — 310هـ) (839 — 923م) 16، 121، 123، 124، 125، 127، 153، 160.

— الجزري = ابراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري الخزرجي الجزري أبو اسحاق (709 هـ/ 1309م). 24.

— أبو جعفر = يزيد بن القعقاع توفي بالمدينة سنة 128 هـ وقيل 132 هـ. 151

— جمال الدين الأفغاني 43، 50، 269.

— جنون بن يمريان (أبو صالح) الطبقة السابعة (300هـ — 350هـ) طبقات المشائخ 2/341 — 345. 131

— الجنيد = بن محمد بن الجنيد الخزار أبو القاسم البغدادي (297هـ/910م) 235 — 259.

— أبو جهل — عمرو بن هشام (أبو الحكم) 153

— الجوهري (1005هـ) أبو نصر اسماعيل الجوهري مؤلف معجم الصحاح. 132

— ح —

— الحاكم = محمد بن عبدالله بن محمد بن البيع الحاكم النيسابوري (321 — 404هـ). 153، 156

— ابن حبان = محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي الحنظلي أبو حاتم السبتي (270 — 354هـ) (884 — 965م). 16


.../...

— الحبيب الجنحاني | 40، 46.
— الحجاج بن يوسف ( 661 — 714م) | 17
— ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر ( 773 — 852هـ)(1372— 1449م) | 17
— حسان بن ثابت(54هـ/674م). | 172
— الحسن البصري = الحسن بن يسار البصري أبو سعيد (21 — 110هـ) ( 642 — 728م). | 06، 35، 120، 151، 157، 150.
— حسن حسني عبد الوهاب. | 23
— الحسن بن علي (03هـ— 49هـ) شذرات الذهب 1/10، 55، 56. | 226
— حسين أحمد النجري ( القرن الثامن الهجري ) المفسرون 3/103 ذكر صاحب معجم المفسرين 1/324 عبد الله بن محمد بن أبي القاسم النجري ( 725— 777هـ) ( 1422 — 1473م) | 34
— الحسين بن علي ( 05 — 61هـ) شذرات الذهب 1/ 10، 66. | 225
— الحسين بن طي بن الحسين بن علي | 117، 225.
— حطي من أسماء العرب العاربة نزلوا بعدنان الفهرست/57، | 241
— حمـــود بن محمد بن سعيد سلطان زنجبار . | 202.
— حمـــزة | 116.
— أبو حنيفة = النعمان بن ثابت بن زوطي ( 150هـ 767م). | 120، 211، 221، 222، 223، 224، 256.
— حـــواء عليها السلام | 162، 240، 274.
— أبو الحواري = محمد بن الحواري العماني | 21، 22، 23، 34.
— أبو حيان = محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الجياني ( 654— 745هـ) ( 1256 — 1344م). | 16، 121، 123، 151، 261،


.../...

— خ —


— الخازن = علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر ابن خليل الشيحي، علاء الدين المصري فبالخازن (678 — 741هـ) (1280 — 1341م). 119، 120، 121.

— أبو الخطاب = عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، فقيه اباضي أحد حملة العلم السمحة المغرب بويع بالامامة في طرابلس سنة 140 هـ ودامت امامته حوالي أربعين سنة فسقط شهيدا المعركة، قواعد الاسلام 1/64 الهامش (2). 19

— خليفة بن سعيد 91

— ابن خلدون (732 — 808هـ) 13

— الخنساء = تماضر بنت عمرو بن الشريد (أم عمرو) (575 — 664م). 160

— د —

— دانيال = نبي من أنبياء بني اسرائيل يعني ابن الاثير في كامله أن المسلمين وجدوا جثته في تابوت من رخام وأمر عمر بن الخطاب بدفنه (آراء الخوارج 1/40 الهامش 4 وللمسيحيين سفر يدعى باسمه من أسفار العهد القديم. 246

— داود (النبي عليه السلام) 177، 243، 244، 262.

— داود بن أبي هند دينار القشيري بالولاء البصري، أبو بكر (139هـ/ 756م). 17

— أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق ابن بشر الازدي السجستاني، أبو داود (202 — 275هـ) (817 — 889م). 124، 125، 126.

— الدراقطني = أبو الحسن علي بن عمر الدراقطني الشافعي (306 — 385هـ) (910 — 995م). 153

— الدرجيني = أحمد بن سعيد (أبو العباس) (670هـ) اباضي صاحب كتاب طبقات المشائخ بالمغرب. 15، 26


.../...

— ذ —

— ذي الخويصرة = عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي هكذا جاء تحريفه في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي سعيد و هو الأعرابي الذي اعترض على رسول الله صلّى الله عليه و سلم في التقسيم و قال له أعدل يا رسول الله ألخ . . . 04
— فتح الباري 12 : 290 رقم الحديث 6933 .
— أبو ذر = جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري (32هـ) . 260

— ر —

— الرازي = أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصّاص ( 305 — 370هـ) (918 — 981م) . 34
— الرازي = محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علي التميمي البكري ( أبو عبد الله ) فخر الدين الرازي ( 544 — 606هـ)(1156 — 1210م) . 110 ، 123 ، 273 ، 277 ، 279 .
— راشد بن عزيز الحمداني 93
— الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي الفراهيدي البصري ( أبو عمرو) الأباضي (170هـ/786م) 17 ، 33 ، 34 ، 35 ، 125 ، 126 ، 127 ، 165 ، 210 ، 211 ، 214 .
— رسول الله صلّى الله عليه و سلّم . أنظر محمد صلّى الله عليه و سلّم .
— رشيد رضا = محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين ابن المنلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب ( 1232 — 1354هـ) ( 1865 — 1935م) . 251 ، 269 ، 270 ، 271 ، 272 ، 276 ، 277 ، 278 ، 279 ، 280 .
— ابن رشد = محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو الوليد ( 520 — 595هـ) (1126 — 1198م) . 11

— ز —

— أبو زكريا يحي بن أبي بكر ( الطبقة العاشرة) (450هـ — 500) صاحب كتاب سير الأئمة ، طبقات المشائخ 2/ 440 ، 443 . 13 ، 26 .
— أبو زكريا يحي بن أبي الخير الجناوي النفوسي من علماء النصف الأول من القرن الخامس ، له كتاب (الوضح ) الذي نسبه بعضهم الى أبي زكريا يحي بن ابراهيم ، الوضح / 04 . 72
— الزمخشري = محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله ( 467 — 538هـ) (1075 — 1144م) 25 ، 72 ، 95 ، 115 ، 116 ، 118 ، 119 ، 120 ، 195 ، 255 ، 264 .
— ابن زيد ، يحتمل أن يكون هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي ( 102هـ — 798م) ، و يؤيد هذا الاحتمال رواية ابن جرير الطبري في نفس الموضوع ( ابن وهب عن ابن زيد ) . 123

و. المعروف أن عبد الله بن وهب روى عن عبد الرحمن، جامع البيان 26/10 المجلد 6 .

— زيد بن حارثة 140

— زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (79 — 122هـ)( 698 — 740م). 131

— زيـــد =يحتمل أن يكون هو زيد بن مهلهل بن يزيد ( حوالي 650م) المدعو زيد الخيل، ويؤكد هذا الاحتمال استشهاد الألوسي في تفسير نفس الآية ببيت من قصيدته وفي نفس الموضوع، سماه الرسول صلّى الله عليه وسلم بعد اسلامه ( زيد الخير) 122

— زينب بنت جحش(20هـ) 140

— س —

— سالم بن حمـــود 21

— السامري = الرجل الصائغ الذي صنع لقوم موسى عجلا جسدا له خوار فسجد له بعضهم بعد ذهاب موسى عليه السلام الى الجبل لمناجاة ربه عز وجل، لباب التأويل 131/2 . 163

— سيبويه = عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب ( 179هـ). 122، 132

— السيرافي = الحسن بن عبد الله المرزبان، أبو سعيد ( 270 — 368هـ). 122، 132

— أبو ستة = محمد بن عمر القصبي الجربي من علماء القرن الحادي عشر المعروف عند اباضية المغرب بالمحشي لكثرة حواشيه، وكتاب "الذهب الخالص" للمفسر وهو مختصر كتابي القواعد وحاشية أبي ستة — القواعد 1/ جـ د . 87

— سعيد بن جبير بن هشام الأسدي ( 45هـ — 95هـ)( 665 — 714م) 33، 121، 153، 195.

— أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان (10 ق هـ — 74هـ) ( 613 — 693). 156، 189.

— سعد الله (أبو القاسم) (ولد 1930م). 43،44.

— سعد بن مالك بن أبي وقاص بن أهيب ويقال وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كـــلاب القرشي (23ق هـ — 55 هـ)(603م — 675م). 152

— سعفـــص من أسماء الحرب العارية الفهرست / 57. 241

— سلمـــة بن سعد ( سعيد ) أول داعية الى المذهب الاباضي في المغرب في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني الهجري، استطاع تكوين بعثة تعلمية اباضية في الجزائر 17/1 . 12


.../...

— سلمان الفارسي ( 36هـ) 202

— سليمان داود بن يوسف بحاذة جزائري في التاريخ 16، 20. من قرية العطف اباضي من مؤلفاته "الخوارج أنصار علي".

— سليمان بن عبد الملك أبو أيوب (54هـ — 99هـ) 175

— سليمان بن مدرار النفوسي التقي به أبو محمد اللواتي 20 من القرن الخامس الهجري، ولذلك يكون من نفس الطبقة. الاباضية في الجزائر 1/ 199 — 201. و صنفه الدرجيني في الطبقة الحادية عشر ( 500هـ — 550هـ).

— السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد 250 ابن أصبغ أبو القاسم الخثعمي السهيلي (508 — 581هـ) ( 1114 — 1185م)

— السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن 122، 123، 220، 256. سابق الدين بن عثمان الخضيري السيوطي جلال الدين ( 849 — 911هـ) ( 1445 — 1505م).

— ش —

— الشاطبي = ابراهيم بن موسى بن محمد الخمي 137 الغرناطي (أبو اسحاق) ( 790 هـ/ 1388م).

— الشافعي = محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان 123، 211، 221، 222، 223، ابن عثمان شافع الهاشمي القرشي المطلبي ( 150هـ — 204) ( 767 — 820م). 224، 256.

— ابن الشيخ بلحاج محمد بن بابة أستاذ بمعهد 10، 33، 38، 110. الحياة بالقرارة، اباضي.

— شخت = مستشرق 23

— شريفي بلحاج أستاذ بالمعهد العالي لأصول 12، 15، 16، 18، 22، 23، 24، الدين بجامعة الجزائر، اباضي. 28، 30، 33، 34، 100، 113. 72، 129، 263.

— الشماخي = أبو ساكن عامر بن علي بن عامر ابن سيفاو أحد أعلام الاباضية في جبل نفوسة بليبيا و مرجع الفتوى في عصره، كتاب الايضاح 1/ ترجمة المؤلف هـ — ز.

— شعيب (النبي عليه السلام). 241.

— الشوكاني = محمد بن علي بن محمد بن عبد الله 280. ابن الحسن بن محمد ( 1173 — 1250هـ) (1760 — 1834م).

— شوقي ضيف، كاتب معاصر. 176

— ص —

— صابر طعيمة 203

— أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد الجهني المصري 194 (137 — 223هـ) ( 754 — 838م).


.../...

— صالح بن يحي ( 1367 هـ/ 1948 م) عالم اباضي من موءسسي حزب الدستور التونسي القديم و الحضد الأيمن لرئيسه عبد العزيز الثعالبي ، معجم أعلام الجزائر/194 . 71، 79

— صلاح الدين الأيوبي ( 1138 — 1191م) 164

— الصلت بن مالك الخروصي تولى الامامة بعمان من سنة (237 — 272هـ) ، تحفة الأعيان 1/133 — 180 قواعد الاسلام 1/30 الهامش رقم 1 . 21

— صهيب بن سنان الرومي ( حوالي 38ق هـ — 38 هـ) 156

— ض —

— الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي الخراساني ، أبو القاسم ( 105 هـ — 723م) . 157

— ط —

— طالوت ( المذكور في القرآن ) 258

— طاووس بن كيسان الخولاني بالولاء أبو عبد الرحمن الحميداني (33 — 106هـ) ( 653 — 724م) . 153

— الطبراني = سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني ، أبو القاسم (260 — 360هـ) ( 873 — 971م) . 126، 127، 156، 158، 190 .

— ع —

— عائشة بنت أبي بكر أم المومنين ( 9ق هـ — 58هـ) ( 613 — 678م) . 172، 210، 211، 226 .

— عادل نويهض . 107

— عاصم السدراتي من القرن 2 هـ أحد حملة العلم النفوسالى المغرب الاباضية في موكب التاريخ 1/124، 123 .

— عاصم بن عدي سيد بني العجلان (45هـ) 159

— عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري (19 — 103هـ) (640 — 721م) . 123

.../...

| | |
|---|---|
| — عيسى (النبي عليه السلام) | 117، 155، 159، 196، 199، 243، 245، 257. |
| — أبو الحسن = أحمد بن محمد بن بكر (504هـ) فقيه اباضي صاحب كتابي (أبي مسألة) و(تبيين أفعال العباد) آراء الخوارج 2/221. | 129 |
| — عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الازدي الاشبيلي أبو محمد المعروف بابن الخراط (510 — 581هـ) (1116 — 1185م). | 268 |
| — عبد الحميد، سلطان الدولة العثمانية (1842م — 1918م) | 66 |
| — عبد الرحمن باكلي فقيه اباضي عضو في الحركة الاصلاحية المعاصرة بالجزائر. | 21 |
| — عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (786 — 875هـ) | 103، 250، 251، 262، 263، 265، 267، 268. |
| — عبد الرحمن بن رستم بن بهرام (171هـ/787م) فقيه اباضي، مؤسس الدولة الرستمية، معجم المفسرين 1/265. | 13، 19، 20، 21، 23، 35، 202. |
| — عبد العزيز الثعالبي (1874 — 1944م) | 71 |
| — عبد العزيز بن ابراهيم الدميني ضياء الدين (1130 — 1223هـ) فقيه اباضي من أهم مؤلفاته: (1718 — 1808م) الدليل و شفاء العليل، معجم أعلام الجزائر /22، 23. | 40، 56، 57، 72. |
| — عبد العزيز عتيق | 176 |
| — عبد القادر بن محمد المجاوي (1264 — 1332هـ) (1848 — 1913م). | 78 |
| — عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى (الأمير) (1222 — 1300هـ) (1807 — 1883م)، مجاهد أديب صوفي، معجم أعلام الجزائر/103، 104. | 44 |


.../...

ـ عبد المؤمن = يحتمل أن يكون هو عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يحلى بن مرزان (487هـ ـ 550هـ) (1095م ـ 1163م) مؤسس الدولة الموحدية في المغرب العربي والأندلس، معجم أعلام الجزائر/ 210، 219. 213.

ـ عبد الملك بن مروان (86هـ) 02، 03

ـ عبد الله بن أباض المري التميمي (الطبقة الثانية) (50 ـ 100هـ) طبقات 2/ 214. 02، 03، 05، 08، 17.

ـ عبد الله بن حميد السالمي، عالم عماني، اباضي عاش في عصر المفسر وكانت بينهما مراسلات. 62

ـ عبد الله بن سلام الاسرائيلي الانصاري من سبط يوسف بن يعقوب (43هـ). 209، 242، 243.

ـ عبد الله بن الزبعـــري 159، 160.

ـ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي (3ق هـ ـ 68هـ) (619 ـ 687م) 16، 20، 21، 33، 34، 36، 63، 122، 124، 127، 157، 159، 194، 200، 203، 209، 224، 234، 237.

ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب (10ق هـ ـ 73هـ) (613 ـ 692م). 153

ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري بن أبي زمنين (324 ـ 399هـ) (936 ـ 1009م). 25

ـ عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب الهذلي (32هـ/ 653م). 120

ـ عبد الله بن يحي الباروني والد سليمان الباروني شاعر ليبي معاصر مدح المفسر بقصيدة نظمها لحث ابنه على طلب العلم بنهضة الجزائر 1/ 356. 76

ـ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (120هـ/ 306م) ثاني الأئمة الرستميين من الاباضية في تيهرت معجم أعلام الجزائر/ 143. 26، 202.

— عبد الوهاب قايد 262

— أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري (110 — 209هـ) ( 728 — 824م). 10، 170، 179.

— أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (حوالي 150هـ) التميمي المشهور بالأعور والقفاف امام أباضي، فقيه، تخرج من مدرسة علماء اباضيون فطاحل، قواعد الاسلام 1/33 الحاشية 1. 05، 08، 17، 19، 21، 26، 35، 36، 127، 128، 165.

— عثمان بن عفان الخليفة الثالثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (47ق هـ — 35هـ) (577 — 656م). 03، 04، 05، 166، 215، 226، 249.

— ابن العربي = محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي الأشبيلي أبو بكر (468 — 543هـ) ( 1075 — 1148م). 207، 216، 236، 259، 260.

— ابن عربي = محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي (560 — 638هـ) ( 1165 — 1240م 123، 235.

— عزرة 17

— عزير عليه السلام 117

— ابن عساكر = أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي (571هـ). 226

— علماء 153

— ابن عطية = عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن عطية المحاربي الغرناطي (481 — 542هـ) (1088 — 1148م). 123، 262، 263، 264، 265، 267.

— ابن عفان 170

— العقبي 67، 73

— عقبة بن عامر الجهني ( 58هـ) 156

— ابن عقيل = عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن محمد القرشي الهاشمي (694هـ — 769هـ) ( 1294 — 1367م). 153


.../...

— عكرمة بن عبد الله البربري مولى عبد الله بن عباس (25 — 105هـ)( 645 — 723م) 19، 20، 21، 190، 207.

— أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي ( 356هـ /967م) من علماء اللغة و من مؤلفاته (الأمالي) و يختلف شوقي ضيف من الكتب التي فيها انتحال كثير، العصر الجاهلي 131/1. 133، 165.

— علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو الحسن (28ق هـ — 40هـ)(600م — 661م). 01، 03، 117، 166، 205، 215، 224، 225، 226، 234، 230، 249، 255.

— علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين (36 — 94 هـ). 165

— علي بن الحسين الواقدي 246

— أبو علي الشلوبين. 133

— علي يحي معمر الليبي (1919 — 1980م) عالم اباضي، الاباضيّة 16/ — 33. 05، 11، 12، 20، 27، 28.

— عمار طالبي 01، 06، 07، 08، 10، 268.

— أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي (الطبقة الثانية)550 — 600هـ) عالم اباضي، عاصر أبا يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني، من مؤلفاته (الموجز) طبقات 435/2 — 491. 130.

— عمر بن الحاج ابراهيم بن محمد الحطفاوي من تلاميذ المفسّر. 92

— عمر بن الخطاب الخليفة الثانية لرسول الله صلّى الله عليه و سلم( 40ق هـ — 23هـ) ( 584 — 644م). 05، 117، 159، 167، 175، 211، 224، 225، 226.

— عمرو خليفة الناصر 00

— عمرو بن أبي ربيعة من بني مخزوم( 23 هـ — 93هـ) (644 — 711م). 174

— عمرو بن عبد العزيز بن مروان الأموي (61 — 101هـ) 165، 215.


.../...

ـ عمر بن الحاص بن وائل بن هاشم بن سعيد القرشي (43 هـ). 166
ـ عمرو بن محمد بكر بن الفارس 170
ـ عمر بن يحي (1339هـ/1921م) رجل من رجال الاصلاح بالجنوبه أعلام الاصلاح 190/2. 31، 70
ـ عليش بن حماد 243
ـ عوج أو عاج بن عنق أو عناق ملك باشان الجبار المذكور في التوراة باسم (عج) في أساطير العرب تصور جثته لما قتل بقدر جسر على النيل. 240
ـ عويمر بن نصر العجلاني 159

ـ غ ـ

ـ غيلان بن سلمة الثقفي 154
ـ الغزالي = محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي (أبو حامد) (450 ـ 505هـ) (1058 ـ 1111م) 134، 205، 257.

ـ ف ـ

ـ الفراء = أبو زكرياء يحي بن زياد مولى بني منقر (144 ـ 207هـ) (761 ـ 822م). 122، 179، 195، 196.
ـ الفرزدق = أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة (20 ـ 114هـ) (641 ـ 732م). 174
ـ فرعون المذكور في القرآن الكريم. 163، 168، 241.

ـ ق ـ

ـ أبو القاسم 256
ـ قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني القرطبي أبو محمد (247 ـ 340هـ) (862 ـ 950م). 123، 125
ـ قاسم بن سعيد 247
ـ القاشاني 256
ـ القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي أبو الفضل (476 ـ 544هـ) (1083 ـ 1149م). 250

.../...

— قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري ( 61 — 118هـ) ( 680 — 736م)، 122

— ق ر ش ـ ت

القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الاندلسي أبو عبد الله القرطبي (671هـ/ 1273م). 71، 110.

— القصطلاني = محمد بن أحمد بن علي بن محمد القيسي الشاطبي أبو بكر ( 614 — 686هـ)(1218 — 1287م) 250

— قطري بن الفجاءة التميمي (حوالي 78، 79هـ). 18

— ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين ( 691 — 751هـ)(1292 — 1350م). 134، 200.

— ك —

— ابن كيسان = عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي ( نحو 225هـ/840م). 195

— ابن كثير = اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين ( 701 — 774هـ) (1302 — 1373م). 123، 274.

— الكرديسال لافيجري 41

— الكسائي = علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الأسدي بالولاء الكوفي أبو الحسن الكسائي، (189هـ/805م). 116، 122.

— كعب الأحبار ( حوالي 32، 35هـ) 191، 242.

— الكلبي = محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي أبو النضر ( 146هـ/763م). 36

— كموس أبو محمد 181

— كلمن 241.


.../...

— ل —

— لوقا = قديس ورفيق بولس في أسفاره (نحو 70م) كتب أنجيل لوقا. 246

— م —

— ابن ماجة = أبو عبدالله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجة (209 هـ — 273هـ). 125، 126

— المازني = بكر بن محمد بن بني مازن بن شيبان ابن ذهل بن ثعلبة كانت وفاته بين (247 ، 230) هـ 120

— ماسكراي أميل مستشرق قام بطبع كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا مترجما الى اللغة الفرنسية سنة 1878. 96.

— أبو مالك الأشعري 126

— ابن مالك = محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (672هـ / 1273م). 31، 132.

— موسى (النبي عليه السلام) 140، 150، 163، 168، 177، 205، 244.

— موسى بن عامر بن علي بن عامر بن سيفاو الشماخي تخرج على أبيه له كتاب (ترتيب اللفظ) شرحه المفسّر وسمّاه (تثقيه الخامر بترتيب لفظ بن عامر). 82، 211.

— أبو المؤثر = الصلت بن خميس الخروصي، وفاته كانت في أواخر القرن الثالث الهجري، أحد أعلام الاسلام في عمان وكان أحد رجال الشورى الذين بايعوا الأمام الصلت بن مالك، ومعاصرا لمحمد بن محبوبة واعد الاسلام 1/30 الحاشية 1. 21، 22، 23.

— المأمون = عبدالله بن هارون بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي (170 — 218هـ) (786 — 833م). 170

— المبرد = محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الثمالي الأزدي، أبو العباس (210 — 286هـ) (825 — 899م). 122

.../...

— متى = من تلاميذ المسيح عليه السلام الاثنى عشر، له أنجيل متى . 246

— مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولى السائب بن أبي السائب (21 هـ — 104 هـ) ( 642 — 722م). 153، 196، 207، 264.

— أبو مرداس مهاصر السدراتي من علماء القرن الثاني ، عالم اباضي صاحب الأمام عبد الوهاب الرستمي سبع سنين مدة اقامته بليبيا وكان يحاسبه حساب المؤمن الحريص على دماء المسلمين وأموالهم قواعد الاسلام 1/105 الهامش/ 04. 131

— ابن مردويه = أبو بكر بن مردوية الأصفهاني (416هـ). 226

— مريم عليها السلام 117، 196، 243.

— المزني = أبو ابراهيم اسماعيل بن يحي المزني ( 175 — 264هـ) (794 — 878م). 256

— محمد بن أفلح أبو اليقظان ( 281هـ/894م) خامس الأئمة الرستميين من الأباضيّة في تيهرته تاريخ المغرب الكبير 3/534، 535، معجم أعلام الجزائر 148، 149. 202

— محمد البحسي 45، 52.

— محمد (الحاج) بن الحاج صالح بن عيسى 92.

— محمد حسين الذهبي 12، 37، 105، 106، 107، 110، 112، 116، 252، 263، 274، 275.

— محمد الشيخ بلحاج 09

— محمد بن عيسى آزيسار القرن 14 الهجري، القرن 20 الميلادي خطيب من كبار علماء وادي ميزاب له (بيان الشرع) في سبعين جزءا ، معجم أعلام الجزائر / 12. 57


.../...

54

ـ محمد بن عبد العزيز

ـ محمد بن عبد الله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

1/ مقدمة، 01، 04، 09، 33، 35، 50،
61، 76، 77، 105، 124، 126،
127، 133، 136، 137، 138، 140،
141، 142، 145، 146، 152، 153،
154، 155، 156، 157، 158،
159، 160، 162، 163، 172، 178،
181، 189، 190، 191، 193، 195،
197، 203، 209، 210، 211، 214،
215، 224، 225، 226، 237، 242،
264، 277.

20

ـ أبو محمد عبد الله بن محمد الحاصي اللواتي من (الطبقة الحادية عشر 500هـ ـ 550هـ) طبقات 2/470 ـ 481.

ـ محمد عبده بن حسين خير الله من آل التركماني (1266 ـ 1323هـ) (1849 ـ 1905م).

ـ محمد علي دبوز

ـ محمد فؤاد سزكين

59

ـ محمد بن أبي القاسم بن رجيح بن محمد ابن عبد الرحيم أبو عبد الله الحاملي (1239 ـ 1315هـ) (1823 ـ 1897م)، فقيه، مؤسس زاوية الحامل، معجم أعلام الجزائر/ 335.

21

ـ محمد بن محبوب (1260هـ) عالم اباضي، مجتهد وأحد أئمتهم في المشرق في عصره له كتاب (الجامع) في سبعين جزءا. قواعد الاسلام 1/51 الحاشية 02.

ـ محمد بن يوسف أطفيش

مقدمة / ب، 29، 30، 31، 35، 36،
50، 54، 71، 73، 90، 93، 95،

103، 104، 106، 109، 116،
113، 252، 253، 254، 256،
257، 259، 260، 261، 263،
264، 265، 266، 267، 260،
269، 272، 273، 279، 281،
278.

— محمد بن يانس أبو المنيب (الطبقة الخامسة 200هـ 250هـ) من علماء نفوسة طبقات 2/96 — 299. 26، 35.

— محكم الحواري (من علماء القرن الثالث الهجري). 24

— أبو مسعود الأنصاري 126

— ابن مسعود = عبدالله بن مسعود بن غافل ابن حبيب الهذلي (32هـ/653م). 127، 131، 137، 151، 190.

— مسلم — أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (204هـ — 261هـ) 125، 126، 127، 156، 159، 274.

— المسيح (أنظر عيسى عليه السلام).

— المسعودي = أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (345هـ أو 346هـ/956م). 215.

— مصطفى بن اسماعيل 247

— المطعم بن عدي 121

— معاذ بن جبل (17هـ) 153

— معاذ الجهني 154

— معاوية بن أبي سفيان (10 ق هـ — 60 هـ) 157، 166، 215، 249.

— المقراني = الحاج محمد (استشهد سنة 1871م) 46
جزائري بطل قاد ثورة ضد الاستعمار الفرنسي في جبال القبائل الصغرى.

— مقاع القطان 181.


.../...

- ابن المنذر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري أبو بكر( 242 - 319هـ) ( 856 - 931م). 122، 190.
- المنيسار 182
- المهلا = عدي بن ربيعة التغلبي (531م) 174
خال امرىء القيس من سمات شعره التكرار الذي هو صدى للوقفات الحارة أكثر شعره في رثاء أخيه كليب.

- ن -

- نافع أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أصله من أصفهان ( 169هـ). 151
- نوح عليه السلام 155، 212، 240.
- النبي (أنظر محمد عليه الصلاة والسلام)
- نجلاء عز الدين 42
- النسائي = أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي ابن بحر بن سنان بن دينار النسائي (215 - 303هـ). 125، 126
- أبو نصر = فتح بن نوح الملوشائي النفوسي من علماء القرن السابع الهجري ماضي وأخذ العلم عن خاله أبي زكرياء بن ابراهيم من نظمه القصيدة النونية في أصول الدين شرحها اسماعيل بن موسى وله القصيدة الرائية في الصلاة، قواعد الاسلام 1/ 89 - 90 الحاشي/1. 130
- النظام = ابراهيم بن سيار النظام البصري أبو اسحاق توفي في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين 103
- نعمان 245
- أبو نواس = الحسن بن هاني ( 145 - 198هـ) (762 - 813م). 174

.../...

— هـ —

— هارون عليه السلام 226، 244.

— هـود بن محكم الهواري الاوراسي (250هـ/ 23، 24، 25، 36، 95، 104، 123، 364م) 260.

— أبو هديبة 274

— أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة (21ق هـ — 59 هـ) (602 — 680م). 124، 125، 153، 274.

— ابن هشام عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين (708 — 761هـ) (1309 — 1360م). 53

— هلال بن أمية 159

— هود 241

— و —

— وائل بن ربيعة أخو الشاعر عدي بن ربيعة لقبه كليبا. 174

— وهب بن منبه = أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني الصنعاني (34 — 110هـ أو 114هـ). 242

— ي —

— يوحنا 246

— يوسف عليه السلام 120، 136، 246.

— يوسف بن بكير تلميذ المفسّر 70، 102.

— يوسف بن تاشفين المتوني المرابطي (1107م) 165

— يحي بكوش 44

— يحي بن خلفان بن أبي نبهان الخروصي 90

— يحي بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء من تيم ربيعة البصري الافريقي (124 — 200هـ) (742 — 815م)، مفسّر، فقيه، حافظ، محدّث، لغوي من آثاره (تفسير القرآن) مخطوط غير كامل، معجم المفسرين 2/730، 731. 24، 25.

.../...

— يحي بن صالح الأفضلي ، أبو زكريا (1160 — 1223هـ) 58
(1700 — 1808م) عالم اباضي ، مدرس مصلح اجتماعي
معجم أعلام الجزائر/22 .
— يحي بن صالح باعمارة تلميذ المفسر ، مارس القضا ، 70، 74 .
— يسوع ( هو المسيح عيسى عليه السلام ) 246
— يعقوب عليه السلام . 120، 121 .
— أبو يعقوب = يوسف بن ابراهيم بن مياد الصدراتي 13، 27، 28، 34، 35، 117،
الورجلاني ( 500 — 570هـ) (1106 — 1175م) 127، 130 .
فقيه اباضي ، مفسر ، معجم أعلام الجزائر/ 341،
342 .
— أبو اليقظان = ابراهيم بن عيسى بن يحي ( 1306 — 27، 70، 71، 74، 79، 80 .
1393هـ) ( 1888 — 1973م) عالم اباضي ، شارك في
الحركة الأصلاحية مجاهد بقلمه ، رائد الصحافة
الجزائرية . معجم أعلام الجزائر /356 .

## - فهرس البلدان والأماكن -


- أ -

- أوربا ( الأوربية ) 28 ، 41 ، 42 ، 44 ، 45 ، 46 ، 49 ، 51 ، 79 ، 277 ، 278 .
- أريغ 28
- الأزهر 272
- الأسكندرية 155
- افريقيا 27 ، 83
- المانيا 28
- انجلترا 67
- أندلس ( أندلسي ) 132 ، 133 ، 165 ، 207 .

- ب -

- بيت المقدس 164
- بدر 119 ، 121 ، 135 ، 204 .
- برّيان ( مدينة من مدن ميزابغرداية ) 59 ، 75 ، 78
- البصرة 08 ، 14 ، 16 ، 19 ، 20 ، 26
- بغداد 256
- بنورة ( مدينة من مدن ميزابغرداية ) 62 ، 77
- بني يزقين ( مدينة من مدن ميزابغرداية) 55 ، 70 ، 77 ، 93

- ت -

- تونس 24 ، 31 ، 68 ، 73 ، 78 ، 202 ، 246
- تيهرت ( عاصمة الرستميين ) 13
- تغيلا لت 193

- ج -

- الجزائر 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 48 ، 49 ، 50 ، 52 ، 67 ، 68 ، 70 ، 71 ، 74 ، 92 ، 193 .
- جزائر بني مزغنة 193
- الجزيرة العربية 41
- جبل نفوسة 13 ، 26

- ح -

- الحجاز 08 ، 09 ، 78 .
- الحرم الشريف . 58 ، 78

- د -


.../...

- درعـــة 193

- ذ -

- ذو الحليفـــة 126

- ر -

- روســـا 28

- ز -

- زنجبـــار ( واقعة بتانزانيـا ) 43 ، 73 ، 78 ، 90 ، 202

- س -

- ســوس 193

- ع -

- عـــدن 162
- العدوة 218
- العراق 07 ، 08 ، 09 ، 19
- عمـــان 17 ، 21 ، 31 ، 43 ، 56 ، 57 ، 62 ، 63 ، 74 ، 78 ، 80 ، 81 ، 84 ، 91 ، 92 ، 190 ، 213 ، 235 ، 268 .

- غ -

- غردايـــة ( عاصمة ميزاب مقر الولاية معظم سكانها اباضيّون .) 56 ، 70

- ف -

- فارس 162 ، 202 ، 224
- فـــاس 193
- الفرس 19 ، 202
- فرنسا 193
- فلسطيـن 162 ، 278

- ق -

- القاهرة مقدمة / د ، 70
- القيروان 19 ، 20
- القرارة ( مدينة من مدن ميزاب غرداية ) 59 ، 75 ، 78
- قرطبة 27
- قسنطينة ( عاصمة الشرق الجزائري ) 70
- قسطنطينية 78
- قلعـــة حماد ( بـــني ) 20

— ك —

— كرمـــان 162
— الكعبـــة 164

— ل —

— ليبيـــريج 28
— ليبيـــا 43

— م —

— مديـــن 241
— المدينـة ( المنورة ) 66 ، 159
— مراكـــش 193
— المسجـــد الحرام 164
— مصـــر 56، 73، 78، 93، 246، 256 .
— مضـــاب ( أنظر وادى ميزاب )
— معهـــد الحلـــل 59 ، 78
— المغرب ( الأقصى — العربي ) 21، 23، 41، 49، 70، 78، 79، 83 ،
193، 218 .
— مكـــة 125، 202، 224 .
— مليكة ( مدينة من مدن ميزاب السبعة غرداية ) 70 ، 74

— و —

— وادي ميزاب ( مضـــاب ) 28، 43، 44، 55، 68، 70، 77، 96 ، 125
174، 190، 199، 246 .
— ورجـــلان ( ورقلـــة ) 27، 59، 67، 75، 78، 249 .

## — فهـرس المذاهـب والفرق والأمم —

### — أ —


— الآريـون 45
— آل برمـك 167
— آل البيت ( الأهل ) 225،226،255
— الاباضيـة المقدمة/ ب، 02،03،04،05،09،10،11،12،13
14،15،17،18،19،20،21،24، 25،26،27،29
31،32،33،34،35،36،39،43،67،78،79،83
84،85،86،92،95،96،97،99،100،101،102
104،105،108،114،116،126،129،130،134
155،162،166،202،203،204،206،207
208،209،210،213،215،216،219
221،222،223،224،227،229،230،232
232،233،234،235،237،252،254،257
265،268،281،282 .
— أتراك 45
— أزارقـة 18،80،233،234،235
— استعمـار ( أنظر المستعمر ) /
— استقراطيـة 47
— الاسرائليات 29،106،107،110،239،240،242،243،244
257،267،273،276
— الاسرائليون 191،267،273،276
— الأشاعرة 01،25،99،123، 212،218،221،222،224
228،231،264،273
— أصحاب الأخدود 213
— أصحاب الأعراف 213
— أصحاب الفيل 164،165
— أصحاب الكهف 157،167
— الأصنام 163،178
— الافرنـج 164،193،277
— الاماميـة 226،227،231

- الأمويـــون 17، 06
- الانجـيل 133، 155، 215، 245، 246، 276،
- انجليزي 246
- الاندلسيون 27
- أهل الاستقامـة 91، 96
- أهل السنـة 01، 105، 106، 253، 254، 264، 265، 267
- أهـل الكتاب 163، 239، 242، 243، 273، 274،
- أهل النهروان 215

- ب -

- البرجوازيـــة 46
- البربـــر 46
- البربريـــــة 249، 250

- ت -

- التوراة 133، 155، 215، 243، 246، 276،
- التبشيـر ( انظر حركة التنصير ) /
- التحكيـم 01، 234، 273
- التصوف 45، 235، 236، 258، 259، 267

- ث -

- ثمـود 163

- ج -

الجزائري 267
- جماعي ( من أهل الجماعة ) 18

- ح -

- حبشـي 250
- الحكومة المصريـة 277
- الحركة الاصلاحيـة المقدمة/ 30، 31، 37، 38، 44، 45، 49، 58، 60، 74، 79، 101، 200، 218، 244، 247، 250، 269، 276، 281، 244، 246، 248
- حركة التنصير ( التبشير) 244، 246، 248
- الحركة السلفية ( كمذهب) 42، 49، 50، 51، 52، 101، 102، 109، 137
- الحركة الوهابيـة 49

— الحنفية 226

— خ —

— خارجي 18

— الخلافة العثمانية (الدولة العثمانية) .278،247،73،63،51،41

— الخوارج ،109،107،106،104،103،102،101
،166،154،136،119،113،112،111
،234،233،230،229،204،203
.254،238

— د —

— الدولة الرستمية (أدار الرستميين)

— الدولة العثمانية (أدار الخلافة)

— ر —

الرافضة 229،35

— رستميون (الدولة الرستمية) .102،24،21،19،13

— ز —

— الزيدية 10

— س —

— السحرة 241

— السنوسية 49

— ش —

— الشافعية .213،155،150

— الشيعة ،224،117،110،107،106،101
.255،233،231،226،225

— ص —

— الصوفية ،259،250،237،236،235
،272،260

— الصفرية ،235،234،233،30،18 .

— الصليبية ،74،77،67،52،51،44،41

— ظ —

— الظاهري 238

— ع —

— العرب ،11 ،70،46،41،33،14
،174،167،166،155،120
.279،181

— العربية ،55،79،76،48،46،30
.250، 175

— العماني .93، 30

- غ -

- الغالبـــــة 35

- ف -

الفتنـة الكبرى ( وقعة صفين ) 66
- الفرنسي 68،48

- ق -

القـدر 18، 237
- القدريـة 46،227،237
- قريـش 160،216
- القرامطـــة 21

- م -

- المالكيـــة 207،248،264،265
- الميزابيون ( بني مضاب ) 202، 248
- المتصوفـون 237،259
- المجـوس 117
- المجبـرة 220
- المجسمـة 99
- المذهب الاباضي ( الاباضي ) المقدمة / بـ 01،04،05،06،07،08،09،12،17،
19،44،49،80،83،85،87،91،95،96،101،102
107،113،128،129،130،166،201،202،204
207،208،214،216،217،219،221،222،223
224،233،254،257،265،273،278

- مذهـب الاعتـزال 107،233
- المرجـئـة 238
- المسيحيـة ( النصارى ) 41،45،61،75، 101،116،117،159،172،244،
245،246،247،278
- المستعمـر ( الاستدمار ) 45،50،51،52،58،59،61،64،66،67،68،
69،70،71،73،76،77،269،278

- بنو مصاب ( أنظر المزابيين) /
- المعتزلة 01، 07، 08، 10، 140، 204، 207، 212، 227، 228، 229، 231، 232، 233، 253، 255
- المغاربة 268
- المغربي 267

- ن -

- النجدية 233، 234
- النصارى ( أنظر المسيحية ) /
- نفوسيون ( سكان جبل نفوسة 80
ا يا معظمهم اباضيون )
- النكار : فرقة انشقت عن الاباضية 35
مؤسسها شعيب ابن المعروف وهي حركة سياسية
بالدرجة الأولى الاباضية / 79 .

- هـ -

- بني هاشم 216

- و -

الواصلية 35
- الوهابية 49

- ي -

- يوم الجمل 226
- اليهودية ( اليهود ) 18، 116، 117، 139، 142، 245، 273، 278 .

## ـ المصـــــادر والمـــراجـع ـ

### أ. الكتب:


ـ ابراهيم أنيـس( الدكتور )

ـ عبد الحليم منتصر ( الدكتـــور)

ـ عطيـــــة الطـــولـي

ـ محمد خلف اللـــه أحمـد

• معجـــم الوسيط ـــــــــ الأشـــراف على الطبعـــة

ـ حسن طـــي عطية

ـ محمد شوقـــي أمين

دار المعارف ط 3 مصر 1393 هـ / 1972 م.

ـ ابراهيم بكير بحـاز

• الدولة الرستمية ( 160 ـ 296 هـ) ( 777 ـ 909م)

مطبعة لافوميك ط 1 الجزائر 1985

ـ ابراهيم بن عمر بيـوض

ـ ابراهيم بن سعد الحبري

• أجـوبة وفتـاوى

منشورات دار الدعوة باتنة ط 1 ليبيا 1390هـ/ 1971م

ـ ابراهيم بن محمد أطفيـــش (أبو اسحـاق )

• النقد الجليل للمعتب الجليل

( المطبعة غير مذكورة ) 1342/ 1924

ـ أحمد أميـــــن

• فجـر الأســـلام

دار الكتاب العربي ط 10 بيروت لبنـان 1969م

ـ أحمـد توفيـــق المدنـــي

• كتاب الجزائر

المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

المطبعة العربية

— أحمد بن حمد الخليلي
• جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل
مكتبة الاستقامة ط 1 روي سلطنة عمان 1404 هـ / 1984 م.
— أحمد بن سعيد الدرجيني (أبو العباس)
• طبقات المشائخ بالمغرب
تحقيق ابراهيم طلاي
مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1394 هـ/ 1974 م
— أحمد بن شعيب بن علي بن يحي النسائي (أبو عبد الرحمن)
• سنن النسائي
شرح : جلال الدين السيوطي و حاشية الامام السندي
دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
— أحمد شلبي
• المجتمع الاسلامي
مكتبة النهضة المصرية ط 1 القاهرة 1958
مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر.
— أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (أبو الفضل)
• فتح الباري شرح صحيح البخاري
دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع
• تهذيب التهذيب
مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ط 1 الدكن الهند 1325هـ
— أد وارمونتيسه
• تفصيل آيات القرآن الكريم
نقله الى العربية
— محمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ط 2 بيروت 1374هـ/1955
— اسماعيل حقي البروسوي
• تفسير روح البيان المجلد 1
دار الفكر

.../...

- الحسين بن مسعود الفراء البغوي (أبو محمد)
. شرح السنة
تحقيق : زهير الشاويش - شعيب الارناؤط
المكتب الاسلامي ط 2 1403هـ/ 1983م

- الربيع بن حبيب
. الجامع الصحيح
على ترتيب يوسف بن ابراهيم الورجلاني (أبو يعقوب)
المطبعة السلفية ط 2 القاهرة 1349 هـ

- سالم بن حمود
. أحدى المناهج في تمييز الاباضية من الخوارج
(المطبعة غير مذكورة) أول رجب 1385 مطرح عمان

- سعد الله أبو القاسم
. تاريخ الجزائر الثقافي القرن 10 - 14 هـ
16 - 20 م
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1931
مطبعة أحمد زبانة
. الحركة الوطنية الجزائرية ج 2
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3 الجزائر 1983
. محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط 3 الجزائر 1982

- سليمان أبو الربيع الباروني
. مختصر تاريخ الاباضية
المطبعة غير مذكورة) سنة 1986

- سليمان بن عبد الله الباروني
. كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية
مطبعة الازهار البارونية مصر

.../...

— اسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي

• قناطر الخيرات ج 3

المطبعة البارونية طيلمون مصر 1307 هـ.

• قواعد الأسلام ج 1

قام بتصحيحه والتعليق عليه

— عبد الرحمن بن عمر بكلي

المطبعة العربية ط 1 غرداية الجزائر 1976 .

— أنور الجندي

• الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا

الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1385هـ / 1965م

— أ. سي ونسنك

• مفتاح كنوز السنة

نقله الى العربية : — محمد فؤاد عبد الباقي

دار احياء التراث العربي بيروت 1402 هـ/ 1983م

— وله — و ي ب منسنج

• المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

عن الكتب الستة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل

اتبع نشره : ي. بروخمان

دار الدعوة دار سحنون

استنبول 1987م تونس 1987 م.

— جابر بن زيد

• فقه الأمام جابر بن زيد

تقديم وجمع وتخريج : يحي محمد بكوش

المطبعة العربية ط 2 غرداية 1408هـ/ 1988م.

— الحاكم النيسابوري (أبو عبد الله )

• المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي

دار الكتاب العربي بيروت.

.../...

— شـــوقي ضيـــف .

. تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)

دار المعارف ط 3 مصـــر

. تاريخ الأدب العربي ( العصر الأموي )

دار المعارف ط 3 مصـــر

. الفن ومذاهبه في الشعر العربي

دار المعارف ط 8 مصـــر.

— صابـــر طعيمـــة

. الاباضيـــة عقيدة ومذهب

دار الجيـــل بيروت 1406هـ/1986م

— صبـــري المتولـــي

. منهج ابن تيميـــة في تفسير القرآن

عالم الكتب 1401 هـ/ 1981م

— عادل نـــويهـــض

. معجـــم أعـــلام الجزائر

مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ط 2

بيروت لبنـــان 1400 هـ/ 1980 م.

. معجـــم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر

مؤسسة نويهض الثقافية... ط 1 1403 هـ/ 1983 م

— عامـــر بن علي الشمـــاخي

. الايضـــاح ج 1

مطبعـــة الوطن بيروت 1391 هـ/ 1971م

— الناشر : دار الدعـــوة بالـــوت

— عبد الحميـــد زوزو

. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ( 1830 — 1900م)

المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الطبع المتعددة

ورشـــة أحمد زيـــانـــة .

.../...

— عبد الحي بن العماد الحنبلي (أبو الفلاح)
. شذرات الذهب في أخبار من ذهب
دار إحياء التراث العربي بيروت
— عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (جلال الدين)
. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير
دار الكتب العلمية ط 4
. اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة
دار المعرفة للطباعة والنشر ط 3 بيروت 1401 هـ/ 1981م
— عبد الرحمن الثعالبي
. الجواهر الحسان
تحقيق : عمار طالبي
المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985.
— عبد الرحمن بن محمد الجيلالي
. تاريخ الجزائر العام ج 2
دار الثقافة بيروت لبنان 1400 هـ/ 1980 م.
— عبد العزيز الدميني (ضياء الدين)
. كتاب النيل وشفاء العليل
صححه وعلق عليه : عبد الرحمن بن عمر بكلي
المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي ط 2 الجزائر
1387هـ/ 1967 م
— عبد الله بن حميد السالمي (أبو محمد)
. شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب بن
عمرو الفراهيدي الازدي.
صححه وعلق عليه : عز الدين التنوخي
المطبعة العمومية دمشق 1383 هـ/ 1963 م
— عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (ابن عقيل)
. شرح ابن عقيل على الفية بن مالك
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط 16.

.../...

— عبد اللـه بن عمـر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي
. أنوار التنزيل وأسرار التأويل

المطبعة العثمانية سنة 1305 هـ

— عبد الوهـاب عبد الوهـاب فايـد
. منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم

منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت 1393هـ/ 1973 م

— علي بن محمد بن أبراهيم البغدادي الخازن ( علاء الدين)
. لباب التأويل في معاني التنزيل

المطبعة المصرية 1318 هـ

— علي موسـى ، مخلص الريـس
. علم الفلك مفاهيمه وأسسه

دار دمشق للطباعة والنشر بيروت لبنان

— علي يحيى معمـر
. الاباضيّة بين الفرق الاسلامية

الناشر: مكتبة وهبة القاهرة
مطابع : سجل العرب ط 1 1396 هـ/ 1976م
. الاباضيّة ( دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم)

المطبعة العربية غرداية الجزائر 1965
. الاباضيّة في موكب التاريخ (الاباضيّة في الجزائر)

صححه : أحمد عمر اوبكـة
المطبعة العربية غرداية الجزائر 1965

— عمـرو بن جميـع ( أبو حفص)
. مقدمة التوحيد

شرحها : أحمد بن سعيد الشماخي (أبو العباس)
داود بن ابراهيم التلاتي ( أبو سليمان)

صححها وعلق عليها : ابراهيم أطفيش أبو اسحاق.
( المطبعة غير مذكورة ) القاهرة 1353.

.../...

— عمار طالبي

. آراء الخوارج الكلامية

الموجز : لأبي عمار عبد الكافي

الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1390هـ/ 1970م

مطابع الشروق بيروت

— كارل بروكلمان

. تاريخ الأدب العربي ج3

نقله الى العربية د/ عبد الحليم النجار.

دار المعارف ط 3 القاهرة مصر.

— مالك بن أنس الأصبحي (أبو عبد الله)

. موطأ الإمام مالك

رواية محمد بن الحسن الشيباني

تعليق و تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف

دار القلم بيروت لبنان

— محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي شمس الدين (أبو عبد الله)

. معرفة القراء الكبار على الطبقات و الاعصار

المحققون : بشار عواد معروف

شعيب الارناؤوط

صالح مهدي عباس

مؤسسة الرسالة ط 1 1404هـ/ 1984م

— محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (أبو الوليد)

. فصل المقال

تقديم : أبو عمران الشيخ ،

جلول البدوي

الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1982

— محمد بن اسحاق النديم

. الفهرست

المحقق : د/ مصطفى الشويمي

الدار التونسية للنشر تونس

المؤسسة الوطنية للكتاب ط 1 الجزائر

مطبعة أوميقا للنشر 1406هـ/ 1985م

.../...

- محمد البهي

. الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

الناشر : مكتبة وهبة مطبعة مصر

- محمد بن جرير الطبري (أبو جعفر)

. جامع البيان في تفسير القرآن

دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان 1403 هـ/1983م

- محمد جواد مغنية

. معالم الفلسفة الاسلامية

دار العلم للملايين ط 1 بيروت لبنان 1960

- محمد حسين الذهبي

. التفسير والمفسرون ج 1

دار الكتب الحديثة ، مطبعة السعادة ط 1 1381 هـ/ 1961م

. التفسير والمفسرون ج 2

مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة مصر 1381 هـ/ 1962م

- محمد بن الصولاري (أبو الحواري)

. الدراية وكنز العناية في منتصى النهاية

وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية

دار اليقظة العربية دمشق 1974

- محمد رشيد رضا

محمد عبده

. تفسير المنار

دار المعرفة ط 2 بيروت

- محمد الشيخ بلحاج

. القرآن الكريم تفسيره ومفسروه

. السنة روايتها ورواتها عند الأباضية

المطبعة العربية غرداية 1994م

.../...

— محمد علي دبوز

• أعلام الإصلاح في الجزائر

مطبعة البعث ط 1 قسنطينة 1396 هـ/ 1974 م

• تاريخ المغرب الكبير

دار احياء الكتب العربية ط 1 1383 هـ/ 1963 م

• نهضة الجزائر الحديثة وثوراتها المباركة ج 3

المطبعة التعاونية ط 1 1385 هـ/ 1965 م.

— محمد علي الشوكاني

• الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة

تحقيق : عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني

مطبعة السنة المحمدية

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

• نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الاخبار

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

— محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي (أبو عيسى)

• الجامع الصحيح الترمذي

بشرح ابن العربي المالكي

دار الكتاب العربي بيروت

— محمد كامل

• قائمة مطبوعات الوزارة 1986/ 1987

وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان

— محمد محمد أبو زهو

• الحديث والمحدّثون أو عناية الأمّة الاسلامية بالسنة النبوية

دار الكتاب العربي بيروت 1404 هـ/ 1984 م

.../...

- محمد ناصر الألباني
. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة
المكتب الاسلامي ط 5 1405 هـ/ 1985 م
- محمد بن مكرم بن منظور جمال الدين (أبو الفضل)
. لسان العرب
دار صادر للطباعة والنشر ط 1 بيروت 1388 هـ/ 1968 م
دار بيروت للطباعة والنشر
- محمد بن يوسف أطفيش
. ازهاق الباطل بالعلم الواطل .
طبعة حجرية 1317 هـ
. ان لم تعرف الأباضية يا عقبي
مطبوع بحواشي وتعليقات : عبد الله بن حميد السالمي
المطبعة العلمية ط 2 تونس 1321
. تقييد الخامل بترتيب لفظ ابن عامر
طبعة حجرية 1319 هـ
. تيسير التفسير
طبعة حجرية ط 1 الجزائر 1325 ، 1326هـ/ 1905
. جامع الشمل في حديث خاتم الرسل
دراسة وتحقيق : محمد عبدالقادر عطا
دار الكتب العلمية ط 1 بيروت 1407 هـ/ 1987 م
. حكم الدخان والسعوط
طبعة حجرية 1326 هـ
. داعي العمل ليوم الأمل
مخطوط مكتبة الشيخ أطفيش بني يسقن .
. الذهب الخالص المسموه بالعلم القالص
تعليق : أبو اسحاق ابراهيم أطفيش
دار البحث للطباعة والنشر ط 2 قسنطينة الجزائر 1400 هـ/1980م

.../...

• الرد على الصفرية والأزارقة

طبعة حجرية 1314

• رسالة الشافيـــــة

طبعة حجرية 1326 هـ

• رسالة موجهة الى أهل عمان

مخطـــوطـــة

• رسالة موجهة الى السلطان عبد الحميد

مخطـــوطـــة

• رسالة في الرد على الانجليزي المنكر للقرآن

سماها : " قذى العين على أهل الصين "

مخطـــوطـــة

• شامل الأصل والفرع

تصحيح وتعليق : أبو اسحاق ابراهيم أطفيش

المطبعة السلفية القاهرة 1340 هـ

• شرح الدعائم لابن النظر الصحاري

طبعة حجرية 1326 هـ

• شرح النيل وشفاء العليـــل

مكتبة الارشاد جـــدة

دار الفتح ط 2 بيروت 1393 هـ/ 1973 م

• القول الدانية في مسألة الديوان الحاتية

طبعة حجرية 1314 هـ

• كشف الكـــرب

وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان

1405 هـ / 1985 م

• مجموع القصائد

طبعة حجرية 1314 هـ


.../...

. ميسان الزاد الى دار المعاد

المطبعة السلطانية زنجبار 1305 هـ - 1314 هـ

- محمود بن عبد الله بن محمد بن درويش الحسني الألوسي

. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني

دار الفكر بيروت 1403 هـ/ 1983 م

- محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري

. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل

تحقيق وتعليق : محمد مرسي عامر

دار الصحف ، شركة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد القاهرة

1397 هـ/ 1977 م

- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

. صحيح مسلم

شرح النووي

دار احياء التراث العربي بيروت

- معمر بن المثنى التيمي (أبو عبيدة)

. مجاز القرآن

تحقيق وتعليق : محمد فؤاد سزكين

مؤسسة الرسالة ط 2 بيروت 1401 هـ/ 1981 م

- مناع القطان

. مباحث في علوم القرآن

منشورات العصر الحديث 1391 هـ/ 1971 م

- نجلاء عز الدين

. العالم العربي

اشترك في ترجمته مجموعة من الأساتذة

دار احياء الكتب العربية بالاشتراك مع

مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة - نيويورك

الطبعة الأولى 1957

الطبعة الثانية 1962

.../...

— هود بن محكم الهواري
. تفسير القرآن ج 3
مخطوط مكتبة الشيخ أطفيش بني يسقن رقم 14/4.
— يحي بن أبي بكر (أبو زكريا)
. سير الأئمة وأخبارهم
تحقيق وتعليق : اسماعيل العربي
المكتبة الوطنية الجزائر 1399 هـ/ 1979 م
مطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
مطبعة أحمد زبانة الجزائر
— يحي بن أبي الخير الجناوني (أبو زكريا)
. الوضح : مختصر في الأصول والفقه .
تحقيق : أبو اسحاق ابراهيم أطفيش
مطبعة الفجالة الجديدة ط 1
— يوسف بن ابراهيم الورجلاني (أبو يعقوب)
. الدليل والبرهان
المطبعة البارونية طالون مصر 1306 هـ
— يوسف خلفون النزاتي (أبو يعقوب)
. أجوبة ابن خلفون
تحقيق وتعليق : د/ عمر وخليفة الناصر
دار الفتح للطباعة والنشر ط1 بيروت 1394 هـ/ 1974 م

ب . محاضرات :

— ابراهيم محمد طلاي
. تفسير محمد بن يوسف أطفيش للقرآن الكريم
محاضرة : ألقيت في مهرجان القطب (المفسّر) 1401 هـ/ 1981 م
— بكير حلمي
. مواقف القطب ضد السلطة الاستعمارية ومعالجة الأحداث في الأقطار الأسلامية.
محاضرة : ألقيت في نفس المهرجان .

.../...

- بلحاج عدون هريلسي
  . التفسير ومناهجه عند علماء الأباضية

محاضرة ألقيت في ملتقى الخامس عشر للفكر الاسلامي الجزائر
2 - 8 ذو القعدة 1401 هـ
وزارة الشؤون الدينية مديرية البحوث الإسلامية والملتقيات.

- سليمان داود بن يوسف
  . التفسير ومشاهير المفسرين

محاضرة : ألقيت في نفس الملتقى

- عبد الرحمن بكلمي
  . محاضرة (بلا عنوان) ألقيت في مهرجان القطب 1401هـ/ 1981م.

- محمد أيوب صدقي
  . ردود ومواقف

محاضرة : ألقيت في نفس المهرجان

- محمد الشيخ بلحاج
  . الاجتهاد في المذهب الاباضي

محاضرة : ألقيت في ملتقى السابع عشر للفكر الاسلامي قسنطينة 1408هـ/ 1988م.

- يحي محمد بكوش
  . شرح النيل دائرة معارف في الشريعة الاسلامية

محاضرة : ألقيت في مهرجان القطب 1401 هـ / 1981 م
المطبعة العربية غرداية.

.../...

## ج. الدوريات :


— مجلة الأصالة
مطبعة البحث قسنطينة الجزائر
تصدرها وزارة الشؤون الدينية .

— الحبيب الجنحاني
. حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن 19.

عدد : 16 السنة الثالثة شعبان ، رمضان 1393 هـ
سبتمبر ، أكتوبر 1973 م

— سليمان داود بن يوسف
. مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الاسلامية وتركيزها

عدد 49 ، 50 السنة السادسة رمضان ، شوال 1397 هـ
سبتمبر أكتوبر 1977 م

— جريدة الشعب ( يومية ، وطنية ، اخبارية )
الموسسة الوطنية للصحافة الجزائر .

— سعد الله أبو القاسم
. شيخ الاسلام عبد الكريم فكون

عدد 6969 السنة 24 الاربعاء 1 رجب 1406 هـ الموافق 12 مارس 1986.

— مجلة المنهاج : ( مجلة علمية سياسية اجتماعية نصف شهرية )
مطبعة الشباب — مصر —
صاحبها : أبو اسحاق ابراهيم أطفيش عدد 3 ، 4 السنة 7 1344 هـ / 1950 . م

— أبو اسحاق ابراهيم أطفيش
. داعي العمل ليوم الأمل

. مسألة الأذان بين أهل فردانية والجالية المذهبية والعرقية .

— 0 — فهرس الموضوعات — 0 —


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | أ ـ هـ |
| التمهيد | 01 ـ 39 |
| 1. نشأة المذهب الأباضي | 01 |
| 2. التكفير الأباضي | 07 |
| 3. التفسير بالرأي عند الاباضيّة | 09 |
| 4. أسباب قلة التفسير عند الاباضيّة | 12 |
| 5. مفسرو الاباضيّة | 15 |
| أ. طبقات القدماء | 15 |
| . جابر بن زيد | 15 |
| . أبو عبيدة مسلم بن المدني التميمي | 18 |
| . عبد الرحمن بن رستم | 19 |
| . أبو الحواري محمد بن الحواري | 21 |
| . مسعود بن محكم الحواري | 23 |
| . محمد بن يالمسعسن | 26 |
| . أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني | 27 |
| ب. طبقة المعاصرين | 29 |
| . محمد بن يوسف أطفيش | 29 |
| . ابراهيم بن عمر بيوض | 30 |
| . أحمد بن حمد الخليلي | 31 |
| 6. مناهج التفسير عند الاباضية | 32 |
| أ. التفسير الفقهي | 34 |
| ب. التفسير العقائدي | 34 |
| ج. التفسير التعليمي | 36 |
| د. التفسير الاجتماعي الاصلاحي | 37 |


.../...

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| — الباب الأول — | 39 — 41 |
| الفصل الأول : (عصره) | |
| 1. الحياة السياسية | 41 |
| 2. الحالة الاجتماعية | 44 |
| الفصل الثاني : (حياته) | |
| 1. عوامل نموه | 54 |
| 2. موقفه من التيار المحافظ | 60 |
| 3. موقفه من الاستعمار وعملائه | 64 |
| الفصل الثالث : (آثاره) | |
| 1. آثاره في ميدان التعليم | 70 |
| 2. آثاره في اصلاح المجتمع | 76 |
| 3. آثاره في ميدان التأليف | 79 |
| — الباب الثاني — | 90 — 134 |
| الفصل الأول : | |
| 1. التعريف بتفاسيره | 90 |
| 2. أسباب تفسيره للقرآن الكريم | 95 |
| 3. المقارنة بين تفاسيره | 98 |
| — أسباب عدم انتشار هذه التفاسير | 102 |
| الفصل الثاني : | |
| — رأي الباحثين في تفاسيره | 104 |
| الفصل الثالث: | |
| — مصادر تفاسيره | 115 |
| أ. مصادرها من كتب التفسير | 115 |
| ب. مصادرها من كتب الحديث | 124 |
| جـ. مصادرها من كتب الفقه | 128 |
| د. مصادرها من كتب مختلفة | 130 |


.../...

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| **— الباب الثالث —** | |
| **الفصل الأول :** | |
| طريقته في التفسير | 135 |
| 1. تفسير القرآن بالقرآن | 145 |
| 2. تفسير القرآن بالسّنة | 152 |
| 3. التفسير بآراء الصّحابة | 157 |
| 4. أسباب النزول | 158 |
| 5. المصادر التّاريخيّة | |
| أ. قصص الأنبياء | 161 |
| ب. الأحداث التّاريخيّة | 164 |
| 6. الشّعر العربي | 167 |
| 7. علوم اللغة والبلاغة | 176 |
| 8. علوم مختلفة | 186 |
| 9. أسلوبه في التّفسير | 196 |
| **الفصل الثّاني : ٤٠٣٤٠** | |
| ( موقفه من بعض المسائل ) | |
| 1. موقفه من المذهب الأباضي | 201 |
| 2. موقفه من الأشاعرة | 218 |
| 3. موقفه من الشّيعة | 224 |
| 4. موقفه من المعتزلة | 227 |
| 5. موقفه من الخوارج | 233 |
| 6. موقفه من التّصوف | 235 |
| 7. موقفه من بعض الفرق الأخرى | 237 |
| 8. موقفه من الأسرائيليات | 239 |
| 9. بوادر الحركة الأصلاحيّة في تفسيره | 244 |


.../...

الموضوع — الصفحة

الفصل الثالث :
(مقارنة تفسيره بين بعض التفاسير)
251 — مدخل
252 — المقارنة بين منهجية (التيسير) ومنهجية (روح المعاني)
252 أ. موقفهما من المخالفين
257 ب. وجهة نظرهما من الاسرائيليات
258 جـ. وجهة نظرهما من التفسير الاشاري والتصوف
260 د. المسائل العلمية واللغوية
262 — المقارنة بين (التيسير) و (جواهر الحسان)
262 أ. طريقة الاستفادة من المصادر
265 ب. أسلوب الاختصار
269 — المقارنة بين (التيسير) والمنار
270 أ. الثورة على التقليد
276 ب. الدعوة الى اصلاح المجتمع في التفسيرين
278 جـ. توظيف العلوم الحديثة
231 الخاتمة
284 فهرس القرآن الكريم
298 فهرس الأحاديث النبوية
307 فهرس الأعلام
331 فهرس البلدان والأماكن
334 فهرس المذاهب والفرق والأمم
339 فهرس المصادر والمراجع
355 فهرس الموضوعات